

مِقْلَاحُ الْحَقِّ وَالْقَدْرِ أَبُو طَيْبٍ سَعْدُ

الْحَنْسُورَةُ عَدْلُ السُّبُلَةِ - الْعَنْبُونِيَّةُ

كُتِبَها

أَبُو الْقَدْرِ أَبُو طَيْبٍ سَعْدُ

مَقَالَتُ إِلَى الْفَلَاءِ ابْنِ مَسْعُودٍ

الْحَنُورَةُ عَدَلُ السُّبُكَةِ - الْعَنْبُوتِيَّةِ

كُتِبَ بِهَا

رَجُلُ الْفَلَاءِ ابْنُ مَسْعُودٍ

أَعْدَادُ وَتَنْسِيقُ

بَاهِرِيَّةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله ، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم ، أما بعد :

فقد طالعت على الشبكة العنكبوتية مجموعة من المواضيع المختلفة على العديد من المنتديات الإسلامية لأحد طلاب العلم الشرعي وهو " أبو الفداء بن مسعود " ، وكنت قد وجدت في هذه المواضيع الكثير من الفوائد لاسيما تلك المواضيع التي تتناول بالتحليل والنقد النظريات العلمية كالانفجار الكوني العظيم ونظرية دارون في النشوء والإرتقاء ، وأسعدني أن أجد من المسلمين من يحرر أصول فلسفة العلم الطبيعي على أصول المعرفة الكلية من الكتاب والسنة بما يكشف فساد وتهافت آراء أصنام الفكر الغربي الإلحادي التي أصبحت تُقدّم في لبوس العلم .

ومن هنا رأيت أن أجمع تلك المقالات وأنسقها مما يُسهّل من قراءتها على الكثير من طلاب العلم ، ومع العلم أن مؤلف هذه المقالات لم يراجع هذا الكتاب ، ولم أتواصل معه في ذلك ، وإنما كان هدي من البداية هو الاستفادة الشخصية من هذا الجمع والتنسيق ثم رأيت أن أنشره ليشاركني غيري في هذا الخير .

هذا ، والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يغفر لي الخطأ والزلل ، والله من ورائه القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

جواب استشكل للحافظ في الفتح عند شرحه لحديث "طوله ستون ذراعا"

الحمد لله وحده قال ابن حجر رحمه الله في الفتح عند شرح حديث "خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا في السماء"

"قوله فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن أي أن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله فأنتهى تناقص الطول إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك وقال بن التين قوله فلم يزل الخلق ينقص أي كما يزيد الشخص شيئا فشيئا ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين حتى إذا كثرت الأيام تبين فكذلك هذا الحكم في النقص ويشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السالفة كديار ثمود فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق ولا شك أن عهدهم قديم وأن الزمان الذي بينهم وبين آدم دون الزمان الذي بينهم وبين أول هذه الأمة ولم يظهر لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال" انتهى كلام الحافظ رحمه الله .

قلت جواب هذا الإشكال بعون الله من وجهين :

❶ ليس من الصواب في مناهج النظر أن يُستند في صنعة ما إلى ظن لا ينهض فيها للاستدلال في نقد أو تأويل ظن آخر يصلح للاستدلال في تلك الصنعة. فالذي بين أيدينا حديث صحيح ثابت في منزلة الظن الموجب للقبول الصالح للاستدلال، بينما ما نظر فيه الحافظ رحمه الله إنما هو من جنس الظن الواهن الذي لا يصلح للاستدلال. فنحن لم يأتنا من خبر من نثق بكلامه اتصالا فضلا عن أن يكون تواترا بما لا يدع مجالا للطعن في صدق الخبر المنقول = نقل بأن تلك الديار التي قيل بأنها لقوم عاد وثمود هي بعينها ديار عاد وثمود! إنما هي بقايا (ولا ندري أديار هي أصلا أم غير ذلك) أبقاها الله لنا آية من قوم سالفين لا ندري لأيهم كانت، ولا نملك إلا جمع القرائن الضعيفة في محاولة معرفة العصر أو الزمان الذي ترجع إليه تلك الآثار .

فقول الحافظ رحمه الله: "كديار ثمود" مردود بأننا لا ندري أهى ديارهم حقا أم ديار غيرهم من

الأمم.. فإن تقرر ذلك المعنى، سقط الإشكال بذلك رأسا!

وهذا التعقب في أصول الاستدلال من الأهمية بمكان، فقد رأيت من الإخوة من يرجع إلى هذا الاستشكال من الحافظ رحمه الله فيجعله باباً لإنهاض اكتشافات علماء الحفريات والآثار ونحوهم لمنزلة النظر في نقد وتأويل متون الحديث، فضلاً عن جملة معطيات "المنهج العلمي الإمبريقي" بصفة عامة، فتراهم يسول لهم ذلك المدخل الأخذ والرد من كلام السالفين في تأويل الكتاب والسنة على وفق ما تحملهم عليه ظنونهم في ذلك، فترى متونا لم يتعرض لها أحد من أهل الصناعة بالنقد أو الرد من قبل قط، وهؤلاء الإخوة يردونها بكل سهولة متذرعين بأن من الأئمة والسراخ من "اعتمد منهج النظر التجريبي" مدخلا للتأويل والنقد، فها نحن نرى الحافظ ابن حجر رحمه الله يستشكل بناء على هذا النظر!! وهذا ولا شك ثغر خطير ينبغي أن يسده أهل العلم حتى لا يتسع الخرق على الراقع وتضيع معالم هذا المنهج المبارك الذي حفظ لهذه الأمة دينها إلى يوم الناس هذا، والله المستعان .

وقد يقول القائل: وهل غاب عن ذهن الإمام الحافظ رحمه الله هذا المعنى في مسألة قوة الاستدلال حتى طرأ على باله هذا الإشكال؟ ونقول إن الإمام رحمه الله تركه إشكالا، بمعنى أنه طرأ على ذهنه ولم يجد له جواباً! لا بمعنى أنه عارض به الحديث أو أوماً ولو من بعيد إلى الطعن في متنه! والظاهر أنه أورد الإشكال على تأويل الشراح له بأن المراد النقص التدريجي، إذ تعقب بهذا الإشكال كلام ابن التين كما في النقل، وهذا التعقب لا يستقيم للوجه الثاني من الجواب كما سيأتي .

ولكنني أوردت هذا الوجه الأول من الجواب لأبين أن الاستشكال نفسه غير معتبر بوجه من الوجوه، لقيامه على طريقة غير مستقيمة في النظر في أخبار الغيب (وهو من الغيب الزمني).. فلا أبرح هذه الجزئية من الجواب حتى أبين هذا المعنى، وأوضح أن بني آدم من بعد النبيين والمرسلين ليسوا بمعصومين، ولكل جواد كبوة، ولكل إمام هفوة.. ومسألة الخلط في منازل الأدلة من حيث قوة الاستدلال هذه مسألة دقيقة لا يتفطن إليها كثير من طلبة العلم والمشتغلين بالنظر والتأصيل والتععيد.

فالسبب في أننا نعترض على أصحاب الإعجاز العلمي في جملة كبيرة مما يذهبون إليه (لا في كل ما عندهم فمنه ما هو صواب وحق على تفصيل علمي ليس ههنا محل البسط فيه)، إنما هو خلطهم في منازل الأدلة وقوة الاستدلال واختلاف طبيعة الدليل الظني ومنزلته من فن إلى فن.. فما يرقى للاستدلال عند علماء الفلك مثلاً، قد لا يرقى نظيره من الأدلة للاستدلال عند علماء الكيمياء أو الفيزياء.. والدليل الظني يتفاوت في قوته بمقاييس الصناعات كل صنعة بحسب طبيعة الأدلة التي يتحصل عليها أصحابها.. فصناعة التأريخ - مثلاً - معلوم أن ضابط القبول والرد فيها لئى ليس بالشديد كما هو الشأن في مرويات الحديث، فأهل التاريخ قد يقبلون الاستدلال بخبر هو بمقاييس أهل

الحديث لا يرقى للرواية أصلاً، وهذا معلوم عند المشتغلين بكلا الصنعتين. ولذلك فإنه لا يسوغ ولا يصح الاستشكال على متن ثابت عند أعلى درجات الصحة (بمقاييس أهل صناعة الحديث) بسبب دليل من الأدلة التي لا يقبل بمثلها إلا أهل التأريخ في صناعتهم، فهم يقبلونها لا لشيء إلا لكون تلك الأدلة غاية ما يمكن للباحث منهم التحصل عليه في مادته، كالنظر في أحوال الآثار وبقايا الأولين وجمع نثار وثائقهم التي لم تبلغنا إلا بالية مهلهلة قد أخذ منها الزمان حظه وافراً.. فهم يقبلونها أحياناً وإن لم يعلموا من ناقلها ولا من كاتبها بأي طريق موثوق متصل، ويخرجون منها بمعلومات يُستدل بها في بابها عندهم لأنه لا شيء بين أيديهم في تلك الصناعة يرقى لردها لكونه فوق منزلتها في قوة الاستدلال في ذات الأمر.. فإن وجدوا ما هو أقوى دلالة في ذلك فإنهم يلزمهم المصير إليه ولا شك . .

ومثال ذلك حجر رشيد الذي اكتشفه باحثو الحملة الفرنسية في مصر في القرن الثامن عشر الميلادي.. هذا الحجر لعننا لا ندرى - إلا افتراضاً - من كاتبه ومن صاحبه، ومع ذلك فقد أخذ منه الناس كثيراً مما يعرفونه في زماننا هذا عن الكتابة الهيروغليفية، فإن جاءهم من جنسه ما يرده اختلافوا، حتى يأتي دليل ثالث على نفس الوتيرة وفي نفس المنزلة يوافق أحد الدليلين، فتثقل الكفة به، أو يأتي ما يخالفه ويعلوه في القوة فيرد به، وهكذا.. فالتأمل يرى بوضوح أن منزلة الدليل والاستدلال في تلك الصنعة (كصناعة الأركيولوجيا وعلوم الآثار) هي بالجملة أدنى بكثير من شرط الدليل الذي به يقبل الخبر أو التأويل في علوم السنة والحديث . .

ولهذا كان استشكال الحافظ رحمه الله استشكالا غير مقبول من جهة منهج النظر نفسه.. فقد جاء الحافظ بدليل نظري من أدلة أصحاب الحفائر والتواريخ - على منزلتها المعتبرة عندهم - يستشكل به تأويل بعض الشراح لحديث صحيح.. وهذا مسلك ليس بالمستقيم، والله أعلم .

🔴 الوجه الثاني هو أننا حتى وإن سلمنا بأن هذه الآثار والديار هي لقوم ثمود ونحوهم، فإنه لم يقل أحد بأن ظاهر الحديث يلزم منه أن يكون النقص على أطراذه وتدرجه عبر الأجيال = على وتيرة واحدة (بمعنى أن يكون معدل التناقص من جيل إلى جيل ثابتاً لا يتغير). فلربما كان التناقص سريعاً في الأجيال الأولى قبل الطوفان، ثم كان التناقص فيما بعد الطوفان في الأحجام والقوى وأطوال الأعمار أبطأ كثيراً، حتى وصل الحال إلى ما نحن عليه اليوم (وهو نظير ما كان عليه الناس في زمان النبي محمد عليه السلام) فلا مزيد من التناقص بعد ذلك. فلعل بناء الهرم المصري كانوا من زمان ما قبل الطوفان،

ممن كانوا أقرب إلى مقياس آدم عليه السلام، بينما بناء تلك الديار المنسوبة إلى ثمود ممن جاءوا بعد الطوفان من أجيال كانت إلى مقياسنا نحن اليوم أقرب . .

ثم إنه لا يمنع العقل من أن يكون بناء تلك الديار التي يشير إليها الحافظ رحمه الله (أو من بنيت لهم) = جنس من الأجناس البشرية قصيرة القامة في زمانهم، مقارنة بأجناس أخرى كانت باقية فيها صفة "العماليق" حتى انقرضت تلك الأجناس فيما بعد. فالذي يظهر أن التدرج في النقص لم يكن على وتيرة واحدة في سائر أجناس البشر، فقد كان في زمان دوداد عليه السلام عماليق (جالوت وآله) وقد شهد القراءان للتفاوت بينهم وبين بني إسرائيل ((قوما جبارين)).. فأثبت وجود التفاوت بينهم وبين بني إسرائيل في القوة وضخامة الجسد وهم جميعاً بنو زمان واحد متعاصرون، وفي كتب بني إسرائيل تجد وصفاً للقوم بأنهم كانوا عماليق (فيما يسمى بالعهد القديم)! وفي كثير من مرويات الأمم السالفة كذلك روايات وأساطير عن أمم من العمالقة.. فمجرد وجود من يصف قوماً من الأقوام في زمانه بأنهم عمالقة = هذا يدل على أن الناس قد تفاوتوا فيما بينهم في مقدار التناقص المنصوص عليه في تلك الرواية حيث تسارع الأمر في بعض الأجناس وتباطأ في البعض الآخر منها! فلا يسع الناظر في تلك الديار - على التسليم بأنها ديار قوم ثمود أو ترجع إلى زمانهم - أن يعترض بصغر حجمها على صحة معنى التناقص المطرد المستمر المنصوص عليه في الحديث، أو أن يستشكل عليه بهذا!

ثم على هامش هذا الجواب أضيف تعقباً لقول ابن التين الذي نقله الحافظ: "أي كما يزيد الشخص شيئاً فشيئاً ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين حتى إذا كثرت الأيام تبين فذلك هذا الحكم في النقص" فأقول إن التغير التدريجي قد يكون على عدة أجيال، فيكون متوسط أطوال البشر في تناقص من جيل إلى جيل، لا من ساعة إلى ساعة كما هو متصور هنا، بمعنى أن الرجل الواحد ينكمش في نفسه عبر سنوات عمره فيتناقص بذلك نسله من بعده! وهذا التصور قد دلنا على فساد ما يعرفه الناس الآن من علوم الجينات والوراثة ولا يحتاج ذلك المعنى إلى مزيد بسط وبيان، والله أعلم .



تعقيب هام لأبي الفداء على تعليقات القراء على هذا المقال

بارك الله فيكم أيها الأحبة

وشكر لكم الإثراء والمدارسة النافعة . .

الإشكال إنما يأتي بالأساس من منهج الاستدلال وطريقة النظر كما أسلفت في المشاركة الأولى . .
وكلام ابن خلدون رحمه الله فيما تفضلتم بنقله أخي الواحد هو كما يظهر أشد إغراقاً في هذا المهيح مما نرى في استشكال ابن حجر رحمه الله . . وبينما كان الحافظ مستشكلاً متوقفاً فيما أشكل عليه، نرى ابن خلدون رحمه الله يدفع بنفسه في ذلك الطريق دفعا، يحتاج بما معه فيه ويأخذ ويرد، وما كان يلزمه ذلك أصلاً كما سيأتي .

دعني أنبه ابتداءً إلى فرق ظاهر بين السياقين، سياق إيراد الحافظ في الفتح وسياق كلام ابن خلدون المنقول. فأقول إنه لما كان كلام الحافظ في معرض الاستشكال على فهم السابقين لحديث صحيح بمثل هذه الأمور (بقايا ما ينسب إلى ثمود ونحوهم من البنايات والديار)، جاء الخلل عنده من جهة الانتهاض بمثل هذه الأشياء إلى منزلة تأويل نص من نصوص السنة بها والاستشكال على ظاهر معناه . . أما ابن خلدون فنراه - في المقابل - يورد كلامه ذاك رداً على أصحاب الأساطير وعلى الفلاسفة الذين زعموا أن الخلق كله في تناقص مطلق في كل شيء، كأن الكون ماضٍ في انهيار وتفكك يتهدم شيئاً بعد شيء من يوم أن خلقه الله إلى يوم القيامة، وكأن القيامة ستقوم يوم لا يبقى في الكون قوة تجمع بعضه إلى بعض من سوء ما بلغ به حاله!! وهذا باطل بين لا يخفى بطلانه . . وبينما كان يكفي للجواب عليه أن يقال للفيلسوف أن انظر إلى إحكام صنعة الكون ونظمه وانضباطه في كل صغيرة وكبيرة، ((هل ترى من فطور))، نجده يحشد مشاهدات حسية (بفرضيات أصحاب التاريخ الظنية في تفسيرها) على أنها يمكن ترجيحها وتغليبها على تلك الفرضيات الفلسفية في مقابلها، وليس هذا بما يسلم من الأخذ والمجازبة من جانب من يجادل، بل هو مردود عليه كما سيأتي . .

وقد نلتبس عذراً لابن خلدون في أنه لم يكن في معرض دراسة نص نبوي تأويلاً وتوجيهاً كما كان الحال مع الحافظ رحمه الله . . وكلامه كان من باب الرد على كلام متهافت بصنوف الأدلة التي

يعظمها المردود عليه.. غير أنني قدمت بأنه أغرق في ذلك وما كان يلزمه أن يفعل، فبيان بطلان وتهاافت تلك الفلسفة التي أشار إليها لا يحتاج إلى التعويل على كلام قد ثبت بطلانه هو الآخر بمشاهدات أخرى من مثله وعلى درجته في قوة الاستدلال في بابها (تاريخ الأمم السابقة عند أصحاب التاريخ: ثم أصحاب الأركيولوجيا في زماننا) فتسقط حجته بذلك ويأتي من بعده من يتخذ من كلامه هذا مادة للتندر !

فالحكمة تقتضي أن ينقب المناظر أو المحاجج عن أقوى الحجج ليقدم الكلام بها حتى لا يطول عليه الطريق.. وهذا يأتي من حسن تقدير منازل الأدلة وقوة الدلالة فيها، وتفاوتها في ذلك من صناعة إلى صناعة ومن فن إلى فن .

والذي يظهر من كلام ابن خلدون في الحقيقة يخالفه الظن به، من كون مثله لا يغفل عن نص في منزلة حديث خلق آدم وما أثبت النبي عليه السلام فيه من تناقص للخلق (خلق البشر) إلى يوم نزول الوحي بهذا المعنى.. فلا أدري كيف يمكن توجيه تلك النقولات من غير تخطئته فيها، والله المستعان ! تأمل قوله هذا: " لا تتوهم ما تتوهمه العامة أن ذلك لعظم أجسام الأقدمين عن أجسامنا في أطرافها وأقطارها، فليس بين البشر في ذلك كبير بون كما تجد بين الهياكل والآثار .

ولقد ولع القصاص بذلك وتغالوا فيه، وسطروا عن عاد وثمود والعمالقة في ذلك أخباراً عريقة في الكذب، من أغربها: ما يحكون عن عوج بن عناق، رجلٍ من العمالقة الذين قاتلهم بنو إسرائيل في الشام؛ زعموا أنه كان لطوله يتناول السمك من البحر ويشويه إلى الشمس " ! قلت لا شك أن في كلام أصحاب الأساطير إفراطاً وخرافات.. ولكن هذا لا تقوم به الحجة في إبطال ما يريد إبطاله! فكلامه هنا ظاهره إنكار عظم خلق الأولين مطلقاً، وهذه مجاوزة ومجازفة منه رحمه الله .. فليت شعري كيف هو من الحديث الذي بين أيدينا؟ وكيف هو من مثل قول الله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلَّيَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم: 9] .

وقوله رحمه الله :

"واعلم أن تلك الأفعال للأقدمين إنما كانت بالهندام، واجتماع الفعلة، وكثرة الأيدي عليها؛ فبذلك شيدت تلك الهياكل والمصانع"

هذا محض افتراض منه، فمن أين أتته البيئة به حتى يقرر هذا التقرير؟

بل إن شئنا اليوم أن نثبت له بطلان هذا المعنى (معنى الاكتفاء بما ذكر من ترتيبات ليتمكن بشر في مثل أجسامنا من بناء كثير من تلك المباني الكبرى التي خلفها الأولون) لسهل علينا هذا جدا، بنفس ذلك الطريق الذي سلكه في الاستدلال ولكن بفارق عدة قرون من تراكم المعارف التجريبية والنظريات المبنية عليها .. فيكفي أن نسأله: كيف يمكن أن تنقل قطعة حجر تزن سبعين طنا (من بعد قطعها من مكانها بهذه الدقة ابتداء) لترص مثل هذا الرص المحكم العجيب في بنيان هرم الجيزة "بالهندام واجتماع الفعلة وكثرة الأيدي عليها" كما يقول؟ لا شك أنه لو علم - رحمه الله - أوزان تلك الأحجار وما يلزم بشرا بمثل أجسامنا تلك من "ترتيبات" لمجرد خلعها من مكانها فضلا عن تحريكها ونقلها ثم رصها كقوالب الطوب مع مراعاة التوجيه الفلكي للمجاري والأنفاق داخل بنيان الهرم المصمت على هذا النحو الذي نراه .. لأعاد النظر! فالمسألة ليست بالسهولة التي تصورها رحمه الله . . إن القوم المفتونين بهذا البنيان في زماننا لا يسمونه "بالمعجزة" إلا لأننا نعجز حقا عن بناء بنيان مثله حتى مع ما توصلنا إليه من تقنيات! ولكن بالنسبة لرجل طوله يقارب الثلاثين مترا، فإن المقاييس حينئذ تختلف!! هذا وحدث ولا حرج عن بقايا الديناصورات وما يسمى بالميغافاونا Mega-fauna (كالماموث وغيره من هياكل لدواب كثيرة عملاقة)، وكلها تدخل في جنس (الهياكل والآثار) التي اتخذها منها دليلا !

وقوله: " وأطوال بني إسرائيل وجسمانهم لذلك العهد قريبة من هياكلنا"

قلت فمن الذي تكلم عن ذلك العهد؟ ومن الذي قال أن عدم وجدان الأثر دليل على العدم؟ هذا فساد واضح في الاستدلال !

أما كلام المسعودي في " انحلال القوى الطبيعية" وقوله " لم يزل يتناقص، لنقصان المادة " و " ثم لا يزال يتناقص إلى وقت الانحلال وانقراض العالم " فكل هذا كما قال فيه: تحكم باطل لا برهان

عليه! ولكن ما كان يلزمه الخوض في تلك المجازفات حتى يثبت بطلانه وتهافته، والله المستعان .

أما قول ابن خلدون بأن النبي عليه السلام قد أشار إلى أنها ديارهم يعني بذلك ديار ثمود، فما وقفت على نص صحيح بهذا المعنى، بمعنى إثبات نسبتها إلى ثمود.. وفي جميع الأحوال فلا إشكال حتى على التسليم بأنها هي ديار ثمود، كما تقدم في المشاركة الآنفه . .

فالحاصل أنه هو الذي تحكم بغير بينة رحمه الله وما كان له ذلك . .

هذا والله أعلى وأعلم .



فتح القدير في التحذير من قبول نموذج "الانفجار الكبير"

الحمد لله وحده، أما بعد، فيظن كثير من المسلمين أن "الانفجار الكبير" *Big Bang* يعد حقيقة علمية قطعية، وأنه يعتبر مغنما من مغنم العلم الحديث بالنسبة لنا معاصر الموحدين، على اعتبار أنه قد "أخرج" الملاحظة المعاصرين، لكفائته في "إثبات" حدوث العالم وهدم النحلة الدهرية جملة واحدة. وهذا في الحقيقة تصور قاصر للغاية وغير صحيح سواء لمذاهب الدهرية وفلسفاتهم (قديمًا وحديثًا) أو لنموذج الانفجار الكبير وما يقوم عليه ذلك النموذج من مسلمات ميتافيزيقية ومعرفية. وقد أسهبت في بيان هذا الخلل في التصور في "آلة الموحدين"، ثم رأيت أن أوجز القضية في مقال موجز (نسبيًا)، بالنظر إلى خطورتها على اعتقاد المسلمين فيما يتعلق بجملة من القضايا الغيبية التي لا طريق لمعرفة في الحقيقة إلا الوحي الثابت الصحيح. فمع أن كثيرا من المسلمين يحسبون (تبعًا لبعض اللاهوتيين النصاري المعاصرين) أن الملحد يلزمه القول بحدوث العالم والزوال عن دهريته بمجرد التسليم بقبول نموذج الانفجار الكبير، إلا أن الواقع على خلاف ذلك. بل إن نموذج الانفجار الكبير نفسه (فضلا عن غيره من نماذج تاريخ الكون في علم الكونيات) ما تأسس إلا على أصول النحلة الدهرية القديمة ومسلماتها الميتافيزيقية كما سنبين بحول الله تعالى وقوته.

فبداية، دعنا نقرر أن الدهرية المعاصرة قد اتخذت صورًا تختلف (في تفاصيل المعتقد) عن تلك النحلة القديمة القائلة بأن العالم كان ولم يزل على ما هو عليه الآن من الأزل وإلى الأبد، ولكنها - مع ذلك - لم تزل متمسكة بأولية النظام الكوني على صورة من الصور. فهي على أربعة أصناف فيما بلغه استقراي الناقص، أصنفها كالتالي:

- **دهرية العدم** (ويمكن تسميتهم بالدهريين القانونيين)، وهم القائلون بأزلية بعض القوانين الفيزيائية والرياضية (لا سيما الاحتمالية) التي كانت تحكم العدم المطلق قبل فردية الانفجار المزعوم، والعدم المطلق هذا يعني عدم المادة والطاقة والزمان والمكان (الذي يعتقدون وجوده كشيء واقعي) *Absolute Nothingness*. فلا تسأل كيف يعقل أن توجد قوانين سببية كلية (كانت سابقة على حدث الانفجار ومن ثم كانت مفسرة لوقوعه) دون أن يوجد شيء تجري عليه تلك القوانين!

- **دهرية الجوهر**، وهم القائلون بالعدم الفيزيائي *Physical Nothing* (خلافًا للعدم المطلق) قبل الانفجار، (مع كونه بالبداية خاضعا لجملة من القوانين التي كانت تحكمه وأدت به إلى وقوع فردية الانفجار والتمدد)، مع أزلية بعض المادة أو الطاقة أو ما يشبههما على المستوى الكمائي بصورة ما أو بأخرى)، وهو الاعتقاد الأكثر شيوعا بين الطبيعيين المعاصرين.

- **دهرية الكون المتقلب** (ويمكن تسميتهم بالدهريين التقليبيين)، الذين يعتقدون أن العالم كان ولا يزال يبدأ من نقطة تتمدد (في حدث الانفجار) ثم يمضي بتمدده إلى لحظة ينقلب فيها إلى الانكماش رجوعا إلى نفس تلك النقطة متناهية الصغر، ثم يعاود الكرة ليتمدد من جديد ثم ينكمش فيما يعرف باسم *Big Crunch*، وهكذا في تقلب دائم بلا بداية ولا نهاية، في إطار ما يعرف باسم نظرية الكون المتقلب أو المتردد *Oscillating Universe* أو النموذج الدوري *Cyclic Model* (وهذه الطوائف الثلاثة كلها يمكن جمعها تحت اسم "الدهريين الانفجاريين"، أي القائلين بنموذج الانفجار الكبير).¹

¹ - هذا وينبغي التنبيه في هذا المقام إلى الفارق بين القول بتسلسل المخلوقات الذي انتصر له شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والقول بتسلسل العلل الذي هو أساس سائر النحل الدهرية، فمعلوم أن كثيرا من المتكلمين يتهمون شيخ الإسلام رحمه الله بالدهرية لقوله بتسلسل المخلوقات (مخلوقات لا أول لها)، وهي تهمة من لم يعقل عن الشيخ قوله، أو عقله ولكن أبت عليه نفسه إلا الاتهام والتشنيع لنصرة بدعته! فالقول بتسلسل المخلوقات إنما يقصد به أنه لم يكن لله تعالى مخلوق أول، بمعنى أنه كان ولم يزل يخلق الشيء بعد الشيء سبحانه وتعالى، فلم يكن متعللا عن الخلق - سبحانه وتعالى - لفترة زمنية غير محدودة في جهة الماضي كما يقتضيه القول بأن له سبحانه مخلوق أول لم يخلق شيئا قبله! فلا يلزم من ذلك القول إثبات اتصال السلسلة بحيث يكون لله في كل آن وحين عالم مخلوق، فلا نرجع في =

- **دهرية الكون الثابت**، وهم القائلون بنموذج الكون الثابت *Steady-State Universe* (على قلتهم)، ومن شاكلهم ممن يقولون بنماذج أخرى لتاريخ الكون بخلاف نموذج التضخم المفاجئ أو الانفجار الكبير. وهؤلاء باقون على ما كان عليه الدهرية القدماء إجمالاً من اعتقاد قدم العالم، وإن اختلفت صورة العالم القديم في تصورهم عما كانت عليه عند أسلافهم.

هذه الطوائف الأربعة أزعـم أنه لا يخرج عنها فيزيائي واحد من الطبيعيين الغربيين المعاصرين، وقد تشكلت دهريتهم على صور ودرجات متفاوتة في ضوء النظريات المعاصرة في علم الكونيات، ليجمعها كلها قاسم مشترك أعظم كما ترى، ألا وهو اعتقادهم بأزلية "القانون الطبيعي" *Natural Law* إجمالاً، بمعنى أن ثمة قوانين طبيعية معينة كانت جارية من الأزل وستظل تجري إلى الأبد ولا بد، وهو ما يبقـيهم على الركن الركين للمعتقد الدهري: تسلسل الأسباب (بصورة ما أو بأخرى) من جنس ما يجري في العالم المشاهد، من الأزل وإلى الأبد بلا سبب غيبي أول.

= جهة الماضي إلى نقطة ما إلا وجدنا الله فيها عالماً مخلوقاً ولا بد! ونحن نعلم بموجب النص الصحيح (الذي رواه البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن الله سبحانه - قبل خلق هذا العالم - "كان ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض!" فلا يعد هذا نصاً على انعدام الخلق مطلقاً قبل العرش والماء وإلا نسبناهما إلى الأزلية وهو باطل، أو نسبنا الرب سبحانه إلى أزلية التعطل عن الخلق وهو باطل كذلك! وإنما يعد نصاً على أنه سبحانه بدأ خلق هذا العالم المشهود بمخلوق أول (بالنسبة لهذا العالم نفسه) لا تحويلاً من عالم آخر سابق عليه ولا بإعمال نظام كوني سببي متقدم عليه، وإنما إحداثاً لعالم جديد بمكوناته ونظمه وتقديراته، على خلاف مشهور فيما إذا كان المخلوق الأول في هذا العالم الجديد هو العرش أو القلم. فالأسباب كلها سواء في خلق السماوات والأرض أو في خلق العرش أو الماء أو ما كان قبل ذلك كله مما لا يعلمه إلا الله تعالى، كلها منه سبحانه، بما في ذلك من نظم سببية هو من يحدثها سبحانه في عوالمه المخلوقة ليحكم نظامها وتقديرها على نحو ما يشاء، فيبدلها كما يشاء دون أن يترتب منها النظام اللاحق على السابق بالضرورة. أما الدهرية فيعتقدون تسلسل العلل الكونية في جهة الماضي، بمعنى أنه ما من شيء حدث في هذا العالم (سواء كان شيئاً عينياً أو نظاماً كونياً سببياً، كالقوى الأربعة الأساسية في الفيزياء مثلاً: الجاذبية والكهرومغناطيسية والقوى الجزيئية القوية والقوى الضعيفة) إلا وله سبب من جنسه سابق عليه (أي شيء عيني مادي مثله أو نظام كوني كذلك)، وهكذا من الأزل وإلى الأبد: كل موجود مادي معلل بموجود (أو أكثر) من جنسه سابق عليه، دون أن يكون لتلك السلسلة علة أولى خارجة عن تلك الفئة من العلل "الطبيعية"! فالدهرية إنما هي اعتقاد تسلسل العلل من الأزل بلا فاعل أول، وليس تسلسل المخلوقات من الأزل بلا مخلوق أول، فليتنبه القارئ لهذا.

وخلافا لما يظنه كثير من المسلمين وغيرهم من أهل الملل التي تدين بالخلق والمخلوقية، فهو لاء الدهرية المعاصرون لم "يتحايروا" على المعتقد الدهري بهذا الاعتقاد الجديد تبعا لما سببه لهم نموذج الانفجار الكبير من "إحراج"! بمعنى أنهم لم "يضطروا" للشهادة بأن الكون حادث (غير أزل)، بل لم يضطروا للزوال عن دهرتهم في الحقيقة كما يظنه كثير من إخواننا، وإنما التزموا - بدهرتهم المعاصرة - ما يقتضيه التسليم بصحة ذلك النموذج الكوزمولوجي نفسه (بل أي نموذج طبيعي آخر في تصور نشأة الكون، وليس الانفجار الكبير على وجه الخصوص). ذلك أن مجرد القول بإمكان بناء نموذج "طبيعي" لتصور نشأة الكون وما جرى في سياقها من أحداث تفصيلية وما جرت عليه تلك الأحداث من تتابع للأسباب والمسببات، يستلزم تمديد القانون الطبيعي الجاري (كله أو بعضه) إلى ما قبل تلك الأحداث نفسها، حتى يصح - من حيث المبدأ المعرفي - إخضاعها إلى منهج القياس والاستقراء الطبيعي الذي يقال له "الطريقة العلمية" *Scientific Method*، ومن ثم الوصول إلى تصورها "طبيعيا" باستصحاب مبدأ الاستمرارية أو الثابتية *Uniformity* كمقدمة مبطنة *Implicit Premise*، وإلا فلو قال أحدهم بأن ذلك الحدث لا يمكن أن يكون قد خضع لشيء مما يمكننا تصوره "طبيعيا" من القوانين السببية في ضوء معرفتنا الحالية بالنظام الكوني، وإنما خضع - بالضرورة - لأسباب لا قياس لها على شيء مما هو جار في هذا العالم من نواميس (وهو الحق الذي يقتضيه المنطق الفطري وتشهد به البداهة الأولى كما سيأتي)، لقطع على نفسه طريق المعرفة "الطبيعية" ولحكم بامتناع بناء أي نموذج نظري في تلك القضية باستعمال تلك الأدوات من الأساس، وهو ما لا يمكن أن نتوقع حصوله عند أحد من الطبيعيين أبدا في يوم من الأيام، لاعتقادهم كفاية الطريقة العلمية الطبيعية في تحصيل المعرفة بمسألتي الأصل والمنشأ من جهة والمصير والمآل من الجهة الأخرى! فهم حريصون على حشر العلم الطبيعي وأدواته في سائر الأسئلة الكبرى التي كان العقلاء ولا يزالون يلتمسون جوابها من طريق الوحي والنبوت، لأنهم لو لم يفعلوا - على أي صورة من صور التنطع الفلسفي الفجّ الذي نعهده من الملاحظة عموما - للزمهم أن يشهدوا على نحلتههم بالخواء والفقر والجهالة!

فالقول بأن قصة النشأة الأولى لهذا العالم كانت خاضعة لنظام سببي "طبيعي" كان جاريا على سائر الموجودات فيما قبلها (وهي تلك المقدمة المعرفية الضرورية التي بها يستجاز نمذجة تلك القصة وتوصيف أسبابها باستعمال مفردات النظام الطبيعي الحالي)، إنما يعني تمديد قاعدة الاستمرارية في النظم الطبيعية الحالية إلى الأزل في الماضي بلا بداية، وإلى ما لا نهاية له من الامتداد في جميع الجهات مكانيا! وإن افترضت لتلك النظم بداية في الماضي لزم أن تكون أسبابها السابقة عليها هي الأخرى بدورها من جنس ما يمكننا تحليله طبيعيا وقياسه طبيعيا. وهذا التصور في أعمال مبدأ الاستمرارية الطبيعية هو عين معتقد الدهرية في تسلسل الأسباب كما بينا!

فالقانونية الكونية نفسها لا فرق في جريانها بين الحدث الأول وغيره من أحداث العالم عند التدبر، لدخول جميع الحوادث عندهم - من الأزل وإلى الأبد - تحت تلك النظامية السببية المادية المحسوسة (بالفعل) أو الممكن إخضاعها للحس من حيث المبدأ (بالقوة)! فلا شيء في نموذج الانفجار أو غيره من نماذج تفسير وتوصيف "النشأة" (طبيعيًا) يقتضي أي معاملة خاصة من الناحية المعرفية فيما يتعلق بالتعليل الأول إثباتا أو نفيا، وذلك لمجرد حقيقة أنه "نموذج طبيعي" *Scientific Model*! فحدث النشأة عند علماء الكونيات إنما هو من جهة النوع: "حدث طبيعي" كأي حدث من الأحداث الجارية الآن في كوننا، ليس تعسفا منهم في فهم مقتضياته، وإنما إعمالا للمنطق الطبيعي المجرد *Scientific Logic* في تصور أي حدث مما يوصف بأنه "طبيعي"! ذلك أنه حتى يصح للعلم الطبيعي أن يكون طريقا لتصور أي حدث "أ" وتوصيفه قياسيا واستقرائيا، فإنه يلزم استصحاب الاعتقاد بكون "أ" هذا مسبوقا ولا بد بأحداث من جنس ما يمكننا رصده وقياسه وتصوره فزيقيا (من حيث المبدأ، أو بالقوة القريبة)، ومن ثم تصور الكيفية التي كانت بها تلك الأحداث سببا في وقوع "أ" هذا على وفق قانون كوني يمكننا طرده في جهة الماضي إلى ما قبل "أ"! !

وعليه، فإن جعلنا "أ" هذا هو حدث تكون الأرض على هذه الهيئة التي نعرفها بها الآن (مثلا)، وأردنا تفسير "أ" وتصور كلفيته وأسبابه طبيعيا (أي بالقياس والاستقراء الطبيعي: *Scientific*

Method)، لزمنا تصور وقوع جملة من الأحداث "الطبيعية" الأخرى (أي التي يمكن تفكيكها إلى أسباب ومسببات من جنس ما يمكننا أن نشاهده الآن في هذا العالم) الخاضعة لقانون كوني مطرد، التي نعتقد أنها وقعت قبل "أ" وكانت سببا فيه! فلا حقيقة "للتفسير الطبيعي" *Scientific Explanation* إلا على هذا المعنى على أي حال! فإن أعملنا مبدأ الاستمرارية الطبيعية في جهة الماضي، على ما هو شائع من تفسير المشاهدات الطيفية للنجوم البعيدة بالقياس على الانحراف الطيفي أو الإزاحة الحمراء *Redshift* ومن ثم اتخاذه دليلا على تباعد الأجرام وتوسعها في الفضاء، ومددناه (أي افترض الاستمرارية) حتى نجاوز به حدث نشأة الكون نفسه في الماضي السحيق، أصبح بين أيدينا "نموذج طبيعي" لتوصيف ذلك الحدث على أنه نتاج سلسلة من الأحداث "الطبيعية" السابقة عليه التي كانت كل مجموعة منها سببا فيما جاء بعدها، في تمدد مطرد بداية من نقطة غامضة ما زلنا لا نتصور سببها (الطبيعي أيضا).

وعليه فمن قال إن حدث أو أحداث نشأة الكون (كما يصفها ذلك النموذج الطبيعي) لم تنته إلى الآن، لاستمراره في التمدد والتوسع باطراد، لم يخطئ عند الطبيعيين! ذلك أن التمدد والتوسع ليس أثرا لما يسمى "إعلاميا" عندهم بحدث الخلق أو النشأة في الحقيقة وإنما هو حلقة من سلسلة من الأحداث التي لا فرق بين أولها (الذي لا تصور له إلى الآن) وأوسطها وآخرها حدوثا، في مطلق الخضوع للقانون الكوني الجاري المستمر إلى ما قبلها (أي تلك الأحداث) جميعا! سم منها ما شئت بأنه حدث "نشأة" أو "خلق" أو غير ذلك، المهم أن تعتقد أنها كلها سواء معرفيا على هذا الاعتبار "الطبيعي"! ولهذا وبنفس المنطق ترى الطبيعيين يراوغون كلما سئلوا عن نظرية أصل الأنواع، كيف يقال إنها تفسر أصل الحياة وتقدم تصورا لكيفية نشأتها في الأجسام الميتة ابتداء؟ فيقول قائلهم إنها ليست نظرية في أصل الحياة وإنما في أصل الأنواع، آحاد الأنواع، تصل بها جميعا إلى كائن أحادي الخلية، ثم لا شأن لها بعد ذلك بتفسير الكيفية الطبيعية التي تكون بها ذلك الكائن الحي الوحيد من المادة الميتة!

ولتيسير هذا المفهوم على القارئ وتقريبه إلى ذهنه نقول: من اعتقد أن وقوع أي انفجار "اعتيادي" مما نراه في واقعنا المحسوس في نجم من النجوم (مثلا)، لا يقتضي - كغيره من حوادث العالم - إثبات

علة أولى (الخالق بالغيب سبحانه)، فهو كذلك لا يعتقد أن الانفجار الكبير المزعوم يلزم منه إثبات العلة الأولى، وللأسباب نفسها وتبعاً لنفس الفلسفة الفاسدة ولا فرق! فكلا الانفجارين قد خضعا للقانون الطبيعي (بشكل ما أو بآخر) الذي يزعم أحدهم أن مجرد تصويره وتوصيفه يكفي معرفياً في تفسير ما يخضع له من أحداث، دون التعليل بخالق غيبي فوق الطبيعة وأسبابها، لاعتقاده تسلسل الأسباب الكونية "الطبيعية" من الأزل وإلى الأبد في إطار هذا النموذج الطبيعي أو ذاك!

فالامر الذي يجب أن يفهمه إخواننا ويتأملوا فيه ملياً، أن "طبيعية" نموذج الانفجار الكبير وما يناظره من نظريات أو نماذج تصورية لأحداث النشأة الأولى للسموات والأرض وما بينهما = هي الدهرية بعينها، ولا مخرج من تلك الدهرية المعاصرة إلا بإسقاط ذلك النموذج جملة واحدة وسد الباب - معرفياً - أمام الطريقة العلمية الطبيعية في الوصول إلى تصور أحداث وأسباب وكميات خلق السماوات والأرض وصور الحياة على الأرض، وذلك بتحديد حدود واضحة قاطعة لمبدأ الاستمرارية القانونية الطبيعية فلا تتجاوزها قيد أنملة! فالمنطق والبدهة تحكم بضرورة ألا تكون تلك الأحداث التي خلقت فيها سائر نوااميس الكون وقوانينه التي تحكمه الآن، قد خضعت في تفاصيلها وأسبابها إلى تلك القوانين نفسها التي كانت هي مصدرها ومنشأها بالأساس! هذا دور منطقي جلي لا يعبأ به الملاحدة من الطبيعيين وغيرهم ولا يلزمهم ابتداءً لأنهم دهريّة في تعاملهم مع القانون الطبيعي كما بينا، بصرف النظر عن طبيعة ما يعتقدون أزليته مع ذلك القانون من مادة أو طاقة (أو "عدم" لا يعقلون له أي معنى مستقيم) أو غير ذلك! نحن من نؤمن - تبعاً لبدهة العقل أولاً وقواطع النقل ثانياً - بأن سائر ما في هذا العالم من قوانين ونظم وجميع ما تجري عليه تلك القوانين والنظم من مادة وطاقة وغير ذلك مما اجتهد علماء الطبيعة في تصنيفه وتقسيمه عبر القرون والأعصار، إنما هي حادثة كلها من بعد عدمها (كانت بعد أن لم تكن)، وكان حدوثها وابتداؤها - بالضرورة - في أحداث خلق السموات والأرض، لا قبل ذلك! وهو ما يقتضي القطع بأن أحداث خلق السماوات والأرض لا يمكن الوصول إلى معرفتها بإعمال قاعدة الاستمرارية والانتظامية *Uniformity* (وهي من الكليات الكبرى التي تقوم عليها منهجية العلم الطبيعي) التي زعموا تأسيساً عليها أن التمدد الكوني لا بد وأنه يمتد في جهة

الماضي إلى نقطة بدأ منها بناء العالم! فمجرد التطلع إلى معرفة تلك الأحداث من طريق قوانين الطبيعة يقتضي إخضاع تلك الأحداث الفريدة لقانون كانت هي السبب في ظهوره بالأساس! لذا نقول إن هذه القفزة الإيمانية *Leap of faith* التي يقوم عليها ذلك النموذج (وأي نموذج طبيعي في نفس الأمر) لا يصح لنا قبولها أصلاً كمسلمين، وعلى الباحثين في فلسفة العلوم الطبيعية وفي فلسفات الملاحظة المعاصرين أن يتنبهوا لضرورة معاملة نموذج الانفجار الكبير هذا بنفس المعاملة التي يتناولون بها نظرية داروين في أصل الأنواع، لقيامها على نفس المنطق الدهري الفاسد في تناول قضية النشأة الأولى معرفياً! فلا نقبل بحال من الأحوال أن يتخذ الانفجار الكبير "حجة" على الملاحظة تقليداً للنصارى المعاصرين، كما يسلكه بعض المسلمين!

وأقول إنه توشك أن تظهر في المسلمين طائفة جديدة من المتكلمين تتخذ من الانفجار الكبير بديلاً لبرهان الحدوث الذي استعمله المتكلمون الأوائل في الرد على فلاسفة الإلحاد، تماماً كما كان برهان الحدوث هو الطريق "العصري" في زمانهم لمجادلة الملاحدة، الذي يرون ضرورة تعلمه وإتقانه للرد عليهم! ثم إذا بنا نفاجأ بعد حين بمن يرى وجوب اعتقاد صحة الانفجار الخرافي هذا، وتلبسه لبوس العقيدة الإسلامية في خلق السماوات والأرض (وهذا موجود بالفعل وقد رأيته في غير موضع)، ويحكمون بنقص إيمان من لم يدرس تلك النظرية ويعتقد صحتها ويتعلم كيف يؤسس عليها إيمانه بوجود بارئ! والطريق إلى ذلك قد تمهد بالفعل فيما يرى الناظر، بظهور من يزعمون أن القرآن قد جاء بمصداق "الانفجار الكبير" بتأويل متعسف فاسد لبعض آيات خلق السماوات والأرض، يعدون ذلك من دلائل صدق النبوة، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا ولْيُعلم أن من الملاحظة المعاصرين من تنازل عن دهريته، ولكن مع نفي السببية نفسها فيما قبل حدث الانفجار، حتى إذا ما قيل له إن الانفجار الكبير لا بد وأن له سبب متقدم عليه، قال بل لا سببية قبل الانفجار لأنه كان نقطة بداية الزمان والمكان نفسه وجودياً، وفقاً للنسبية العامة! ولا شك أنه متناقض لأن مطلق اعتقاد وقوع حدث الانفجار يلزم منه التسليم بوجود عامل سببي مفجر، بصرف النظر عن ماهية ذلك العامل وما إذا كان طبيعياً أو ما ورائياً! وهو متناقض كذلك لأن السببية مفهوم

ذهني بدهي محض ملازم لتصور الحوادث ولمطلق معنى الحدوث نفسه، فلا يصح قبوله في وصف بعض الحوادث ورده في غيرها، بدعوى أن "الزمان" لم يكن قد بدأ بعد! هذا تحكم باطل لا وجه له! وإلا، فمن أسقط السببية على المستوى تحت الذري، أو عطلها فيما قبل الانفجار المزعوم، فقد أوقع نفسه في التناقض بمجرد سعيه في بناء أي نموذج "تفسيري" لأي شيء من محسوسات هذا العالم، فالعلم الطبيعي نفسه إنما هو سعي في معرفة "أسباب" الظواهر الطبيعية المحسوسة!

ولو كان الزمان لم يبدأ (بهذا الإطلاق) إلا بعد وقوع الحدث الفردي (الانفجار المزعوم)، لما صح في العقل أن نصف ذلك الحدث بأنه "قد حدث" (فعل ماضي)، لأنه لولا مفهوم الزمان المجرد في أذهاننا ما جاز لنا أن نتصور واقعا قبل الحدث وواقعا آخر مغايرا بعد الحدث (وهو ما يقتضيه إطلاق معنى الحدوث نفسه في اللغة الطبيعية)! فلا يمكن الفصل - في الذهن - بين مفهوم الزمان ومفهوم الحدوث، كما لا يمكن الفصل بين معنى السببية ومعنى الحدوث!

والقصد أنه حتى هذا الذي تنازل عن دهريته، وقرر قبول القول بحدوث جميع المحسوسات ونظامها الطبيعي الذي يحكمها، بل ونسب الحدوث إلى الزمان والمكان نفسه، على أثر التصور الفلسفي الفاسد لماهية "الزمان" عند أكثر الطبيعيين المعاصرين، حتى هذا تراه يتخذ من الانفجار الكبير مستندا على أنه ليس ثمة خلق ولا خالق ولا علة أولى ولا شيء من ذلك، لأن الزمان نفسه قد بدأ معه تبعا لذلك النموذج، فإذا كان الزمان قد بدأ معه، فقد سقط شرط من شروط السببية بزعمه: ألا وهو تقدم العلة زمانيا على معلولها!

والحاصل أنه لا تلازم بين قبول سيناريو الانفجار الكبير أو غيره من نماذج التنظير الطبيعي في توصيف تاريخ الكون، وبين ترك الدهرية والزوال عنها! وما دام الكلام محصورا في دائرة المحسوسات بالفعل أو بالقوة (أو بعبارة أخرى: دائرة العلم الطبيعي)، فالملحد هو المستفيد من ذلك الكلام لا محالة! بل لو أنه دقق النظر لاستطاع أن يلزم خصمه اللاهوتي أو المتكلم بقبول صورة واحدة على الأقل من صور الدهرية المعاصرة التي ذكرناها آنفا، من مجرد التسليم بقبول نموذج الانفجار الكبير كنموذج نظري

لتوصيف أحداث نشأة هذا الكون كما نعرفه توصيفا طبيعيا، لأن بناءه وتصوره (كنموذج طبيعي) يقوم على مسلمات الدهريين بالأساس كما بينا وجه ذلك فيما مر معك!

فإن قيل إن نموذج الانفجار الكبير في علم الكوزمولوجيا *Big Bang Model* هو الأكثر رواجاً وقبولا الآن في المعاهد والأكاديميات الغربية لوصف سيناريو تكون هذا العالم كما نعرفه بسمواته وأرضه، فلا بد وأنه حق، قلنا: هذا كلام من لا يدري ما معنى "النموذج النظري" *Theoretical Model* في أي علم من العلوم الطبيعية، ولا يدري أنه حتى وإن أجمع عليه أهل الأرض اليوم جميعا وأطبقوا على قبوله، فإن هذا لا يمنع أبداً من إمكان ثبوت بطلانه في يوم من الأيام (إن سلمنا بظهور صحته ومعقوليته وسلامته من الخلل الفلسفي)! فضلا عن كونه كلام من لا يدري أصناف المسائل المعرفية وأساليب تحقيق المعرفة فيها، وما يتعين استصحابه من مسلمات كلية فلسفية في طرق تحقيق المعرفة الصحيحة *Justified Belief* فيما يتعلق بالكيفية التي نشأ بها الكون ونظامه وقانونه وجميع ما فيه!

والأمر الذي لا يعرفه كثير من إخواننا المسلمين أن نموذج الانفجار الكبير هذا ليس هو النموذج النظري الوحيد المطروح حاليا عند علماء الكونيات لتفسير المشاهدات الكونية ومن ثم توصيف أحداث نشأة السماوات والأرض (أو تاريخ الكون بعموم بصرف النظر هل نشأ أصلا على غير مثال سابق أم لم ينشأ) توصيفا طبيعيا، وإن كان هو الأشهر والأحظى بالقبول حاليا! ولولا أن معركتي في هذا المقام معركة فلسفية بالأساس مع مطلق فكرة استخدام التنظير والنمذجة الطبيعية كطريق لتحصيل المعرفة بأحداث خلق السماوات والأرض، لأوردت على القارئ شرحا لتلك النماذج الأخرى (التي نرفضها كذلك للسبب نفسه)، ولبيّنت له أن من فتح الباب - فلسفيا - لتأويل تلك المشاهدات الكونية الحالية على نحو يخدم نموذج الانفجار الكبير (الذي يعدّه بعض إخواننا هداما لله "دليلا طبيعيا" على الخلق)، لم يعجز عن أن يعيد تأويل تلك المشاهدات كلها على نحو يخدم نماذج افتراضية أخرى ليس فيها تمدد كوني ولا انفجار ولا نشأة أولى أصلا! هذا المنهج التأويلي في بناء الفرضيات النظرية التفسيرية *Hypothetico-deductive model of*

(*Confirmation* HD) هو في الحقيقة أوهن وأضعف مناهج الاستدلال بالملاحظات المحسوسة على الإطلاق، وهذه حقيقة يعرفها كل من كانت له دراسة أولية لفلسفة العلم الطبيعي. وهو المنهج الذي به يقال: "هذا هو أحسن الفرضيات التفسيرية المتاحة في الوقت الحالي، التي يمكن تصور موافقتها مجموع المشاهدات المحسوسة لدينا بطريق ما أو بآخر" بحيث يكون معيار النجاح لهذا النموذج أو ذاك: كثرة ما يمكن "تفسيره" من مشاهدات يتأولونها لخدمته! فمن السهولة بمكان - تبعا لهذا المسلك الاستدلالي - أن ترى المشاهدة الواحدة يتخذها الباحث كتعزيز إمبريقي *Empirical Confirmation* لنظرية ما، بينما يتخذها مخالفه (هي نفسها) كتعزيز لنظرية أخرى مخالفة بالكلية، يقول أحدهما: "هذا ما أتوقع أن أشاهده أو أرصده في الواقع إن صح النموذج النظري الذي أفترضه"، ويقول الآخر "هذا ما أتوقع أن أراه أو أرصده إن صح نموذجي أنا الآخر"! لذا، فعندما تكون تلك النماذج النظرية مما يضعه الطبيعيون في موضع الاعتقاد الميتافيزيقي، لأنه يتناول قضايا يزعم أهل الأديان أن طريق معرفتها مقصور على النص الديني وحده، أو على الأقل لا ينبغي أن يقدم فيه على النص الديني المنسوب إلى الخالق نفسه أي مصدر من مصادر تلقي المعرفة (كقضايا النشأة الأولى للسموات والأرض وما بينهما)، يصبح الفيصل حينئذ في الترجيح إنما هو الميزان النفعي الصرف، المرتبط بتعصبات الاعتقاد الغيبي عند أصحاب التمويل الأكاديمي *Academic Funding*

يقول قائلهم بلسان الحال: لو اعتمدنا النموذج "ب" أو انتصرنا له فسيرتب على ذلك تبعات نكرها ولا نقبلها، قد تصل إلى ضياع درجاتنا الأكاديمية ومنازلنا العلمية بين أقراننا، بل قد تطردنا جامعاتنا التي نعمل بها وتنتهي تعاقداتنا (وهذا ما نراه جليا في مقدار ما يعانيه من يتبنون نموذج التصميم الذكي في علم الأحياء من معارك وحروب أكاديمية ضارية)² فلنبق إذن على النموذج "أ" ما دام هو الأحظي

2 - ولسنا نقبل مجرد فكرة اعتبار الخلق المحكم تام الإحكام "نظرية" طبيعية، لأننا نفهم معنى "النظرية التفسيرية الطبيعية" أو "النموذج الطبيعي"، ونعلم مقتضيات وتبعات ذلك التوصيف عندما يطلق على دعوى معرفية ما! فلا نرتضي للمسلمين أن يقلدوا النصارى في استعمال ما يسمى بنظرية التصميم الذكي طريقا لمحاربة نظرية الارتقاء الدرويني على طريقة "البديل الإسلامي"، فتراهم يضربون الأمثلة التي ضربها مايكل بيهي وغيره لإثبات حقيقة بدئية =

بالقبول حالياً في أوساط الأكاديميين، ولنعمل على تأويل سائر المشاهدات لخدمته وحده! الآن لدينا أكاديميات كاملة تنفق عليها مليارات الدولارات سنوياً للبحث في مسألة أصل الكون والكيفية التي "نشأ" بها، ولدينا مئات بل آلاف المشاريع البحثية التجريبية باهظة التكاليف المصممة لخدمة نموذج نظري معين قد استقر عليه قبول أصحاب تلك الأموال، فأى ثمرة تترتب الآن على صدمهم ومخالفتهم في بعض الأصول الفلسفية الكلية التي يقوم عليها نموذجهم ذاك؟ على أحسن الفرضيات، سيقال لذلك المخالف الشاذ: "دعنا نعمل في أبحاثنا وتجاربنا وانصرف أنت إلى دوائر البحث الفلسفي المتخصص وانشر ما شئت في دورية فلسفية لعلك تجد من يهتم بالرد عليك هناك، إن قبلوا أن ينشروا لك أفكارك بالأساس!" هذا الفصل الأكاديمي والإداري الحاد *Disciplinary* *Departmentalization* بين الباحثين في تخصص العلم الطبيعي والباحثين في تخصص "فلسفة العلم الطبيعي"، كان من العوامل التي سهلت بناء "كنيسة" للعلم الطبيعي لا يخالف كهنتها مخالف إلا عزلوه منها، أو أحالوه - على أحسن الأحوال - إلى تخصص آخر لا يوصف بأنه "علم" ولا يوصف أصحابه بأنهم "علماء"! والناس الآن تريد "العلم" الذي به يعلو البنيان ويعالج المرض وتسهل كافة مناحي الحياة اليومية، ولا تريد "الفلسفة" ولا تريد الجدل العقيم، فهو إذن حكم بالإعدام الفكري من الناحية الاجتماعية عند التأمل. فكان لزاماً أن يزكى ذلك الاشتباه والغموض *Ambiguity* في مفهوم "العلم" وعلاقته بمفهوم "الفلسفة" حتى يصبح لفظ "العلم" هذا اسماً جامعاً لكل ما تدفع به تلك الأكاديميات الطبيعية تحديداً من أبحاث ونظريات ونماذج تفسيرية، يقبلها الناس بمجموعها لأن أصحابها كما يقبلون الطب الحديث والهندسة الحديثة، لا شيء إلا لأن أصحابها هم "العلماء" الذين خدموا البشرية بعلومهم التجريبية فمن خالفهم فلا بد أنهم "فلاسفة"

= مفادها أن الكائن المخلوق بأجزاء يوصف كل جزء منها بأنه عضو له وظيفة، لا بد وأنه خلق على هذا النحو لخدمة غاية محددة من خلقه لا تتم إلا بذلك البناء والتركيب وحده دون غيره، فإن اختزلت تلك الأجزاء عجز ولا بد عن الأداء! العلم الطبيعي لا قول له في مخالفة تلك الحقيقة البديهية ونحوها (التي جعل اللاهوتيون النصارى منها نظرية طبيعية، وكأنهم لا موطئ لأقدامهم بين العقلاء إلا أن يكون لديهم "بديل طبيعي" لنظرية الارتقاء)، ولا طريق دونه إلى الغيبات المطلقة التي لا تعرف إلا من طريق النص، هذا ما نقطع به ونرى وجوب تعليمه للشباب المسلم في جيلنا هذا، عسى الله أن يقينا من دخول جحر الضب الذي دخله اللاهوتيون النصارى من قبلنا، والله المستعان

أصحاب شطحات، أو مخرفون يكرهون العلم والتطور العلمي ويريدون أن يرجعوا بالبشرية إلى "عصور الظلام"!

الطبيعيون يريدون أن يصبح "العلم الطبيعي" (وهو اللفظ الذي نطلقه على مجموع مباحثهم ونظرياتهم) كلا لا يتجزأ، يتخذ الناس نظاما اعتقاديا شاملا في محل الأديان كلها، فإما أن يقبلوه كله أو يرفضوه كله! ومعلوم أن نظرية المعرفة لا يمكن أن تنفصل عن التصور الاعتقادي الغيبي الذي يعتنقه الإنسان! فمصادر التلقي المعرفي تتقرر في ضوء البدهيات الأولى أولا، ثم الاعتقاد الغيبي ثانيا! فمن كان يؤمن بخالق في الغيب قد أرسل في الناس رسولا بالحق المنزل (في خبر الغيب العلمي وفي التكليف الأخلاقي العملي على السواء)، فلا بد وأن مصادر التلقي المعرفي لديه ستختلف اختلافا جذريا عما يناظرها عند الملحد المادي في نفس الأمر!

فعندما يطرح السؤال "من أين أتينا وإلى أين نذهب؟" على كلا الرجلين (المؤمن بالخلق والبعث والنشور والكافر الملحد)، فلا بد وأن يختلفا في جوابه اختلافا جذريا يبدأ من مصادر التلقي المعرفي نفسها (أنواع الأدلة التي يقبلها كل واحد منهما ويعتقد إفادتها المعرفة في تلك القضية الكبرى)! ولأن الملحد المادي قد رفض قبول السلطان المعرفي الوحيد الذي يجيز العقل اعتماده مصدرا معرفيا في قضية النشأة الأولى (وهي تلك القضية التي تتناول أحداثا سابقة على نظامنا المحسوس، كانت طريقا لتكوينه على نحو ما نراه، بمادته ونواميسه وقوانينه ما علمنا منها وما لم نعلم)، ألا وهو نصوص الوحي الثابت الصحيح عن رب العالمين، فلا بد وأن يتخذ موقفا من اثنين لا ثالث لهما (معرفيا): إما اعتناق عقيدة مفادها امتناع الوصول إلى معرفة جواب تلك الأسئلة الكبرى مطلقا بأي طريق من الطرق، سواء على سبيل التوصيف المجرد أو التعليل التلويجي، أو ادعاء أن ثمة طريق آخر بخلاف النص المنسوب إلى الخالق نفسه، يمكن أن يفيد في تحصيل المعرفة في هذا الشأن! وهذا المسلك الأخير هو ما دان به الدهريون الطبيعيون، وهم عامة الملاحدة المعاصرين الذين اختاروا طرح تلك الأسئلة الكبرى في دائرة العلم الطبيعي التجريبي واستعمال وسائله لتحصيل المعرفة فيها، وزعموا أنه إن كان من طريق لمعرفة جواب فيها فلا بد وأنه العلم الطبيعي وحده، وإلا فلا علم ولا معرفة!

هذا الموقف الفلسفي موقف فاسد مردود عليهم من الأساس! وهي قضية اعتقاد أقول إنه قد بات من الضروري أن نقررها في جملة مسائل معتقد أهل السنة والجماعة! 3 ، فنحن المسلمون إن سألنا سائل: "كيف نشأت السماوات والأرض"، رجعنا إلى النص الثابت الصحيح عن رب العالمين في الكتاب والسنة، فما وجدنا من جواب في هذا الشأن قررناه وجعلناه هو المعرفة الصحيحة الخالصة، وما لم نجد لزمننا السكوت عنه والإمساك عن الخوض فيه، لأنه غيب مطلق سابق على جميع ما ترصده حواسنا من موجودات مادية محسوسة (بالفعل أو بالقوة) ومن نظم سببية وقوانين كونية جارية على تلك الموجودات، فلا يوصل إلى معرفته - بالبداهة المحضة - إلا من طريق الرسالات والنبوات وحسب! هذا النظام الذي نرصده ونراه هو النظام الذي نعتقد نحن - مصادقا للبداهة والفطرة السوية - أنه مخلوق كله من أوله إلى آخره، في أحداث لا بد وأنها لا قياس لشيء منها على ما يجري فيه، ولا يصح في العقل إخضاعها لتلك القوانين الكونية الجارية حاليا التي كانت هي (أي تلك الأحداث الأولى) سببا في وجودها أصلا (وهي - أي تلك القوانين الجارية - غاية ما يمكن للعلم الطبيعي أن يتصوره)! فنحن لا نقبل أولى فرضيات الكونيين الطبيعيين التي اتخذوها من مسلماتهم الميتافيزيقية وبها أجازوا هذا الصنف من التنظير الطبيعي، ألا وهي فرضية استمرارية النظام الطبيعي المرصود حاليا (بالفعل أو بالقوة) كله أو بعضه إلى جهة الأزل *Uniformity*، واطراده كذلك في جميع جهات الفضاء إلى غير ما نهاية ولا حد *Homogeneity / Isotropy*! هذه هي مسلمات الدهريين القدماء والمعاصرين على السواء (أزلية "الطبيعة" ولا نهائيتها مكانيا كذلك)، وهي أساس منطلقاتهم المعرفية الكلية التي منها اتخذوا العلم الطبيعي طريقا لإجابة سؤال النشأة أصلا! فما بالنا نلتقط منهم ما أسسوه على دهريتهم المحضة، ثم لا نكتفي بجعله عقيدة لنا في خلق السماوات والأرض وحسب، بل نتخذه "برهانا" لإثبات حقيقة الخلق (على بدهيتها وفطريتها!) ولإثبات إعجاز القرآن نفسه؟ هذا والله أمر في غاية العجب!

3 - وهي اعتقاد أن أحداث خلق السماوات والأرض وما بينهما لا يوصل إلى معرفتها إلا من طريق نصوص الوحي الثابت الصحيح. فهي مسألة قد أطبقت عليها قرون المسلمين بما أغناهم عن نقل الإجماع فيها (لبدايتها ولعدم ظهور من يتلقى المعرفة في تلك القضايا الغيبية من مصادر أخرى إلى جانب النص إلا في هذه القرون المتأخرة!)!

من زعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة أحداث "نشأة" أو "تكون" الكون بقياس ما غاب من أحداثه وأجزائه عن حسنا ومشاهدتنا على المحسوس والمشاهد منه (وهي طريقة العلم الطبيعي *Scientific Method* إجمالاً) وبافتراض تلك الفرضيات الميتافيزيقية التي أسس عليها علماء الطبيعيات نماذجهم النظرية في هذا الشأن، فهذا من لا يأتي إلا بالدجل والخرافة لا محالة وليس صاحب النص الديني الصحيح، حتى وإن وافق بتنظيره الطبيعي شيئاً مما في نصوصنا، لأنه يتعدى بمصادر التلقي المعرفي لديه حدودها المعقولة، يستعملها في غير محلها!

ما الذي يضطر كثيراً من المسلمين إلى التسليم بصحة فرضيات الدهريين المعاصرين الميتافيزيقية الكلية التي أسسوا عليها كلياتهم المعرفية ومن ثم تنظيرهم الطبيعي في هذه القضايا، وقد علموا أنها لم تتأسس لديهم - بالأساس - إلا على إلحادهم ودهريتهم الصرفة؟ ما الذي يمعنهم من الوقوف بكل قوة وحزم في وجوه الأكاديميات العلمية الغربية بموقف قاطع يقال لهم فيه: "إلزموا حدودكم ولا تسألوا عن خلق السماوات والأرض وخلق الدواب على الأرض إلا حيث يجيز العقل طرح سؤال كهذا من الأساس! لا في المعامل ولا في المراصد ولكن في نصوص الوحي الثابت الصحيح!" ما الذي يمنعنا من الصدع بهذا الحق وقد علمناه وعقلناه ولم نجد له مدفعاً؟ أهو الوهن والخوف من مخالفة الجماهير يا عباد الله يا موحدين، أم هو العجز والكسل والتخاذل عن القيام بواجب البحث والدراسة والتحميص والتحقيق الطويل قبل رفع العقيرة بمحاربة الإلحاد وتصحيح معتقد المسلمين في مقابله؟ من نظر منكم في نفسه متجرداً فسيعرف الجواب يقيناً! فاتقوا الله عباد الله في أنفسكم وفي المسلمين، ولا تعجلوا في النقد والرد، ولا تدخلوا جحر الضب خلف اللاهوتيين المعاصرين كما دخله المتكلمون من أهل القبلة من قبل 4، فيأتي الواحد منكم في الدين بالمهالك من حيث يحسب أنه يحسن صنعا، وإذا بنا يصبح لدينا "الخلقويون المسلمون" على غرار "الخلقويين النصاري"،

و"التطويريون المسلمون" على غرار "التطويريين النصاري"، و"الانفجارويون المسلمون" (القائلين

4 - يوم أن تابعوا اللاهوتيين على اختراع البراهين الفلسفية لإثبات وجود الباري (على بداهته المحضة) فاعتمدوا دليل

"حدوث العالم" ونحوه مما سلكه اللاهوتيون من أهل الكتاب من قبل (إجمالاً)، وما رجعوا من تلك البراهين على

الدين نفسه إلا بالزندقة والضلال المبين

بأن الله تعالى خلق السماوات والأرض بالانفجار الكبير) على غرار "الانفجارين النصارى"، وغير ذلك مما بات يسهل تصنيفه في فرق وشيع شتى، نسأل الله العافية لنا ولكم ولجميع المسلمين!



التحذير من سلوك مسالك الفلاسفة وأهل الكلام في مجابهة خطر الإلحاد

الحمد لله وحده، أما بعد، فإنني أكتب هذه السطور لتحذير طلبة العلم من خوض ما خاضه المتكلمون من مسالك من حيث لا يشعرون. فأبدأ بإعلان براءتي وتراجعي عن كل كلام كتبت في هذا المنتدى أو غيره مما قد يفهم منه تشجيعي طلبة العلم على دراسة الفلسفة وعلم الكلام إلى جانب العلوم الشرعية، لمطلق "الرد على الملاحدة" (هكذا بلا قيد)، أو يفهم منه أنني أرى مشروعية مناظرتهم أو الخوض معهم في شيء مما يأتون به من الدعاوى والشبهات، فإن هذا الجدل والله مما يفسد به دين الإنسان واعتقاده، وينمحق به اليقين من النفس ولو بعد حين. وما تشعبت فرق المتكلمين في تاريخ المسلمين وتكاثرت إلا على أثره. وقد كنت كتبت مقالا أو أكثر جئت فيه ببيان بطلان ما عليه الملحد من دعاوى تخالف البدهة والفطرة، مستعملا بعض طرائق الفلاسفة في التحليل المنطقي في صورة حجج ومقدمات، وأشرت في السياق إلى أنني اضطررت إلى هذا لأن من نخاطبهم لا يقبلون غيره، وأنا الآن أعلن توبتي من هذا المسلك ومن هذا التعليل ورجوعي عنه، وأحذر منه إخواني طلبة العلم وفقهم الله. فليس لصاحب الباطل أن يلزمنا بمنهجه وطريقته الفاسدة ابتداءً، وكذب أهل الأهواء على أنفسهم في ادعاء خفاء الحق عليهم في تلك القضايا الفطرية البدهية لا يرجع على حجة الحق الواضح نفسه بالضعف أو الخفاء، ولا يحوجنا إلى بيانه بطرائقهم التي اشترطوها على خصومهم في الجدل، وبالرد المفصل على هرائهم الذي يزعمون أن لهم فيه دليلا ومستندا. هذا لا يلزمنا منه شيء أصلا.

فعلى الدعاة أن يكون سعيهم متوجها لصيانة المسلمين من مخاطر الإلحاد بخطاب منهجي مجمل يوجه إليهم (لا إلى الملاحدة) بقدر الحاجة، وليس دعوة الملحد إلى المناقشة وتبادل أطراف الجدل في آحاد "براهينهم الفلسفية" ودعواهم "العلمية". فإن المتكلمين أنفسهم الذين أسسوا علم الجدل في تراثنا المعرفي، اتفقوا على أن من يرد البدهيات الأولى والمسلمات العقلية الأولية لا يخاض

معه بجدال ولا مناظرة، لأنه لا يرجئ معه الوصول إلى حق أو باطل، والسفسطة لا توصل إلى شيء. ولكن لأنهم أهل كلام قد فتنهم بضاعة الفلاسفة، لم يعملوا تلك القاعدة عند التطبيق على الملاحظة والمشركون كما كان يلزمهم، وجادلوه فيما لا يصح أن يطرح للمناظرة والجدال أصلاً، وفيما كانوا يزعمون أنه عندهم من العلم الضروري غير المكتسب! وكيف تراهم يعملونها وهم ما وضعوا علم الكلام نفسه إلا لمناظرة هؤلاء ومغالبتهم بالبراهين الفلسفية طلباً للظهور عليهم؟ فإن قال قائل إن المناظرة مع هؤلاء (على طرائق علم الجدل) غرضها عندنا صيانة المسلمين وليس دعوة الملحد نفسه، قلنا إن هذا ليس دليلاً على مشروعية استعمالها مع مثله فانتبهوا، ولسنا والله الحمد مضطرين إلى ذلك حتى نحقق المقصود من صيانة المسلمين.

والقصد أنه ليست مدافعة دعوى أهل الإلحاد أنهم على شيء وصيانة المسلمين منها، بما يحوجنا إلى سلوك طرائق المتكلمين والفلاسفة في مجادلتهم والله الحمد، لا بدراسة فلسفات اليونان وما أخذه المتكلمون الأوائل منها، ولا بدراسة فلسفات المعاصرين من أصحاب التنوير الأوروبي وأتباعهم وما أخذه المتكلمون المعاصرون منها، ولا بدراسة نظريات الفيزياء والفلك والأحياء وغير ذلك مما حشره الملاحدة في مزاعمهم الباردة أن لهم في مثله حجة وبرهانا على عدمية الباري سبحانه وتعالى، وإنما تكون مدافعة تلك الدعوى ببيان حجية القرآن وبناء عرى الإيمان في قلوب المسلمين، على طريقة الآل والصحب والسلف الأولين، وصدهم عن تلك السبل المعوجة كلها وبيان فسادها المجمل دون تفصيل.

ومثال البيان المنهجي المجمل أن يقال (كما أصلته في كتاب "آلة الموحدين") إنه لا يصح في العقل المجرد أن يكون في شيء مما يأتي به الطبيعيون من نظرياتهم (التي لا تقوم إلا على تفسير المشاهدات والمحسوسات) أي برهان يصلح لنفي وجود الباري (من فوق "الطبيعة" نفسها) الذي خلق كل نظام في هذا العالم بقدر وإحكام، وأجراه على نحو ما يراه هؤلاء! هذا لا يصح لو كان القول بوجود الباري قولاً ظنياً له أدلته النظرية (كما يحرص الفلاسفة على أن يصوروه)، فكيف وهو أصل من أصول الفطرة والبداهة الأولى نفسها؟ فمن سمع هذا التقرير المجمل وعقله، وهو مما لا يماري في صحته عاقل،

فأي شيء يحوجه إلى التفصيل فيما جاء به الملاحدة من الفيزيائيين من انتصار لإلحادهم، دع عنك أن يُشترط فيه التخصص في الفيزياء، حتى يقطع دابر الشبهة في ذلك الباب من أصلها، ويكفي المسلمين شر الافتتان بها (وأعني زعمهم أن هذه النظرية أو تلك في علوم الفيزياء فيها ما يصح دليلاً على عدمية الباري سبحانه، أو على أننا وهذا العالم لم يخلقنا خالق)؟ من سلك تلك المسالك التفصيلية عند التصدي لدعوى كلية مناقضة للبداهة الأولى كهذه فقد أضر بالمسلمين وأوشك أن يفتنهم في دينهم من حيث يحسب أنه يدفع الباطل. وقد وقع من أثر ذلك فيما رأيت من ابتداع بعض الجهلاء في عقائد المسلمين ما الله به عليم، يحتذون ما جرى عليه سلفهم من المتكلمين الأوائل حذو القذة بالقذة من حيث لا يشعرون.

وبمثل هذا الإجمال الكافي نقول في طرائق الفلاسفة ونظرياتهم كذلك، فالعلوم العقلية كلها مدارها على بناء البراهين العقلية لإثبات أو نقد الدعاوى المعرفية النظرية التي تفتقر (من حيث المبدأ) إلى أمثال تلك البراهين. فإذا عُرف ذلك، ثبت من مجرد أنه لا يصح إعمال تلك العلوم النظرية على قضايا الغيب الكبرى وما يتفرع عليها من معارف، لأن من تلك القضايا ما يكون الحق فيه من البدهيات الأولى المفطورة عليها نفس الإنسان، فلا تفتقر إلى نظر أو استدلال أصلاً (كتلك الأصول التي تعرف صحة التوحيد في العقول تأسيساً عليها: كوجود الباري جل وعلا وكمال صفاته)، ولهذا ما جاء الأنبياء والمرسلون بإثباتها بالدليل النظري (لأنها لا تفتقر إليه ابتداءً) وإنما جاؤوا بالتذكير بمقتضياتها والتأسيس على تلك المقتضيات في نفوس الناس. ومن تلك القضايا ما لا طريق لمعرفته إلا بالوحي المعصوم، ومنها ما لا يصح للعاقل أن يسأل عنه ابتداءً، لأنه لا يضره الجهل بها ولا ينفعه العلم بها. فمن جاء بجواب مجمل يبين فيه فساد طريقة الفلاسفة في التعامل مع تلك القضايا التي يشترط فيها الملحد أن يكون البرهان فيها "فلسفياً" أو "كلامياً" على طريقة أصحاب تلك الصناعات النظرية، فقد استغنى عن التفصيل وعن تناول كل "برهان فلسفي" يأتي به الملاحدة مما يتفرع على ذلك الأصل عندهم، وبين للمسلمين فساد ذلك الشرط وفساد تلك الطريقة رأساً، ووافق السلف الصالح رضي الله عنهم في مطلق النكير على الفلاسفة وطرائقهم وسلم بدينه من علم الكلام ومزلقه، ولم يقصر - مع

ذلك كله - عن نوال المطلوب من تحذير المسلمين وصدّهم عن باطل الملاحدة، بل هدم البنيان من قواعده كما هي طريقة المرسلين.

فإن الخوض في تلك التفاصيل الجدلية والتشعب فيها على طريقة أصحابها في الاستدلال النظري يشوش على الحق الظاهر ولا يزيد الناس إلا بعدا عنه، ولا يزداد ما بين أيديهم من تلك البضاعة الجدلية تراكما وتضخما إلا زاد ضرره على اعتقادهم ويقينهم، لأنه يفسد القلوب ويورث في أهل القبلّة عين ما ورثه المتكلمون الأوائل من الخوض في بضاعة فلاسفة اليونان، من جريان الرأي والرأي المقابل، واهتزاز اليقين ونزول البدهيات الفطرية والضروريات العقلية الأولى المركبة في نفس الإنسان من غير اكتساب أو تعلم (كحقيقة وجود الباري، وحقيقة تنزهه عن كل نقص، وحقيقة صحة ملة التوحيد وبطلان الشرك: وهو سائر الملل عدا الإسلام) منزلة الظنيات النظرية التي تتجاذبها أطراف "الأدلة"، ويطالب المسلم فيها ببذل ما عنده من "أدلة عقلية" على صحتها لمن ينكرها، وكأنّ الجدال يجري في مسألة من مسائل الطهارة مثلا! مع أنها قضايا صحيحة بنفسها ضرورةً من غير دليل، لا "عقل" لمن ينكرها ابتداءً، وإنما جاء المرسلون (الذين نحن تبع لهم في دعوتنا) بالتأسيس عليها! فمطلب الجدال والمناظرة وتقديم البراهين العقلية في مثل هذا = مطلب فاسد أشد الفساد، ومن لم يجهد في بيان فساده لمن سلّكه واتخذة أصلا ومنهجاً، كما سبق إلى ذلك النكير أئمة السلف وعلماء السنة من أهل الحديث، فهو غاشّ للمسلمين، والله المستعان لا رب سواه. ثم إنه مما يورث أصحابه الاختراع والابتداع في الدين أشكالا وألوانا، كما وقع للمتكلمين الأوائل الذين تناولوا فلسفة اليونان ومنطق أرسطو، إذ يُظن أن الزمان قد أصبح الناس فيه يفتقرون إلى خطاب ديني تعرض فيه عقائد المسلمين على نحو يظهر منه توافقه مع "العلم الحديث"، فإذا بالخلط يقع في القبول والرد لبضاعة أصحاب تلك العلوم، وإذا بقضايا هي من مطلق الغيب كخلق السماوات والأرض وخلق الدواب على الأرض تتحول إلى ساحة للابتداع والاختراع والتنظير لا أول لها ولا آخر، يُخلط فيها النص المعصوم بما اعتنقه الطبيعيون من دعاوى طبيعية، مع أن الحق في ذلك الباب لا يوصل إلى معرفته إلا من طريق

الوحي المعصوم وحده بالضرورة، لأنه سؤال عن أحداث وقعت "قبل" جريان ما نسميه بالطبيعة على ما نراه الآن من نظم تجري فيها!

ولا يدخل في مسالك الفلاسفة والمتكلمين - فيما أرجو - ما كنت قد شرعت به في كتابي "آلة الموحدين" من تحذير المسلمين من نظريات في علوم الطبيعيات لم تقم عندهم إلا على أصول إلحادية مادية في النظر والتجريب، فيها ما يُتصور خفاؤه على كثير من المسلمين ممن له اشتغال بعلوم الطبيعيات، وقد رأيناها تروج فيما بينهم رواج العقائد الراسخة والمسلمات، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فهذا داع معتبر صحيح للتحقيق النظري والبحث والتنظير. فجئت في ذلك الكتاب بأصول كلية مجملة، ثم بينت مناقضة تلك النظريات الفاسدة لهاته الأصول، فما كان سبب فسادها أن منها ما يخالف النص في بعض تفاصيله كما يصنع بعض إخواننا الذين أغرقوا في تلك التفاصيل يطمعون في جعل بعضها دليلاً على الفساد وكأن الأصل نفسه مقبول مسلّم عندنا، تماماً كما صنع النصارى الخلقيون ونحوهم من قبلهم، وإنما كان سبب القول بفسادها أن الأصل المعرفي الذي تقوم عليه فاسد ابتداءً، ومخالف لما عليه إجماع المسلمين! وإن كنت قد أتيت في ذلك الكتاب شيئاً من مصطلحات المتكلمين (كالواجب والضروري والممكن ونحو ذلك)، فإنما كنت أرجو أنها مما لا اشتباه في فهم معناه بين طلبة العلم (وقد كنت اشتربت على قراء ذاك الكتاب أن يكونوا من طلبة العلم الشرعي أو ممن لهم به دراية)، وإلا فهذا ليس مما يشرع استعماله في مخاطبة أو جدال أصلاً، ولا نحتاج إلى الخوض فيه مع أصحابه، والله أعلم.

ولا شك أن تصنيف كتاب كهذا يحتاج إلى مطالعة تلك العلوم وظهيرها الفلسفي، وتلك النظريات وحقائقها الكلية، ولكن هذا طريق من أراد أن يتخلل علماً من تلك العلوم الواردة إلينا من غير المسلمين، ليظهره مما فيه من مخالفة اعتقاد المسلمين، حتى لا يقع المتخصصون في ذلك العلم في بلادنا في مخالفة عقيدتهم من حيث لا يشعرون، وليس هو طريق من أراد أن يحذر عامة المسلمين (بصرف النظر عن تخصصهم) من دعوى مفادها أن هذه النظرية أو تلك من نظريات الفيزياء الفلكية التي ربما أتى الملحدون بشرحها وبيانها، فيها دليل على عدم وجود الباري، أو دعوى أن داروين قد

قدم للناس أول بديل طبيعي مستساغ "لفكرة الخلق"، أو نحو ذلك من هراء يكفي لنقضه جملة واحدة أو جملتين على الأكثر، يكتبها صاحبها بإحكام وإجمال كاف على نحو ما بينا، ثم يعمد إلى تحذير المسلمين من خطر التعرض للمزيد من ذلك، حتى لا تصغى إليه قلوبهم فيهلكوا! فعلى الدعاة إلى الله أن يميزوا الفرق بين هذين الطريقتين في التصنيف والتنظير من جانب والخطاب الدعوي من الجانب الآخر، تمييزاً واضحاً، لأن في اختلاطهما خطر عظيم.

وقد وفقني الله تعالى للشروع بتصنيف كتاب في بيان أوجه المخادعة النفسية التي يخادع بها الملحد والمشرک نفسه حتى يوهمها بأنه على شيء، فأثبت فيه أن الفلسفة (كصناعة) إنما هي من ذلك، وأن إغراق أصحابها فيها فيما يتعلق بقضايا الغيب الكبرى مع صدودهم عما جاء به المرسلون، إنما هو من أعظم آيات ذلك الخداع النفسي عند أصحابه من شدة الهوى، وبينت أن علم الكلام لم يظهر بين أظهرنا إلا من كراهة بعض المسلمين لأن يبدو عليهم الضعف العقلي بإزاء تلك البضاعة الخبيثة التي جاء بها فلاسفة الإلحاد ومن تابعهم، وهذا أيضاً من صنوف الهوى التي سبق إلى مثلها سائر أهل الملل الأخرى فيما يقال له عندهم "علم اللاهوت" أو "الإلهيات" أو "الاعتذاريات" أو "فلسفة الدين" أو نحو ذلك. فمع أن تكلف الرد والجواب الفلسفي يحتاج إلى دقة نظر وقوة عقل ولا شك، إلا أنه لا يفضي بصاحبه - في هذه القضايا - إلى إقامة قواعد الحق وإحكام اليقين أبداً، بل إلى العكس من ذلك، إذ كيف يبدأ الإنسان بحقيقة بدهية من بدهيات العقل الأولى ثم يشرع في طلب الدليل النظري عليها، فيكون الدليل أبعد عن الذهن (لا محالة) من الحقيقة المراد إثباتها نفسها؟ هذا خلف وفساد كبير لا يخدم إلا أهواء الفلاسفة، وقد بينت ذلك في كتابي المذكور وضربت له الكثير من الأمثلة في كلام القوم (لا سيما ما يقال له عندهم "مشكلة الشر") والحمد والمنة، وسميته "نوال المراد في العلم بنفوس أهل الزيغ والإلحاد". وقد كنت فيما مضى أحسب أن نبي السلف عن علم الكلام وذمهم له إنما هو متوجه لبضاعة المبتدعة من أصحابه (أي رؤوس الفرق الكلامية ومن تابعهم) وما جاؤوا به من قواعد وأصول بدعية، وأحسب كما يحسب كثير من طلبة العلم أن مصنفات شيخ الإسلام رحمه الله وتلميذه ابن القيم تدخل تحت "علم الكلام" كما صنفها المخالفون. ولم أكن أنتبه إلى أن هذا هو

عين قول كل واحد من أصحاب تلك الطوائف البدعية نفسها بما زينه لهم الشيطان من اعتقاد النفع وإعلاء حجة الحق والانتصار للعقائد بتلك الطرائق البدعية! فالحق أن علم الكلام مذموم لمنهجه وطريقته في تناول موضوعه، لا لبعض ثمراته في ذلك، كما أن الفلسفة مذمومة منهجا وطريقة لنفس السبب، إذ لا يصح استعمال ذلك المسلك النظري فيما ننازع فيه أهل الملل الشريكة (بما فيها الإلحاد بصنوفه) من أصول فطرية بدئية في ذات الله وصفاته، لا يطرق فيها سبيل التنظير والاستدلال العقلي إلا زالت عنها تلك الصفة الضرورية الفطرية تبعا بمجرد ذلك! ولو كان في ذلك المسلك خير لرأيناه في محاجة القراءان للمشركين، ولرأيناه في طريقة الرسول عليه السلام وأصحابه في مخاطبة أهل الملل أجمعين، ولكن هذا لم يكن، لأن من جادل في الواضحات الجليات فقد حكم على نفسه بالتمحض في الهوى وبأنه لا رجاء في هدايته أصلا حتى يخاض معه أو يجادل! والله لم يبعث المرسلين فلاسفة ولا متكلمين، وإنما بعثهم مبشرين ومنذرين، يخاطبون العقلاء بالتأسيس على ما هو معقود في فطرهم ونفوسهم من مقدمات التوحيد التي لا ينكرها إلا صاحب هوى. وصاحب الهوى لا تساق إليه الأدلة، وإنما يخاطب بالوعظ والزجر بما يناسب حاله، وهذا ما نجد القراءان طافحا به عند التأمل: التذكير بالحق الجلي الواضح وآياته الجلية (وليس أدلته العقلية الكلامية)، ثم الوعظ البليغ الذي تهتز له الجبال وتنخلع منه القلوب! فعلى كل من سلك طريق الدعوة إلى الله تعالى أن يعي أن المشرك والملحد ممن سمع القراءان يوما ثم بقي على ما هو عليه، إنما هو صاحب أهواء بعضها فوق بعض طبقات، يكذب على نفسه وهو يعلم، فلا يصح أن يتصدى له من يزيده مما يحب ويهوى من بضاعة الجدل والخصومات! هذه طريقة المتكلمين التي ذمهم من أجلها السلف والأئمة، وليست طريقة المرسلين وأصحابهم والتابعين، والفرق بين الطريقتين يجب ألا يخفى على طلبة العلم.

وفي الكتاب المذكور تفصيل ذلك وبيانه ببسط وتوسع، أسأل الله أن يعجل بتمامه على النحو الذي يرضيه سبحانه، وأن ينفع به المسلمين، والحمد لله رب العالمين

رسالة في تحذير المسلمين من فرقة "التطويريين" دراونة أهل القبلة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، القائل فيما صح عنه "لتتبعن سنن من كانوا قبلكم، شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتموه"،

أما بعد، فالأمر الذي دعاني لكتابة هذه الرسالة، أني رأيت بدعة "التطور الموجه" هذه قد صارت يروج لها اليوم على بعض الفضائيات ترويجا غير مسبوق، وقد كان المسلمون منها في عافية ولا حول ولا قوة إلا بالله. وثمة رجل بعينه (وهو طيب له كتب ومؤلفات يدعى "**عمرو شريف**") أصبح يقدم ويصدر للناس في تلك الفضائيات وتقدم كتبه ومؤلفاته على أنه عالم علامة كبير .. الخ، يدين بتلك الضلالة الداروينية ويعتقدها اعتقادا راسخا، وهو ماض في تزيينها للعامة، وتلييسها لبوس العلم وزعم اتفاقها مع الشرع والدين، بل أنها هي تأويل قوله تعالى ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: 20]، وإذا بنا نفاجأ بمسلمين يعتقدون صحة نظرية داروين اعتقادا تاما، يتبعون ذلك الرجل ومن وافقه، ويرون - في غمرة افتتانهم بما اتفقت عليه الأكاديميات العلمية الغربية المعاصرة، لمجرد أنها اتفقت عليه - أن موقفهم هذا هو الموقف الوسط الذي لا يستجلب نفور الغربيين منا وتهكمهم علينا، وأن "العلم" (هكذا) يمليه علينا، وأن الاعتقاد بصحة نظرية داروين (إجمالا) اعتقاد صحيح لأنه لا ينبغي أن يكون ثمة تعارض بين "العلم" و"الدين"، يدندن الرجل وأتباعه بهذا الكلام ونحوه في كل مناسبة وكأن الدين هذا ليس علما عندنا، وليست أدلته وبراهينه الشرعية بالتي ترقى أصلا لمخالفة إجماعات الطبيعيين المزعومة! فما دام الرجل الأبيض قد قال كلمته، وقرر أن هذه المسألة حق مقطوع محسوم، وأن "التطور" (هكذا) حقيقة مثلما أن الجاذبية حقيقة، لم يعد لأحد من البشر أن يعترض أصلا، وإلا اتهمنا الرجل الأبيض بالتخلف والانحطاط، وإذن لفسد علينا ديننا ودينانا، وصرنا نحن والقردة والخنازير سواء!! فإلى الله المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذا الطبيب المذكور إلى الآن لم يجد - بكل أسف - من يردعه حق الردع، ويوقفه عند حده، ويعلمه قدره في ميزان الشريعة بل وفي ميزان الفلسفة والعلوم العقلية، من غير أن يتردد في مخاطبته بما هو أهله! فإلى الآن لم أر من يخاطبه أو يرد عليه على أنه إمام بدعة وضلالة (مع ما رأيناه له من تابع من الجهلاء آخذ في النمو والانتشار)، وإنما يرد عليه بعض الإخوة باعتباره عالما ذا فضل ومنزلة .. الخ، مع أن جماهير العوام التي خاطبها الرجل عبر الفضائيات لم تكن لها به سابق معرفة أصلا قبل أن يطل عليهم عبر تلك الفضائيات، وقبل أن يقدمه لهم رجل كان معدودا من حماة الثغر والساهرين عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله! فسبحان الله لا أدري كيف تستقيم موازين بعض الأفاضل ومقاييسهم، نعوذ بالله من زوال قدم بعد ثبوتها ومن سوء المنقلب والمآل.

مقدمة لا بد منها: لماذا نرفض نظرية داروين (نظرية التطور) جملة وتفصيلا؟

ألا فليعلم القارئ المحترم في الابتداء أن القول في مسألة خلق السماوات والأرض وخلق الحياة على الأرض، قول في مسألة غيبية مطلقة التغيب، وأنها لذلك من مسائل العقيدة التي لا نكتفي فيها بأن نقول كما يقول بعض الأفاضل إنها لا يقدم فيها أي مرجع معرفي فوق الخبر الغيبي من الكتاب والسنة بفهم الصحابة والتابعين (لا بتأويلات الجهلاء المفتونين)، بل نقول إنها لا يصح أن يقبل فيها مرجع معرفي سوى هذا أصلا! والسبب الذي نرفض من أجله نظرية داروين سبب فلسفي (إبستمولوجي) وعقدي محض، وليس سببا علميا أو تجريبيا أو نحو ذلك (كما ترى في ردود طائفة "الخلقين" عليهم).

ذلك أن أحداث الخلق الأول (خلق السماوات والأرض وما فيهما) يقينا لم تكن مما يقاس على ما يجري الآن في الكون من أحداث، من حيث النوع والكيفية (كأحداث متتابعة انتهت بتمام صنع الكون وما فيه)، فلا يعقل أن تكون تلك الأحداث حوادث "طبيعية" على اصطلاح الطبيعيين، لأنها تلك الأحداث التي أنشئ (وليس "نشأ") بها هذا النظام الذي يقال له "الطبيعة" نفسه وبها أسسه خالقه تأسيسا! وهذا محل مفارقة كبيرة بيننا وبين الماديين الملاحدة في الأساس الإبستمولوجي لتناول تلك القضية، يجعلنا نقرر أنه ليس من الجائز ولا من المقبول في العقل المجرد أن تستعمل طرائق البحث

الطبيعي ومسلماته الفلسفية الكلية (كقاعدة الاستمرارية أو الثابتية *uniformity* التي تعد من أركان العلم الطبيعي) في الوصول إلى تحصيل المعرفة بشيء من تلك الأحداث الميتافيزيقية المحضة! تماما كما أنه لا يصح أن تقاس الأحداث التي صنعت بها السيارة - مثلا - على شيء مما تحدثه تلك السيارة نفسها من أحداث، أو ما يجري عليها بعد صنعها من أحداث أو ما يقع بها من تغيرات في أحوالها وما تتركب منه، على أساس من افتراض أن تلك الأحداث والتغيرات الجارية عليها لا بد وأنها قد استمرت هكذا كما نراها الآن إلى الماضي البعيد، بما يوصلنا إلى معرفة كيف "نشأت" تلك السيارة نفسها في الماضي! هذا خلل عقلي عظيم، أرجو أن يكون هذا المثال قد قرب به إلى ذهن القارئ. وهو خلل مرجعه إلى الأساس الإلحادي الذي تقوم عليه الفلسفة الطبيعية المعاصرة فيما يتعلق بالماورائيات، وهي قضية دقيقة قد أطلت النفس في شرحها في كتاب جديد يوشك أن يصدر مطبوعا إن شاء الله تعالى بعنوان "آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين"، ولكن يكفي في هذا المقام أن نقرر أن السلطان المعرفي الاستدلالي الوحيد المقبول في معرفة أي شيء من تفاصيل وأحداث خلق السماوات والأرض وما فيهما، إنما هو الخبر المباشر في الوحي من الخالق نفسه، سبحانه وتعالى، فما جاء به الخبر من قصة الخلق وتفصيله قبلناه وحمدنا الله عليه، وما لم يأت به الخبر سكتنا عن طلبه وفوضنا فيه العلم له سبحانه.

ثم إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ

الْأُمُورَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: 3]

فمن مفهوم هذه الآية الكريمة أن قوانين السماوات والأرض (قوانين الطبيعة التي نراها تجري عليها اليوم، ولا ندري للطبيعة قوانين غيرها) إنما بدأت عملها في الكون بعد أن استوى الملك جل وعلا على العرش، وأخذ في تدبير الأمر، لا قبل ذلك، فتلك السنن والنواميس الكونية الجارية أمامنا اليوم كلها جزء من ذلك الأمر المذكور في الآية فيما يظهر للمتأمل. فبأي شيء سوى تلك القوانين الطبيعية نفسها، يزعم هؤلاء أنهم قد حصلوا المعرفة بأحداث خلق النظام نفسه الذي تجري فيه وعليه تلك السنن والقوانين! هذا في الحقيقة من علامات التشبع بفلسفة الماديين في تناولهم قضايا "النشأة"

الأولى تناولا "طبيعيا"، وقد وفيها هذه المسألة حقها - فيما نرجو - في كتابنا الجديد "آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين"، والله الحمد والمنة.

هذا يعني - كما أرجو أنه لا يخفى الآن على القارئ الفطن - أن نزاعنا مع أصحاب نظرية داروين ليس في الحقيقة نزاعا منعزلا في قبول أو رد هذه النظرية بعينها وحسب، ولكنه نزاع عميق الغور ينزل إلى الأسس الفلسفية الكلية التي تقوم عليها تلك النظرية نفسها وسائر ما يدخل في بابها عند الطبيعيين.

ثم إلى جانب المبدأ الاستمراري المطرد في فلسفة الطبيعيات المعاصرة، وتلك المغالطة الفلسفية الكبرى في إعماله للوصول لمعرفة أحداث خلق النظام نفسه (التي ما استجازوها إلا لإلحادهم وماديتهم فيما يتعلق بالمواريثات، ونفيهم فكرة الخالقية والتعليل الغيبي كما بينت ذلك وتوسعت فيه في الكتاب المذكور)، فإن نظرية داروين تقوم كذلك على ما يمكن تسميته بمبدأ الفوضى المنظمة *Uniform Chaos*، بمعنى سلسلة من حوادث العشواء المؤطرة بنظام عام مطرد. والسبب في قيام النظرية على ذلك المبدأ أن صاحبها (داروين) كان حريصا على اختراع "آلية" مطردة يفسر بها نشأة الأنواع كلها (2)، من غير أن يكون من وراء تلك الآلية أي عامل سببي ميتافيزيقي من أي نوع. فلم يجد الرجل أمامه إلا أن يدعي الفوضى والعشواء و"الصدفة" أصلا أصيلا في تلك "النشأة"، يلبسها لبوس النظام المطرد المستقر في العالم، حتى يبدو الأمر كما صورته تلميذه المعاصر دوكينز وكأنه تراكم للصدف المتتابعة أو (على حد تصويره): "صعود متدرج لجبل الاحتمالية الضعيفة" (على أساس مغالطة أخرى مفادها أن نشأة الحياة من غير خالق = أمر ضعيف الاحتمال وليس محالا في العقل، وقد بسطنا الجواب عن تلك المغالطة بحول الله تعالى في غير موضع).

هذا الأصل الكلي الذي تقوم عليه النظرية، لا يمكن لعاقل أن يقبلها من غير أن يقبله معها ضرورة. ذلك أن داروين لم يقل "بالتطور" كطريق لظهور الأنواع بعضها من بعض، إلا بعدما وضع تلك "الآلية" الجديدة لنظريته تأسيسا على هذا الأصل، وهي تتمثل في فكرتين كليتين:

- **الطفرة العشوائية** (وهي ذلك الظهور العشوائي المزعوم لجينات جديدة تضيف خصائص وصفات جديدة للحوض الجيني لهذا النوع أو ذاك).

- **الانتخاب الطبيعي** (وهو بقاء تلك الأنواع التي يُتفق بالصدفة المحضة أن تكون قد حظيت بإضافة جينية من الطفرات العشوائية تؤهلها لأن تتكيف مع الطبيعة ولا تهلك كما هلك غيرها من الأنواع).

تأسيساً على هاتين الفكرتين، تأسس المبدأ الثالث في النظرية عند داروين، ألا وهو القول **"بالأصل الموحد"** لجميع الأنواع. فبإعمال مبدأ الاستمرارية أو الثابتية الطبيعية *uniformity* على القول بأن الطفرات الجينية العشوائية هذه تضيف إلى الأنواع وتزيدها تعقيداً باطراد ولا بد (سواء بزيادة أعضاء جديدة لم تكن موجودة فيها من قبل، أو بزيادة تعقيد النظام الحيوي نفسه للنوع)، استنتج الرجل أن الأنواع كلها لا بد وأنها قد كان لها أصل واحد شديد "البساطة" في تركيبه! فوجد نفسه محمولا على تصنيف المخلوقات كلها إلى درجات وطبقات في "البساطة" العضوية *Simplicity* و"التعقيد" *Complexity*، حتى يجعل الأبسط منها هو الأقدم ظهوراً في ذلك التاريخ العبي الطويل الذي تصوره. فلما نظر حوله ولم يجد مخلوقاً "أبسط" من الكائن أحادي الخلية (بمفهومه هو الفاسد للبساطة، وقد تكلمنا في فساد ذلك المفهوم طويلاً في كتاب "نسف أساسات الإلحاد، المجلد الأول" فليُنظر في موضعه)، جعله هو "الأصل" الموحد الذي منه تشعبت سائر الأنواع وتدرجت في تعقيدها بناء على آلية الطفرات والانتخاب هذه.

من هنا أصبح هذا التدرج المزعوم للأنواع من "الأبسط" إلى "الأعقد" يعرف باسم التطور أو الارتقاء. فمن سلّم بأن "ارتقاءً" أو "تطوراً" في الكائنات قد وقع تحقيقاً في تاريخ الحياة، فهو مضطر لا محالة للتسليم بالأصول التي قام عليها القول بذلك التطور المزعوم عند صاحبه، وبذلك التصنيف الفاسد للكائنات ما بين "بسيط" و"معقد"، واعتبار أن هذا "البسيط" = بدائي ومتخلف فيما يظهر فيه من "تصميم" موهوم، بالمقارنة بما هو "أعقد" منه، فإن هذا هو معنى التطور أو الارتقاء *Evolution* في اصطلاح النظرية، ولا معنى لها سواه! هذه الأصول كلها مدارها حول تلك "العشوائية المنظمة" التي أشرنا إليها آنفاً. وهي فاسدة بالعقل المجرد لأنها لا يمكن أن يتعامل معها

العقلاء إلا على أحد وجهين كلاهما باطل:

- افتراض أن المقصود بالعشواء هنا أن نظاما قد وُضع من الخارج ليحكمها بحيث يأتي منه تعريف ما هو مقبول وما ليس بمقبول من تلك الإضافات "العشوائية" حتى يبقى ويترب عليه ما بعده من خطوات نمو تلك "الشجرة" المزعومة، مع التوقف في جواب السؤال: فمن أين جاء هذا النظام نفسه بالأساس. (دعنا نسمي هذه الفكرة بالخالق الأعمى، أو "صانع الساعات الأعمى"، إذ حقيقتها إثبات خالق ناقص عاجز).

- افتراض أن المقصود بالعشواء هنا هو أن نظامها المتدرج هذا لم يوضع من الخارج أصلا ولم يضبطه ضابط خارجي، وإنما نشأ من تلقاء نفسه فكان حاكما على سائر الأحداث العشوائية التي جرت تحته. (ودعنا نسمي هذه الفكرة "معلومات لا سبب ولا مصدر لنظامها"، إذ حقيقتها نفي السببية والتعليل).

وواقع الأمر أن الدراونة الملاحدة يتخبطون بين هذين التصورين لحقيقة "العشواء" لديهم تخبطا عظيما، لأنهم يصرون على تغافل ذلك التناقض العميق في أصل النظرية. فهم لا يرون - على سبيل المثال - إشكالا في شرح فكرة النظرية بالقياس على النظم الحاسوبية الموضوعة لإفراز نتائج عشوائية *Random Generators* بحيث يقوم نظام مبرمج مسبقا بانتقاء النتائج الصحيحة كلما ظهرت ليضعها في مكانها (وهو المثال الذي ضربه دوكينز في غير مناسبة). فكلما ألزمنهم باللازم الواضح الجلي لهذه الصورة ولتلك "الميكانيكية" العامة التي يتصورونها الموضوعة من الخارج وضعا مسبقا، ألا وهو وجود خالق غيبي قد وضع ذلك النظام كما وضعوا هم ذاك البرنامج الحاسوبي الذي قاسوا عليه، وأن هذا يقتضي أن تكون عقيدتهم في الحقيقة ليست نفي الخالق بالكلية كما يذهبون، وإنما إثباته مع نسبة النقائص إليه بادعاء أنه قد وضع نظاما حاكما لعملية ذات مفردات عشوائية طويلة الأجل لبناء الحياة على الأرض، فلا يدري إلى أين ستمضي بالمخلوقات ولا ما مصيرها، نفوا عن أنفسهم هذا اللازم نفيا شديدا، ولم يأتوا في ذلك النفي إلا بالمزيد من الأمثلة التي تزيدهم به تلبسا وهم لا يعقلون!

فهذا دوكنيز نفسه يؤلف كتابا في الدفاع عن فلسفة الداروينية فلا يسميه إلا "صانع الساعات الأعمى"، فإذا ما سئل عن ذلك قال إنه مجاز لا غير، كما أن كلمة "مخلوق" ليست إلا مجازا عندنا، وكلمة "خلق" لا نستعملها إلا مجازا.. الخ، مع أنه لما أراد أن يضرب مثلا لتلك "العشوائية المنظمة" للانتخاب الطبيعي التي شرحها في كتابه ذاك، لم يجد إلا أن يضع برنامجا حاسوبيا صغيرا من الصنف المذكور آنفا، سماه *Biomorph*، ثم أخذ يتكلم وكأن اضطراره هو نفسه لاختراع البرنامج حتى يضرب به مثلا لتلك "الآلية" الداروينية المزعومة، ليس في نفسه دليلا على الضرورة العقلية لوجود صانع قد صنعها هي نفسها من خارجها، فسبحان الله ما أشد جحودهم ومكابرتهم!

فمحل التناقض في أصل نظرية داروين يكمن في حرص داروين وأتباعه على حشر العشوائية *chaos* في أصل ما يقولون إنه نظام محكم *non-random* حتى يجعلوه بديلا "طبيعا" للخلق والخالق! فكيف يعقل أن يقوم نظام محكم على ترتيب تراكمي لأحداث يوصف كل واحد منها بأنه فوضوي عشوائي محض؟ الحدث الفوضوي العشوائي لا يتنظم مع غيره من الأحداث العشوائية في نظام مخصوص أو على قاعدة واحدة، إلا إن وجد تخطيط مسبق لذلك النظام وتقعيد خارجي لتلك القاعدة التي تفرز تلك الأحداث الفوضوية وتستهدف بناء مخصوصا من تراكمها (بناء سابق التصميم كحيز معلوماتي مخزون في أصل النظام). فإن سلمنا بوجود ذلك التخطيط المسبق (الذي نتعرف به العلاقة بين القفل والمفتاح، أو بين المخلوق والطبيعة التي تشترط عليه شروطا معينة حتى يتكيف معها ومن ثم ينتخب للبقاء فيها) لزمنا القول بوجود "مخطط خارجي" ضرورة، تأتي منه تلك الخطة وذلك النظام، بما فيه من استعمال للعامل العشوائي المزعوم هذا! ولكن يلزمنا كذلك - ومن ثم - نسبة ذلك المخطط الخارجي إلى النقص والعجز ضرورة، إذ لو كان قادرا على إحكام الخلق كما يريد، فلا وجه إذن لوقوع الأمر منه على هذه الصورة البائسة: نظام معلول متخبط يكون الأصل فيه هلاك كل مخلوق لنقصه وتخلفه عن التكيف مع الطبيعة التي خلق فيها، إلا ما يُتفق أن يظهر فيه "بالحدث العشوائي المحض" تلك الطفرة المفيدة التي تحيله إلى نوع قادر على البقاء والاستمرار!

ومع مزيد من التأمل، يتبين لنا أن هذا ليس "نظاماً" أصلاً، ولا يعقل أن يصبح نظاماً، فضلاً عن أن يستمر لعشرات الملايين من السنين كما يزعمون، إذ الأصل فيه العطالة والعجز والفوضى المحضة، وبقاء الأمر مرتباً في تلك الفوضى الشاملة بمجيء حدث "عشوائي" (الطفرة أو نحوها) في كائن من الكائنات من غير أي توجيه خارجي، ليجعله قادراً على البقاء! فبأي عقل ينشأ ما يصح أن يقال له "نوع" أصلاً، في ظل تلك الفوضى الشاملة؟ كيف ينشأ من مجموع المخلوقات العاجزة الناقصة ما يصح أن يوصف بأنه نوع، ثم يبقى عاجزاً في انتظار تلك الطفرة المحظوظة التي لن تأتي إلا بالعشواء في كل مرة، حتى تصيف إليه ما كان ناقصاً؟ وأي نظام يكون في ذلك العبث أصلاً وكيف يعقل أن يصير من تلك الفوضى "نظام" أو "آلية" كما يصير الدراونة على وصفه؟ هذا محال! لهذا نقول ونكرر مراراً في جواب موجز يأبى الداروينون أن يعقلوه: إن "النظام" لا يمكن في العقل المجرد أن ينشأ على أساس من الفوضى غير المحكومة بشروط خارجية وضوابط قانونية تكون سبباً مباشراً في إنشائه (وليس نشأته)! ولا يمكن للشيء (أو النظام) أن "ينشأ" من تلقاء نفسه من غير سبب فاعل خارج عن ذاته! هذه ليست مسألة "احتمالية إحصائية"، هذه قضية من قضايا البداهة العقلية والضرورة المنطقية التي يأبى الدراونة أن يروها على حقيقتها! نحن نتكلم عن تناقض منطقي متجذر في أصل النظرية نفسها، لو تجرد القوم في تأمله لبان لهم أنه ليس ثمة "آلية" أصلاً حتى تبدأ في العمل، فضلاً عن أن تستمر في الأرض لملايين السنين!

هذا التناقض المحض لا يمكن تداركه بتصوير الأمر بتلك الصورة التي صورها دوكينز في كتبه ومحاضراته، إذ يفترض أن النظام قد "نشأ" بحيث يكون فيه تعريف لما يصلح وما لا يصلح، مع آلية لتوليد القيمة العشوائية (توليداً صناعياً) حتى تبقى القيمة الصالحة وتفنئ غير الصالحة، إلى أن يتم الأمر في النهاية على حسب التصميم الأول! فهو في ذلك يتكلم عن "نظام" سابق التصميم (كما صمم هو برنامج الحاسوبي) فيه تعاريفه وآلياته التي تولد تلك الطفرات العشوائية الجديدة (بما فيها من معلومات قد تصلح وقد لا تصلح)، فإن الزمناء بلازم ذلك الكلام قال أنتم لا تفهمون "الانتخاب الطبيعي"! والواقع أنه هو الذي لا يفهم الانتخاب الطبيعي، لأنه باجتماعه مع الطفرة العشوائية،

يناقض ذلك المثال الذي يضربه له هو وأتباعه مناقضة واضحة، ويستحيل معه أن يوجد "نظام" أصلا من الأساس، بل يستحيل أن تبقى فيه مجموعة من المخلوقات لتتناسل وتتكاثر بما يكفي أن يتكون منها *Speciation* ما يقال له "نوع"! فالفطرة المزعومة التي تعين على البقاء هذه عند داروين لا تأتي تبعا لآلية تولدها توليدا عشوائيا، كما في المثال الذي يضربونه للمولدات العشوائية الحاسوبية، وإنما تأتي من غير آلية أصلا ومن غير نظام أو سبب نظامي، وهو سر تسميتها "بالفطرة" عندهم، وتسمية الانتخاب "بالطبيعي" (يعني انتخاب لا منتخب له، أو فعل لا فاعل له)! فلو زعموا أن لها آلية سابقة التصميم هي التي تتسبب في ظهور الطفرات بمعلومات جينية مخالفة لما هو موجود مسبقا، سواء كان في تلك المعلومات فيها إضافة أو كان فيها نقص أو تغيير، فقد نقضوا أصل النظرية نفسه بذلك، وزعموا ما لا قبل لهم بإثباته، ولو أثبتوه للزمهم إثبات ما يفرون منه! ولهذا نقول إن فكرة الانتخاب الطبيعي تقتضي إثبات "الطبيعة" فاعلا مريدا له نظامه الذي به ينتقي وينتخب، وهذا يكشفه مجرد اسمها نفسه! ولكنه في نفس الوقت تصور يتناقض مع العشوائية المحضة التي يعتقدونها في الطفرات نفسها، وهو ما يستحيل معه المصير إلى ما يمكن تسميته "بالآلية"، ولهذا كان الدراونة ولا يزالون يتخبطون (فلسفيا وعقديا) بين الوجهين الذين قدمنا بذكرهما آنفا لمفهوم "العشواء المنظمة"! بهذا التحرير يتبين لك أن الأمر يرجع في تلك النظرية إلى إحدى خالصتين: إما إثبات الخلق (التنظيم والتخطيط) المحكم (وهو ما يعني وجود نظام محكم لا متسع فيه للفوضى والعشواء أصلا، بموجب إثبات الخالق وإثبات كماله الواجب عقلا) وهو ما يترتب عليه بطلان مفهوم "التطفر العشوائي" ومفهوم "البقاء للأصلح" ومفهوم الارتقاء و"التطور" ومن ثم إسقاط نظرية داروين، وإما نفي الخلق بالكلية ومن ثم نفي النظام (أو اللا-عشوائية) بالكلية ونفي مطلق معنى "الانتخاب" نفسه، وهو ما يترتب عليه إسقاط نظرية داروين كذلك، إذ إنها تقول بإثبات نظام عام فيه تعريف للصالح وغير الصالح، تتولد فيه المعلومات العشوائية أولا ثم ينتخب منها ذلك النظام ما يصلح للبقاء ثانيا! فتحصل من ذلك أنها نظرية ساقطة مردودة من أصولها العقلية الكلية على كل وجه، والله الحمد والمنة.

والعقل السوي يقتضي أنه إذا سقط أصل النظرية، سقطت معها جميع فروعها وأركانها وانهار بنيانها بأكمله. ومع هذا ترى من المسلمين من ينظر في تلك السفاهات العقلية التي تقوم عليها النظرية، ليقول هذه نرفضها وهذه نقبلها، لا شيء إلا لينتهي في النهاية إلى التلفيق بين ما يتخذه الطبيعيون دليلاً على صحتها، وبين القول بالخلق الرباني المحكم الذي يمليه عليه فطرته ودينه، مخافة أن يقال إنه يخرق "إجماع" الأكاديميات العلمية الكبرى في العالم ولا يقيم "للعلم" وزناً، فتراه يركب نفس المطية التي ركبها النصارى الغربيون المعاصرون من قبله، يدخل جحر الضب خلفهم، وإلى الله المشتكى



عقيدة التطويرين (أو القائلين بالتطور الموجه)

تنطلق تلك الطائفة الجديدة في مسعاها النكد هذا مستندة إلى تأويل بدعي لقوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت : 20]. فهم يعتقدون أن الآية تأمرهم بالتنقيب في الحفريات للبحث في الكيفية التي بها جرت أحداث الخلق الرباني للدواب وسائر المخلوقات الحية على الأرض، حتى يصلوا بذلك إلى نظرية "علمية" بهذا الشأن. هذا التأويل الهزلي تعلق به رأسهم الدكتور "عمرو شريف" على غلاف كتابه الموسوم "كيف بدأ الخلق" وكأنه من مسلمات المسلمين، وكأن أحداً من أهل العلم بالشرعية والقرآن لن يجادله فيه وفي المصدر الذي جاء به منه! ولا شك أن من يجترئ على إحداث تأويل كهذا، وهو يعلم أنه لا قائل به من المسلمين قبله، لابد وأن يكون ممن لا يقوم في نفوسهم أي وزن للإجماع أصلاً، ولا قيمة عندهم لفهم الأولين، ما لم يخدم ذلك الفهم غايتهم ويأتي على مزاجهم، وهذا من الأصول الاعتزالية "العقلانية" التي تتسم بها تلك الطائفة إجمالاً.

والقول في تأويل آية العنكبوت هو كما قال أئمة صنعة التفسير رحمهم الله تعالى، يقول الإمام الطبري رحمه الله: "وقوله ((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ)) يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُنْكَرِينَ لِلْبُعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ الْجَاهِدِينَ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ: سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ الْأَشْيَاءَ وَكَيْفَ أَنْشَأَهَا وَأَحْدَثَهَا; وَكَمَا أَوْجَدَهَا وَأَحْدَثَهَا إِبْتِدَاءً فَلَمْ يَتَعَذَّرْ عَلَيْهِ إِحْدَاثُهَا مُبْدئاً فَكَذَلِكَ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ إِنْشَاؤها مُعِيداً { ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ } يَقُولُ: ثُمَّ اللَّهُ يُبْدِئُ تِلْكَ الْبَدْءَ الْآخِرَةَ بَعْدَ الْفَنَاءِ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ . " اهـ.

أي: سيروا في الأرض فانظروا يا عقلاء كيف أن الله قد أنشأ الخلق الأول وبدأه تحقيقاً، بدليل هذا الخلق الذي ترونه ماثلاً أمامكم في الأرض حيثما ذهبتم، وهو معنى واضح يخاطب به العوام والخواص في كل زمان ومكان، ويخاطب به أهل كل ثقافة وحضارة على اختلاف مقدار ما لديهم من العلوم والمعارف، ولا يُشترط فيه علم مخصوص (كعلم الأركيولوجيا والباليونتولوجيا مثلاً!!)، اللهم إلا فهم اللسان العربي الذي كان هؤلاء المبتدعة من أجهل الناس به!

وهذا المعنى الواضح الصريح يعضده تأويل الآية السابقة لهذه مباشرة، حيث يقول تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا

كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت: 19]، فهي استفهام

خبري غرضه إثبات أنهم رأوا بالفعل (أعني المخاطبين بهذا النص يوم نزوله عليهم، وكل مخاطب به إلى يوم الساعة) كيف "يبدئ الله خلق"، فسهل عليهم أن يقبلوا أنه بعد ذلك "يعيده" لأن مثله على الله يسير. يقول ابن جرير رحمه الله: "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يَسْتَأْنِفُ اللَّهُ خَلْقَ الْأَشْيَاءِ طِفْلاً صَغِيراً ثُمَّ غَلَامًا يَافِعًا ثُمَّ رَجُلًا مُجْتَمِعًا ثُمَّ كَهْلًا. يُقَالُ مِنْهُ: أَبْدَأُ وَأَعَادُ أَوْبَدَأُ وَعَادَ الْغَتَّانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَقَوْلُهُ: {ثُمَّ يُعِيدُهُ} يَقُولُ: ثُمَّ هُوَ يُعِيدُهُ مِنْ بَعْدِ فَنَائِهِ وَبِلَاةٍ أَكْمَأُ بَدَأَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ خَلَقًا جَدِيدًا لَا يَتَعَدَّرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. "اهـ. فهذه أشياء يرون خلقها أمام أعينهم يقع كل يوم، يرون بالفعل كيف أن الله يبدؤه مراراً وتكراراً ولا يصعب عليه سبحانه، فتقوم بذلك حجة الآية عليهم في أن إعادته من بعد موته خلقاً آخر في يوم الحشر لا تصعب ولا تتعذر على من سهل عليه ذلك الخلق الأول الذي يرونه بأعينهم.

هذا الفهم أجمع المسلمون عليه من يوم أن نزل القرآن وإلى يوم الناس هذا، إلى أن خرج هؤلاء ببدعتهم تلك! فنبذوا كلام أئمة التفسير وأهل التأويل خلف ظهورهم، واخترعوا تأويلاً جديداً على المزاج والهوى، وقالوا إن الله يأمرنا في الآية بأن نمشي في الأرض لننظر كيف بدأ الخلق، مع أنه يحاججهم في الآية السابقة عليها مباشرة بأنهم قد رأوا بالفعل كيف "يبدئ" الخلق سبحانه، وليس كيف "بدأ" الخلق في أول الزمان كما فهموا، فإن كانوا من عجمتهم قد اشتبه عليهم لفظة "بدأ" هذا الاشتباه، فما بالهم بلفظة "يبدئ" (المضارعة) في الآية قبلها؟ قالوا فلما مشينا ونظرنا، وجدنا نظرية

تقول لنا إنه بدأ الخلق من خلية واحدة ثم أخذ يطوّر عليها ويزيدها تعقيدا بالطفرات، فقبلنا تلك النظرية، وصرنا بذلك أول من عمل بأمر تلك الآية في تاريخ الأمة! فإننا لله وإنا إليه راجعون. مع أن العقل والبداهة تقتضي أن يكون هذا الذي أمر الله الناس بالنظر فيه، شيئا يسعهم أن يروه حتى تقوم به حجة الآيات عليهم ويتحقق المقصود! فكيف يعقل إذن أن يكون حقيقة هذا الأمر من الله أن: انتظروا عباد الله حتى يأتيكم من يمشي في الأرض "ليكتشف" كيف نشأت المخلوقات في أحداث دحي الأرض وبث الدواب فيها، فيتحصل لديكم أن البعث والنشور سيكون ارتقاءً داروينيا كما كانت هذه الأحداث "تطورا"؟ ما هذا الهراء؟ إنه هراء أهل البدع والأهواء، عافانا الله وإياكم والمسلمين.

وتأسيسا على هذا التأويل الفاسد المضحك لآية العنكبوت، اعتقدت تلك الطائفة مشروعية الجمع بين الاعتقاد بالخالق وصحة النص القرآني إجمالا، وبين التسليم بصحة نظرية داروين (كلها أو بعضها)، وذلك من خلال الاستناد إلى المفهوم الأول للعشواء المنظمة الذي سميناه "بصانع الساعات الأعمى"، مع الاحتراز بادعاء أن ذلك "العمى" والنقص ليس لازما من مجرد قبول النموذج الدارويني التطوري، وإنما تجري عملية التطور هذه تبعا للإرادة الإلهية، فيقال لها إذن "التطور الموجه" تارة، و"التطور" تارة أخرى، على تفاوت في تصورات من وقفت على كلامهم من أصحاب تلك العقيدة، بين مذهبين كليين يتخبطون تخبطا واضحا في الاختيار من بينهما:

- مذهب من يرون أن الله قد خلق الكون والسموات والأرض ثم أودع في الأرض سائر أسباب تكوّن الخلية الأولى (التي هي السلف الأول لجميع الكائنات عند داروين) ثم "تركها" لتخضع "للنظام الطبيعي" الذي تصوره داروين (الذي حقيقته: عشوائية التطفر وهلاك الأنواع المتخلفة عن التكيف .. الخ)، من غير أن "يتدخل" في سيرها، مع علمه المسبق بنتائج المسيرة التطورية التي ستجري تحت ذلك "النظام". وهؤلاء في الحقيقة "دراونة" متمحضون في الداروينية كنظرائهم من دراونة أهل الكتاب سواء بسواء، وإنما يزدون في اعتقادهم في مسألة "النشأة" الأولى على الدراونة الملحدين بأن أضافوا خالقا يجاب به عن السؤال: "إذا كانت الكائنات كلها قد تطورت بحسب نظرية داروين من أصل

واحد، فمن أين جاء هذا الأصل الأول؟". فقالوا: جاء من الخالق الذي سبب له أسبابه، ثم تركه ليجري وحده من غير أن "يتدخل" فيه، مع كونه يعلم مستقبله ومآله، لأنه "بكل شيء عليم"! ... (أ)

- مذهب من يرون أن الله تعالى قد خلق تلك العملية كلها بجميع تفاصيلها (وليس أسبابها الأولى وحسب)، فكل ما ينسبه داروين للعشوائية، فهو عندهم فعل رباني تابع لإرادة مسبقة، يتسلسل في جملة من الأفعال المتتابعة حتى تجري عملية "التطور" هذه في إطار موجه يجعلها تبدو على هذا النحو الذي يعتقدون بأن العلم قد أثبتته. وإنما كان ظاهره فيما يبدو لعلماء الأحياء أنه عشوائي وليس كذلك. فهم في الحقيقة ينفون عن "الطفرة العشوائية" صفة العشوائية (ومن ثم اسم الطفرة نفسه)، وينفون عن الانتخاب "الطبيعي" طبيعته (على المفهوم الدارويني) إذ يجعلون ظهور الطفرة متى ظهرت، ووقوع الانتخاب متى وقع، أفعالا إلهية كلها. فيعتقدون بذلك أن الله قد قصد وأراد أن يجري الخلق على الأرض في سيناريو "تطوري" موجه ظاهره العشوائية الداروينية! ... (ب)

وكما سنبين فإن كلا المذهبين ضلالة ولا كبير فرق بينهما، إذ ليس بين الحق والباطل إلا الباطل، وإنما يتفاوت القولان في مقدار قربهما وبعدهما عن الحق (اعتقاد المسلمين) والباطل (اعتقاد الدراونة الملحدين).

يجب أن يعلم كل مسلم ابتداء أن مجرد القول بأن الخلق كان "تطورا" أو "تطورا" هذا سب وتقص لحكمة الله تعالى وعلمه. ذلك أن خالقا كان لا يخلق إلا خلقا ناقصا متخلفا عن لوازم البقاء في الأرض والاستقرار النوعي، ثم "طور" ذلك الخلق تدريجيا و"حسنه" بما يناسب حتى يصلح للبقاء، كما تقول نظرية داروين، هذا خالق جاهل عابث، يلعب بلعبة التجربة والخطأ Try and Error ولا يدري هل يصلح ذلك الخلق ليبقى أم لا يصلح، فإذا ما هلك وأوشك أن ينقرض، خلق فيه "طفرة" جديدة لعلها تنقذه، فإذا تنقذه فبقي وإما لا تكفيه فيهلك وتهلك هي معه، سبحانه الله وتعالى علوا كبيرا! لهذا كان لازم القول بالتطور في الخلق (على أي وجه كان ذلك التطوير المزعوم) ناقضا لأصل العقيدة، ولولا احتمال خفاء ذلك اللازم على بعض المسلمين واشتباهه عليهم لحكمنا بكفر

"التطويريين" هؤلاء البتة، لأن التنقص من رب العزة ومن حكمته وعلمه كفر أكبر مخرج من الملة ولا شك.

فأما المذهب الأول (أ) لهؤلاء "التطويريين"، فالقائلون به نفاة لمطلق صفة خلق الحياة بشتى صورها عن الله عز وجل فيما عدا خلق تلك الخلية الأولى الداروينية وحدها. فهم يتأولون خلق الله تعالى للبشر والدواب وسائر المخلوقات الحية على ظهر الأرض بأنه كان عملية داروينية محضة، لم يزد فعل الله فيها على أن أطلقها في بدايتها، ثم إذا بها تمضي في تطور مطرد وفقا "للقانون الطبيعي" بحسب اعتقادهم من غير "تدخل" منه. وهذا تكذيب لصريح القرآن، وجحد لصفة الخلق عن الرحمن، وقصر الفعل الإلهي في خلق الخلية الأولى وحدها (أو أسباب نشوئها) ثم ترك الأمر بعد ذلك للارتقاء الدارويني يأخذ مجراه! فمهما زعم هؤلاء أنهم يعتقدون أن الله تعالى هو خالق كل شيء، فحقيقة اعتقادهم تكذيبهم! فهو عندهم في واقع الأمر خلق نظاما طبيعيا (هو الأرض وما فيها وما يحكمها من قوانين فزيقية) ثم وجه بعض الأسباب لتنشأ بذلك خلية أولى، ثم تركها لتتحرك قصة داروين المزعومة في مجراها المزعوم بتمامه وكماله، فأى "خلق" للدواب والحياة هذا الذي ينسبه هؤلاء إلى الله تعالى؟ هذا وهم لا حقيقة له! وسابقة العلم الرباني التي يزعمونها له والحالة هذه، وهم وباطل أيضا، إذ "العشواء" وصف لا يوصف به إلا ما لا يمكن التنبؤ به. فكيف يكون الأمر معلوما للخالق مسبقا وهو في نفس الوقت "عشوائي"؟ ما وجه وصفه بالعشوائية إذن؟ هذا تناقض واضح، ولازمه الكفر البواح كما حررنا.

وأما المذهب الثاني (ب) فحقيقته النسف التام لركني نظرية داروين اللذين قام عليهما القول بالتطور والأصل الموحد نفسه، مع التصريح - في نفس الوقت - بقبول تلك القصة التطورية البائسة التي جاءت بها النظرية لظهور أنواع الحياة على الأرض (تأسيسا على هذين الركنين)، كعقيدة إسلامية في "الكيفية التي خلق الله بها الخلق" على أنه خلق "متدرج"! فهو كسابقه (المذهب أ) يترك صاحبه عاريا في الصحراء، فلا يقوم اعتقاده في الخلق على نقل صريح ولا على عقل صحيح، إذ يظن صاحبه ابتداء أن "كيفية أحداث الخلق الأول" يمكن الوقوف عليها من طريق العلم الطبيعي، فإذا ما تناول نظرية

الطبيعيين في ذلك، وأراد أن يجردها من أصلها الإلحادي (الذي هو بعينه أصلها "الطبيعي" عندهم) لم يبق له منها إلا الدعوى المجردة، ولم يخرج من ذلك إلا بالتنقص من صفات خالقه وهو يحسب أنه يتبع العلم الصحيح! فمن غير إثبات آلية الطفرة العشوائية على مفهومها الدارويني، وإثبات آلية الانتخاب الطبيعي على مفهومه الدارويني، فليس لشيء من تلك المشاهدات المادية التي تتعلق بها أصحاب التطور (كالحفريات وغيرها) أي قيمة إذا ما جُمع بعضها إلى بعض، ولا حقيقة إذن أصلا لشيء اسمه "التطور" أو "الارتقاء"، ولا يبقى لذلك المسكين صاحب تلك العقيدة إلا اتهام الرب جل وعلا بخلق مخلوقات ناقصة معيبة كلها، يكون الأصل فيها أن تهلك كلها من سوء الصنع والخلقة، حتى يبعث فيها بعد أزمان طويلة، "طفرات" مبعثرة هنا وهناك لزيادة عضو أو إضافة نظام حيوي كان ناقصا من قبل، فيبقى منها ما "يرتقي" بما فيه الكفاية!

وقد رأيت بعضهم يجهد في محاولة تخليص وتصفية فكرة التطور من تلك الصورة الداروينية المنحطة، بزعمه أن الكائنات الانتقالية التي من شأنها أن تؤكد صحة التطور إن اكتشفت، ربما لم تكن من الوفرة والكثرة بحيث تبقى لها حفريات أصلا، ومن ثم فلا قيمة للسجل الأحفوري في إثبات التطور، لأن هذا التطور ربما كان في حقيقته تطورا سريعا عبر أجيال قليلة بنقلات سريعة وحادة، لا من خلال أنواع انتقالية مشوهة كما يقول الدراونة، فبالله ما هذا الإصرار على التمسك بتلك النحلة الباطلة وذاك التصور الفاسد للكيفية التي خلق بها الله أنواع المخلوقات (التي لا يمكن إلا أن تكون كيفية فريدة كما قدمنا، فلا يمكن الوصول لمعرفتها بالقياس على ما نراه في الكائنات من أحداث كالمسخ أو التغير الجيني أو التكيف أو غير ذلك كما قاس داروين وموافقوه من أهل الملل)؟

وقد قرأت مثالا يضربه أحد هؤلاء لم أدر والله أأضحك منه أم أبكي! حيث قال ما معناه إن من يلعب بلعبة النرد سيعجز عن التنبؤ بالقيمة التي سيخرج عليها ذلك النرد في كل رمية لأنه مخلوق قاصر، ولكن هب أنه قام بضبط سائر الأسباب ضبطا محكما حتى لا تخرج قيمة النرد في كل مرة إلا على حسب إرادته، ألا يكون ذلك مثالا جيدا للتوفيق بين "التطور العشوائي" من جهة والخلق والتوجيه الإلهي من الجهة الأخرى؟ فسبحان الله كيف لا يعقل هذا أنه بذلك يتكلم عن خالق عاثر ناقص يضع

نظاماً الأصل فيه الفوضى والعشواء المتجذرة (بلا سببية ولا تعليل = لا خلق)، إلا فيما يسببه هو من الأسباب التي توجهه بإرادته؟ كيف لا يعقل أنه لا يغني عنه شيء أن زعم أنها عشواء موجهة بحيث تظهر للناظر وكأنها عشواء، مع أنها في الحقيقة نظام محكم متين؟ ألم يسمع قول الملك جل وعلا:

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان : 2] ألم يسمع قوله سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ

تَفَوُّتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك : 3] فكيف يستقيم لمسلم يؤمن بتمام حكمة الملك وقدرته وتقديره التام لكل شيء خلقه، أن يقول إن من أحداث الخلق ما كان ظاهره "العشواء" فيما يبدو للناس، مع كوننا نجزم بأنه ليس كذلك؟؟ أي ظاهر هذا يا من صح فيه قول الملك جل في علاه: ﴿ثُمَّ أَنْجَعِ الْبَصَرَ كَرَيْنَ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك : 4]، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر : 67].

والكلام الذي قلناه فيمن يعتقد "التطور"، وارد على من يعتقد "التدرج" أيضاً، لأن السؤال هنا يكون: في أي شيء تعتقد أن خلق الله قد "تدرج"؟ في الإحكام والضبط الذي يؤهل النوع لأن يبقى؟ هذا سب لله تعالى، وهو عين القول "بالتطور" ولا فرق! ففي أي شيء إذن وقع ذلك "التدرج"؟ في الحسن و"جمال الخلقة" كما في قوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين : 4]؟ هذا لا دليل عليه ولا علاقة له بما يستند إليه التطوريون من الأدلة، وإنما تنص الآية على أن الله خلق آدم في أحسن صورة من صور المخلوقات التي خلقها وقومها على الأرض سبحانه، وعند هذا الحد نقف ولا نزيد إلا بدليل. ولكن مهما تكلم الإنسان في "تدرج مزعوم" في الخلق في هذه الخصلة أو تلك فقد جاء بما لا دليل عليه عند أحد من البشر إلا ما يتعلق به الدراونة من شبهات، فيقال فيه كما يقال فيهم!

ومما يؤسف له غاية الأسف حقيقة، أني وقفت على فتوى للأزهر في غاية العجب، أسأل الله الهداية لمن أفتى بها، يقول صاحبها في الجواب عن سؤال حول أصل الإنسان وموقفنا من نظرية داروين في هذا الشأن:

"ورد أن الله خلق الإنسان نوعا مستقلا لا بطريق النشوء والاشتقاق من نوع آخر، وإن كان كلا الأمرين من الجائز العقلي الذي يدخل تحت قدرة الله تعالى، (و) لا يوجد في النصوص أن الله خلق الإنسان الأول من تراب دفعة واحدة أو بتكوين متمهل على انفراد فسبيل ذلك التوقف وعدم الجزم بأحد الأمرين حتى يقوم الدليل القاطع عليه فنعتقد ما دام الذي فعل ذلك كله هو الله تعالى... ولا حرج في اعتقادها ما دام الله هو الذي خلقها ووجهها، فهي لا تحقق وجودها من نفسها ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 102]، فهو خالق المادة والنواميس" (فتاوى الأزهر ج7 ص399)

فحاصل الفتوى - كما سيفهمها السائل (إن فهمها أصلا) - أنه يجوز أن نعتقد أن الله تعالى خلق الإنسان "بتكوين متمهل على انفراد" إذا ما قام الدليل العلمي "القاطع" على ذلك! فإن لم يكن هذا تعريضا بمشروعية اعتقاد صحة خرافة داروين في أصل الإنسان، فهو فتح للباب أمام ذلك الاعتقاد ولا شك، وتجوز لحصوله عند المسلمين في يوم من الأيام، والله المستعان! مع أن لنا أن نسأل هذا المفتي، ما مرادك "بتكوين متمهل على انفراد"؟ هل هو تصور الدراونة لمخلوق يخلقه الله تعالى أبترا أعرجا منقوص الأعضاء، ثم تظهر له أعضاء جديدة مع كل طفرة "عشوائية" (على مهل) حتى يصبح في يوم من الأيام نوعا صالحا للبقاء؟ أم أنه تكوين الإنسان من سلسلة الهومينيد (القردة العليا) قردا بعد قرد، كما يعتقد داروين وأتباعه؟ يبدو أنها ليست الثانية لأنه يقول "على انفراد"! فما معنى "تكوين متمهل" هنا إذن وكيف نفهمها في هذا السياق؟ وما معنى أنه لا يوجد في النص ما يدل على أن الله تعالى خلق الإنسان من تراب "على دفعة واحدة"؟ ما مرادك من "دفعة واحدة" هذه؟ النص صريح - والأمة مطبقة على فهمه - في أن الله تعالى خلق آدم بيده من صلصال خلقا كاملا، إلا أنه سبحانه لم ينفخ فيه الروح من فوره ولكن أرجأ ذلك حيناً من الدهر لحكمة لديه سبحانه. فآدم قد خلق على

صورته الكاملة من الصلصال "دفعة واحدة" وفي مرة واحدة، وهي عقيدة المسلم التي لا يجوز له إبدال غيرها بها! فهل تدعوننا هذه الفتوى إلى البحث في الكيفية التي خلق الله بها آدم بيده في ذلك الحدث الغيبي المحض، وتجزئ لنا أن يأتينا دليل (قاطع) من غير طريق الوحي يخبرنا في يوم من الأيام عما إذا كان قد خلق آدم من الطين على هيئته وصورته الكاملة في "دفعة واحدة" أم خلقه الله على مراحل "بتمهل"، كأن يكون قد خلق رأسه أولاً - مثلاً - ثم صدره وبطنه ثم كتفه ثم رجله .. الخ؟ ما هذا الكلام، وكيف استجازه هذا المفتي هداة الله، بل كيف يتصوره أصلاً؟

ثم ما هو "طريق النشوء" هذا الذي زعم صاحب الفتوى دخوله تحت قدرة الله كطريق للخلق والتكوين؟ إن كان لا يدري أن "النشوء" عند من يقولون به إنما يعني نشوء الشيء استقلالاً بلا "منشئ"، وتكونه من نفسه استقلالاً بلا مكون، فتلك مصيبة، وإن كان يدري فالمصيبة أعظم! نعم الله تعالى قادر على أن يخلق مخلوقاً (نوعاً جديداً) من مخلوق آخر، ومن شاء أن يصف بعض الأنواع التي تتغير بعض خصائصها الجينية بأمر خالقها تغيراً طفيفاً حتى تتأقلم مع البيئة الجديدة على أنها قد صارت أنواعاً أخرى جديدة، فلا بأس بأن يوصف هذا بأنه خلق من خلق، والله قادر عليه ولا إشكال، وليس هو "تطوراً" أو "تطورياً" كما أسلفنا، وإنما هو خلق محكم لبيئة مخصوصة، يتبعه خلق آخر محكم لبيئة أخرى مناسبة له، إبداعاً من بعد إبداع وإحكاماً من بعد إحكام (ما لم تقتض حكمة الخالق أن يحكم على نوع من الأنواع بالانقراض فلا يقضي فيه بذلك التكيف الجيني الملائم كما ذكرنا). أما أن يقال إن الله قادر على أن يخلق من "طريق النشوء" فهذا كلام من لا يدري ما "النشوء" هذا أصلاً!

بل إن هذه الفتوى العجيبة تفتح الباب أمام ما لا يقول به كثير من "التطويريين" أنفسهم، إذ يؤمنون بأن آدم عليه السلام قد خلق من طين خلقاً مباشراً كما أخبر الله تعالى في النص، وأن له وضعاً استثنائياً على هذا الاعتبار في خروجه من قاعدة التطور المزعوم، بينما يلوح هذا المفتي بأن آدم قد خلق على مراحل وأطوار، ربما يثبت لنا في يوم من الأيام أنها كانت على نحو كذا وكذا! فنعوذ بالله من ذاك الوهن ومن تلك الهزيمة النفسية التي تزكم الأنوف! فيا هؤلاء "التطويريين" دعونا نكررها لكم لعلها تصيب من عقولكم ما هو مستقر في نفوس سائر المسلمين: خلق الله تبارك وتعالى ليس عبثاً ولا لعباً، وليس هو

"محاولة" لضبط الخلق وتقديره بقدره الصحيح، بإحداث "طفرات" في البرنامج الجيني ترقى بها (أو ببعضها) تلك المخلوقات من حالتها الفوضوية البائسة التي خرجت إلى الوجود عليها (بحسب نظرية داروين)، سبحانه الله وتعالى عن ذلك العجز والقصور والعبث علوا كبيرا!

فإذا ارتضيتهم موافقة المسلمين على أن الخلق لم يكن عبثا (وهو ما تصرحون بأنكم تعتقدونه وتؤمنون به)، ولم يكن "نشوءا" ولا "تطفرا" ولا "عشواء" ولا "انتخابا للمخلوق الأصح للبقاء من جملة كبيرة من المخلوقات الناقصة المتهالكة"، ولم يكن شيئا من تلك المقتضيات الصريحة التي تقتضيها عقيدة الانتخاب الطبيعي والتطفر العشوائي، فبالله ما وجه تعلقكم بأن الله قد خلق الخلق "بالتطور" أو "بتوجيه التطور" أو "بالتدخل في الوقت المناسب"، وكأنه سبحانه كان الأصل في صفته أنه متعطل عن الفعل والخلق في هذا العالم، فلا يتسبب في شيء من أحداث "الطبيعة"، وإنما تتعلل الطبيعة بنفسها استقلالاً، إلا فيما "يتدخل" فيه الخالق بالفعل والإحداث من آن لآخر (كما يقول أصحاب المذهب "أ") فيكون هو "فاعله"؟ أهو التعلق بالاسم فقط (التطور)، حتى لا يقال "جهلاء" متشددون رفضوا "العلم الحديث" ورموه وراء ظهورهم تمسكا بدينهم؟ نعوذ بالله من الخذلان وأهله.

إن المتأمل في آي القرآن وصحيح السنة يجد أن خلق الله في هذا العالم وقع على صنفين كليين لا ثالث لهما:

- إحداث للمخلوق من العدم (أي من عدم ذلك المخلوق أو النوع نفسه، وليس عدم المادة التي

يتكون منها)، وهو ما يقال له الخلق بغير مثال سابق، وفيه قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ

فِيْنَهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ [النور : 45] وهو نص صريح في أن الله تعالى خلق جميع أنواع الدواب التي فصل في

بيان بعضها، من الماء، لا من بعضها البعض ولا من أصل واحد كما يعتقد التطوريون. ويقول جل

وعلا: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَزْوَاجٍ﴾ الآية [الزمر : 6] وتأمل قوله "أنزل". وقوله تعالى:

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف : 12] ولعله أن

يكون نصا صريحا كذلك في أن أنواع المخلوقات على الأرض قد خلقت "أزواجا" (بالخلق المباشر)، وليس تدرجا من أصل واحد. وهذا القسم من الخلق الرباني يدخل فيه خلق آدم من الطين وخلق إبليس من النار، وخلق الملائكة من النور. هذه النصوص قد توافر السلف وجميع المسلمين قرونا طويلة على فهمها على أن خلق الله تعالى لسائر الدواب إنما كان خلقا مباشرا من غير مثال سابق ومن غير "سلف" تطوري أو نحو ذلك مما جاء به الدراونة.

- **إحداث للمخلوق على مثال سابق**، وهو ما يكون من خلق الأجنة في الأرحام، وخلق الأجيال المتتابة من المخلوقات على الأرض بعضها من بعض، كل مخلوق بحسب ما جعل الله في نوعه من طريقة للتكاثر والتناسل، خلقا من بعد خلق، كما في قوله تعالى ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِينَ أَنْزَلَ يُخْلِقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى نُصَرِّفُونَ ﴾ [الزمر: 6] ، والخلق في الأرحام هو ما يقول فيه الملك جل وعلا ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: 14]، والأطوار هنا يراد بها النطفة ثم العقلة ثم المضغة كما قال من يعتد بكلامهم في فهم كتاب الله تعالى، وهو إجماع المسلمين في فهمها الذي لم يُعرف في الأمة خلافة، فمن أتى فيها بتأويل آخر (كقولهم إن الارتقاء أو التطور هو المقصود بتلك الأطوار) فقد افترى على الله الكذب! 5 ، وليس الخلق على مثال سابق "تطورا" ولا يجوز أن يكون كذلك، إذ التطوير الذي يقصدونه معنى مذموم في ذاته كما بينا. ولو كان الخلق من طريق التناسل (خلقاً من بعد خلق) طريقاً لإحداث أنواع جديدة من الكائنات الحية على الأرض على غير مثال سابق، بل لو كان ذلك هو طريق الخلق الأوحى وتكوين الأنواع كلها من أصل واحد كما يعتقد مخانيث الدراونة من أهل القبلة، لكان ذكره أولى من ذكر هذين الصنفين جميعاً، ولما جاز أن ينعقد

5 - والعجيب أن المتحليلين لتلك الآية الكريمة كدليل قرائي "لنظرية داروين"، يفوتهم أنها خارجة من بعد آية في غاية المهابة يقول رب العزة فيها: ((ما لكم لا ترجون لله وقارا))، فيأتي الوصف بأنه سبحانه قد خلقنا أطوارا في مقام التذكير بعمل من أعمال الخلق يدعو العاقل لتوقير الخالق جل وعلا بما هو أهله، فبالله كيف يكون المقصود بالخلق على أطوار أننا قد كان أصل خلقتنا جميعاً تلك المسرحية الهزلية السخيفة التي يعتقدونها الدراونة، وأي توقير لله تعالى يكون في استحضار تلك الصورة "التطورية" الهزلية يا هؤلاء لو كنتم تعقلون؟

إجماع المسلمين من السلف الأول وإلى يوم ظهور تلك الطائفة الجديدة بينهم على خلاف هذا التصور الدارويني لخلق الله تعالى لأنواع الكائنات الحية على الأرض، تبعا للنص الصريح كما أسلفنا! فواقع الأمر أننا معاصر المسلمين من أهل الحديث والأثر، أهل الفرقة الناجية، لا نقيم وزنا لما يخالف إجماع الأولين في فهم أخبار الغيب التي جاء بها النص الشرعي، ولا نرى معقولية الخروج بتأويلات جديدة لم يكن للأولين دراية بها ولا بقريب منها لما خاطبهم به الله تعالى من نصوص الوحي المطهر! فمن شذ عن هذه القاعدة الكبرى عندنا فليس منا ولسنا منه، وهو عندنا من أهل البدع والضلالات، والله الهادي إلى سواء السبيل!

وحتى لا نقابل باعتراضات ساقطة على هذا الإطلاق بخصوص تغير الكائنات الحية عبر الأجيال للتكيف وكذا، نقول إنه ليس التغير الجيني عبر أجيال الأنواع مما يعد من قبيل حدوث الأنواع الجديدة أصلا وإنما يدخل في باب الخلق من بعد خلق، وهو تعديل رباني على أنواع قائمة بالفعل. وليس هو من "التطور" أو "التطوير" وإنما هو تغيير في خصائص المخلوق الواحد أو النوع الواحد بما يتوافق مع تغير البيئة التي يعيش فيها، تغييرا محسوبا محكما مقدرا على أحسن تقدير، فلا كان الكائن (النوع) من قبله ناقصا عاجزا، ولا صار من بعده أكثر تطورا أو أحسن رقا! وإنما كان في كلا الحالين جميعا على أحسن ما يكون لموافقة بيئته التي يعيش فيها، فانتقل من مواءمة وموافقة إلى مواءمة أخرى وموافقة أخرى، تكيفا بعد تكيف، وتوافقا بعد توافق، مع بقاء أصل النوع كما هو، ما لم يشأ الله له أن يهلك وينقرض، فيسبب الأسباب لذلك سبحانه وتعالى، مع أسباب أخرى يغفلها أو يتغافلها الدراونة تتعلق بحفظ التوازن البيئي العام على الأرض، وحفظ سلاسل الطعام Food Chains من الانهيار، ونحو ذلك مما نقول به لأنه مقتضى حكمة حكيم عليم لا يقضي في خلقه إلا بالحق وبتقدير محكم متين.

والدراونة - بالمناسبة - يتغافلون هذا الجانب (جانب التوازن الكلي المحفوظ في النظام الحيوي ككل) عمدا لأن لازمه هدم الأصلين الكليين لنظريتهم تلك، إذ حقيقته القول بأنه ما من تغير يقع في الحوض الجيني إلا وفي سائر متغيرات المنظومة الكونية للحياة على الأرض ما يستوعبه ولا يسمح بصيرورته سببا في انهيار النظام نفسه، كما يستلزمه التصور الدارويني العشوائي الذي يعتقدون - دفعا

بالصدر - أنه ظل يجري على الأرض لملايين السنين من غير أن يتعرض لحدث عشوائي واحد يمكن أن يكون سببا في انهياره كله من أوله إلى آخره! فهم يؤمنون بغياب الضابط أو المنظم أو الحاكم الخارجي، ومن غير هذا الأصل الكلي لديهم لا يكون "آلية" داروين أي معنى أصلا! ولهذا قدمنا أن من رام الجمع بين الخلق المحكم والتنظيم الخارجي من جهة، وبين آلية داروين الطبيعية من جهة أخرى، فقد ناقض نفسه أشد التناقض، وصار كالمنبت، لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، والكل منه براء!

وقد تعلق بعض التطويريين بكلام للأئمة فيما مفاده أن أيام الخلق لا يلزم أن تكون أياما على مقياسنا المعروف لليوم والليلة، لأن النص قد جاء بأيام لها مقاييس مختلفة كما في قوله تعالى ﴿وَلَيْتَ يَوْمًا

عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ الآية [الحج : 47]، فقد يكون طول يوم الخلق هذا مئة سنة أو ألف سنة أو مليون أو أكثر، والله أعلم بحقيقة ذلك. فقال هؤلاء إن هذا الطول لليوم الذي خلقت فيه الدواب يتفق مع ما يقوله "السجل الحفري" الدارويني من طول المسافة الزمنية الجيولوجية بين المخلوق الأقدم والأحدث بما يدعم القول بالتطور، بل عده بعض المساكين من "الإعجاز" إذ رأوا النص عندنا يسمح بقبول قصص القوم في "النشأة الأولى" على طولها الفاحش، بخلاف نصوص أهل الكتاب. ونقول إن هذا استدلال واه في غاية الوهاء، لأن الجواز والإمكان شيء، والتحقق والوقوع شيء آخر. فالمسلم المتجرد من فتنة دارون ونظريته، لا يميل في الترجيح في هذا الشأن (قضية طول يوم الخلق) إلا مع النص الشرعي، فإن وجده قال بمقتضاه، وإلا سكت. أما أن يتخذ ذلك الإمكان في مقدار اليوم الذي تكلم به بعض أهل العلم دليلا في نفسه أو قرينة على صحة مزاعم الدراونة في قصتهم "الارتقائية" الأسطورية الطويلة هذه، فهذا ما لا يقوله عاقل!

وفي الختام نقول إنه مهما وجد المسلم من حفريات ومن قرائن حسية على التقارب الجيني أو الجزيئي أو المورفولوجي (أو على أي وجه كان) بين صنوف الكائنات في الأرض، فإنه يرفض فكرة وضعها في مسلسل تاريخي "ارتقائي" أو "تطوري" أو "تطوري" أو "تدرجي" أو أيا ما كان اسمه، لأنه يرفض الأساس الفلسفي الذي عليه رتب الدراونة أنواع المخلوقات، وبه تأولوا تلك المشاهدات في

الحفريات وغيرها، ولأنه يؤمن بأن الله تعالى قد خلق كل صنف من صنوف المخلوقات (كل دابة) في مكانه الصحيح وفي بيئته الصحيحة وعلى أكمل ما يقتضيه بقاء ذلك الصنف وتكاثره في الأرض، خلقا تاما محكما من أول مرة، وهو ما يقتضيه العقل الصحيح بموجب كمال صفات الله تعالى، وما أطبق المسلمون عليه عبر القرون من فهم لنصوص الخلق والتكوين! فماذا بقي إذن من ذلك "النموذج" الذي تتمسك به تلك الطائفة إلا أن يكون وهما يوهمون به أنفسهم، من شدة ما في نفوسهم من افتتان بتلك النظرية الإلحادية الساقطة، حتى لا يبقى لإمامهم المدعو "عمرو شريف" من متعلق في كلامه إلا تقريره بكل ثقة أن هذا ما أثبتته العلم الحديث، وهو علم له أهله ويجب احترامهم ويجب قبول بضاعتهم، وإرجاع الأمر فيه إليهم، إلى آخر ذاك الكلام الذي إن دل على شيء فإنما يدل على نفس منهزمة قد ارتضت لصاحبها تقليد الأكاديميات الكبرى فيما اتفق أصحابها عليه وإن جاءت بما يصادم صريح العقل والدين، ويخالف قطعيات النص وفهمه الذي أجمع عليها المسلمون من يوم أن نزل القرآن على خاتم المرسلين!

فالله أسأل أن يحفظ المسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يكفيهم شر المبتدعة وأهل الأهواء، وأن يحسن خاتمتنا ويحشرنا في زمرة الأنبياء، والحمد لله رب العالمين



العَبَاقِرَةُ السُّفَهَاءُ : عندما تتمحض السفاهة في أحد الناس ذكاء !!

الحمد لله وحده، الأول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده، قيوم السماوات والأرض، عبده من عبده وجحده من جحده، والصلاة والسلام على مصطفىاه الذي لا نبي بعده

أما بعد، فقد جئتكم اليوم أيها القارئ الكريم بأمر عجاب !

هل تعلم أن الرجل من بني آدم قد يبلغ الغاية في الذكاء والغاية في السفاهة معا وفي آن واحد؟ ! نعم وربي، وإنما لمن المضحكات المبكيات، وإنما كذلك لمن آيات الله في خلقه! فهي حقيقة خلق كثير ممن برزوا في علوم الدنيا ونبغوا وبرعوا فيها وبلغوا غايتها، لا سيما في أوروبا معقل الإلحاد في زماننا! فلعلك الآن تتساءل، أصبح أن يجتمع الذكاء والسفاهة في رأس واحد؟ وأقول لك نعم يصح.. وبيان ذلك أن السفاهة في اللغة لا يقتصر معناها على الغباء الذي هو بمعنى افتقار العقل إلى قدراته التي بها يميز ويزن ويقيس ويقارن وينظر في الأشياء. إنما السفاهة تعني خفة العقل بإطلاقها، وهذا المعنى متحقق فيمن خف عقله سواء كانت تلك الخفة متمثلة في قيام الرأي على ضعف في قدرات ذاك العقل، كما يكون في الأطفال والأغبياء، أو على جهل واتباع للهوى وتفريط في واجبات النظر ولوازمه قبل الإقدام عليه! ولهذا تجد العرب تقول (سفه فلان نفسه) يريدون أن فلانا هذا قد أوقع نفسه في السفاهة بما قال ورأى، لأنه قد اعتراه عارض من غباء أو مرض أو تخلف في قدرات العقل حال نظره ذاك فخرج منه ذاك الرأي !

ولهذا، كان الرجل الذي أنعم عليه الله تعالى بمنة العقل والتمييز، ثم أنزل إليه حجة الحق فسمعها ووعاها ثم أعرض عنها وجحدها واستكبر عن قبولها، سفيها متمحضا في السفاهة مهما كان فيه من ذكاء وعبقريّة وقدرة إبداعية برز بها في صنعة من صنائع العلم الدنيوي أيا كانت! بل كان مثل هذا في ميزان العقل والحكمة عند التحقيق، أضل من الأنعام والبهائم وأحط منزلة منها في الحقيقة! ذلك أن البهيمة لم يكلفها الله بما كلف به الإنسان ابتداء، ولم يمتحنها بقبول الحق من بعد أن يأتيها خبره وتقوم

عليها حجته كما هو الشأن في بني آدم! فهي مع كونها في منزلة دون الإنسان، إلا أنها أعقل وأحكم من كثير من الناس! فإنه كلما عظم مقدار ذلك الحق الذي أنكره الإنسان وجحدته وكفر به من بعد ما تبين له، زاد استحقاقه لوصف السفاهة، وكان أحق وأجدر بأن يحقره الناس! أيستوي الذي ينكر أن في السماء شمسا، بالذي ينكر أن في السماء كوكبا من الكواكب صفته كذا وحالته كذا؟ لا يستويان! وكلما كان الحق أظهر وأوفق لما به تنادي فطرة الناس في نفوسهم، وما عليه توافقت عقولهم وبه شهدت أقيستهم السوية، كان من يجحد ذلك الحق وينكره ألصق بوصف السفاهة وخفة العقل ممن سواه، مهما ظهر عليه من آيات الذكاء والنبوغ!

وإن تعجب فعجب قول بعض السفهاء من الناس: كيف يصف قرءانكم الكفار بالسفهاء وفيهم أينشتاين وفيهم دافنشي وفيهم فلان وفلان وفلان؟؟ هؤلاء ثبت لهم الذكاء والعبقرية كما لم يثبت لأمم كاملة من البشر!! ويقال لهذا بل هم سفاء والله! وشدة ذكائهم هذه - التي نشهد بها ولا نماري فيها - آية على تمحضهم في السفاهة عند التأمل!! ذلك أن الحق قد قامت عليهم حجته وسمعوه من القرءان كما سمعه غيرهم من الناس، فأمن من الناس من حولهم من آمن وجحد هؤلاء وأصروا على كفرهم ولم يبالوا حتى ماتوا عليه!! فمن السفاهة أن يقال إنهم أبوا الإيمان بما جاء به القرءان لأنهم لذكائهم ونبوغهم، رأوا فيه من الباطل ما خفي على غيرهم من الناس! فإن الحق الذي جاء به القرءان من صفة الرحمن ومما هو واجب بضرورة العقل من تعظيمه حق التعظيم، وإفراده بما هو أهله وحده لا شريك له من الطاعة والخضوع والتسليم، هذا الحق ليس فيه مطعن قط لعاقل راشد مميز! وهؤلاء لم يطعنوا على القرءان وإنما جحدوه وأعرضوا عنه ابتداء من بعد ما قامت عليهم حجته وسمعوا برسالته! ولو حاولوا الطعن فيه ل زادوا بذلك سفها فوق سفه، وجحودا فوق جحود!

أرأيت أيها العاقل الرشيد رأيا أشد سخافة وسفها وجحودا من قول كهذا: إن الكون لا بد له من خالق (قوة عقلية عظيمة مدبرة أنشأته ثم قامت على ضبط نظامه)، ولكن هذه القوة العقلية ليست ذاتا مُريدة تأمر وتنهى وتضع الخلائق في الكون لغاية مطلوبة من تلك الخلائق تكليفا أو تسخيرا، وإنما هي قوة صماء بكماء غير مريدة، فلا تأمر ولا تكلف ولا تسمع دعاء ولا رجاء ولا ترسل الرسل والأنبياء ولا شيء من ذلك؟؟!

أي قول هذا إلا قول من سفه نفسه وأبى الحق من بعد ما تبين له وجحده لا لشيء إلا لأن هذا المعنى لا يعجبه ولا يرضاه ولا يوافق هواه: أن يكون خالقه الذي يشهد له بأنه خلق وأحسن الخلق والتكوين، وأنه قد ظهرت إرادته جلية في خلق البشر أنفسهم ابتداء وإيجادهم في هذا العالم ثم إماتتهم فيه من بعد تمام آجالهم = مريدا لتكليفه هو وسائر بني آدم - من بعد خلقهم ذاك - وامتحانهم في الأرض بما يريد؟؟

لا يعجبه هذا الجاحد السفیه أن تبلغه شهادة من هذا الخالق على نفسه بأنه لهذا خلق الناس فيها ولهذا يميّتهم ثم يبعثهم كما خلقهم أول مرة! فبأي عقل وبأي حجة يدفع معنى إرسال الرسل وأمرهم ونهيهم وتكليف الناس وبعثهم بعد موتهم للحساب، من بعد ما جاءه الخبر بذلك ممن يقول إنه رسول من عنده؟؟؟

يقول من يعتنق هذه النحلة: أنا أؤمن بقوة خالقة ضرورية ولكنني لا أؤمن بإله متشخص (أي له صفات "الأشخاص" - بحسب مصطلحهم، ويقصد بذلك صفات السمع والبصر والإرادة وإرسال الرسل ومغفرة الذنوب والرحمة والغضب وغير ذلك مما أخبر به الأنبياء والمرسلون)! فبأي عقل نسب إلي تلك الذات إرادة الخلق والتدبير والقيام على أمر الكون أولا، ثم نفى عنها سائر الإرادات والصفات الأخرى التي أثبتها المرسلون ثانيا؟؟ وكيف فرق بين هذه وتلك مع أنه يدري أن تجريد تلك الذات المريدة الفاعلة من محاسن الصفات التي توصف بجنسها كل ذات مريدة فاعلة = نقص فادح وعجز واضح لا يقبله العقل في حق ذاك الخالق المدبر!! وأن الباب - الذي منه لزم بالعقل إثبات معنى الخلق والتدبير - هو نفسه الذي منه يلزم إثبات معاني الكمال في سائر صفات تلك الذات المدبرة، وأن أصل معنى الإرادة والقدرة والتدبير والاتصاف بصفات الكمال الذي به أثبت هو نفسه معنى الخلق والتدبير، يلزمه به قبول سائر ما جاء به المرسلون ولا بد؟؟؟ كيف يريد أن يسقط عن الخالق معاني صفاته التي أخبرنا بها الأنبياء، من بعدما دل العقل الصريح على أن ذاتا مريدة للخلق لا يمكن أن تتخلف عن أن تكون موصوفة بصفات الكمال كلها ولا بد، فهو يسلبه إياها سلبا، وقد شهد له - بالفعل - بأنه الخالق المتفرد بذلك، الذي منه جاء كل شيء؟؟؟

أو يوصف مثل هذا بأنه عاقل؟؟ هذا القول الساقط المتهافت الطافح بالكبر والجحود، أيها القارئ

الحليم الفطن، إنما هو الملة التي مات عليها ألبرت آينشتاين، صاحب النسبية، عبقرى العباقرة في القرن العشرين في الفيزياء والرياضيات! فخبرني بربك، ماذا أغنت عنه عبقريته الفذة تلك إذ مات على ذلك الجحود الفاحش لحقيقة لا تحتاج إلى ذكاء أصلاً فضلاً عن النبوغ والعبقرية، حتى يشهد بها الإنسان من بعد ما تبلغه؟؟ وكيف تراه يكون حساب رجل بلغ من الذكاء مبلغاً كهذا، ثم ارتضى لنفسه ملة كهذه ولم يمت إلا عليها؟؟؟ نسأل الله العافية والثبات على الحق حتى نلقاه!

إنه الكبر والجحود، ذلك الذي أورث السفه المحض لرأس من أبرز رؤوس الإبداع والنبوغ في العالم، والله المستعان !!

وأنا أعلم أن من الملاحظة من قد يقرأ هذا الكلام الآن فبدلاً من أن يراجع نفسه ويقف معها وقفة جادة صادقة يحملها على قبول الحق حملاً حثيثاً قبل ألا يجدي الندم، تراه يجادلني في ملة آينشتاين التي مات عليها، يقول كلا بل كان يقول كذا وكذا، ولم يكن يرى في الدين إلا كذا وكذا!!! وأقول له: إنما ضربت لك المثل أيها الذكي النابغة لبيان المراد، فاعقله إن كنت فاعلاً !!

أليس من السفاهة أيها العقلاء أن يؤتى رجل من الناس بآلة من الآلات، ثم بدلاً من أن يبدأ بالسؤال عن الغاية التي من أجلها صُنعت تلك الآلة حيث صُنعت وكما صُنعت حتى يضعها فيما صُنعت له، تراه يتفنن في تفكيكها وتركيبها وتعديلها والعبث بها، يستعملها في كل شيء إلا فيما من أجله صنعها صانعها، بل وتراه يدعي - وبملىء فيه - أن من أجزائها ما هو عشواء في عشواء، ومنها ما لا وظيفة له ولا غاية من وجوده أصلاً؟؟؟ أليس من بدهيات العقل أن ندأ قبل أن نسأل كيف تعمل ماكينة الحياة، بالسؤال: لماذا صُنعت تلك الماكينة ابتداءً، ومن الذي صنعها وماذا يريد منها، ومن ثم ننتقل في معرفة وظيفة كل جزء منها وكيف نضعه في موضعه الصحيح؟؟؟ إنما مثل هذا الجحود المبين كمثل صنيع الأطفال: إن وضعت في يد أحدهم آلة من الآلات أتلفها، أو على أحسن تقدير استعملها في هلكته أو في غير ما صُنعت له، ثم إن نصحته أو عاتبته وجدته يزعم أنها لا صانع لها أصلاً حتى يرجع إليه أو يسأله لأي غاية صنعها!! هذا مثل من جحد الحق بعدما تبين له، وكفر بما أنزل الله على رسله من بعد ما سمعه! أرايت الطفل تحدثه أمه تقول له لا تضع هذا الشيء في فيك وإلا مرضت، فيغضب منها ويثور عليها ويفر من البيت فراراً حتى يتمكن من التلذذ بما يهوى بعيداً عن أمرها ونهيها، ثم إذا ما

حدثته وعاتبته قال لك: "أنا لا أم لي، أنا جئت إلى الدنيا من غير أم"؟ أأست تضحك من قول ذاك الطفل العنيد المكابر؟؟ فهكذا الملحد!! سفيه ينكر ضرورات العقل اتباعا لهواه، يكره أن يأتيه من يأمره بأمر ربه وينهاه! سفيه مهما كان مقدار ما لديه من الإحاطة بكيفية عمل تلك الآلة وتركيب أجزائها وما كان عليه من النبوغ والعبقرية في فهمها: آلة الحياة الدنيا !! جاء إلى الدنيا غير راغب ولا مختار، نبت جسده في بطن أمه دونما اختيار منه، ونما وتفتق عقله وميز ووعى من غير إرادة منه، وهو يعلم أنه خارج منها كذلك لا محالة مهما طال عمره فيها، شاء أم أبى، ثم بدلا من أن يسمع كلام من جاءه بالوحي من خالقه يخبره بالغاية التي من أجلها خلقه الله فيها وآتاه ما آتاه من المتاع فيها، تراه يأكل كما تأكل الأنعام، يعرض عن الحق ويسفهه ويسخر منه ومن أهله، ويكتفي باتباع ظنون آبائه وأجداده وفلاسفة بلاده كيفما وجدها!! فهل من سفاهة فوق هذه يا أولي الأحلام؟ دعوني أحدثكم بما هو أسفه من هذا! ما ظنكم برجل بلغه ذلك الحق، وسمعه بما يكفي كل عاقل صادق مع نفسه حتى يجهد في طلبه وتلقيه وتعلمه والدخول فيه، ثم إذا به يهمله ويحقره، ويتخذ من علم من علوم الدنيا التي بين يديه، التي جمع أطرافا منها ببعضها البعض، طريقا لمعرفة جواب تلك الأسئلة الكبرى كلها التي ما بعث الله المرسلين إلا لبيان جوابها للناس: يريد من علم مادته تلك الجزيئات التي يراها في الكون من حوله، أن يوصله إلى علم مادته ما وراء الكون وخبر ما كان قبله وما هو كائن بعده!!! يريد أن يعرف لماذا نحن في هذه الدنيا، من أين جئنا وإلى أين نحن ذاهبون من بعدها!!!! ثم ما قولكم في زعمه إنه انتهى بعد مشوار عمره الطويل من البحث والنظر في علوم الفيزياء والفلك إلى أن الخالق لا داعي لوجوده البتة، لأن الكون كان سينشأ لوحده لا محالة، بتأثير "قوانين الفيزياء النسبانية والكماتية"؟؟؟؟؟ سبحانك ربي لك في خلقك شؤون وشؤون!!

هذا السفيه صاحب تلك الرحلة العشاء والغاية النكراء والنتيجة السوداء، إنما هو الفيزيائي الانكليزي الشهير المدعو "ستيفن هوكينج"! هذا القعيد المسكين (أقولها على وجه التحقير لا العطف والشفقة) الذي جاوز الثمانين عاما، المحمول على مقعد متحرك لا يقدر فيه إلا على تحريك عضلتين في فكه يتلقى بهما الطعام والشراب ويحركهما حركات مخصوصة ليفهم الكمبيوتر تلك الحركات ويترجمها إلى كلام يفهمه الناس، خرج علينا قبل بضعة أيام بتصريح قرر فيه أنه بعد تاريخ طويل من

البحث في أسئلة الكون الكبرى، ومن الدمج بين فيزياء الكم وفيزياء النسبية، توصل أخيراً إلى أن وجود الخالق إنما هو قدر زائد عن الحاجة ولا داعي له !!

هذا الرجل قد يكون نابغة من نوابغ العصر في الفيزياء والفلك.. ولكنه لم يتكلم بما تكلم به من الهراء في دائرة الفيزياء والفلك، وإنما فيما وراء الفيزياء والفلك! أيخفى على من في مثل ذكائه ونبوغه أن تلك الصنعة التي بين يديه، ليست - بطبيعة أدلتها المعرفية وأدواتها البحثية - توصل إلى نتيجة كهذه، ولا يمكن من خلالها معرفة الأصل الأول لهذا الكون (أعني - وعلى التنزل معهم - ما كان قبل ما يؤمنون به من انفجار كبير وما كان قبل ذلك!!؟؟) كلا لا يخفى عليه! ولو ادعى أنه يؤمن بصدق بأن العلم الطبيعي ينتهي بالناس ولا بد إلى نفي ضرورة العقل لوجود الخالق (العلة الأولى)، فإنما هو كذاب مكابر، يسفه نفسه سفاهة لم يسجل لنا التاريخ البشري نظيراً لها!! فهو يعلم أنه بذلك يخوض في دائرة الفلاسفة ومادتهم لا في مادة العلم الطبيعي ومباحثها وأدلتها!! أيمكنه - بأدلة العلم الطبيعي الذي نبغ فيه وأتقنه - أن يثبت بطلان قول القائل: "مهما تصورت من قصة لنشأة الكون حتى صار إلى ما هو عليه الآن، فإن هذا كله من صنعة الخالق المدبر الذي يضطرنا العقل لإثبات وجوده"؟ أبداً والله لا يمكنه، ودونه إلى ذلك خرط القتاد!! وإنما تراه يجيب من يقول بهذا القول بقوله إن هذا إنسان بائس لا يريد أن يتخلى عن الدين وأساطير الأولين ويحاول بأي طريقة أن يبحث عن (فجوة) من فجوات العلم الطبيعي يضع فيها إلهه لينام قرير العين!!! فهل هذا كلام من يقف في دعواه العريضة تلك على شيء؟؟ كأنما صار من يثبت ضرورات العقل الواضحة الآن ويتمسك بوجود الخالق ووجوب تلقي الخبر عنه ممن يرى ثبوت نبوته = "مسكيناً" "بائساً" يحاول أن يتمسك بشعرة من هنا أو هناك في وجه تيار "العلم" الجارف الذي يكسح جميع الأديان!!! هذه وربي هي السفاهة بعينها! عندما يقال لنا كما قال إمام الملاحدة الجدد البريطاني ريتشارد دوكينز إن البشر قد بلغوا من العلم الطبيعي ما أن معه أو أن "الوعي العقلي" للناس - *Consciousness raising* على حد تعبيره - حتى يتمكنوا من التخلي عن ثوابتهم العقلية والفطرية وقبلوا كوناً لا خالق له ولا مدبر، وعندما تتحول ضروريات العقل إلى محل للنزاع بين قوم ليست تدخل مناقشة تلك القضايا في مادة بحثهم ونظرهم أصلاً = فأى عقل يكون هذا وماذا بقي بعد ذلك من وصف أليق بصاحبه من محض السفاهة؟؟

دع عنك الآن مسألة قوة وطبيعة الدلالة التي بها يرسم هؤلاء سيناريو النشأة الأولى الذي يتوهمونه للكون بناء على ما يرونه الآن جاريا فيه (وهي مسألة فلسفية بالأساس)، وخبرني بربك الذي خلقك فسواك فعدلك، بأي عقل وبأي دليل من أدلة الفيزياء والفلك يقال إن وجود الخالق المدبر "لا داعي له" أو بعبارة أدق (لا موجب له)؟؟؟ وأي شيء هذا إن لم يكن آية بينة على إباء واستكبار متجذر في تلك القلوب الخبيثة، وتمحل ظاهر للهروب من الإقرار بضرورة وجود الخالق ومن ثم الالتزام بقبول رسالات المرسلين والخضوع لما بعثهم به رب العالمين؟؟؟ فليكن هذا المسكين من عباقرة الفيزياء والفلك، وليكن ممن صالوا في المعامل وجالوا في قاعات المحاضرات في تلك البلاد، وضعوا نظرية هنا وقانونا هناك وقاعدة هنالك، بل وليكن من أولئك القلة الثوريين عبر التاريخ الذين جددوا هذا العلم نفسه وأعادوا بناءه من جديد على قواعد جديدة كما فعل أينشتاين ومن قبله نيوتن وغيرهما = هم بجحودهم ذاك: سفهاء متمحضون في السفاهة مهما عظمهم الناس!! ولعمر الله إن رجلا من عامة المسلمين ممن يحقره الناس، ممن لا نبوغ لهم في صنعة من صناعات العلم = لأحظى وأسعد بعقله الضعيف وعلمه الدنيوي الضئيل من هؤلاء السفهة المتكبرين ومن تبعهم على سفاهتهم، وهو خير في ميزان الحكمة منهم مجتمعين!! فإن الحكمة وضع الشيء في موضعه! فالذي لم يعرف لأي غاية صُنع ذاك الشيء الذي يبحث فيه ويجهد في فهم آليته، فضلا عن الغاية التي من أجلها خلقت تلك الأداة نفسها التي يبحث بها.. أنى لمثله أن يضعها في موضعها؟ أسعد أصحاب الصناعات والتقنيات بعلوهم في الأرض وهم لا يعلمون إلى أي منقلب ينقلبون من بعدها؟؟ أيحسبون أنها تغنيهم عن معرفة ما به يستقيم لهم أمر ما يلقونه بعد موتهم؟؟ هيهات! إذا كانت الناس تتفاوت في قواها العقلية والإبداعية وأنواع الذكاء الطبيعي التي يجدها كل منهم في عقله، فإنهم يتفاوتون كذلك في ابتلائهم بها! فكلما كان الإنسان أعظم عقلا وأقوى نظرا وفهما، كان ابتلاؤه بهذا العقل أشد وأخطر! وهذه سنة الحياة الدنيا: كلما عظم فيها العطاء، عظم به الابتلاء! فإن العبقرى النابغة الذي أذهل الناس بنبوغه، أيا كانت صناعته التي ظهر فيها نبوغه ذاك، إمام متبوع من عامة الناس لا محالة، يقلدونه على أقواله وأفعاله لا محالة، فإما أن يجمعهم على حق فيسعد بهم ويسعدون به، وإما أن يحشرهم إلى أبواب جهنم من خلفه حشرا، ويبوء بذنبه وذنبهم يوم لا يجدي الندم!! فهما ثنتان لا ثالث لهما!! والعاقل من احترز لنفسه! وقديما

قال حكيم من حكماء المسلمين من سلفنا الصالح، لما فقه هذا المعنى الخطير: لأن أكون ذنباً (تابعاً) في الحق خير لي وأحب من أن أكون رأساً (متبوعاً) في الباطل !! وصدق وربي ! تأمل أيها العاقل كيف أن هذا "الهوكينج" المسكين، ما أن عقد العزم على تتبع نظرية النسبية ونظرية الكم والجمع بينهما بغية الوصول إلى أصل الكون والإجابة عن سؤال الخلق كما يدعي وعزم على أن يتخذ ذلك مشروعاً لحياته، حتى قضت مشيئة الله أن يبتليه بمرض نادر في الأعصاب لا علاج له فيما يعرف الناس، أخذ يهدم في جسمه هدماً بطيئاً حتى أوداه جثة هامدة لا يقدر صاحبها على تحريك شيء من جسده سوى عينيه وعضلتين في فكه!! فكأنما يقول له ربه: أفق، تأمل، اتعظ، ألا ترجع لرشدك؟؟ أمهلتك ثمانين سنة، وبلوتك بمرض مميت فأبقيتك به حياً لتتأمل فيما سلبتك إياه من النعم وما أبقيته لك.. ألا تدع عنك كبرك قبل أن أقبضك إلي ثم لا ينفعك الندم؟؟ ألا تفيء لما بلغك من الحق ولا يزال فيك قلب ينبض وعقل يفكر؟؟ ألا تصدق نفسك والناس وتقر بما علمت وتيقنت في نفسك أنه الحق؟؟ أما من أوبة إلى الحق قبل الممات؟؟ والله لكأنما يقول له: سلبتك نعمي الواحدة تلو الأخرى لعلك تتذكر أو تخشى، فإن إلف النعمة واعتيادها يُنسي أكثر الناس حق شكرها ويصيبهم بالغفلة، فما لي لا أراك تزيد إلا جحوداً ومكابرة وعناداً؟؟ سبحانك ربي ما أحلمك وما أرحمك !

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ لَّيَكُنْ يُوْخِزُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَيَأْتِيهِمْ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَغْفِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (النحل: 61)

بثست القلوب والعقول هذه مهما علت ونبغ أصحابها بها، ولشد ما تمحضوا فيه من السفاهة مهما وقرهم الناس.. فالحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة!

نظرية داروين.. تحت شفرة أوكام ومطرقة بوبر!!

الموحد: أنتم تزعمون أن كلام من تسمونهم بالخلقين فيما يسمى بنظرية *Intelligent Design* ونظرية *Irreducible Complexity* وغيرهما، ليس على شرط العلم الطبيعي *Scientific Method*، أليس كذلك؟
الملحد: بلى ولا شك . .

الموحد: فما قولك إن أثبت لك الآن أن نظرية داروين ليست على شرط العلم الطبيعي كذلك، ولا تدخل في حده فلسفيا؟

الملحد: هراء! نظرية داروين أضحت أساسا من أسس العلم الطبيعي في هذا الزمان، وعليها إجماع علماء الطبيعيات في شتى المجالات!

الموحد: دعنا نرجى الكلام على قضية الإجماع هذه حتى أفرغ من بيان ما عندي .

الملحد: لا بأس.. وإن كنت لا أرى فائدة من طرح دعوى كهذه للنقاش أصلا!!

الموحد: لا عجب! فهو دينك الذي تدين به وتعقد عليه قلبك، كما هو شأن سائر ملاحدة العلوم الطبيعية في هذا الزمان. فاسمع إذن ما عندي، وقارعني الحجة بالحجة إن استطعت!

الملحد (متبرما): هات ما عندك!

الموحد: أقول - ومن الله العون والسداد - ما قولك أولا في هذا التقرير: "إن كل دعوى لا يمكن تكذيبها من خلال أدلة تقوم على الحس والملاحظة والتجريب والاشتقاق الرياضي، فإنها لا توصف بأنها من دعاوى العلم الطبيعي"؟ هل توافقني عليه؟

الملحد: لا بأس به.. وهو موافق بالجملة لمبدأ مهم من مبادئ العلم الطبيعي التي قررها الفيلسوف

الانكليزي كارل بوبر، ألا وهو مبدأ قابلية التكذيب *Falsifiability*.

الموحد: عظيم. فكل دعوى لا يمكن نفيها من خلال وسائل العلم الطبيعي فإن صاحبها لا يوصف

كلامه بأنه من العلم الطبيعي. اتفقنا على هذا. وأضيف كذلك أن العلم الطبيعي يقوم على وضع

افتراضات *Hyopthesis* لتفسير المشاهدات والظواهر الطبيعية، ثم يجري الاختبارات

والتجارب ويجمع الملاحظات للنظر في صحة تلك الافتراضات من عدمها .
الملحد: نعم، هو كذلك .

الموحد: إذن نخرج من هذه المقدمة بنتيجة أن كل دعوى تفسيرية لظاهرة من الظواهر الطبيعية لا يمكن إثباتها بهذه الوسائل وبهذه الوسائل فقط، فإنها ليست من العلم الطبيعي في شيء.. فهل توافقني على هذا؟

الملحد: بلا شك .

الموحد: إذن فنظرية داروين في أصل الأنواع ليست من العلم الطبيعي في شيء !

الملحد: كيف هذا؟؟؟؟؟؟؟؟

الموحد: تقوم نظرية داروين على افتراض تفسيري يراد به تفسير نشأة الحياة على سطح الأرض ومعرفة أصل الأنواع.. أليس كذلك؟

الملحد (متحفظاً): بلى !

الموحد: تزعم النظرية أن الكائنات كلها انحدرت من أصل واحد بآليات "عشوائية" عبر بلايين السنين.. فأنث - بزعمها - سليل القردة العليا، والقردة العليا سليلة لكائن آخر يتسلق الأشجار، وهذا بدوره سليل لكائن من الزواحف، وهكذا وصولاً إلى الجد الأكبر: الكائن أحادي الخلية الذي نشأ صدفة في "شوربة" الأحماض الأمينية! وهذه الدعوى العريضة لا يمكن إثباتها بأي طريق من طرق العلم الطبيعي (هذا فضلاً عن تشوهها العقلي الفلسفي الأصيل الذي هو خارج عن مادة هذا الحوار)!
الملحد (غاضباً): ما هذا الكلام؟ بل هي ثابتة بمئات الآلاف من الأدلة كما لم يتوفر لنظرية من نظريات العلم من قبل !!!

الموحد: هذه الأدلة الكثيرة التي تدعوها ليست ظواهر تدل دلالة قاطعة للنزاع على ما تزعمون! وإنما هي ظواهر ترون إمكان تفسيرها بما يوافق نظريتكم، مع كونها في الحقيقة قابلة - كل واحدة منها بلا استثناء - لتأويلات واحتمالات أخرى لا حصر لها (وكل تأويل ينفي عمل الخالق المدبر عنها فهو مخالف لضرورة العقل)! لقد اشترط بوبر لإبطال نظرية من النظريات العلمية الطبيعية أن يكون بالإمكان - عقلاً - أن يظهر في يوم من الأيام دليل مادي مشاهد يقطع إما بصحة النظرية أو بطلانها.. فما هو الدليل الذي تطالبوننا به - من صنوف الأدلة الطبيعية - حتى نثبت لكم بطلان تلك النظرية؟؟؟
الملحد (بعد برهة من السكوت): نطالبكم بإثبات أن هناك خالقاً كما تدعون، من خلال وسائل العلم الطبيعي، وأن هذه الظواهر لا يمكن أن تقع على النحو الذي تصفها به نظرية داروين!

الموحد: وكيف يرام إثبات هذه الأشياء من خلال المشاهدات الطبيعية؟؟؟

ثم إننا معاشر الموحدين من أهل الإسلام - ولا يعنيني ما يظنه أو يدعيه من تطلقون عليهم اسم "الخلقيين" - لم نقل إن إثبات وجود الخالق يصح أن تلمس إليه طرائق العلم الطبيعي، أو أن شيئاً مما يشاهده الناس من المشاهدات الحسية في هذا العالم أيا كان يمكن أن يكون دليلاً نافياً لوجوده سبحانه!! فهو عندنا ضرورة عقلية ليس يرام إثباتها أو نفيها في المعامل وتحت المجاهر ولا يمكن ذلك!! وأما قولك "إثبات أنها لا يمكن أن تقع على نحو ما قال داروين" فهذا أيضاً ليس مناط النظر فيه قائماً على طلب المشاهدات الحسية والتجارب الإمبريقية، وإنما دائرة الاستدلال فيه نظرية عقلية محضة، مجالها في الحقيقة فلسفي وليس من العلم "الطبيعي"! وعند التمهيص الفلسفي يقال: إن الأحداث الأولى التي نشأت فيها الحياة يلزم عقلاً ألا تكون قابلة للقياس على ما يجري الآن من تطورات وتغيرات داخل سياقها وإطارها القائم، فلا يمكن لأي مشاهدة مما تشاهدون الآن أن تكون دليلاً على أي دعوى تدعوها بشأن النشأة الأولى لسائر أشكال الحياة على الأرض!! إنكم غاية ما تقولونه وتدندنون حوله في نظرية داروين أنها أول تفسير مادي يرقى - بزعمكم - لأن يكون بديلاً يغني عن القول بوجود الخالق أو "السبب الأول"!! فهل هذه دعوى يمكن لنا أن نطلبها يوماً ما من خلال اكتشاف حسي طبيعي تسري عليه شروط العلم الطبيعي؟؟؟

الملحد: نعم . .

الموحد: كيف؟

الملحد: أن نكتشف أثراً حسياً مباشراً لذلك العامل الخارق للطبيعة الذي يتدخل في أحداثها ويوجهها ذلك التوجيه "الذكي" الذي تقولون به!!

الموحد: نحن نقول إن هذا النظام المحكم الدقيق الذي تمشي عليه عناصر هذا الكون من حولنا، بما فيه ذوات أجسادنا، لا يطلب العقلاء دليلاً أظهر منه على وجود الخالق الحكيم الذي خلق كل شيء وقدره تقديراً.. ولا تحتاج عقولنا إلى رؤية هذا الخالق نفسه رأي العين حتى نؤمن بضرورة وجوده! بل أزيدك أننا قد علمنا من كتابه الذي أنزله على رسوله ومن دلالة العقل بما بوافقه أنه لو أظهر الرب نفسه للناس في هذه الحياة الدنيا لآمن الناس كلهم أجمعون ولظلت أعناقهم لتلك الآية خاضعين، ثم هم لا ينظرون بعد ذلك ولا يكون لبقائهم في دار الامتحان من معنى! ولذا فإن العقل يلزم منه ألا يقع ذلك الحدث الأكبر إلا في نهاية الزمان، وهذا هو عين ما ينص عليه القرآن! لن نراه سبحانه جهرة إلا يوم تنشق السماء وتقوم الساعة ويكون قد قضى أمر الحياة الدنيا كلها! ثم إن قولك بأنه يتدخل في

أحداث العالم هذا قول باطل تحتاج إلى إخراج دليل ينفيه (من جنس أدلتك الطبيعية، ولا يمكنك ذلك)، والعقل الصحيح يرفضه (على هذا التصور) ! فالقائل به يزعم بموجه أن الخالق في الأصل لا فعل له في العالم ولا تأثير، إلا عندما "يتدخل" و"يوجه" من حين لآخر، وهذا يخالف ضرورة العقل التي توجب أن يكون لهذا الخالق سلطانا تاما غير منقوص على سائر خلقه، وإلا انتقضت صفة كمال العلم اللازمه له عقلا، والآن أدعوك إلى التأمل في هذه الحجج التي تقدم ذكرها، هل هي من العلم الطبيعي في شيء؟؟؟؟

الملحد: كلا، ولهذا نقول لكم إن الخلق ليس تفسيرا علميا ولا كافيا !!

الموحد: مهلا مهلا! من الذي قال إن علوم البشر لا سبيل لتحصيلها إلا طرائق العلم الطبيعي *Scientific Method*؟؟؟ إن كنت تقصد بالتفسير العلمي ما يدخل تحت شروط العلم الطبيعي، فنعم صحيح، حدث الخلق الأول ليس يمكن إثباته ولا نفيه بأي وسيلة من وسائل العلم الطبيعي، وكذلك ما نزعمه من كون الرب جل وعلا حاكما في الغيب على كل صغيرة وكبيرة في هذا الكون! فلا يلزمني ما يدعيه غيري من أهل الملل الأخرى، ولا يضيرني - كذلك - ألا توصف حججي بأنها حجج "علمية" على اعتبار المراد باصطلاح العلم في هذا السياق (العلم الطبيعي)!! وأما قولك "كافيا" فمن الذي قال إن حدث الخلق الأول يمكننا - عقلا - أن نقيسه على شيء مما يجري الآن في العالم حتى نروم "تفسيره" تفسيرا "كافيا"؟؟؟ هذا افتراض باطل فلسفيا من الأساس !!

فالحاصل أنه لا يمكن أن تأتوا بدليل قاطع للنزاع في شأن هذا الحدث إلا أن ترحلوا إلى الماضي السحيق لتقفوا على مشاهدته عيانا (وهيئات). وإلا فإن كل ما بين أيديكم مما تجعلونه دليلا لرواية التاريخ الطبيعي عندكم، عند مخالفكم تأويل له يتفق ويعضد زعمهم بأن الرب هو خالق كل شيء، وأن قصة أصل الأنواع كما يتخيلها داروين هذه لم تقع! فإذا ما أردنا الترجيح بين التفسيرين، ألجأنا ذلك إلى طرائق الفلسفة والاستدلال العقلي والموازنة بين التاويلات المطروحة للملاحظات، وليس إلى أدوات العلم الطبيعي والملاحظات الحسية الصريحة والتجارب التي يمكن أن تقدم لنا محاكاة مقبولة عقلا . فكيف يقال مع كل هذا إن تلك النظرية على شرط وحد العلم الطبيعي؟؟؟

تقولون إن نظرية داروين لا تعطي دليلا قطعيا وإنما دليلا ظنيا، تزداد قوته ورجحانه بتراكم الأدلة من جنسه ومرتبته، وهذا طريق معتبر في الاستدلال العلمي الطبيعي كما في أبواب *Forensic*

Sciences! وأقول إن مبدأ قبول تراكم الأدلة الظنية وتقوية بعضها البعض - من حيث الأصل الفلسفي - مبدأ صحيح عقلا لا مطعن فيه، وهو معمول به في سائر العلوم. ولكن عندما تكون تلك

الأدلة كلها مبنية على نظرية فاسدة من حيث الأصل العقلي، إذ يراد بها منازعة ضرورة من ضروريات العقل وإبطالها، فإنه مهما تراكت تلك الأدلة الظنية فإنها لا يكون لها قيمة!! تماما كمحقق الشرطة الذي يصير على جمع مزيد من "الأدلة" على أن القاتل هو فلان الذي بنى نظريته حوله، مع أن القاتل قد اعترف بالفعل وقدم نفسه للعدالة!!! لهذا ترانا نقول بكل ثقة: "إن هذه الأدلة المزعومة ليست إلا نظريات وافتراضات مهما كثرت وتراكت!!" فالفرضية الأصلية التي يراد الاستدلال عليها بتفسيرات الدراوينيين لما بين أيديهم من المشاهدات المتراكمة، فاسدة من حيث الأصل الفلسفي، وفسادها نبينه لهم بحججه الدامغة من قبل أن يدخلوا بها معاملهم يجعلونها من نظريات العلم الطبيعي التي يتصور إمكان إثباتها بأدلة العلم الطبيعي! إنكم معاصر الداروينيين تخرجون نظرية بيهي *Irreducible Complexity* - على سبيل المثال - من دائرة العلم الطبيعي لأنها تفترض تفسيراً لا يمكن نفيه من خلال وسائل العلم الطبيعي، فهلا دلتُمونا على الطريقة العلمية الطبيعية التي يمكننا بها أن نبطل نظرية داروين إن أردنا ذلك؟؟؟ ثم إنكم تدّعون أن نظريات "الخلقين" تخرجها شفرة أو كام *Occam Razor* من دائرة التفسيرات النظرية المقبولة عند المقارنة بنظرية داروين، مع أن هذه الشفرة لم تخرج أصلاً إلا في الكنيسة لإثبات أن كل محاولة لتفسير الغيبات بشيء إضافي إلى سلطان الخالق الواحد فإنه أمر مرفوض عقلاً! أما أنتم فتريدون الانتصار بهذه القاعدة لنظرية داروين! تقولون إن نظرية داروين أوفق كتفسير لأنها لا تتطلب الكثير من الفرضيات التي تحتاج كل منها في ذاتها إلى تفسير مقبول عقلاً، في مسلسل من التفسيرات بخلاف عقيدة الخلق. وأقول إن هذا من انقلاب المنطق وعمى البصيرة بمكان! فالذي يتأمل في نظرية داروين يجد أن كل ما يجعله العلماء الطبيعيون دليلاً على صحتها فإنه قابل لتأويلات عدة، كل تأويل منها يحتاج إلى تفسير للكيفية التي وقع بها الحدث على ذلك النحو المزعوم دونما تقدير مسبق ودون ضابط خارجي حاكم يمنع من هلاك الكائنات وانهايار منظومتها المتزنة انهاياراً كلياً في أي حلقة من حلقات تلك السلسلة الطويلة فاحشة الطول من أحداث يفترض - على خلاف مقتضى العقل الصحيح - أنها لم يحكمها حاكم كوني ولم يضبطها في أصلها ولا في تتابعها أي توجيه مسبق لغاية محددة! ثم إنكم تغفلون مشكلة الأصل الأول وراء هذه القصة - وهو ما لا جواب له عقلاً إلا الخلق - وتغرقون في تسلسل لا ينتهي ولا تعلمون طريقاً لإنهائه أو الخروج منه!! وإلا فمن أين أتى ضابط الانتخاب ومن الذي قرر قاعدته في نظام الأشياء في الابتداء، ومن أين جاءت الحياة التي دبّت في الخلية الميتة فجعلتها كائناً حياً؟؟ وهل ترون في مشاهدات العالم ما يمكن بالقياس عليه محاكاة هذا الحدث في المعامل والطمع في الوصول إلى دليل "طبيعي" على

وقوعه كما تعزمون؟؟؟ كل هذه الإشكالات الفلسفية الكبرى وتقولون إن شفرة أوكام ترفع نظرية داروين فوق القول بالخلق؟؟؟ ما أسهل الدعاوى!! بالله أين هذا العبث الفلسفي المحض باسم العلم الطبيعي من قول واحد رشيق مفاده أن الله جل وعلا قد خلق كل هذا الخلق وقدره بمقدار دقيق - كما هو واضح جدا لا تخطئه أبصار الناس! - لا مزيد عليه ولا حاجة للزيادة عليه أصلا؟؟؟ نعم ليس هذا القول من العلم الطبيعي، ولكن من الذي قال إن جواب هذا السؤال يجب ألا يأتي إلا من العلم الطبيعي؟؟؟ إن قول القائل منكم بأن وجود الخالق يضع أماننا مجهولا هو - ولا بد - أشد تعقيدا من المسألة المطلوب تفسيرها، هذا لا يؤثر على صحة ذلك القول في قليل ولا كثير! نعم هو مجهول بالنسبة لأدوات العلم الطبيعي، ولا سبيل لمعرفة شيء عنه من ذلك الطريق، ولكننا لم نجعله من جملة العلوم الطبيعية ولا عددناه نظرية في علم الأحياء معرضة لأن يأتي ما يفضلها فيقدم عليها في يوم من الأيام! إن الخالق ضرورة عقلية ينتهي بها التسلسل نهاية حتمية لا مفر منها، وهو - بضرورة العقل كذلك - فوق سائر تصورات العقل ولا تخضع ذاته وكيفيته للقياس العقلي! وأما صفاته فلا نعرفها في المعمل، وانما نتعلمها من الوحي المنزل! فإذا ما وقفنا في المعامل لم نر - أبدا - إلا ما يصدقها أتم تصديق! هذا هو محل نزاعنا معكم يا أتباع القرد داروين! إنه محل فلسفي عقلي محض، لا مدخل فيه للعلم الطبيعي أصلا! فإن كانت نظريات "الخلقين" مرفوضة بسبب أنها ليست من العلم الطبيعي، نظرية داروين أخرى بأن ترفض لذات العلة، فالإشكالية الفلسفية واحدة، وهي محل النزاع بين الفريقين!! ولا قيمة لدعوى الإجماع عليها، فإن هذه ليست المرة الأولى التي تتفق فيها أروقتكم الأكاديمية على فلسفة من الفلسفات الباطلة، أو يتفق فيها علماء الطبيعيات على نظرية علمية في عصر من الأعصار ثم لا تلبث أن يثبت بطلانها وتضطرون لقبول نظرية أخرى في مكانها، فيزول الإجماع وكأنه لم يكن! ثم إن خلافا فيما نختلف فيه خلاف فلاسفة وعلماء ملل لا خلاف لعلماء أحياء أو علماء جيولوجيا أو غير ذلك من الممارسين في تلك المجالات!! ومعلوم أن فلاسفة العلوم منهم الملاحدة نفاة الخالق ومنهم المسلمون وأهل الكتاب.. فلا إجماع أصلا بين أهل الاختصاص في دراسة تلك القضايا!! عند هذا، سكت الملحد ولم يدر بم يجيب!!!

الرد على شبهة أثارها بعض الأشاعرة على كلام شيخ الإسلام في درء التعارض

الحمد لله وحده : أما بعد... فقد ساق إلي أخ فاضل كلاما في أحد المنتديات هذا نصه:

(ابن تيمية يقدم العقل على النقل

-بعد أن شنع ابن تيمية على العلماء في بداية كتابه درء التعارض وأقام الدنيا عليهم وأتهمهم بأنهم يضعون لأنفسهم قانونا يعارضون به النصوص فما وافق عقولهم قبلوه وما خالف قانونهم رفضوه [مع أن هذا اتهام باطل] إلا أنه تراجع تماما ولم يجد بدا من القول بنفس الكلام وأتباع نفس القانون أبعد خطوات قليلة من بداية الكتاب ، وهذه عبارة الفخر الرازي في أساس التقديس [اعلم ان الدلائل القطعية العقلية اذا قامت على ثبوت شيء ثم وجدنا ادلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك أفهناك لا يخلو الحال من احد امور اربعة :

1- اما ان يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين وهو محال ، 2- واما ان يبطل [اي يكذب مقتضى النقل والعقل] فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال ، 3- واما ان يصدق الظواهر النقلية ويكذب الظواهر العقلية، وذلك باطل [لاحظ اخي الحبيب ان معنى هذا الكلام ليس ردا للنصوص كما يدعى ابن تيمية واذياله وانما معناه البحث عن معنى آخر للظواهر النقلية غير ما يبدو منها لأول وهلة لأن الظواهر النقلية ظنية الدلالة تحتل اكثر من معنى أخرى ركز معنى العلماء لم يردوا النصوص بالعقل كما يشغب عليهم ابن تيمية واتباعه وانما بحثوا عن معنى آخر غير الظاهر على مقتضى اللغة العربية كما فعل اهل الفقه والاصول والتفسير واللغة] لأنه لا يمكننا ان نعرف صحة الظواهر النقلية الا اذا عرفنا بالدلائل العقلية اثبات الصانع وصفاته وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم أو لو جوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهما غير مقبول القول أو لو كان كذلك لخرج ان يكون مقبول القول في هذه الأصول أو اذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة - فثبت ان القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي الى القدح في العقل

والنقل معاً وأنه باطل ، ولما بطلت هذه الاقسام لم يبق الا ان يقطع بمقتضي الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية اما ان يقال انها غير صحيحة [إنته: هذا ليس ردا لها وإنما بحث في السند ربما تكون ضعيفة او مروية بالمعني او غير ذلك فليس ردا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم] او يقال انها صحيحة الا ان المراد منها غير ظواهرها [مثل الآيات القطعية الثبوت الظنية الدلالة أو الاحاديث الصحيحة السند الظنية الدلالة] [التوضيح الذي بين الاقواس من عندي] ، ثم ان جوزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل أو ان لم يجز التأويل فوضنا العلم بها الي الله تعالى ، فهذا هو القانون الكلي المرجوع اليه في جميع المتشابهات.

- وارجو التركيز على النقطة الاخيرة من هذا القانون اذا تعذر اجراء المتشابهات على الظاهر لجأنا الي التأويل واشتغلنا به أو اذا تعذر التأويل ووجدنا ان التأويل سيضر النص وسيخالف قواعد وثوابت اخري في الشرع لجأنا الي التفويض أي تفويض العلم الي الله تعالى كما قال [فردوه الي الله والرسول] -ركز في هذا الكلام [يقول ابن تيمية -درء التعارض ج 1 ص 86-87]

[-الوجه الأول : -اما ان يريد به " أي بهذا التعارض " القطعيين فلا نسلم امكان التعارض حينئذ] وهذا ما قرره الفخر الرازي " لا تعارض بين قطعيين " واما ان يريد به " أي التعارض " الظنيين فالمقدم هو الراجح مطلقا] وهذا ما قرره الفخر الرازي [لا تعارض بين ظنيين]

- واما ان يريد به ما احدهما قطعي ، فالقطعي هو المقدم مطلقا [وهذا ما قرره الفخر الرازي] لا تعارض بين قطعي وظني]

- واذا قدر ان العقلي هو القطعي كان تقديمه لكونه قطعيا لا لكونه عقليا [ما هذا ؟ هذا اعتراف بوجود الدليل العقلي القاطع ، ومعارضته للدليل النقلی الظني أفيقدم القطعي على الظني أو لكنه اضاف اضافة جديدة وهي : ان التقديم حصل لكونه قطعيا وليس لكونه عقليا أما الفرق ؟ اذا كان الدليل العقلي مقديما في الحالين ؟

[فعلم ان تقديم العقلي مطلقا خطأ] لم يقل احد بذلك ألم يقل الفخر الرازي بتقديم العقلي مطلقا وفي كل حال على النقلی وانما ربط تقديم العقلي على النقلی اذا كان العقلي قاطعا والنقلی ظنياً،

[كما ان جعل جهة الترجيح كونه عقليا خطأ] لماذا؟ لم يوضح ذلك ولم يذكر مثالا أم ان الموضوع

مجرد فرض لكلمة عقلية؟ أم ان الموضوع مجرد الكلام واللعب بالالفاظ؟

وبهذا يتبين انه في لم يرد عليهم وانما كرر نفس الفاظ الفخر الرازي

-واليك هذا الكلام لابن تيمية يصرح بتقديم علم العقل على النقل بنفس الشروط التي اشترطها

الأشاعرة: [يقول ابن تيمية في درء التعارض ج 1 ص 137 -الوجه الخامس:

[أنه اذا علم صحة السمع أو أن ما أخبر به الرسول فهو حق أفاما أن يعلم أنه أخبر بمحل النزاع أو يظن

أنه أخبر به أو لا يعلم ولا يظن، فإن علم أنه أخبر به [أي أخبر بمحل النزاع في المسألة] امتنع أن يكون

في العقل ما ينافي المعلوم بسمع أو غيره أفإن ما علم ثبوته أو انتفاؤه لا يجوز أن يقوم دليل يناقض ذلك،

وإن كان مظنونا أمكن أن يكون في العقل علم ينفيه أو حيثئذ فيجب تقديم العلم على الظن لا لكونه

معقولا أو مسموعا بل لكونه علما كما يجب تقديم ما علم بالسمع على ما ظن بالعقل وإن كان الذي

عارضه من العقل ظنيا فإن تكافؤ وقف الأمر وإلا قدم الراجح، وإن لم يكن في السمع علم ولا ظن فلا

معارضة حيثئذ فتبين أن الجزم بتقديم العقل مطلقا خطأ وضلالاً [نفس الكلام السابق بأسلوب آخر،

مع ملاحظة أن الأشاعرة ولا واحد منهم قال بتقديم العقل مطلقاً مهما كان على النقل وانما محل

النزاع هو: التعارض بين الدليل العقلي القاطع وظاهر الدليل النقلى الصحيح او القاطع ايضا وهذا ما

اوجب على العلماء التأويل أى تأويل ظاهر الدليل النقلى وحمله على ما يليق بالله تعالى لأن ظاهر

الدليل النقلى في هذه الحالة يصبح ظنى الدلالة مثل: الدليل العقلي يقطع بأن الله ليس بجسم ولا مركب

من اعضاء والدليل النقلى القاطع يقول [يد الله فوق ايديهم] فاما ان نتوقف كما توقف الصحابة ولم

يسألوا ولم يحملوا على الظاهر أو اما ان نؤول هذا الظاهر الى معنى يليق بالله تعالى وتحمله اللغة،

فتؤول [اليد] حسب السياق داخل النص

مثل قوله تعالى [سنفرغ لكم أيها الثقلان]

لا يمكن نسبة الفراغ من العمل الى الله تعالى فلا بد من التأويل ، قال اصحاب اللغة :

ان الفراغ من العمل لا يليق بالله تعالى لأنه لا يشغله شيء عن شيء ولا شأن عن شأن أسواء في الدنيا أو الآخرة أفشبه سبحانه وتعالى الفراغ من العمل بالقصد أي القصد إلى حسابكم أجامع التمكن في كل أ ثم حذف المشبه أو تنوسي التشبيه، وادعى ان المشبه من جنس المشبه به أ ثم استعار من الفراغ الفعل - فرغ -- على سبيل الاستعارة التصريحية أ وخرجت الآية مخرج التهديد .

قال الزجاج :

ان الفراغ في اللغة على ضربين أحدهما الفراغ من الشغل أو الآخر القصد للشيء والاقبال عليه أكما هنا وهو تهديد ووعد تقول أسأفرغ لفلان أي سأجعله قصدي شبه تدبيره تعالى أمر الآخرة من الأخذ في الجزاء أو إيصال الثواب والعقاب إلى المكلفين بعد تدبيره أمر الدنيا بحال من اذا كان في شغل يشغله فإذا فرغ من ذلك الشغل شرع في أمر آخر .

-وقال الزمخشري : مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك أريد ، سأتجرد للايقاع بك

-الخلاصة : ابن تيمية تراجع وهدم ما بناه في كتابه درء تعارض العقل والنقل -هدم ما بناه في نفس

الكتاب -واعترف بصحة قانون تأويل المتشابه عند الأشاعرة لأنه قانون متين وضعه علماء كبار

استمدوه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ابن تيمية قدم العقل على النقل -

هل من معترض ؟

الرد على هذه الشبهة

وسأجيب - بعون الله تعالى - عن هذا الكلام فقرة فقرة، ولكن سأبدأ أولاً بتمهيد قد يطول بعض

الشيء، أحرر فيه المصطلح قبل استعماله، فإن أكثر النزاع والخلط في معرفة مراد المتكلم من كلامه

إنما يأتي من الغفلة عن تحقيق هذه الضرورة العلمية قبل الاعتراض.

أولاً: عندما نطلق الكلام عن العقل، فماذا نقصد؟ أي عقل نريد؟ عقل زيد أم عقل عمرو أم عقل فلان

أم فلان؟ فإن العقول تتفاوت وتختلف اختلافا لا ينكره عاقل! ولو قال قائل "إنني لا أقبل الدلالة

الظنية للنص (س) إذ خالفت ما هو عندي بمثابة الدليل العقلي القطعي (وسمّه: ص)، فأنا أنصرف إلى تأويل ظني للنص (س) يتسع له لسان العرب بما يوافق هذا المعنى القطعي عندي أو أتوقف وأفوض العلم لله"، هذا القائل بأي ضابط نقبل منه صنيعه ذاك؟ إن قلنا إننا نعدم ذلك الضابط بسبب هذا التفاوت بين عقول البشر، فقد أضعنا الدين وفتحنا الباب لكل أحد يقول هذا النص ظاهره يخالف ما هو من القطعيات العقلية عندي فأنا أذهب إلى تأويله وصرفه عن ظاهره وجوبا لهذه السبب! فأين ضابط ذلك وأين جماعه وخطامه؟

الضابط أن نبدأ أولاً بتحرير معنى القطعيات العقلية تحريراً واضحاً نتفق عليه. فنقول إن القطعي العقلي هو ذلك المعنى الذي لا يختلف العقلاء في صحته، ويلزم من بطلانه فساد العقل وفساد الدين نفسه. إلى هذا الحد وبهذا التحرير، لا أظن أنه يسع أحداً من مخالفينا أن يقول أننا تحجرتهم أو تعسفتم في تعريف معنى القطعي العقلي وإخراج ما سواه منه! بل هذا التحرير واضح والله الحمد لا يخالف ولا يماري فيه أحد. وهذا القطعي العقلي - بهذا المعنى - هو ما يتفق كل من شيخ الإسلام ابن تيمية والفخر الرازي رحمهما الله على أنه لا يتعارض بحال من الأحوال مع ما هو قطعي الدلالة من النصوص، وعلى أنه إن جاءنا نص ظني الدلالة ظاهره معارضته فإننا ننظر في ثبوته فإن ثبت فإننا ننظر في تأويله وهكذا.

وإنما يظهر الإشكال ويقع النزاع عند تنزيل صفة القطعية على بعض المعاني التي ظهرت في عقول بعض الناس، وصفة الظنية على بعض النصوص التي لم تكن من قبل داخلة عند أحد من المسلمين في معنى الدلالة الظنية التي تحتل التأويل (فضلاً عن أن يكون تأويلها واجبا!) يظهر النزاع عندما ينتقل المخالف إلى تعقيد قاعدة عقلية مفادها إطلاق صفة القطع على لزوم عقلي باطل يتوهمه في إثبات ظاهر بعض النصوص، فيشذ بذلك عما كان عليه الأولون، إذ يدعي أن هذا الظاهر (الذي جعله ظني الدلالة) يتعارض مع القطع العقلي (ويعني بذلك تنزيه رب العالمين عن مشابهة المخلوقين)! فإن سلمنا له بأن هذا المعنى الظاهر في تلك النصوص ظني الدلالة، فمن أين له الزعم بمعارضته لذلك المعنى القطعي العقلي الذي لا يخالف فيه أحد من المسلمين (أي تنزيه الله تعالى عن المشابهة)؟

وهذه القاعدة التي قَعَدَها المخالف للتعامل مع ظواهر نصوص الصفات، من الذي قال إن قطعيات العقل توجبها؟؟ هنا بيت القصيد! وهنا يظهر مراد شيخ الإسلام رحمه الله عندما ينسب القوم إلى رد ما يتعارض مع عقولهم هم من ظواهر النصوص، بدعوى أن (العقل) - هكذا بهذا الإطلاق - يعارضه! لم نر أحدا من الصحابة - مع شدة الداعي لنقل هذا المعنى - يقول إن معنى اليد أو معنى النزول أو الاستواء أو غيره من المعاني يجب أن تؤول (أو تفوض) لأن ظاهرها يعارض القطع العقلي الذي هو وجوب تنزيه الله عن المشابهة!! وإنما جاءنا عن السلف تفسير لبعض النصوص على ظاهرها، وتفسير لنصوص أخرى على خلاف الظاهر، ولم نرَ ذاك التعليل العقلي العليل في شيء مما فسروه على خلاف الظاهر لا تصرّحا ولا تلميحا! وإنما كانت القرائن المحتفة بالنص هي التي تذهب بهم أو ببعضهم أحيانا - كما يكون من المجتهد في أي زمان كان - إلى حمل معنى النص على خلاف الظاهر، فكانوا يتبعون تلك القرائن، ويختلفون فيها أحيانا خلافا نسوغه نحن ولا نبطله، يقول أحدهم هذه صفة أثبتها الله بهذا المعنى الظاهر، ويقول الآخر ليست هذه بصفة إذ السياق لا يدل على ذلك، وما رأينا أحدا منهم يقول إن من تلك القرائن المانعة من الأخذ بالظاهر: لزوم المشابهة عقلا، ولا رأينا أحدهم ينكر على الآخر نسبته ذلك المعنى لله لأن لازمه التشبيه، ولا قال أحدهم هذا نص ظاهره التشبيه فإنني أووله أو أثبته كصفة لله ثم أفوض معناها خروجاً من لزوم التشبيه!! وإنما كانوا جميعاً على قلب رجل واحد في أنه سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فعندما يكتب شيخ الإسلام كتاباً يقرر فيه عدم تعارض العقل مع النقل، ويثبت فيه بطلان مذاهب هؤلاء المتكلمين فيما قرروه من قواعد للتعامل مع نصوص الصفات، فإنما يريد بالعقل: كل معنى صحيح بضرورة العقل فلا يماري في صحته عاقل.. وفي مقام الرد على مثل الرازي فإنما يريد بالنقل: كل نص ثابت لم يبلغنا أن أحدا من الصحابة تخوّف من حمله على ظاهره أو توقف فيه تحزراً من التشبيه! يريد شيخ الإسلام رحمه الله بيان أن إدخالهم تأويلهم وتعطيلهم لظواهر تلك النصوص في بابه تقديم القطع العقلي على الظن النقلي عند التعارض (التي هي من حيث الأصل قاعدة عقلية صحيحة

لا نزاع عليها) = باطل، إذ لا تعارض أصلاً، وما كان هذا التعارض المزعوم من سبيل المؤمنين الأولين في شيء!

يقول كاتب هذه السطور المقتبسة أعلاه - هداه الله: (بعد أن شنع ابن تيمية على العلماء في بداية كتابه درء التعارض وأقام الدنيا عليهم، واتهمهم بأنهم يضعون لأنفسهم قانوناً يعارضون به النصوص فما وافق عقولهم قبلوه وما خالف قانونهم رفضوه [مع أن هذا اتهام باطل] إلا أنه تراجع تماماً ولم يجد بداً من القول بنفس الكلام، واتباع نفس القانون بعد خطوات قليلة من بداية الكتاب)

وأقول: إن التعارض - كما بينت في التمهيد الآنف - ليس واقعا مع (العقل) هكذا وإنما مع عقولهم هم، إذ يزعمون أن "قطعيات العقل" تضطرهم إلى التأويل أو التفويض! ولهذا شنع عليهم شيخ الإسلام إطلاقهم هذا المعنى على صنيعهم المعوج في باب الصفات. فالذي ينكر أن المتكلمين اخترعت كل طائفة منهم لنفسها قاعدة عقلية خاصة بها - بناءً على ذلك التعارض الباطل في عقولهم جميعاً - للنفي والإثبات في الأسماء والصفات، وجعلوها حاكماً على ما يقبل من النصوص وما يرد (إلى حد ردهم الاحتجاج بحديث الأحاد في العقائد كما هو معلوم) = فهذا إما جاهل بمذاهب القوم أو عنيد مكابر، والله المستعان.

فإن معارضة ظاهر النص بغير موجب عقلي معتبر لذلك، وإنما بناءً على تقعيد عقلي باطل = هي في معنى معارضة النقل بالعقل وتقديم العقل عليه وهي ما شنع به شيخ الإسلام على المتكلمين على نحو ما ترون.

يقول القائل من المتكلمين عند ظاهر من النصوص: لا يمكن أن يكون هذا هو مراد الله من كلامه، فإن (العقل) يأبى هذا! فماذا يقصد هذا المتكلم بالعقل؟ يقصد لزوماً عقلياً مبتدعاً لا قائل به من السلف الأول! فهذا عند شيخ الإسلام رحمه الله، يقدم عقله هو - أو عقل من يقلده - على النص، ثم يدعي أن هذا من إجراء القاعدة العلمية المتبعة عند تعارض القطع العقلي مع الظن النقلي!

فعندما يأتي كاتب هذا الكلام يقول إن شيخ الإسلام تراجع عن كلامه ولم يجد بدا من تطبيق "نفس القانون"، فأى قانون يقصد؟؟؟ قانون تأويل الصفات الي (ظاهرها المشابهة)؟؟ أم قانون تفويضها كلها؟ أم قانون تأويل بعضها وتفويض بعض؟ أم إثبات سبعة أو عشرة أو عشرين وتفويض الباقي أم ماذا؟؟ أي قانون يقصد هذا الرجل؟ لا يلزم من إثبات المعنى الصحيح عند المخالف، قبول ما أدخله تحته من أباطيل!!

يقول بعد ذلك في التعليق على الأقسام الأربعة التي قسمها الرازي:

(وإما ان يصدق الظواهر النقلية ويكذب الظواهر العقلية وذلك باطل [لاحظ أخى الحبيب ان معنى هذا الكلام ليس ردا للنصوص كما يدعى ابن تيمية واذياله وإنما معناه البحث عن معنى آخر للظواهر النقلية غير ما يبدو منها لأول وهلة **لأن الظواهر النقلية ظنية الدلالة تحتل أكثر من معنى** مرة أخرى ركز معي العلماء لم يردوا النصوص بالعقل كما يشغب عليهم ابن تيمية واتباعه وإنما بحثوا عن معنى آخر غير الظاهر على مقتضى اللغة العربية كما فعل أهل الفقه والاصول والتفسير واللغة])

قلت: أولا، الرازي لم يقل (الظواهر العقلية)، ولو قالها لشككنا في قوته العقلية أصلا، رحمه الله، وإنما قال:

- وإما أن نكذب الظواهر النقلية، ونصدق الدلائل العقلية.

أما (الظواهر العقلية) هكذا، فعبارة لا يطلقها عاقل أصلا، إذ ليس للقواطع العقلية ظواهر وبواطن، بخلاف النصوص ظنية الدلالة التي يصح أن يقال فيها (الظواهر النقلية)! فبئس المنافع أنت عن الرازي يا أخانا!!

ثانيا: تأمل أيها القارئ الكريم ما علمت عليه بالأحمر من كلام الكاتب! لو أطلقنا هذا المعنى على نحو إطلاق صاحبنا ههنا، لما استقام لنا نص واحد نتفق على كون ظاهره قطعي الدلالة قط!! الظواهر النقلية - هكذا - ظنية الدلالة تحتل أكثر من معنى؟ سبحانه الله.

الذي بحث عن تأويل تجيزه اللغة لنص من النصوص بناءً على قاعدة عقلية عنده مفادها أن حمل ذلك النص على الظاهر (الذي لم ير أحد من السلف قرينة نقلية أو عقلية توجب صرفه عنه) إنما يفضي إلى التشبيه، هذا صاحب شبهة عقلية باطلة، ولا يقاس صنيعه ذلك على صنيع أهل الفقه واللغة والأصول والتفسير، الجاري اجتهدهم ونظرهم على قواعد العلم الصحيحة، إلا كما يقاس صنيع الباطنية - مثلاً - على تأويلات أصحاب التفاسير المعتمدة!!

ومن علامات الاضطراب في كلام الرازي - بالمناسبة - ما أنهى به هذه الفقرة نفسها التي قدمها بالكلام عن تعارض قواطع العقل وظواهر النقل وتقديم الأخرى منها على الأولى، بقوله: "ثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً وأنه باطل"

فمقدمته لا تفضي - عقلاً - إلى هذه النتيجة! يعني ألا يرد احتمال أن يكون النص ثابتاً قطعي الثبوت، وظاهره محل إجماع - أو لم يخالف في ظاهره أحد - ومع ذلك يرى أحد النظائر أن ذلك الظاهر يعارض معنىً صحيحاً في عقله هو (مع كونه باطلاً في الحقيقة)؟ ألا يراجع ذلك المعنى العقلي عنده حينئذ ويتحقق من كونه قطعياً كما يظن، أو من كون المعارضة لازمة كما يتوهم؟ ألا يحتمل أن يكون عقل ذلك الناظر معقوداً على معنى باطل بالأساس (كمعنى لزوم التشبيه من ظاهر النص كذا وكذا) وهو يرى أن صرفه ذلك الظاهر إلى التأويل، من حمل المتشابه على المحكم، مع أنه عند التحقيق، يكون من اتباع ما تشابه منه؟ أيدخل ذلك الاحتمال في معنى "القدح في العقل" - بهذا الإطلاق - عند ذلك الناظر صاحب ذلك العقل؟؟ هذا الإشكال يتجلى بوضوح في تحريره للقسم الرابع حيث يقول:

(وإما أن نصدق الظواهر النقلية ونكذب الدلائل العقلية، وذلك باطل؛ لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية . إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع، وصفاته، وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول، وظهور المعجزات على يد محمد صلى الله عليه وسلم، ولو ساغ القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهمًا غير مقبول القول، ولو كان كذلك لخرج عن أن يكون مقبول القول في هذه الأصول. وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً. وإنه باطل.)

هذا التحرير على هذه العبارات المطلقات لا يدع مجالاً للبتة لاحتمال أن يكون ما يظنه الناظر دليلاً عقلياً قطعياً، ليس إلا ظناً باطلاً في الحقيقة!! وهذا أصل خلاف أهل السنة مع هؤلاء، وسبب قولنا بأنهم يقدمون عقولهم وأوهامهم على ظواهر النقل! فلو أحسن الرازي ورام الاستقراء والسبر بحقه، لحرر قسماً خامساً قال فيه: (5 - وإما أن نرجع بالتأمل والنظر فيما اعتبرناه من الدلائل العقلية القطعية (وقد رأينا أن غيرنا من العقلاء يخالفنا فيه)، فإنها قد ثبتت أنها ظنيات في الحقيقة وليست قطعيات، وحيث يتعين النظر في الظواهر الظنية للنقل بالبحث عن مرجح خارجي إضافي لمعرفة المراد منها أهو الظاهر أم خلافه.. فإن لم يوجد ذاك المرجح، بل جاءنا ما يشعر بطلان الدليل العقلي القائم في أذهاننا ابتداءً، اتبعنا سبيل المؤمنين من قبلنا وقبلنا تلك الظواهر النقلية كما قبلها الذين سبقونا!)

حرروا معنى (العقل) بوضوح والمصدر الذي أخذتم عنه قواعد العقل التي اعتمدتموها في باب الصفات، يتضح لكم وجه الخلل فيما عدتموه من موجبات (العقل) وقطعياته!!

ثم إنك أيها المتكلم لن تجد عاقلاً في الأرض يدع أمراً من قطعيات العقل التي لا مرأى فيها، من أجل تأويل ظني ذهب إليه في نص من النصوص ظنية الدلالة، إلا أن يكون مكابراً صاحب هوى، أو مريضاً مخبولاً لا يدري يمينه من شماله! كما أنك - وتأمل هذه جيداً - لن تجد نصاً صحيح الثبوت مما نحن فيه، مرقن الصحابة به دون أن نرى أحدهم يتكلف صرفه عن ظاهره أو النكير على من حملة عليه بدعوى لزوم المشابهة = يدخل في تلك الباب أصلاً، سواء وصفنا دلالة الظاهرة تلك بأنها ظنية أو بأنها قطعية! وعلى من يخترع تأويلاً جديداً لا قائل به منهم لا شيء إلا لهذا التعليل العقلي المتهافت، أن يتأمل مراراً وتكراراً فيما عقد عليه عقله، وما يدعي أنه مراد الله تعالى من كلامه ومراد نبيه مما يقول! فإن لم يوصف هذا بأنه مبتدع عقله على النقل فليس في الأرض صاحب هوى ولا صاحب بدعة!!

ثم يقول الكاتب في تعقيبه على تقريرات شيخ الإسلام: (واذا قدر أن العقل هو القطعي كان تقديمه لكونه قطعياً لا لكونه عقلياً [ما هذا؟ هذا اعتراف بوجود الدليل العقلي القاطع أو معارضته للدليل

النقلُ الظنيُّ أيقدم القطعيَّ على الظنيِّ أولئك اضاف اضافة جديدة وهى : ان التقديم حصل لكونه قطعيا وليس لكونه عقليا أما الفرق ؟ اذا كان الدليل العقلي مقدما في الحالين ؟

قلت وهل أنكر أحد وجود الدليل العقلي القاطع (جنسا) يا أخانا؟؟ وهل ينكر هذا المعنى عاقل؟؟
إنما المسألة في حقيقة ذلك الدليل العقلي عندكم ومصدره وتحريره. فإن كان حقا دليلا عقليا قاطعا، قبلناه ولا مرأى، وإلا ردناه على صاحبه وبيننا تهافته.

والفرق الذي يسأل عنه كاتب هذا التعقيب على كلام شيخ الإسلام، بين أن يكون التقديم لكون الدليل قطعيا وأن يكون لكونه عقليا، يظهر عند تأمل الاضطراب الذي سبق التمثيل عليه سواء في تحرير الرازي نفسه أو في كلام الأخ، عند إطلاق الكلام عن (العقل) و(النقل).. فإن قانون الرازي على هذا التحرير يفتح الباب لكل صاحب عقل أعوج يقول هذا (دليل العقل) وهو عندي قطعي وهو مقدم على ظاهر النقل عند التعارض، بدعوى أن القدح في العقل - بهذا الإطلاق - انتصارا لظاهر ظني - بهذا الإطلاق - قدح في النقل نفسه وهدم لما به يناط التكليف عند بني آدم!

فلما جعلنا الكلام - في تحرير شيخ الإسلام - حول ما هو قطعي من الدلالات، سواء كان مصدره النقل أو العقل، استقام لنا المعنى، وبقي لنا أن ننظر فيما يدخل فيه وما لا يدخل، بتحرير معنى القطع العقلي وبيان حقيقة ما يدخله المتكلمون في معناه وفي حكمه (كما صنع شيخ الإسلام في الدرء وفي غيره).

فشتان بين التحريرين، تحرير شيخ الإسلام رحمه الله، وتحرير الرازي وغيره من أهل الكلام..

ويقول الكاتب: (مع ملاحظة أن الأشاعرة ولا واحد منهم قال بتقديم العقل مطلقا).

وأقول مكررا ما ذكرته آنفا: حرروا معنى العقل بتجرد، وافهموا ما يريد مخالفوكم من (تقديم العقل)، يتبين لكم أن هذا المعنى ملازم لكم ملازمة الرجل لأعضاء جسمه! ذلك أنكم ما تميزتم عن فرق المسلمين كلها إلا بتلك الأصول العقلية التي وضعتوها وقدمتموها على ظواهر النصوص وعلى ما

جاءنا عن الصحابة والتابعين، تزعمون - كما تزعم سائر طوائف المخالفين لأهل السنة - أنها اجتهد سائغ، بل أنها ضرورة توجبها قطعيات العقل، ومن خالفها فقد ضل وزاغ!!

فإن قلت: "وهل يخلو علم من العلوم من أصول عقلية كلية وضعها أربابه لضبط ما يصح مما لا يصح فيه من طرائق النظر؟"

قلنا: كلا ولا شك، ولكن عندما تكون تلك الأصول الكلية = بدعا محدثة ما أنزل الله بها من سلطان، يصبح أرباب تلك الأصول أئمة للفرق الضالة، لا أئمة لصناعة من صناعات العلم!! وأنا إذ أحرر هذا المعنى، لا أعني به - ولا بد - قانون الرازي سالف الذكر، وما جاء في كلام ابن تيمية رحمه الله من موافقة لبعض أقسامه، فإن بعض هذه المعاني = أصول عقلية عامة نرتضيها في سائر فنون العلم (مع تنقيح تحريرها وضبطه)، وإنما أعني تلك القواعد والقوانين التي نحلها أرباب الفرق الكلامية للتعامل مع نصوص الصفات، يزعمون أن قطعيات العقل توجبها!! وهي قواعد مطلقة، على شاكلة: مهما وقعت على نص يظهر لك منه التشبيه، فأوله أو فوضه أو افعل به كذا وكذا.. فبأي ضابط قرر صاحبنا أن هذا يظهر منه التشبيه وهذا لا يظهر منه؟؟ ومن سلفه في هذا الضابط؟ وهل رجع في ذلك إلى قطعيات عقلية لا نزاع فيها كما تدعون أم إلى ظنون وتصورات عقله هو ومن قلده؟؟؟ هذا هو وجه تقديمكم العقل - أي عقل من قلدتموه - على النقل!

عندما يقول الكاتب إن محل النزاع هو: "التعارض بين الدليل العقلي القاطع وظاهر الدليل النقلى الصحيح أو القاطع ايضا" وهو يعني بذلك ما اختلفت فيه الطوائف في باب الصفات إذ يقول (وهذا ما اوجب على العلماء التأويل) = فهو يقدم عقل إمامه الذي يقلده، على ظاهر النص وما جاءنا من خبر قبول الصحابة له بلا صارف عقلي ولا نقلي، بمجرد تقريره ذاك التعارض المزعوم! وإلا فليس هذا اللازم الذي ادعى صاحبنا لزومه من قبول ظاهر النص = من قطعيات العقول في قليل ولا كثير، حتى ينصرف الناظر من أجله عن الدلالة الظاهرة الصريحة للنص، إلى تأويل يأتي به من غير سلف ولا إمام إلا ذاك العقل الذي وضعه لهم من أئمة المتكلمين!

هل يدعون أن العقل يقطع بلزوم التشبيه من ظاهر معنى النزول (مثلاً)؟ أو أنه يقطع بلزوم التشبيه من ظاهر معنى السمع والبصر؟ لا يدعون هذا ولا يستطيعون، بل هم مختلفون فيما يلزم منه التشبيه وما لا يلزم = خلافاً لا يعلمه إلا الله! فأَي دليل عقلي قطعي هذا الذي "أوجب على العلماء التأويل"؟؟

وإن كانوا يسوغون الخلاف بين طوائف الأشاعرة في قاعدة التأويل والتفويض، فلماذا لا يسوغونه مع المعتزلة والجهمية؟ مع أن الطريقة العقلية واحدة (أعني طريقة تقعيد القواعد العقلية العامة للفرار من التشبيه والتجسيم)!! فأين (الدليل) القطعي العقلي في هذا كله يا معاشر العقلاء؟؟؟

يقولون إن القطعي هو معنى تنزيه الله عز وجل عن المشابهة، وصحيح هو قطعي ولا ريب، ولكن بأي قطع عقلي يلزم من إثبات هذا المعنى وتقريره = نفي ظواهر الصفات التي جاءت بها النصوص (وقبلها الصحابة والسلف على مقتضى لسانهم العربي)، أو تفويضها أو تأويلها، وقد علموا أن المعنى القطعي في قوله تعالى ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)) ينفي المشابهة عن كل ما ثبت لله من الصفات؟ ليسوا على شيء من قطعيات العقل أصلاً وإنما هي ظنون وأوهام ولوازم يتنازعونها فيما بينهم، قد شحنت بها الفلسفة اليونانية عقولهم، فقدموها على ظواهر النصوص التي لم يسبقهم أحد إلى القول بوجوب تركها!

ثم يضرب الكاتب مثلاً، فيقول: (مثل : الدليل العقلي يقطع بأن الله ليس بجسم ولا مركب من أعضاء والدليل النقلى القاطع يقول [يد الله فوق أيديهم] فاما ان نتوقف كما توقف الصحابة ولم يسألوا ولم يحملوا على الظاهر أو اما ان نؤول هذا الظاهر الى معنى يليق بالله تعالى وتحمله اللغة).

قلت أولاً العقل لا يقطع أصلاً بهذه المقدمة: الله ليس بجسم ولا مركب من أعضاء! وإنما العقل يقطع بأن الله ليس كمثله شيء، فلا يقاس على المخلوقين في حقيقة ذاته وصفاته. هذا ما نتفق على قطعيته عقلاً!

أما أن يقال لنا: العقل يقطع بأن الله (ليس بجسم)، فالعقل يسأل أولاً قبل أن يقطع أو يظن أو يتوقف هنا (ويجب عليه أن يسأل) = ما معنى جسم؟؟؟ إن قلنا إن له ذاتاً حقيقية منفصلة عن ذوات المخلوقين،

لا يعلم حقيقتها إلا هو سبحانه، أيكون هذا داخلا في معنى "الجسم" لغة أم خارجا منه عندكم؟؟ بل دعكم من هذا، إن قال لكم واحد من المتكلمين = كل ما يسمع أو يبصر على المعنى الذي نعقله معاشر البشر، فإن له جسما ولا بد، فأنا أعطل معنى السمع والبصر عن الله تعالى لهذا السبب، فهو عندي منزّه عن (الجسمية والجارية).. من جعل هذا النص المعلم بالأحمر، قاعدته ودليله العقلي (القطعي) هل توافقونه على معنى الجسم إن كنتم أنتم ممن يثبتون معنى السمع والبصر؟ هذا قطعيه العقلي قد تناقض مع قطعكم العقلي في معنى الجسم نفسه، فلا هذا قطعي ولا ذاك قطعي، ولا شيء في هذا الغناء الذي تتنازعونه يصلح أن يقال له إنه من (قطعيات العقل) أصلا، والله المستعان!!

أما قولك (مركب من أعضاء) فنعم الله تعالى ليس بمركب لا من أعضاء ولا من غيرها لأن معنى التركيب كما هو واضح بصريح اللغة وظاهرها = الخلق والتكوين، والله ليس بمخلوق، سبحانه وتعالى! فتأمل أيها القارئ الفطن تلك التحريرات المختلطة التي يطلق عليها القوم أنها من قطعيات العقل، يقدمونها على ظواهر النص وعلى ما جاءنا من خبر الصحابة فيها، والله المستعان.

ثانيا: من الذي قال إن الصحابة توقفوا في فهم قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم)؟؟ كونهم لم يسألوا - على التسليم بهذا تنزلا - فليس لأنهم يخافون التجسيم والتشبيه كما تزعمون، ولا لأنهم توقفوا! ولكن لأن سليقة الرجل العربي أفهمتهم المعنى المراد بوضوح، ولم يجدوا في ظاهره اللغوي ما يضطرهم إلى تنبيه من يأتي بعدهم لخطورة إثبات أن الله يدا حقيقية من هذا النص أو غيره!!! وإلا فلو كان ذلك كذلك حقا، وكانت المفسدة متحققة - بالدليل العقلي القطعي - من حمل تلك النصوص على ظواهرها، أفكانوا يسكتون عن هذا؟؟؟؟ أمثل هذا المعنى الخطير يتصور العقل المستقيم أن أمثالهم يسكتون عن بيانه وتحذير الناس منه؟؟؟ هذا افتراء عليهم رضي الله عنهم وأرضاهم، ورمي لهم في دينهم وتنقص من عقولهم جميعا لو كنتم تعقلون!! وكفى به فسادا أن يكون لازمه إجماع الأمة في قرن الصحابة أنفسهم على باطل، أو - على الأقل - على كتمان الحق والسكوت عنه في أصل أصول الدين، مع شدة الداعي لتقريره وبيانه!!

الذي يقول إنهم لم يحملوا على الظاهر مطلقا = مطالب بتقديم الدليل على تلك الدعوى، لأن لازمها كما لا يخفى على ذي عينين، نسبتهم جميعا إلى التأويل، فأين ذاك الدليل؟؟؟ بل جاءنا عن بعضهم تفسير بظاهر المعنى، ولم يأتنا نكير أو تشنيع عليه من أقرانه (مع قوة الداعي)!

والذي يقول منهم من تأول ومنهم من أثبت المعنى على الظاهر، قلنا له أثبت إذن أنه تأول بسبب قيام ذلك (الدليل العقلي القاطع) عنده، ودونك إلى ذلك خرط القتاد، بل من تأول منهم نصا وأخرجه من باب الصفات وإنما فعل لقرائن أخرى واضحة رجحت عنده، لا علاقة لها بقطعيات عقولكم!!

والذي يقول فوّضوا جميعا ولم يفسروا ولم يخوضوا في المعنى، فهو ينفي ما توافرت به الأخبار عنهم، وهذا إلى الجهل أقرب!!

والذي يقول منهم من فوض ومنهم من فسر = هذا مطالب بتقديم الدليل على تفويض من يدعي أنه فوض! أم أن مجرد سكوت الصحابي عنده - أو عدم وصول النص عنه إلينا - تفويض؟؟؟

أما المثال الثاني الذي ساقه بعد ذلك في تفسير (سفرغ لكم أيها الثقلان) فأوهن وأضعف من سابقه، فإنه لم يقل عاقل قط إن ظاهر قوله تعالى إنه سيفرغ للثقلين يوم القيامة يفضي إلى التنقص منه أو مساواته بالمخلوقين، كأن يوحى - مثلا - بأنه يحتاج إلى ذلك التفريغ كما يحتاج المخلوقون، أو بأنه يشغله شأن عن شأن فلهذا سيفرغ للحساب يومها .. سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا!

قال ابن جرير: وأما تأويله: فإنه وعيد من الله لعباده وتهديد أكقول القائل الذي يتهدد غيره ويتوعده ولا شغل له يشغله عن عقابه لأنفرغ لكو سأتفرغ لك بمعنى: سأجد في أمرك وأعاقبك وقد يقول القائل للذي لا شغل له أقد فرغت لي أو قد فرغت لشتمي: أي أخذت فيه وأقبلت عليه وكذلك قوله جل ثناؤه: { سيفرغ لكم } سنحاسبكم ونأخذ في أمركم أيها الإنس والجن أفنعاقب أهل المعاصي أو نثيب أهل الطاعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وقال ابن كثير رحمه الله: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى " سيفرغ لكم أيها الثقلان " قال وعيد من الله تعالى للعباد وليس بالله شغل وهو فارغ وكذا قال الضحاك هذا وعيد وقال قتادة قد

دنا من الله فراغ لخلقه وقال ابن جريج " سنفرغ لكم " أي سنقضي لكم وقال البخاري سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء وهو معروف في كلام العرب يقال لأتفرغن لك وما به شغل يقول لأخذنك على غرتك . وقوله تعالى " أيها الثقلان " الثقلان : الإنس والجن كما جاء في الصحيح " يسمعه كل شيء إلا الثقلين " وفي رواية " إلا الإنس والجن " وفي حديث الصور " الثقلان الإنس والجن "

فأنا أسألهم ابتداءً، كيف أنتم بقول ابن عباس رضي الله عنه عن الله تعالى: (وهو فارغ)؟ ابن عباس لم يكن يحسن الأدب في الكلام عن ربه؟؟؟ أم تراه كان في غفلة عن كون هذا المعنى من التنقص لذات الله تعالى؟؟ كلا ولكنها لوثة التجهم والتفلسف التي ضربت رؤوس القوم، والله المستعان!

وأقول، سواء صح هذا الأثر عنه رضي الله عنه أم لم يصح، فلا إشكال في معنى أنه سبحانه يوم القيامة سوف لا يكون له شاغل إلا محاسبة الثقلين، وإثبات هذا المعنى - إن صح - لا يلزم منه التنقص من ذاته سبحانه، إذ لم يقل أحد بأن شغله سبحانه كشلنا! فنحن إذا ما شغلنا شاغل عجزنا عن الاشتغال بغيره معه، أما هو سبحانه فلا يشغله شغل عن شغل! فعلى القول بما في هذا الخبر المروي عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره، نقول إن الله تعالى أراد الوعيد والتخويف، الذي يقع في قلب السامع عندما يقال له ما معناه كيف أنت ورب العالمين سبحانه قد تفرغ لمحاسبتك، ولا شغل له يومئذ إلا هذا؟؟؟ فلا يلزم من هذا المعنى تنقص ولا أنه يشغله شيء عن شيء، حتى يقال إننا حملنا المعنى على الوجه الثاني هروبا من (القطع العقلي) كما يدعي صاحبنا!!! وإنما هو من تعظيم معنى ذلك الحساب في نفس السامع والترهيب منه، إذ ليس لله يومئذ شغل سواه!

فالحاصل أن كلا الوجهين (حمل الفراغ على الظاهر، وحمله على المعنى الآخر) جائز ولا تعارض بينهما ولا صرف لأحدهما دون الآخر بمثل قطعيات القوم العقلية هذه!! والذي يرجح من هذا عندنا = حمله على ظاهره كما هو منقول عن ابن عباس وغيره من السلف، مع نفي اللوازم الباطلة عنه، على نحو ما قررنا آنفاً، والله أعلى وأعلم.

فالآن وبعد كل ما تقدم، تأمل أيها القارئ الكريم، كيف ينتهي صاحبنا كاتب هذا الكلام إلى خلاصة يقول فيها: الخلاصة : (ابن تيمية تراجع وهدم ما بناه في كتابه درء تعارض العقل والنقل -هدم ما بناه في نفس الكتاب -واعترف بصحة قانون تأويل المتشابه عند الأشاعرة لأنه قانون متين وضعه علماء كبار استمدوه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ابن تيمية قدم العقل على النقل -هل من معترض ؟). ابن تيمية اعترف للأشاعرة بصحة قانونهم في تأويل المتشابه؟؟ أي قانون؟؟ ابن تيمية قدم العقل على النقل؟؟ أي عقل وأي نقل؟؟ سبحانك ربي.



في قولهم إن كلام علماء الشريعة لا يلزمنا لأنه نتاج عملية بشرية

أما بعد، فقد راسلني أحد الأفاضل بكلام كتبه أحدهم في مدونته يقول فيه: "لو كانت هنالك آلية مباشرة يمكن للبشر من خلالها أن يعرفوا أحكام الله لما كان هنالك من سبيل آخر غير اتباع هذه الأحكام ولو بدت غير منطقية. ولكن الواقع غير ذلك، فالأحكام الفقهية هي نتيجة تفسير بشري ومحاكمة بشرية لنصوص سماوية، وبالتالي فالتسليم هنا لا يعني التسليم لله بقدر ما يعني التسليم لفهم بشري! فالمشكلة ليست في النص بتاتاً. المشكلة في فهم هذا النص، وهي عملية بشرية" اهـ.

ونقول ومن الله التوفيق، إنه لم يزعم أحد من العلماء أو طلبة العلم قط أن اجتهادات العلماء في معرفة مرادات الشارع = نصوص منزلة بوحي من السماء، لا يجوز لأحد أن يخالفها! وإنما قالوا هي توقيع أولي النظر والعلم عن رب العالمين، على وفق ما أداهم إليه نظرهم وعلمهم. والتوقيع يراد به إنزال نصوص الوحي على ما يُظن أنه محلها وتحقيق المراد منها. ولهذا كان العلماء ورثة الأنبياء، لأنهم أدرى الناس بكلام الأنبياء وبما أوحى الله به إليهم، وليس هذا لكونهم على اتصال غيبي بالرب جل وعلا، أو لكونهم يوحى إليهم كما يوحى إلى المرسلين، ولكن لكونهم قد تأهلوا بما بذلوا فيه أعمارهم من دراسة وتعلم وتفقه فيما أورثه المرسلون من نص ومن فهم محكم لذلك النص! فمن ادعى أن الأنبياء أورثوا نصاً لا ضابط ولا قيد لفهم مراد الشارع منه، فقد رموا ذلك الميراث بأنه لا قيمة له! فإنما الدين عقد يربطه الإنسان في رقبتة ليقول: هذا ما علمت أنه مراد ربي فتقلدته في عنقي واتبعت عليه الرسول! فإن لم يكن ثمة سبيل إلى معرفة مراد الله ورسوله مما ورثه علماء الدين من النصوص، فليسوا إذن على شيء، وليس ما معهم بميراث ذي قيمة أو فائدة أصلاً، ولا ينبغي أن يكون هو الدين

الذي يريد الله من العباد أن يموتوا عليه! فلو جوزنا أن يفتح النص لكل صاحب هوى يفهمه على مزاجه وهواه، لما كانت له قيمة، ولما كان لأحد أن يقول: "هذا مراد صاحب النص من كلامه!" ولهذا فإنه يلزم كل عاقل يدري معنى حفظ الدين في أمة خاتم المرسلين، الذي تكفل به رب العالمين جل وعلا كما في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] أن يؤمن ويعتقد اعتقاداً جازماً أن فهم تلك النصوص على مراد صاحبها منها محفوظ معها، وأنه لم يتركه الله تعالى لأهواء الناس وأذواقهم، كما ذهب إلى ذلك فلاسفة التأويل المعاصرين فقالوا ما معناه إن العبرة ليست بمراد المتكلم من كلامه، ولكن بما يفهمه السامع منه أياً ما كان، فلا ضير في أن تتعدد الأفهام إلى درجة أن يؤخذ من النص نقيض ظاهره!! هذا جهل عظيم مبني على جهل من يفتقرون إلى مشكاة النبوة الخاتمة! لذا نقول إن ما يستجيز أصحاب الملل الباطلة أن يتعاملوا به مع نصوصهم من تلك النظريات الفلسفية الباطلة لا يلزمنا معاشر المسلمين في قليل ولا كثير، فإننا قوم قد حفظ الله فينا الذكر بتمامه! فالذي ورثه علماؤنا عن رسولنا عليه السلام كان نصاً محفوظاً بفهم محفوظ كان الإجماع عليه حجة ملزمة (بدلالة النص نفسه)، وليس نصاً مجرداً متروكاً لكل أحد يفهمه كما يحلو له، حتى لا يملك أحد من علماء الملة ما به يقول لكل مخرف ضال: "أنت مخطئ، ما هكذا أراد الله من كلامه، وإنما أراد كذا وكذا، والدليل كذا وكذا!!" بالله أي حفظ للذكر يكون هذا إن افتقر الدين الخاتم لتلك المرجعية العلمية الرصينة ميراثاً محفوظاً في معرفة مرادات الشارع من كلامه؟ إن القائل بهذا مكذب لله ورسوله، طاعن في أصل الشريعة! لا شأن لنا بما صنعه أهل الكتاب من التعامل مع النصوص بالهوى (ومنه تلك الفلسفات الحديثة في التأويل والتعامل مع النصوص التي يراد لنا اليوم معاشر المسلمين أن نقبلها وأن نطبقها على كتاب ربنا!)، فهم أهل بهت وتحريف ضيعوا الأمانة واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، ولعنهم الله في القراءان بما عملوا! قد علمنا أن أصحاب الملل الأخرى لم يمن الله عليهم بما من به على أمة النبي الخاتم من التكفل بحفظ الذكر فيهم، وإنما خص الله بذلك أتباع النبي الخاتم وسبب له سائر الأسباب الكونية التي لا مقام لذكرها ههنا، لأنه النبي الخاتم المبعوث للعالمين إلى يوم

الدين! فما بالناس نرتكس ونقول كما قال أولئك: لا حجة في فهم أحد من الناس على فهم غيره لتلك النصوص؟

لو صح هذا لجاز لكل جاهل غوي أن يتأول الكلام على هواه، وأن يفهم من الكلام ما لم يقل به أحد من العلماء من قبل، فإذا ما عورض وأنكر عليه أهل العلم قال لهم: "أنتم بشر تصيرون وتخطؤون، وأنتم رجال وأنا رجل كذلك، وليس فهم السابقين للنصوص بحجة على فهمي، وليس عقل الأولين بحجة على عقلي!" فإذا بالمسألة تُصور - هكذا بكل سهولة - وكأنها دعوى عصبية لحجية عقل على عقل، وتقدير فهم بشري على فهم بشري مماثل، كما هو صنيع أهل الملل الأخرى دون سند من أثر أو دليل أو حجة علمية البتة! فهل حاول هؤلاء الفلاسفة يوماً ما أن ينظروا في أصول ذلك العلم الذي به قال العلماء في ملتنا إن إجماع الأمة حجة ملزمة، وفهم السلف حجة على ما يخالفه؟ هل حاولوا يوماً ما أن يقفوا على أدلة ذلك الأصل العظيم عندنا، قبل أن يرموا نصوصنا بذات القوس الذي رموا به نصوص أهل الملل الأخرى، ثم يأتي أهل الأهواء المفتونون بهم من بني جلدتنا ليعاملوا القراءان والسنة بمثل ذلك؟

إنني أسأل من كانت نحلتههم تقوم على استجازة الانخلاع من ميراث الفهم المحفوظ لنصوص ديننا: كيف يقبل الواحد منكم على نفسه أن يتكلم بكلام يأمر فيه وينهى من يجب عليهم طاعته، فيذهب كل واحد من أولئك المخاطبين بكلامه إلى تفسير الخطاب على هواه، فيعطل الأوامر والنواهي ويقلب مراد المتكلم رأساً على عقب؟؟ هذا لا يكون أبداً! فإن كان الواحد منكم لا يقبل مثل هذا على نفسه ولا يرتضيه، فكيف تقبلونه على ربكم الذي خلقكم؟ سبحان الله!

أنتم مخاطبون بعين ما خوطب به من قبل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فإن فهم الواحد منكم خلاف ما فهموه جميعاً، وزعم أن فهمه هو الحق، فأى شيء يلزم من ذلك يا عقلاء؟ لازم ذلك أنهم جميعاً قد ضلوا وجهلوا بمراد الرسول عليه السلام مما أبلغهم به من الوحي، فلو صح هذا وأمكن أن يقع مثل ذلك فيهم، فكيف إذن يصح أن يقول الملك جل وعلا في القراءان: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ

بَعْدَ مَا بُنِيَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

[النساء: ١١٥]؟ وكيف يتصور في العقل أن يتركهم النبي الذي بعثه الله لهدايتهم، ليجمعوا على فهم باطل لخطاب ربهم، فلا يتبين بطلانه لأحد من الناس إلا قدرا في عقل رجل يأتي من بعدهم بقرن أو بقرون عدة؟ وكيف يصح مع ذلك أن يكون الله تعالى قد حفظ الذكر، وأن يكون قد جعل للمؤمنين سبيلا واحدة من اتبع غيرها استحق أن يصلّى الجحيم وسوء المصير؟؟ بل إن وقوع مثل هذا في وجود النبي عليه السلام (وهو معلم الصحابة وإمامهم وهم تلامذته)، حقيقة الطعن في صدق الوحي أصلا وفي كون القرآن كتاب هداية للعالمين!! كيف يقع في الصحابة فهم باطل لنص من النصوص فيعتقد عليه إجماعهم بلا مخالف منهم، ويكون ذلك تحت نظر أمين الوحي عليه السلام فلا يأتي من السماء نسخ ولا إصلاح لذلك الباطل، ثم يموت النبي ويبقى الناس من بعده على ذلك الضلال ينسبونه إلى مراد رب العالمين زورا وبهتانا، ويتوارثه الناس على أنه سبيل المؤمنين وليس هو كذلك؟؟

هل يعقل هؤلاء ما يلزم من نفي حجية إجماع القرن الأول - أو إجماع الأمة بعموم - على ما فهموه من نصوص هذا الدين؟ هل يعقلون أن حقيقته هدم الدين نفسه وتكذيب القرآن؟

فإن تبرأ القوم من نفي حجية هذا الإجماع، لزمهم قبول القول بتقدم فهم الأولين للنصوص (إجمالا) على أفهام من جاء بعدهم، لأن المتأخر إنما تتلمذ على المتقدمين، يتلمس منهم الوقوف على "سبيل المؤمنين" ومعرفة ما كان عليه القرن الأول من فهم لمراد صاحب الشرع من خطابه! وأقول "إجمالا" حتى لا يفهم أحدهم أن فهم الأولين محصور في رجل بعينه من بعد النبي عليه السلام، أو أن كلام أحد من الصحابة يكون حجة معصومة لا تعارض! هذا ليس ديننا ولا نقول كما تقول الروافض إن الأئمة موصولون بالوحي والراد عليهم كالراد على الله! وإنما ينظر العلماء عندنا في مدى دلالة كلام الصحابي على ما كان عليه الصحابة بعموم، فإن دلت القرائن على ذلك بلا معارض من دليل يرقى للمعارضة، قالوا به ولم يخالفوه لأن موافقة فتواه لمراد الله تعالى من النصوص أرجح من موافقة من يخالفه من المتأخرين في القرون اللاحقة لكونه أقرب إلى تعليم النبي عليه السلام، ولا اعتبار سكوت أقرانه من

علماء الصحابة والتابعين على فتواه بمثابة إقرار له عليها، لا سيما إن رأينا العمل قد جرى على ذلك القول في بلاد المسلمين (فهذه بعض القرائن التي أشرنا إليها آنفا).

والمتأخر في ديننا لم يأخذ عن المتقدم أحكاما شرعية وفقط، وإنما أخذ منه منهجا متكاملا لاستنباط الأحكام وتنزيلها على النوازل والمستجدات، فما كان فيه إجماع من الأولين فلا ينقضه برأيه، سواء كان ذلك الإجماع في أصل كلي أو في مسألة فرعية، وما كان فيه خلاف بينهم، لم يأت فيه بقول جديد يخالف جميع أقوالهم، فإن قولا كهذا لو كان الحق فيه لما كان من شأنه أن يخفى على علماء الأمة الذين بحثوا تلك المسألة نفسها في القرون الأولى، مع توافر الداعي إلى نقله إن قال به من يعتبر المجتهدون بخلافه بينهم، فيأتينا فيما ورثناه من جملة المذاهب المعتبرة التي انحصر فيها الخلاف! وأما ما استجد من النوازل مما لم يسبق أن مر الأولون عليه، فإن للنظر فيه واستنباط حكمه من الشرع قواعد كلية ما كان لميراث خاتم النبيين أن يخلو منها! فأين تلك القواعد ومن أين نتحصل عليها؟ عند العلماء الذين تخصصوا في دراستها وأفنوا أعمارهم!

لذا فإن الله تعالى يقول: ((فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)). والعقل كذلك يوجب على العقلاء أن يرجعوا إلى أهل كل صناعة من صناعات العلم فيما يحسنون، فيقلدوهم فيما يقولون به ولا يقدموا آراءهم على علم العلماء المختصين، مع كونهم يعلمون أنهم لم يتأهلوا كما تأهل أولئك المختصون!

فإن كان مراد هذا الكاتب "بالآلية المباشرة" التي يمكن للبشر بها أن يعرفوا أحكام الله بلا واسطة، النبوة والوحي، فالنبوة إنما تكون في رجل يصطفيه الله تعالى ليلبغ قومه، فإذا ما قبض ذلك النبي انقطع الوحي عن أولئك ليقضي الله فيهم وفي غيرهم أمرا كان مقدورا. ففيما عدا ذلك الطريق، فلا سبيل إلى معرفة أحكام الله على هذا النحو الذي يريده هذا الكاتب! وإنما هو ميراث محفوظ أورثه النبي عليه السلام لتلامذته، وأورثه التلامذة لتلامذتهم من بعدهم، وهكذا إلى يوم الدين، سبيلا واحدا سماه الله القرآن بسبيل المؤمنين.

فإن قال كما قال صاحبنا هذا إن ذلك الطريق على ما فيه من وسائل علمية للاجتهاد والنظر والبحث، لا يجعل الإنسان متبعا لحكم الله وإنما متبعا لما أداه إليه نظره وغيره من البشر، قلنا له وفي أي شيء جرى ذلك النظر أصلا، حتى انتهى منه الناظر إلى ما يظن أنه حكم الله؟؟ ألم يجر في نصوص الوحي وقواعده المحكمة المستندة إلى نصوص الكتاب والسنة؟ فكيف يكون ما انتهى إليه نظر المجتهد في ذلك ليس هو التسليم لحكم الله الذي كلفنا الله به؟؟ إنما كلفنا الله تعالى بما في وسعنا وبما نقدر عليه ((لا يكلف الله نفسا إلا وسعها))، فمن تلقى نصا عن الله تعالى وكان قادرا على البحث والنظر في تفسير ذلك النص وقادرا على إعمال أدوات تلك العلوم التي يرجى معها الوصول إلى ظن راجح بمعرفة مراد الله تعالى وحكمه منه ومن غيره من النصوص، فقد أدى ما عليه من التسليم لله تعالى ولحكم الشرع، ولا يقال له إنك سلمت لفهم البشر وليس لحكم الله! فلو لم يكن في ميراث النبوة من العلوم الشرعية ومن أصول النظر والبحث ما به يوصل إلى معرفة حكم الله تعالى، سواء بالقطع أو بغلبة الظن، لم يصح أن يكون ثمة سبيل للمؤمنين يجب اتباعه، ولا أن يكون الذكر قد حفظه الله كما تعهد بذلك صراحة في كتابه!!

ثم إن كل طريق يوصلنا إلى معرفة صحة نسبة النص إلى صاحبه أولا، وإلى فهمه على الوجه الصحيح واستخراج الأحكام والدلائل منه الشرعية منه ثانيا، سواء كان ذلك على سبيل القطع أو الظن، فإنه طريق معرفي صحيح عقلا، وهو ملزم موجب للعمل لأن من وصل إليه يراه حكم الله ولا بد، إما بالقطع أو بظن قوي راجح! هب أن ملكا من الملوك أراد أن يرسل إليك خطابا، وقد علمت أنه لن يخاطبك إلا بهذا الخطاب، وأنه قد كلفك ببذل ما في وسعك لمعرفة مراده والعمل به على وجهه الصحيح، وقد بين لك أنك إن بذلت وسعك في فهم الخطاب وجمع ما يعينك على ذلك من الأدلة والقرائن، وصدقت في ذلك فلم تقصر أو تفرط أو تتبع هواك على خلاف الدليل، فلن يؤاخذك بالخطأ بل سيأجرك عليه، فأی شيء يضيرك أن يكون وصولك إلى فهم الخطاب ومعرفة الحكم المراد منه، من طريق ظني يحتمل الصواب والخطأ، ويرد عليه ما يرد على أعمال البشر؟ وكيف يكون في ذلك ما

يُعرض به على حق أهل العلم بأدلة الشرع وقواعده في أن يقدم قولهم على قول من لم يتأهل للنظر كتأهلهم، أو يتمكن من أداة الفهم والاستنباط كتمكنهم؟

إن من أسخف ما يثيره العلمانيون من شبهات على مسألة تحكيم الشريعة، قولهم إن ما بين أيديكم أيها العلماء اجتهادات لبشر يصيبون ويخطئون، وأنتم تريدون أن تجعلوها مقدمة على كل ما يخالفها مما سواها من أعمال البشر، فما وجه تقديم عمل بشري على عمل بشري مثله، والكل سواء فيما يرد عليه من احتمالات يستلزمها النقص البشري؟ هذا في الحقيقة تسطيح للمسألة، وتسوية لقضيتين لا يمكن في العقل أن تكونا على السواء! فإن اجتهاد العالم الشرعي مادته ومرجعته بالأساس: ميراث الأمة من نصوص الوحي وما معها من قرائن ودلائل تعين على معرفة مراد الشارع منها، وفهمها على وجهها الصحيح. فمن تأهل بما يتأهل به العالم الشرعي للنظر في ذلك التراث (وهي علوم لها مباحثها وأصولها التي يجب على من أراد الاستقلال بالبحث والنظر أن يتعلمها، تماما كما هو الشأن في كل صناعة من صناعات العلم عرفها الإنسان)، فإنما يصل من ذلك النظر إلى جنس من المعرفة لا يجوز لأحد من المسلمين أن يقدم عليه ما يخالفه! ذلك أن من كان من أهل تلك العلوم، وأداه اجتهاده وبحثه إلى قول ما، يظن أنه حكم الله في مسألة ما، فليس لأحد من الناس أن يعارضه إلا أن يكون محققا شروط الاجتهاد والنظر في نفسه، تماما كما لا ينبغي للعقلاء أن يقبلوا من أمي لا يقرأ ولا يكتب، أن ينتقد عملا أدبيا ربما تعثر بعض المتعلمين في فهمه واستيعاب ألفاظه وتراكيبه، أو أن يقبلوا من رجل لم يُعرف عنه دراسة الطب في حياته يوما ما، أن يعترض على تشخيص طبيب يعده من الثقات المقدمين على غيرهم في مجالهم، أو يغير بهواه في وصفة العلاج وجرعة الدواء التي كتبها له ذلك الطبيب!!

لذلك نقول إننا إذ ندعو العوام للتسليم لأهل العلم بدين الله تعالى، فلا ندعوهم لاتخاذهم أربابا من دون الله لا تُرد لهم كلمة ولا يُعرض على شيء مما يقولون! وإنما ندعوهم لاتخاذ أولئك العلماء برهانا لمعرفة أحكام الله تعالى وشريعته، يسألونهم وينزلون على أقوالهم وفتاواهم في ذلك ما داموا دون حد الأهلية العلمية في ذلك، يسلمون لهم كما يسلمون لغيرهم من أصحاب التخصصات العلمية

الأخرى، كل في مجاله! ولا وجه والحالة هذه لأن يقال إن كون هؤلاء العلماء بشرا يصيبون ويخطئون، يسقط عن أعناق غيرهم من البشر وجوب تقلد أقوالهم والعمل بها! فإن خطأ العالم لا يظهر للجهلاء، لأنهم لا يملكون من العلم ما به ينصبون الدليل والبرهان على وقوع ذلك الخطأ عنده إذا ما وقع! ولهذا وجب على العامي الذي لا يسعه أن يصل إلى استيفاء شروط الاجتهاد حتى يصل بنفسه إلى الحكم على ما هو مقبل عليه من عمل، أن يقلد من يثق في علمه وأهليته وفي براءته من الهوى فيما يفتي به، حتى مع علمه بأن هذا العالم يرد عليه ما يرد على البشر من احتمال الخطأ، لأنه ليس كل إنسان يسعه أن يكون عالما بكل ما يلزم العلم به للوصول إلى استنباط الأحكام الشرعية من النصوص في كل مسألة تطرأ عليه! ولأن الناس يتفاوتون في قدراتهم وأفهامهم وما تحصل لديهم من المعارف الشرعية، فقد يظهر للعامي أو من في حكمه أن الدليل على خلاف ما أفناه به شيخه، فحينئذ يجب عليه أن يترك قول شيخه ولا يقلده على ما تبين له بطلانه، ولكن بشرط أن يكون قد استفرد الوسع في بحث المسألة ودراستها وموازنة سائر ما فيها من أدلة، فلا يتعلق بدليل ويهمل ما سواه من الأدلة، أو يستخرج من النص دلالة لا يستتبع الخروج بها منه عند من حقق حد الأهلية للتعامل مع ذلك النص!

حتى العلماء لا يخلو أعلاهم كعبا وأرسلهم قدما وأعلاهم درجة في الاجتهاد والفقه من أن يكون مقلدا في بعض المسائل لا يضطراره إلى ذلك! ولولا هذه الحقيقة التي استلزمها طبيعة البشر المحدودة، ما أصبح الأئمة الأربعة أصحاب مذاهب متبوعة يتقلدها (إما في أصولها فقط أو في أصولها وفروعها كذلك) كل طالب علم في مستهل الطلب ولا بد، بل ويفتي منها العلماء فيما لا يسعهم الوقت للاستقلال ببحثه، وقد رأوا حاجة الناس تدعوهم إلى استفتائهم فيه وسؤالهم عنه.

والعامي في الحقيقة عندما يقلد فإنه يستدل في ذلك بما يطبق الاستدلال به من القرائن الظنية رجاء الوصول إلى معرفة حكم الله تعالى. فمن كانت غايته أن يصل إلى معرفة أي العلماء قد شهد له أقرانه بالأهلية والتمكن وبحسن الديانة والورع، فإن هذا في حقه استدلال ظني يرجو معه أن يقل احتمال وقوع الخطأ فيما يتلقى من الفتوى إلى أقل ما يمكن، لأنه كلما كان العالم أكثر علما وتمكنا وأعلى في مرتبة الاجتهاد والفقه من أقرانه، كان الظن في إصابته أقوى واحتمال سداده في الفتوى أرجح، في مقابل

احتمال الخطأ والزلل. ولهذا لا يصاب أحد من الناس بمرض في بدنه إلا تراه يتحرى أكثر الأطباء علما وخبرة وأحسنهم سيرة وأطولهم ممارسة! هذه أمور نقع فيها كل يوم، في كل مرة نلجأ فيها إلى أهل الذكر نسألهم في أمر ما، ومع ذلك لم نر أحدا من العلمانيين يعترض ويقول هؤلاء بشر أمثالنا يصيبون ويخطئون، وعندهم مذاهب يختلفون فيها ويتنازعون، فلا يصح أن نجعل كلامهم مرجعية لازمة الاتباع! نعم الخلاف والنزاع سنة كونية ماضية في البشر لا زوال لها ولا ارتفاع! ومن زعم أن الله بعث المرسلين لإزالة مطلق الخلاف بين البشر ورفع من الأرض فهو جاهل متمحض في الجهالة! إنما بعث الله الرسل وأنزل الكتب لهداية الناس، من آمن منهم واتقى ورضي بإخضاع رقبته لحكم ربه وتقديم ذلك الحكم على ما يخالفه! بعثهم ليجمعوا أتباعهم على الدين الحق، فيرتفع بذلك من بينهم - لا من الأرض كلها - جنس الخلاف المهلك، الواقع في أصول الاعتقاد في الخالق وصفته وفي اليوم الآخر وفي نبوة من أرسل من الرسل وما أنزل عليهم من الوحي وغير ذلك من أصول الإيمان التي يهلك من قامت عليه حجة الحق ثم مات على خلافها، أما مطلق الخلاف فلا يرتفع ولا يمكن أن يرتفع! يقول الملك جل وعلا: ((ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين))، فهو سبحانه لم يشأ أن يجعل الناس كلهم على الدين الحق، بل قضت حكمته أن يكون منهم المؤمن ومنهم الكافر، وفريق في الجنة وفريق في السعير. كما لم يشأ سبحانه كذلك أن يجعل المؤمنين منهم على عقل واحد ونظر واحد ورأي واحد في كل دقيقة من دقائق الدين، فمنهم المصيب ومنهم المخطئ، ومن خلافهم ما يستساغ لتقارب الأدلة فيه بين الأقول، ومنه ما لا يستساغ لقيامه على شبهة لا على دليل معتبر، ومنهم من يربو صوابه على خطئه ومنهم من يكثر خطؤه فينغمر فيه صوابه، ومنهم من يتبع الهوى ومنهم من يظلم نفسه ومن يقتصد، ومنهم من يقصد الحق فيخطئه فيؤجر، ومنهم من يقصد الباطل فيصيبه فيؤزر، والله في خلقه الحكمة البالغة!

فمن ذا الذي يزعم أن محدودية البشر (التي لزم منها الاعتماد على الترجيح الظني والاجتهاد باتباع الأدلة ما قوي منها وما كان دونه في القوة كذلك، ومن ثم مطلق وجود الخلاف والنزاع بين العلماء)،

يمكن الوصول منها إلى الطعن على الشريعة أو إلى تعطيل حق الملك جل وعلا في أن يقدم حكمه على كل حكم وشرعه على كل قانون، أو إلى التشغيب على فريضة علماء الشريعة في بيانها للناس وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، أو إلى التسوية بين اجتهاداتهم العلمية وفتاواهم، وبين آراء العوام الجهلاء؟

هذا الخطل المعرفي البين، لو جاز في العقل لانسحب على بيان المعرفة البشرية بأكمله بالهدم والإهدار! فإنه ما من مسألة من المسائل في أي فرع من فروع المعرفة البشرية، من أعلاها منزلة إلى أدناها، حتى صنعة الطهي في المطابخ، حتى صناعة لعب الأطفال وعرائس الفتيات، إلا وقد تخصص فيها أناس فحازوا ما يلزم لتمامها من العلوم والمعارف والمهارات، فوجب بالعقل أن يكون لهم "السلطان المعرفي" أو ما يعرف عند فلاسفة المعرفة وخبراء النشر العلمي الأكاديمي بعبارة *scholarly authority* في إرشاد كل من أراد الانتفاع بتلك الصنعة إلى أقوم الطرق وأعدلها إلى ذلك، من خلال ضبط ما في تلك الصنعة من مسائل ومباحث علمية! ووجب أن يكون لهم الحق العلمي كذلك في أن يحكموا على كل جهالة من كلام الدخلاء على صنعتهم بأنها باطل مهدر لا وزن له ولا قيمة! هذه السلطة العلمية المعرفية عبر عنها الله تعالى في القرآن وأسس عليها حكما شرعيا هو عين الحكمة وتمامها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]! فوجب على كل مسلم عاقل مكلف أن يرجع فيما لا يعلم إلى من يُعد من أهل السلطان المعرفي في دائرة البحث في تلك المسألة التي جهلها، تماما كما يشهد العقل والفطرة المستقيمة بوجوبه على كل عاقل! فلماذا يحرض العلمانيون وأضرابهم من المتعلقين بأهداب "العقل" و"الفكر" زورا وبهتانا، على الحفاظ على تلك السلطة واحترامها في كل صناعات الفنون المعرفية، إلا عندما يكون الكلام في "قال الله وقال الرسول؟؟" ولماذا لا يقول القائل منهم للطبيب (مثلا) حين يكتب له دواء يكرهه: أنت بشر تصيب وتخطئ وأنا لن أسلم جسدي إلى بشر مثلي، فإذا ما أفتاه من شهد له المسلمون بالعلم الشرعي وعلو المنزلة فيه بشيء يكرهه، هان عليه أن يلقي بكلمة كهذه في وجه من يفتيه ولا يبالي؟؟ إنه الهوى المحض! لا يقع الإنسان في التناقض المعرفي إلا من جهل أو هوى، فإن كان التناقض على هذا

القدر من الجلاء والوضوح، لم يكن من المستساغ أن تتلمس له العذر بالجهل، وإنما هو الهوى لا غير، نسأل الله السلامة! هذا المعترض على "بشرية" الطريق الذي يتعامل به العلماء مع النصوص الشرعية، والله لا يجروء على أن يعترض كذلك على "بشرية" الطريق الذي يتعامل به الطبيب المختص مع ما يصفه له من أعراض المرض إذا ما ذهب إليه شاكيا من ألم في بطنه! ولا يجروء على أن يعترض على "بشرية" الطريق الذي به يتعامل المهندس الإنشائي والمقاول مع تصميم وتنفيذ سقف خرساني يرتفع فوق البيت لينام صاحبنا تحته! ولا يجروء على أن يعترض على "بشرية" الطريق الذي به يتوصل علماء الكيمياء الحيوية وعلم العقاقير إلى اختراع وصفة جديدة لدواء يرجى أن يكون سببا في علاج مرض ما، حتى مع إقرارهم بما لذلك الدواء من آثار جانبية لا يمكن اجتنابها! فماذا يريد وماذا يشترط الواحد من هؤلاء على من يأتيه بحكم الله ورسوله حتى يسلم لذلك الحكم ويدعن؟ أيشترط أن يكون وحيا يأتيه من السماء كما يوحي الله إلى الأنبياء؟ أيشترط أن يخاطبه الله تعالى مباشرة دون حجاب؟ فبأي حق يشترط على خالقه شرطا كهذا، وقد علم أن الوصول إلى معرفة مراد الشارع الحكيم من خطابه يجزئنا فيه الظن الراجح إن تخلفنا عن القطع والجزم، وعلم أن لذلك الأمر علومه وأدواته التي تخصص فيها أناس فصاروا أهل "السلطة المعرفية" فيها، فلا يرد عليهم أقوالهم إلا من تعلم ما يلزم تعلمه والإلمام له للرد عليهم بعلم وبرهان؟ ماذا يشترطون قاتلهم الله وبأي حق يتكلمون بهذا الكلام؟ هو شرط واحد لا غير، يراه بجلاء من رفع الله عن عينيه تلك الغشاوة: أن يأتي الحكم وتصدر الفتوى على المزاج لا على خلافه! من أفتاهم في دينهم بما يحبون، حملوه على رؤوسهم ورفعوه، ومن نهاهم عما يحبون، داسوه بالأقدام وأسقطوه، وتركوه إلى من يكلمهم بما يحبون!

وهل خرجت النحلة الليبرالية والعلمانية إلى حيز الوجود إلا من أمثال تلك القلوب الخبيثة؟ وهل لكلمة "ليبرالية" معنى أصلا سوى التحرر من سلطان من يأمر الناس وينهاهم باسم الدين، كائنا من كان؟ ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: 43] .

إن الله لم يشترط علينا - من رحمته سبحانه - أن نصل بدليلنا في كل حكم ننسبه إلى الشرع إلى أن يكون دليلا قطعيا لا يتطرق إليه الظن، فإننا لا نطبق ذلك! وإنما حث المجتهدين على بذل الوسع

واستفراغه في البحث والنظر، مع وعدهم بالأجر سواء أصابوا حكم الله أم أخطأوه! فلو لا أن كان الدليل الظني موجبا للعمل عند فقد ما هو أقوى منه، ما أمكن أصلا أن يقع المجتهد في الخطأ والاشتباه، لأن القطعيات لا متسع فيها لتقليب النظر والترجيح كما هو الشأن في الظنيات. وحتى لو افترضنا تنزلا أن كان تكليفنا قاصرا على ما وصلنا إلى معرفته بالقطع وحسب، فلم يجب علينا العمل بما كان ثبوته ظنيا، فحتى القطع بمعرفة مراد الله من كلامه لا يوصل إليه - أي لا يصل إليه عامة البشر خلا الأنبياء والمرسلين - إلا من طريق جملة من "العمليات البشرية" من جنس ما يعترض عليه صاحبنا هذا! فالثبوت القطعي للقرءان نفسه لم يتحقق لنا إلا من اجتماع عدد لا حصر له من النقولات السمعية حتى صار متواترا بنقل الكافة عن الكافة! وكذلك يقال في الدلالة القطعية، التي طريق كونها قطعية: ثبوت الإجماع المطبق عليها في القرن الأول! فأى شيء يكون النقل بالتواتر والإجماع على دلالة النص، إن لم يكن "أعمالا بشرية"؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف يرضى صاحبنا أن يثق في صحة النص نفسه، فيسلم لتلك "الأعمال البشرية" وهو يعتقد أنه يسلم لله تعالى؟ نقول يلزمه في هذا نظير ما يقول في نقل ما سوى القرءان وما توارثه العلماء عن السلف من فهم النصوص واستنباط الأحكام منها! فإما أن يقبل بالتسليم لما دل الدليل على صحته، ظنيا كان أو قطعيا، كما هو صنيع العقلاء من بني البشر، وإما أن يرد ذلك كله وينقلب إلى الإلحاد لأنه لا يريد التسليم "لأعمال البشر"!!

إن نقلة النص هم أنفسهم من حملوا إلينا لغته وفهمه كما علمه لهم رسول الله ﷺ، وعملت به الأمة من بعده! فعندما نقول إن "فهم السلف" مقدم على فهم من خالفهم ممن جاء بعدهم، فإننا لا نحيل المسلمين بذلك إلى عقل بشري قاصر ندعي أنه أفضل من عقولهم البشرية القاصرة، أو إلى رجال نزعهم أنهم معصومون يتكلمون بوحى السماء! وإنما نحيلهم إلى مرجعية علمية راسخة الأساس عظيمة البنيان، قوامها إجماعات قد زكاها القرءان نفسه ونص على حجيتها، وأقوال لجملة من العقول التي تلقت فهمها من تعليم الذي لا ينطق عن الهوى، فنقلته كما وعته (بما يشهد له من النص) إلى من جاء بعدها، فهي عين تحقيق وعد رب العالمين بحفظ الذكر إلى يوم الدين! فإذا كان كل هذا يعاب بأنه "عمليات بشرية" فلينظر صاحبنا هذا كيف يقف بين يدي ربه يوم القيامة فيعيب عليه أن خلقنا "بشرا"،

وسيرى كيف يأتيه الجواب! ليس هذا كلاماً إنشائياً ولا هي خطابة جوفاء كما يحلو لأولي الأهواء أن يشغبوا على ما يقال لهم، وإنما هي أدلة عقلية واضحة، تكفي من كان طالباً للحق صادقاً في إرادته، والله الهادي إلى سبيل الرشاد، والحمد لله رب العالمين.



الشهب السلفية في الرد على الشبهة اللاحادية

قال صاحب الشبهة: محور الاشكال:

أ. لا اعتراض على وجود الالم وأنواعه وألحاقه بنا وهي كافيه لمعنى الرحمة.

ب. الاشكال في استمرار الالم دون ان نشعر بتحريك تلك الصفه الرحيمه المطلقه.

مثال:

الام عندما ترى طفلها يحترق ويشعر بالالم ويتنظر مساعدتها ورحمتها عليه هل تتدخل ام تدعه يحترق

ويستمر في آلامه حتى يعرف الطفل قيمة رحمة امه التي لم يستوعبها أو يشعر بها !

رد أبي الفداء ابن مسعود على هذه الشبهة

طلب مني أحد أحابي أن أدلي بدلوي في هذا الموضوع، وقد كنت كارها لذلك لما رأيته من طول
مراوغة صاحبه حتى وصل الإخوة معه بالموضوع إلى عشر صفحات كاملة في مرأ منه لم أر مثله، ولا
حول ولا قوة إلا بالله!!

ومع هذا فقد احتسبت ورأيت أن أكتب جوابا لحسم هذا الجدل العقيم حتى يحيى من حي عن بينة
ويهلك من هلك عن بينة، والله الهادي إلى الرشاد.

فأقول من بعد الثناء على الرب جل وعلا بما هو أهله والصلاة والسلام على من أرسله رحمة
للعالمين، إن هذا المثال الذي ضربته يا صاحب الموضوع في إحراق الطفل، تقول كيف لا يمنع الرب
ذلك الأمر إن كان أرحم بالطفل من ولدها = باطل من وجوه تعذب على الحصر. من ذا الذي يقيس
صفات الرب تبارك وتعالى على صفات المخلوقين، وكيف يسوغ مثل هذا عند عاقل يدري ما يقول؟

إن الأم التي يحترق وليدها أمام عينيها لا تملك أن تمنع عنه إمكان الوقوع في ذلك - من الأصل - ولو ملكت لمنعته قطعاً، لأنها مجبولة على سلوك سبيل واحد في علاقتها بوليدها = صيانتها من كل ما يؤذيها! وهذا عندها هو غاية الرحمة به - ولا تملك بفطرتها وجبالتها إلا أن ترحمه - لأن علمها به، حالاً ومآلاً، لا يجاوز ما تراه أمام عينيها من ألمه وعذابه، ومن أن واجبها صيانتها من ذلك! بل إنك لو سألتها لقلت - من جهلها - إنها تود لو أُحرقت هي مكانه، فذاك صوت الغريزة العمياء فيها لا صوت عقلها ولا حكمتها، لأنها يقينا لو وزنت الأمر بعقلها لما اختارت هذا لنفسها! فهذه رحمة المخلوقين فيما بينهم، وما هي إلا رحمة واحدة من مئة رحمة يرحم الله بها عباده! وهي رحمة الجاهل القاصر الذي لو علم بما كان يجهله لربما حملته رحمته تلك - نفسها - على أن يرتضي ما قد يظهر بادي الرأي على أنه غاية القسوة والجفاء!

فصحيح إن الله أرحم بعباده من الوالدة بمولودها، ولكنها رحمة عليم حكيم، لا رحمة مخلوق قاصر.. فإن المخلوق المكلف لا تتحرك رحمته إلا بغريزة كراهية الألم ومحبة اللذة، التي يسعى ما وسعه لضبطها بقليل ما علم من الخير والشر، فيختار ما علمه خيراً ويجتنب ما علمه شراً!! أما رحمة الرب الخالق فإنها رحمة من يعلم باطن ذاك المخلوق المكلف في كل حال من أحواله، وما هو مختار من أمر نفسه إن خير في مستقبل أمره، وما يكون له في الآخرة، وما خلقه إلا ليبتليه (و/أو) ليبتلي به غيره! فعندما يولد طفل مشلول أو مصاب بمرض أليم فإنه لا يحكم بكون هذا الوليد مظلوماً إلا ملحد جاهل يقيس علم الرب الخالق وحكمته ورحمته على علمه هو ورحمته!

وهنا يأتي الخطأ وتظهر الجهالة! يجلس أحدهم وهو لا يدري ما يتكلم به جاره خلف جدار بيته، ولا يدري ما يكون من أمره بعد ثانية واحدة من الآن، ثم يفوه بالجهالة يقول "كيف يكون الله رحيماً بطفل وليد قد اختار أن يقضي عليه بالموت محترقاً أمام والدته؟؟؟" ما أكثر ما يختار ذلك الجاهل من

خيارات يحسب أنه كان بها رحيمًا بمن يحب، وما اختار له إلا الهلاك بعينه! ولكن هذا شأن الإنسان = ظلوم جهول!! فما ظنكم برب العالمين؟؟؟

إنه لا يحكم بأن حدثًا كهذا ينافي الرحمة الكاملة عند الله تعالى إلا من كان غاية تصوره للرحمة = صيانة الإنسان من ألم أو عذاب دنيوي زائل، يدوم لدقائق أو لساعات أو حتى لسنوات ثم يزول، أي ما كان باطن ذلك الإنسان وما كان من سابق أمره وما كان ليكون بعد، وما كان ليكون لو لم يكن من أمره ما كان، وما هو مختار إن خير .. الخ، فالله تعالى قد يكون من رحمته وحدها أن أحرق هذا الطفل أمام عيني والدته، رحمة به لأمر لا نعلمها ولا يعلمها سواه سبحانه، ورحمة بها - وأي رحمة - إن هي صبرت واحتسبت وأبليت في ذلك المصائب بلاء حسنًا! ومن رحمته أن يطول ذلك ما يطول، وأن يتألم فيه الطفل غاية ما يكون من آلام الدنيا، فلا يلبث أن يزول عن ذلك إلى ما شاء ربه!

فإن كنت يا صاحب الموضوع من هواة الأمثلة، فسأضرب لك مثالًا واحدًا يبين مدى ظلم وجور وجهالة من يريد الحكم على رحمة الله تعالى من مثل هذا الحدث، يقول كما تقول النائحة الثكلى: "كيف يرى الرب الرحيم طفلًا يتعذب في نار الدنيا الفظيعة هذه حتى يموت ولا يمنع ذلك عنه؟" أرايت لو أن الله جل وعلا أبقي هذا الطفل في الدنيا حتى بلغ الحلم وبلغ أن يختار لنفسه ما يوجب له دخول نار الآخرة - وإن لم يخلد فيها - ليمكث فيها لثانية واحدة فقط لا غير، عقوبة على جرائم اقترفها ومات دون التوبة منها، أفيكون ذلك خيرًا له، أم أن يقضي الله عليه أن يموت في طفولته محترقًا لساعة أو بعض ساعة بنار الدنيا (التي هي جزء من سبعين جزء من نار الآخرة)، ثم يخلد في نعيم الآخرة بعد وكأن شيئًا ما كان؟؟ أفيكون قد رحمه الله تعالى بذلك أم لا؟؟ ما أجهل الإنسان وما أظلمه وما أعجله!! إن هذه الأم بإزاء وليدها هذا لا تملك له إلا ما تراه هي غاية الرحمة بطفلها في تلك الحال، أن تدفع عنه التوجع والألم.. وهذا غاية علمها! فهي لا تتصور - مثلًا - أن توضع في موضع ترجيح بين أن يحترق ولد من أولادها ليعيش أخوه! ولو أنها خيرت في هذا ما ملكت أن تعدل ولا عرفت كيف ترحم! فإن قيل هي إذن مضطرة، وإنما التبعة والملام على من اضطرها لمثل هذا، قلنا لا تبعة ولا ملام حتى يتحقق لنا العلم بأسباب اختيارات هذا الذي اضطرها أولاً! فإن من علم حجة على

من لم يعلم، وما يظهر لأول وهلة أنه رحمة محضة قد يكون على الحقيقة ضد ذلك، والعكس

صحيح! فأين مناط تعريف ما هو رحمة وما ليس برحمة؟ إنما يأتي من العلم والحكمة!!

والرب العزيز العليم سبحانه أمر الخلائق جميعا بيده، سبحانه قد أحاط بكل شيء علما وهو العليم الحكيم، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، يرحم هذا بإصابة ذاك، يرفع هذا بحطّ ذاك، يدفع الناس بعضهم ببعض رحمة بهم ((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)) الآية، فيفوز منهم من يفوز ويهلك من هلك، ولا يظلم ربك أحدا! وإذن فقد تكون النازلة على الطفل لا لا شيء كان أو يكون من أمر ذلك الطفل نفسه أصلا، وإنما هو ابتلاء لأمه وأبيه! وفي ذلك وفيما وراءه من ابتلاءات وأحداث تترتب عليه ما لا يعلمه إلا هو سبحانه!

فمن ذا الذي يجروّ على أن يدعي أن الله إن لم يكن إنزاله ذاك الأمر بذلك الوليد لشيء قد كسبته يد ذلك الوليد نفسه فإنه يظلمه بذلك؟؟ أويدي صاحب هذا الزعم ما في نعمة البصر وحدها من فضل ورحمة لا يؤدي المؤمن حقها ولو بقي طوال عمره ساجدا؟؟ أولا يعلم أن الله لو شاء لما خلقه في الدنيا إلا دابة من دواب الأرض لا خلود لها، فلا تكون في الآخرة إلا ترابا؟؟ بل ألا يدري أن الله لو شاء لما خلقه أصلا ولما جعله شيئا؟؟ فمن ذا الذي يملك - أصلا - أن يحاجج رب العزة جل وعلا يوم البعث والحساب فيما أنزله به من نوائب وآلام وأمراض ونحوها مهما عظمت، يقول له في الآخرة لقد ظلمتني بهذه وجفوتني بتلك؟؟؟

وهل كانت صحته من كسبه أصلا حتى يكون سلبه إياها في الدنيا ظلما له؟ وهل كان الرزق الذي يهبه الله حقا مكفولا له حتى يعترض على تضيق الله عليه فيه إن ضيق وتوسيعه فيه على غيره إن اختار ذلك سبحانه؟؟ هل كان شيء مما أنعم الله عليه به - أيا كان - ليأتي إليه باختياره لولا أن قضاه الله له؟؟؟

ففي أي شيء يجادل هؤلاء؟؟؟

ويقول القائل إن الدابة التي تصاب بالمرض أو بالحرق أو بالغرق كذلك تُظلم وليس هذا من الرحمة بها! بل وقد قال سفهاء الملاحة لو كان ربكم رحيمًا حقا فما باله يستحب لكم ذبح الأنعام باسمه

لتطعموا لحومها وتلبسوا جلودها؟؟ فهل تكره الدواب أن تذبح؟ قطعاً تكرهه! وهل تكره أن تصاب بآلم أو مرض؟ نعم ولا شك! ولكن بأي حجة تدعي أنها لا يؤول أمرها إلى تمام الرضا بما قسمه الله لها، وبأن الله ما ظلمها؟؟؟ إنها العقلية نفسها، تلك العقلية التي بلغ بها البغي والظلم والجهالة أن تحكم على تصرفات الله في خلقه وتشريعه وكأنه مخلوق منهم، لا يعلم إلا من جنس ما يعلمون، ولا يظهر له من الأمور إلا ما يظهر لهم وما يتصورون!! ألا ساء ما يحكمون!!

لا الخوف ولا الألم ولا الجوع ولا المرض، ولا الحرق ولا الغرق ولا شيء من ذلك مهما عظم، يزن شيئاً في ميزان نعمة الرب السابغة على سائر خلقه، حتى يكون لمخلوق من المخلوقات اعتراض على شيء من ذلك!! ولكن قوما قساة القلوب خلقهم الله ليعبدوه ويشكروه على سابغ نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فبدلاً من أن تخضع أعناقهم لله جل وعلا، راحوا يقولون لماذا قضى علي كذا وكذا، وحرمني مما أعطى فلانا، وأصابني بما عافى منه فلانا، كيف يكون رحيماً وقد كان منه معي كذا وكذا؟؟ أي

جهالة وأي ظلم هذا؟ صدق القائل جل وعلا ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ

وَأِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝﴾ [الحج: ١١]

خلاصة الأمر يا صاحب الشبهة أنه لا يتصور أصلاً مع العلم والإقرار بنعم الله التي لا تعد ولا تحصى على سائر مخلوقاته لا على الإنسان وحده، أن يقول قائل عاقل - فضلاً عن أن يكون من الموحدين - إن ما ينزل بتلك المخلوقات من أمراض أو أسقام أو نحوها بمشيئة الخالق جل وعلا، فيه ظلم أو فيه

نقص لكمال الرحمة فيه سبحانه! ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ ۝﴾ [الزمر: ٦٧].

أقول للمرتابين في كمال رحمة الرحمن جل وعلا: يا هؤلاء لو لم تكن رحمة الرب كما وُصفت لنا، لما سقى ربكم في الدنيا كافراً شربة ماء!! ما لكم كيف تحكمون؟؟؟ يقول أحدهم: لو كان الله رحيماً حقاً فكيف يترك طفلاً يموت محترقاً أو دابة من الدواب تهلك غرقاً أو رجلاً مؤمناً يموت بالسرطان أو.. ما هذا؟؟ أفيقوا يا هؤلاء وتذكروا عمن تتكلمون!!

فليعلم كل من يقول إنني من المسلمين، أن الإيمان الذي يخالطه أدنى مقدار من شك أو ريبة = ليس بإيمان! لا أقول هو إيمان ناقص، بل هو ذاهب أصله! ليس بمسلم أصلاً من يساوره أدنى شك في كمال صفات خالقه تبارك وتعالى، تأتيه الوسواس فيسترسل معها يجادل المسلمين يطالبهم بإقناعه بأن الله رحيم!! نسأل الله العافية!

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : 65] ، ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [النور : 50] ، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات : 15]

فإن كنت يا صاحب هذا الموضوع متنسبا إلى الإسلام فتب إلى الله من الريبة والشك الآن، واستعذ بالله من الوسواس والزم عالما من علماء السنة يدلك على ما فيه نجاتك، هداك الله وأصلح حالك! ودع عنك مطالعة الشبهات وكلام الملاحدة والمنصرين وأشباههم، فإنك لا تدري في أي تلك الشبهات يكون هلاكك! وما هي إلا ساعات يمتد بها عمرك ثم يأتيك في قبرك من يسألك، فما ثبتك الله بالقول الثابت فنجوت وكنت من الفائزين، وإما كانت الأخرى، نسأل الله العافية!!

وأما إن كنت ملحدا ماكرا فقد ألقمناك حجرا لا يبرح فمك ما دمت حيا، ولا نسمح لك بالتشويش على ضعف العقول ومرضى القلوب، ولا نعاود الخوض معك ولا الجدل في هذا الأمر لا في هذه الصفحة ولا في غيرها.. فاذهب إلى حيث أتيت غير مأسوف عليك..

والسلام على من اتبع الهدى.. اهـ.



سلسلة الصفحات المتتابعات على قفا الهالك المدعو "كريستوفر هيتشنز"

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا

نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ [الأنبياء : 18]، والصلاة والسلام على من بعثه بالمحنة البيضاء الصافية، الملة

الحنيفية التي لا يرغب عنها إلا من سفه نفسه، أما بعد، فمن بلايا هذا الزمان أن ظهرت في الأرض طائفة من الماديين يقال لها "الملاحدة الجدد" *Neo-Atheists*، اتخذت من فلسفات الطبيعيين المعاصرة دينا تزيت فيه بزي العلم وزرا وبهتاننا، حتى امتازت عن غيرها من طوائف الإلحاد بأن صار لها - ولأول مرة في التاريخ - دعاة متخصصون في مخاطبة عامة الناس (خارج الوسط الأكاديمي

الفلسفي والعلمي) تحت راية "نشر الوعي العلمي" *Science Popularization* في الأعم الأغلب، وتحت راية التفكير العقلاني *Rational thinking* وتحرير العقل *Free-*

thought ونحو ذلك من الشعارات الرنانة المصممة خصيصا لاصطياد تلك الفئة من السفهاء والعامة من أهل الملل الفاسدة، الذين لن يجدوا في هؤلاء "الدعاة" إلا ثلة من "العقلاء المستعيرين" الذين فطنوا لخرافة وتناقض الملة التي يدين بها أكثر أهل ذاك المجتمع الغربي الذي يخاطبه هؤلاء (ألا وهي الملة اليهودية والنصرانية وما تفرع عنهما من نحل ومذاهب فكرية يعتنقها الغربيون

المعاصرون)، فجاءوهم بمزيد من الإغراق في تلك الدعوة التي أخرجت أوروبا (على حد دعواهم) قبل خمسة قرون من ظلمة الكنيسة الرومية إلى نور العلم والمعرفة بتعظيم العقل التجريبي والدليل الحسي، فحررت أوروبا من الخضوع الفكري لا للكنيسة وحسب ولكن لسائر صور المعتقد الديني أيا ما كانت، على اعتبار أن "الدين" في تعريفهم الاختزالي الساقط هو كل نظام اعتقادي *Belief*

system يعتمد على إثبات الخالق في الغيب (فيما وراء الطبيعة المحسوسة)، ويقوم الإيمان فيه *Faith* على التسليم الأعمى بلا أدلة وبراهين! 6.

وقد كان من سمات تلك الثلة الجديدة من دعاة الإلحاد الغربيين اتخاذهم مسلك الهجوم العنيف (فيما صار يقال له الإلحاد الحربي *Militant Atheism*) ضد "الدين" (هكذا) وكل ما له تعلق به، حتى صرت ترى لأول مرة (في التاريخ المعاصر على الأقل) كتباً يصرح مؤلفوها بالسب المباشر الصريح للإله (سبحانه وتعالى) عما يصفون علواً كبيراً) تحت عناوين من صنف "وهم الإله" و"الإله ليس عظيماً" ونحوهما. فمن مكررات تلك الطائفة في دعوتها (لا سيما أربعة منهم صار يقال لهم: فرسان الإلحاد الأربعة، ألا وهم البيولوجي "ريتشارد دوكينز"، والفيلسوف "دانيال دينيت"، والكاتب والباحث "سام هاريس"، والصحفي المتحذلق الهالك، موضوع هذا المقال، المدعو: "كريستوفر هيتشنز") مداعتهم للعاطفة "الثورية" في نفوس أهل الملة النصرانية في بلادهم على وجه الخصوص، التي تنبع لدى السواد الأعظم منهم من اليقين المبطن لديهم ببطلان ملتهم وتناقضها في نفسها! فكان

6 - قضية التعريفات هذه في غاية الأهمية، وينبغي أن ينتبه إليها كل من ينتصب للرد على فلسفات الملاحدة، بل يجب أن تكون هي منطلق كل جواب. فعند التأمل في تعريف القوم للإيمان *Faith* على سبيل المثال، يتبين لك أن مقصودهم به صورة مخصوصة من صور الاعتقاد الجازم في النفس، وليس سائر ما تلك صفته من المكونات المعرفية في نفس الإنسان (أنه قطعي أو يقيني). فإذا انضاف إلى تعريفهم للإيمان، أركان النحل المادية المعاصرة في فلسفة المعرفة التي منها نفي إمكان التحصل على شيء اسمه "اليقين" أو "القطع" في نفس الإنسان أصلاً، حتى ما كان داخلاً إثباته في دائرة المشاهدة والحس المباشر، أصبح - بالتبعية - كل ما يقال له "إيمان" مرادفاً في اصطلاحهم للجهل والخرافة، ومضاداً "للعلم" (على تعريفهم للعلم أيضاً، الذي هو من أركان تلك النحل الفلسفية المذكورة). وعلى الرغم من أهمية هذا التدقيق الاصطلاحي في دحض أباطيل فلاسفة الإلحاد في زماننا، إلا أنه في الحقيقة مما لا تتوقع أن تجده في أجوبة النصاري ونحوهم من اللاهوتيين وأهل النظر من أهل الملل الأخرى في الرد على هؤلاء، إلا عند أهل التحقيق من المسلمين، والله الحمد والمنة. ذلك أنهم الطائفة الوحيدة في الأرض التي من الله على المستقيمين منها (عقيدة ومنهجاً) بالتجرد من الافتتان بتلك الفلسفات المعاصرة التي اكتسحت أوروبا من خمسة قرون خلت حتى دانت لها الكنيسة نفسها ورضخت لسلطوتها الفكرية راغمة مضطرة، فكان المسلمون أحظى الطوائف بالحق ضرباً به في أصول الأصول وفي قواعد البنيان مما لم يعد أحد من أهل الغرب - إلا من رحم ربك - يجترئ حتى على مجرد تصور المنازعة فيه!

أن خرج هؤلاء بالسخرية الصريحة والتسفيه اللاذع لتلك الملة وكتابها ورموزها، بغية تجربة عامة أتباعها على الثوران والانقلاب عليها وعلى رؤوسها في بلادهم. وقد حرصوا بطبيعة الحال - وعلى عادتهم الخبيثة التي لا يمكن الترويج للمعتقد الإلحادي إلا بها - على أن يألحقوا سائر الملل المتألهة الأخرى *Theistic religions* بالملة النصرانية في ذلك التسفيه العام العريض، وفيما تكلموا به من هجوم موجه - بالأساس - لمخاطبة العامي الجاهل من أهل تلك البلاد التي ظهروا فيها.

ولأن هذه طريقتهم ومنهجهم، ولأن العامة الجهلاء هم هدفهم الأول، ولأنهم هم أنفسهم عوام في الفلسفة (اللهم إلا المدعو "دينيت" الذي يشهد عليه أقرانه بالضعف العلمي) جاءت تلك الكتب التي ألفوها والمقالات التي نشروها، في غاية الضعف من الناحية الفلسفية، بمعنى أنها لا تنهض حتى لمجرد تصور الأجوبة والردود العقلية والكلامية التي حورب بها الملاحدة على أيدي سائر الفلاسفة والنظار من أهل الملل الأخرى على مر الأعصار، إن حاول أصحابها التطرق إلى ذلك فيما يكتبون. ولهذا جاء كتاب "دوكينز" المعنون "وهم الإله" (ودوكينز هو الأشهر في هؤلاء الدعاة على الإطلاق) في غاية السطحية والخواء من الناحية العقلية والفلسفية، حتى ضحك فلاسفة الإلحاد أنفسهم قبل مخالفتهم من طريقتهم في تناول الحجج المثبتة لوجود الإله عند اللاهوتيين النصارى! والسبب في شهرة الكتاب الواسعة في الغرب على الرغم من هذا السقوط العقلي والفكري الكبير، هو ما تقدم من تخصص تلك الثلة الشيطانية الخبيثة في مداعبة عواطف العامة والدهماء من أهل النحلة النصرانية، وممارسة سائر صور التزيين للإلحاد على أنه حامي حمى العلم والعقل والرفق الفكري والتقني .. إلى آخر هذا الهراء. وقد بينت منهج دوكينز في كتابه "وهم الإله" في إغراء واستمالة هؤلاء في كتابي "نسف أساسات الإلحاد" *Blasting the Foundations of Atheism* بما أرجو أنه لا مزيد عليه، والله الحمد. والمقصود ههنا بيان أنه منهج تلك الطائفة من الدعاة بعموم، وإن كان قد تفاوت أولئك الأربعة ولا شك في مدى سلطة ألسنتهم في نقد الأديان وأهلها، وفي مدى تعويل كل واحد منهم على الدعاية للنحلة الطبيعية المعاصرة تحت لبوس نظريات العلم الحديث.

ولقد كان للهالك المدعو "كريستوفر هيتشنز" نصيب الأسد في السفالة والبذاءة وفحش اللسان في مهاجمة الأديان وآلهتها ومقدساتها، حتى كان من المعتاد أن تسمع منه ألفاظا نابية خادشة للحياء في مناظراته العلنية مع خصومه، بل ما كان يبالي بأن يسب ويشتم عامة الحضور في تلك المحافل العامة التي كان يدعى إليها (المفترض في كثير منها أنها ملتقيات للصفوة في الأكاديميات العلمية والجامعية) بأقذع الشتائم وأفحشها! ولعل الله أن يكون قد عجل له العقوبة في الدنيا (كما نرجو)، إذ أهلكه قبل بضعة أشهر بمرض السرطان في حنجرته، حتى تركه عند موته هيكلا عظيما هشلا لا يقوى على الكلام من بعد أن كان رجلا بدينا لسنا يملؤه الكبر والغرور، نسأل الله أن يلحق به إخوانه عاجلا غير آجل.

هذا المهرج العربي سليط اللسان (الذي كان لطريقته - فيما أزع - دور بارز في تجربة ملاحدة الإنترنت على ركوب مطايا الاستهزاء والسخرية البالغة من الإسلام والمسلمين في بلادنا) 7، لعله كان مع تلك الجرأة البالغة أقل دعة تلك الطائفة ثقلا من الناحية المعرفية والعلمية. فقد كان في بدايته مراسلا صحفيا في مجلة من مجلات اليسار السياسي في أمريكا، فما كان يزيد شبرا في علمه ولا في ثقافته على عامة الصحفيين والمحررين ممن يكتبون في أمثال تلك المجلات. وإنما اشتهر الرجل لعلو صوته وسعة انتشاره الإعلامي بما اختاره لنفسه من مواقف سياسية شاذة كانت ولا تزال مثارا للجدل، دع عنك - ولا شك - تخصصه في النقد اللاذع العنيف للدين وأهله، على قاعدة "خالف تعرف"! ولعل من أشهر شذوذاته عن رفاقه من الملاحدة، مناصرته للحرب ضد العراق، ولمطلق استعمال البطش العسكري ضد "الفاشية ذات الوجه الإسلامي" (على حد عبارته) هناك وفي كل مكان. وقد كان يفاخر بأنه ليس محلدا فحسب *Atheist* بل إنه قد ضرب لنفسه كلمة جديدة تسمى بها ألا وهي "عدو الإله / الآلهة" *Anti-theist*، ويعني بها من لا يكتفي بأن يقف عند حد الاعتقاد بعدم وجود إله لعدم كفاية الأدلة (كما هو زعم الملاحدة) بل يجاوز ذلك لإعلان الحرب على مفهوم "الإله" نفسه، واعتقاد أنه هو الشر المحض ومصدر كل وبال في تاريخ البشرية!

7 - وقد يعجب بعض الإخوة عندما يرون أن كثيرا مما رأوه في كتابات جردان المنتديات مرجعه في الحقيقة إنما هو تلك "الصفعات" الدراماتيكية التي تأخذ بتلابيب السهفاء من هؤلاء.

وقد اشتهر "هيتشنز" بطريقته في محاوره ومناظرة مخالفيه كما تقدم، إذ كان يعرف بأسلوب ساخر ماكر يزعم محبوه أنه كان هو القمة في إسقاط حجج المخالفين، حتى بات يعرف في قواميس اللسان العامي اليوم *Urban Dictionaries* باسم "الصفعة الهيتشية" *Hitchslap*. فلأن الرجل كان مشهودا له بسرعة البديهة وقوة البيان، فقد كان يتمكن من الرد على خصومه في المناظرات والحوارات العلنية بكلام موجز سريع ربما يتأخر الخصم عن فهم مغزاه وما فيه من سخرية واستهزاء، وما يتضمنه في سياق ذلك من كلام فيه شبهة هدم لحجج ذلك الخصم ودعاواه (بصرف النظر أصاب في ذلك أم أخطأ)، ليأتي ضحك أنصاره من الحضور وتصفيقهم بما يتم به تأثير "الصفعة" أو "الضربة القاضية".

ولا ريب أني رأيت أنه قد انتشرت في أوساط السفهاء من ملاحدة الإنترنت العرب بعض المقاطع التي فيها نماذج لتلك "الصفعات" المزعومة، التي صنعت من الرجل "نجما" من نجوم هؤلاء حتى ترجموها إلى العربية ونشروها فيما بينهم، فقد رأيت أن أستفرغ بعض الوقت محتسبا لله تعالى، حتى آتي على ذاك التافه أدق عنقه بما هو أهله، وأبين بالبرهان الكافي أنه لا يزيد شبرا على أولئك الحمقى من ملاحدة العرب الذين يكتبون في المنتديات، في مقال أجمع فيه جملة من تلك "الصفعات" ما يكفي لبيان المطلوب، وبيان أنه لولا لهجة السخرية اللاذعة ومداعبة عواطف الغوغاء من أتباع الرجل بتلك "الكوميديا السوداء" التي احترف الكلام بها، لما التفت إليه أحد حتى من الملاحدة أنفسهم.

وقد سميت المقال "الصفعات المتتابعات على قفا الهالك المدعو كريستوفر هيتشنز" لأن الصفعة الحق، هي تلك التي تفضح صاحب الهوى وتكشف عورته لكل عاقل، لا تلك العنتريات المسرحية التي اشتهر بها ذاك التافه، يجتذب بها السفلة من أهل الأهواء أمثاله! ولقد تعمدت أن أترك الغزو إلى روابط تلك المقاطع على موقع يوتيوب لأنني لا أرى مشروعية الإحالة على تلك المزابل! كما أني قد اشترطت على نفسي في ترجمتي كلام الرجل شرطا، أن أنقل الألفاظ الخارجة في محلها باللغة الانكليزية حتى يفهمها من له دراية باللغة الانكليزية، ويعلم القارئ العربي أن في ذلك الموضوع لفظا فاحشا قد يتنزه كاتب هذا الكلام عن ترجمته إلى نظيره العربي. كما اشترطت فيما أكتبه ردا على كلام

الرجل ألا أجعله مقصوراً على تلك الصفحات المركزة على قفاه، لأن الغاية من هذا المقال ليست مقصورة عندي على تدميره، فهذا أمر ميسور والله الحمد، وإنما الغاية تتجاوز ذلك في الحقيقة. فقد جعلت في ذيل كل "صفعة" من صفعاتي إضافة أو فائدة للقارئ المسلم الذي له عناية بالتصدي للرد على هؤلاء السفهاء المتغطرسين من دعاة الإلحاد الجديد، والله المسؤول أن يجري الحق على ألسنتنا وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

❖ الصفعة الأولى: في قوله بما حاصله: يجب على صانع هذا العالم إن وجد أن يجعله "حفلة أبدية"!

تكرر منه هذا المعنى مرارا، كما في كلامه في ندوة علنية عن مسألة الحياة بعد الموت (العقيدة في اليوم الآخر)، حيث يقول هيتشنز ساخرا: يحدث لك في مرحلة ما من مراحل حياتك أن تجد من يربت على كتفك ولا يقول لك: "الحفل انتهى" وإنما يقول: "الحفل مستمر وعليك أن تغادر الآن، وسيستمر الحفل بدونك". (يضحك الحضور بل يقهقهون). هذه - فيما أرى - هي الفكرة التي تضايق البشر بشأن هلاكهم. ولكن هب أنه بدلا من أن يقال لك هذا الكلام، قيل لك نقيضه التام: "الحفل مستمر إلى الأبد، ولا يمكنك أن تغادر! السيد صاحب المكان يصبر على أن تبقى، ويصر أيضا على أن تقضي وقتا ممتعا! لقد قرأت عن والد "ديفيد" وقد مررت أنا نفسي بوقت عسير على أثر وفاة والدي. ولكن الأب الذي يقترحه أصحاب الديانات التي تؤمن بالخالق *Monotheism* هو أب لا يموت! فهو يطمئن أولاده: "لا تقلقوا لن أترككم أبدا! لن تروا نهايتي أبدا! لن تسنح لكم الفرصة للشعور بالأسف على فقدي! فأنا دائم الوجود! أنا صاحب الديكتاتورية المحضة المطلقة! وفي محاكمي ليس ثمة استئناف!" فهل حقا تعتقدون أن هذا سيسعد أي مخلوق عاقل ذي شعور *Sentient being* أو النوع البشري أو أي كائن قادر على الشعور بأي شيء؟ أنا أشهد بأن هذا محال! (تصفيق حاد من الحضور).

ونوجه نحن إليه صفعتنا بالحق فنقول: من ذا الذي له أن يزعم يا هذا التافه أن من كان له سيد قد وضعه في مكان ما لغاية ما، فإنه يتعين على ذاك السيد ألا يجعل قصده وغايته في الأمر كله إلا أن ينعم على

عامله أو عبده أو مرؤوسه ذاك بل يبذل له غاية ما في قدرته من الإمتاع والتنعيم، وأن يجعل الأمر "حفلة شاي" سرمدية لا نهاية لها لمجرد أنه قادر على ذلك؟ من الذي قال إن كل من كان قادرا على فعل شيء يحبه أولئك الذين يخضعون لسلطانه، تعين عليه أن يفعله مطلقا؟ من أين جاء ذاك الوجوب وبأي قاعدة أخلاقية أطلقته؟ هذه التفاهة التي تتكلم بها لا يسعك - والله - أن تلزم بها عاقلا من بني آدم أمثالك ممن لهم تسلط وسيادة على غيرهم في الأرض، لأن عقلك - إن كان لك عقل - يجيز أن يكون لذلك السلطان البشري غايات ومقاصد لا يكون هذا التنعيم والترفيه الغامر الذي تشتت فيه لنفسك جزءا منها، فما بالك بالذي يزعم العقلاء أنه خالقهم وخالق كل شيء؟ ثم من ذا الذي قال إن خالقك هو أبوك الذي "عليه" أن يرعاك رعاية الأب لولده، وعليه أن يسعدك ويسعد كل مخلوق عاقل صدق الذي قال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] .

وهنا استطراد لزيادة الفائدة: الكلام كما ترى أيها القارئ اللبيب مغرق في مداعبة ودغدغة عواطف الملاحدة، بتلك الاعتراضات الصبائية التي اشتهر بها أصحاب "مشكلة الشر" من مثل قولهم "لماذا يخلقنا، أما كان خيرا لنا أن يتركنا في العدم ولا يكلفنا بشيء أصلا؟ أما كان خيرا لنا أن يخلقنا في نعيم أبدي سرمدي ولا يسلط بعضنا على بعض ولا يبتلينا بشيء البتة؟ لماذا علينا أن نقبل منه أن يرسل إلينا رسلا يكلفوننا بعبادته والخضوع التام لسلطانه المطلق ونحن لا نراه؟" إلى آخر تلك الاعتراضات التي ينطلق منها فلاسفة الإلحاد المعاصرون ويلبسونها لبوس الدليل المنطقي أو العقلي على أن ثمة "مشكلة" ما فيما يزعمه أتباع المرسلين من صفة للعلاقة بين الخالق وخلقهم، ولمطلق فكرة أن يجعلنا خالقنا في الأرض على هذا النحو لا على غيره! تلك الاعتراضات التي سئمت منها وليس لها عند العقلاء إلا جواب واحد: "سلمنا بأن هذا أحسن لكم وأحب إلى أنفسكم، فبأي حجة في العقل المجرد جعلتموه واجبا على خالقكم تجاهكم؟" حتى على أصلهم الفاسد في قياس أفعال خالقهم على

أفعالهم، وحكمته على حكمتهم، وتقييدها بقيودهم المعرفية البشرية القاصرة، فإن أحدا من عقلاء البشر لا يرتضي أن يفرض العبد أو الخادم على سيده، أو المرؤوس على رئيسه، أو الأجير على مستأجره، أو حتى الولد على أبيه = ألا يفعل به إلا ما يحبه ذلك العبد أو الخادم أو العامل أو الأجير لنفسه ما دام قادرا على ذلك!

طالما كان ثمة قاعدة متفق عليها بين العقلاء في الحكم الأخلاقي على الأفعال مفادها أن الشر (أو المكروه) قد يقبل ويصح (أخلاقيا) ما دام فاعله يستهدف منه خيرا راجحا يقال له الخير الأعظم، أو بلغة هؤلاء: *The Greater Good*، فإن الحكم على الفاعل الذي صدر عنه مفعول فيه شر (على تعريف الشر على أنه الأمر المكروه لبعض الناس أو لجميعهم)، يظل ببداهة العقل متوقفا على الإلمام المعرفي بغايات ومقاصد وحكم ذلك الفاعل من وراء ما فعل! فلماذا يستجيز هؤلاء السفهة القفز على ما يجهلون والتكذيب بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله؟ لماذا يمتنعون بكل حزم في دوائرهم الأكاديمية من تجاوز التخصصات المعرفية وكلام من لا يدري فيما لا يحسن، ثم تراهم يسهل عليهم الحكم بالفشل والفساد على صنعة لم يقفوا على تفصيلها على حد الإحاطة، ولا على بيان صانعها لغايتها من صنعها أصلا؟ إنه الهوى المحض الذي يعمي صاحبه عما هو غارق فيه من التناقض، كما هو معهودنا بسائر أهل الملل الفاسدة!

والعجيب - كما تناولت ذلك بشيء من التوسع في المجلد الثاني من كتابي "نسف أساسات الإلحاد" - أن هيتشنز نفسه كان من أشد الناس تمسكا بمبدأ العواقبية في فلسفة الأخلاق، على الأقل في حيز التطبيق إن لم يكن في حيز التنظير كذلك، ويظهر ذلك بجلاء في موقفه المؤيد لحرب الأمريكان في العراق ضد "الإرهابيين"! كل من يؤيد إرسال جيش لدولة أخرى للقتال فيها، واحتمال الخسائر المادية والبشرية والآلام والشروور والعذابات التي يقتضيها مطلق مفهوم الحرب والقتال نفسه، لأجل مصلحة راجحة لديه في استئصال من يراهم طغاة أو أشرار أو مجرمين في هذا العالم لا يتحقق الخير العام للناس إلا بزوالهم من الأرض، هذا يقول بما يتفق عليه عقلاء البشر من قاعدة احتمال الشر القليل لجلب خير راجح وافر لا يتصور جلبه إلا من هذا الطريق! وأقول إن هذا عجيب، وهو عند

هيتشنز وأتباعه من التناقض الذاتي في بناء المعرفة الفردية لديهم ولا شك لأنهم إن كان هذا مذهبهم في الأحكام الأخلاقية على أفعال كل فاعل مرید له اختيار وقدرة، فلماذا لا تتسع عقولهم لإعمال ذلك المذهب نفسه عند الكلام على مفعولات الخالق الذي يوجب العقل له سائر الكمالات في صفاته؟ أي تناقض هذا وأي كيل بمكيالين الذي يتكلم به هؤلاء عندما يجزمون بكل سهولة بأن الخالق الذي يؤمن به عقلاء البشر لا يمكن أن يترجح لديه خير راجح وفير (بضابطه في علم الخالق، لا في علم المخلوق كأن يكون هو ما يحبه المخلوق لنفسه مثلاً!) من مطلق تمكين النوع البشري من ممارسة الحرب والقتال والتدافع فيما بينهم بالبطش والسنان، بينما تراهم يستجيزون لأنفسهم سفك الدماء طلباً لتحقيق خير يرونه أرجح؟

بأي حق يعترض هيتشنز على مطلق مفهوم "الحرب المقدسة" عند أهل الأديان، بينما يجيز لنفسه الانخراط في "حرب نبيلة" ضد من يسميهم بالإرهابيين، طمعا في صلاح البشر وعموم الخير لهم؟ واقع الأمر أن المسألة ليست إلا اعتراضاً صيانياً على مفهوم التشريع الإلهي نفسه! يسخر ذاك المجرم وأمثاله بكل وقاحة من شرائع يجدونها في كتب أهل الأديان لا لشيء إلا لأنها في كتب أهل الأديان، بينما لو تكلم بمثلها (في مبدئها الأخلاقي العام لا في تفصيلها) فيلسوف من فلاسفتهم لما رفضوها منه بدعوى أنها لا -أخلاقية أو بربرية أو نحو ذلك! فهل هذه هي العقلانية التي يطالبون العالم بتلقيها عنهم، لعنهم الله؟

هذا النموذج من الاعتراضات التافهة على حكم وإرادات الخالق، كانت فيما مضى لا تزيد على كونها محاولات من بعض فلاسفة الإلحاد والمادية لإثارة مشكلة فكرية لا يزيد أصحابها على استثمار حالة الحيرة التي تنتاب اللاهوتيين النصاري على وجه الخصوص بإزائها، لاعتقادهم بأن الخالق "قد أحب جميع خلقه جداً"، حتى يتخذوا لإلحادهم غطاء من التسويغ والتبرير النفسي، وحتى يفتحوا باباً جديداً من أبواب الجدل المتصل الذي يترسومون به حتى إذا ما قال لهم قائل: "ألا ترون بطلان من أنتم عليه؟" أجابوه في كل مرة باستمرار الجدل الذي لا ينتهي بين الفلاسفة! فكان الجديد الذي جاء به هذا الملعون هيتشنز ورفاقه أن قلبوا ذلك الإشكال الذي تكلفته الفلاسفة وتنازعته فيما بينها إلى برهان

على بطلان سائر الملل والأديان التي تؤمن بالخالق الديان، ليس هذا فحسب، بل على كونها هي الشر الأكبر في هذا العالم! والآن، في زمان "حرية التعبير" المطلقة هذه، أصبح العقلاء مطالبين بأن يتقبلوا كل سفاهة وكل سفالة وانحطاط عقلي وفكري وأخلاقي يتكلم به أحدهم، تأسيساً على عقيدة الملاحظة أنفسهم (وإن خالفهم من خالفهم من عقلاء الأرض) في أنه ليس ثمة شيء في الوجود له قدسية أو له حصانة أخلاقية أو له قدم علو في دائرة المفاضلة بين الحق والباطل، وإلى الله المشتكى.

❖ الصفعة الثانية: ما أسهل أن تسبح بحمد الدليل وأنت أبعد الناس عنه!

يقول صاحبنا: نحن لا نستحسن فكرة هلاك أنفسنا أو هلاك الكون نفسه الذي سيكون سببه الانخفاض الإنتروبي لدرجة الحرارة فيه إلى حد التجمد، ولكن لدينا الكثير من الأدلة التي تدل على أن هذا ما سيحدث. وفي المقابل فثمة أدلة قليلة جداً جداً على أنني سأراكم كلكم مرة أخرى فيما يشبه "حديقة الملاهي" 8 Theme Park (يعني بعد الموت)! ليس ثمة أدلة تدعم هذا الأمر مطلقاً! لذا فأنا على استعداد لأن أقبل - تأسيساً على الأدلة - نتائج قد لا تكون محببة لنفسي. اعذروني إن كنت أبدو وكأني أملي هذا الكلام إملاءً!

وهذه صفعتنا بالحق، نقول: بل أنت كالطفل المارق الذي لا يستحسن الذهاب إلى المدرسة لأنه يضطر إلى النهوض مبكراً من فراشه كل صباح، ولولا هذا لقبلت بأطنان الأدلة الدامغة على صحة دين الإسلام، من بعد الإقرار بما يشهد به العقلاء من ضرورة وجود من خلقت وصنعت ووضعك في هذا العالم لغاية وحكمة ليس يدخل فيها إغراقك في الحلوى واللعب والشيكولاتة من يوم ميلادك وإلى الأبد حتى ترضى! لا شيء أسهل من التفضل بدعوى أنه "ليس ثمة أدلة على الإطلاق"، يطلقها صاحبها بكل ثقة، ويكررها بقوة وحزم في جو من الزخرف اللفظي والفكري، فإذا بها تنزل من نفوس السفهاء والمغفلين منزلاً! ومع ذلك نقول: صدقت يا ملعون وإنك لكذوب، فقطعاً ليس ثمة أدلة على

8 - حديقة الملاهي "هي الترجمة الأقرب لهذا التعبير، وإن كانت في الحقيقة ليست مجرد حديقة ملاهي بالمفهوم الشائع في بلادنا، ولكنها حديقة لها سمة غالبية Theme أو موضوع غالب عليها، وهذا الخيار في التعبير أشد وطأة وأبلغ في السخرية والاستهزاء بعقيدة اليوم الآخر ولا شك.

أن مثلك سينقلب بعد موته إلى "حديقة ملاهي" يلقي فيها من يحب، يأكل ويشرب ويلعب حتى
الشمالة!

استطرد للفائدة: يجب أن يتنبه المسلمون إلى حيل هؤلاء السفهاء في تلبس دعاوهم الغيبية المحضنة لبوس نظريات العلم الطبيعي، ودعواهم - من ثم - تعارض العلم مع ما يحدثنا به الوحي من أخبار الغيب في نهاية الكون وما يكون للناس بعده! فنقول أولاً: هذا الهلاك الإنتروبي المزعوم، بأي عقل يوضع على قدم التعارض مع وجود حياة أخرى بعد الموت، كما يبدو من تلك المفاضلة التافهة التي تطلقها هكذا بكل سهولة وكأن من تخاطبهم صبية صغار لا يعقلون؟ وأي أدلة هذه التي تزعم أنها كثيرة جداً على أن هذا الهلاك الإنتروبي سيحدث لا محالة؟ هذا الهلاك الكوني المزعوم بالتآكل والتفتت العشوائي ليس نظرية علمية أصلاً وإنما هو اعتقاد ميتافيزيقي إلحادي باطل، يقوم على اعتقاد أن الكون ليس له خالق في الغيب يضبطه ويمسكه من الزوال، فلا تقوم قيامته إلا حين يشاء هو وحده، وعلى نحو ما يشاء هو وحده! صحيح إن مبدأ الاستمرارية الكونية الذي يقال له *Cosmological Principle* له صورة واحدة على الأقل معتبرة في المنطق الاستقرائي الإمبريقي في التعامل مع أحداث الكون والنظر في ماضيه ومستقبله من خلال ما يجري الآن فيه من أحداث، إلا أن هذا الأمر ليس بلا قيد ولا ضابط، كما يعزمه الطبيعيون الماديون من فلاسفة العلم! فليس من حق عالم طبيعي أن يزعم أن مبدأ الاستمرارية يجيز له افتراض تلك الصورة الهزلية لهلاك نظام كوني يشهد الحس بانضباطه على نظام دقيق، ويشهد العقل بضرورة خضوعه لإرادة خالقه، ومن ثم ضرورة التقيد في هذا الصنف من القضايا المعرفية بما جاء به الوحي على الأنبياء والمرسلين. أما النظرية العلمية فغايتها في هذا أن تفترض - على استحياء - أن الكون يتمدد باطراد وأن من نظامه (وأكرر: من نظامه) أن النظم المركبة تتفكك ولو بعد حين (لتركب في مكانها نظم أخرى)، وأن الحرارة تنتشر في الفراغ بمر الوقت (لتتحول غالباً إلى صور أخرى من الطاقة)، هذه كلها نظم مركبة متداخلة من التفكك والتركيب *composition / Decomposition* كان ولا يزال الكون يعمل بها من يوم أن خلق، فمن أين يأتي الزعم بأن الكون سيهلك كله بالتفكك والتآكل بسبب هذه النظم المطردة فيه نفسها، وكأنه شيء

عشوائي لا نظام له ولا قائم عليه، ومن أين تأتي تلك "الأدلة الكثيرة" التي تؤيده بزعم هذا التافه؟ ليس من العلم الطبيعي قطعاً!

ومع هذا، وعلى الرغم من تلك القفزات الإيمانية الكبيرة *Leaps of faith* التي يتكلم بها الرجل من منطلق عقيدته الإلحادية الماورائية بدعوى أن العلم أثبت والدليل قرر ونحو ذلك من تخرصات هؤلاء، يطالبنا الآن بأن نسمع منه هذا الكلام ونضحك ونصفق ونهزأ معه بالمساكين أهل "الأديان" فلا نخرج من محاضراته إلا وقد قذفنا ديننا في أقرب سلة للمهملات على باب المدرج! أليس قد قال الرجل بكل قوة: ليس ثمة أدلة على الإطلاق على ما تؤمنون به، والأدلة كلها تؤيد ماؤمن أنا به؟ انتهى الأمر إذن! فأى شيء تنتظرون يا مساكين؟ تنتظرون "حديقة ملاهي" بعد الموت؟ مساكين حقاً!

فهو كما ترى يعول تعويلاً تاماً على سطحية وجهالة من يستمعون له، لا سيما في العقليات وفي فلسفة العلم الطبيعي! فمتى جاءهم "علامة زمانه"، الصحفي في مجلة *Vanity Fair* الهابطة، بأن الدليل يقول كذا وكذا، وجب عليهم أن يسلموا له لا شيء إلا لأن الكلام جاء على الهوى والمزاج!

ولا أملك والله إلا أن أضحك من قوله: "لذا فأنا على استعداد لأن أقبل - تأسيساً على الأدلة - نتائج قد لا تكون محبة لنفسى"! صدقت، أنت آية في التجرد للحق واتباع الدليل ولو جاءك بما تكرهه نفسك يا أستاذ هيتشنز! الرجل يزعم أنه يبرئ نفسه من اتباع الهوى بدعوى أنه قد رفض مزاعم أهل الأديان على الرغم مما فيها من البشارة بنعيم أبدي للبشر بعد الموت! ولكن هل يخفى على أحد من العقلاء في هذا العالم، أن مشكلة الملحد الحقيقية تتمثل بل تلخص في كراهيته لما جاء مع البشارة من وعيد ونذارة؟ هل يخفى على عاقل أن مشكلة الملحد تكمن بالأساس في رفضه فكرة الخضوع لإله يأمر وينهى ويتوعد بالعذاب الشديد لمن يعصى؟ لو صدق في استعداده لقبول ما يفرضه إليه الدليل وإن كان مكروهاً لنفسه، لقبول التسليم والخضوع لخالقه، وطاعته في أمره ونهيهِ وإن جاءه بما يكره! ولكن كلنا يعلم أصل الإلحاد ومنبته في نفوس أصحابه، ولعله لا يبالغ من يزعم أن هذا المنبت لا يكاد يظهر في زماننا في كلام أحد من رؤوس الإلحاد كما ظهر وفاحت رائحته في كلام ذاك الهالك "هيتشنز"

بالذات! تأمل فيما مر بك من كلامه وفيما يأتي بعد، كيف أنه يتلخص اعتراضه "الأخلاقي" على تلك الأديان التي أهلك نفسه في تسفيهاها والخط عليها، في أنها لم تأت على مزاجه وهواه، وأن الرب لم يجعله في هذه الدنيا مرفها منعما على أحسن ما يحب لنفسه ويرضى! "كيف لا يجعلني في رغد من العيش ونعيم مقيم وهو قادر على ذلك؟ كيف يقضي علي بالآلام والأوجاع وقد كان يسعه أن يمنعه؟ وكيف لا ينزل شرائعه وأحكامه بما يأتي على مزاجي وعلى وفق خياراتي الأخلاقية الشخصية؟ هو إذن ظالم، بل أكثر من هذا: ليس الإله إذن إلا وهما وخرافة من الأساس!" هذه خلاصة دعوى ذاك التافه الملعون، الذي ملأ الدنيا تحقيرا للدين واستهزاء برب العالمين بدعوى العقل والعلم والاستنارة، عليه من الله ما يستحق.

❖ الصفعة الثالثة: الفوضى والعشواء والتخبط دينك أنت يا سفيه، لا حقيقة ما يجري في العالم!

يقول علامة زمانه في نفس الجلسة التي قال فيها كلامه السابق:
من المرجح أنه قبل حوالي 180 ألف سنة مضت، حدثت كارثة كبيرة للاحتباس الحراري على الأرض، والتقديرات تشير إلى أن عدد البشر في إفريقيا انخفض إلى ما بين ثلاثين وأربعين ألفا، أي أنهم كانوا في غاية القرب حينئذ من الانضمام إلى جميع الكائنات التي سبق لها الانقراض على الأرض. فثمة نوع من الغرور عند من يفترض أن كل هذا، كل هذا التقلب الفاحش في أحداث العالم وأحواله، كان جميعه من أجلنا نحن البشر! هذا الإهدار الفائق الذي يظهر فيه، هذه القسوة البالغة التي تغلب عليها، هذه العشوائية وهذا التخبط الفاحش الذي يتسم به، كل هذا لا يهم، ما دمنا نعيش فيه! الكون كله قد صمم لك وحدك!

وإليك الصفعة التالية على قفاه العريض: بل الغرور كل الغرور والكبر كل الكبر فيمن يزعم هكذا بكل سهولة أن الفوضى والعشوائية متجذرة في نظام لولا أن ولدتنا أمهاتنا به وعليه وفيه، ما عقلنا ولا وعينا للفظه "نظام" من حقيقة ولا معنى أصلا، ولما قامت لدينا حجة عقلية يستند عليها منطق الاستقراء نفسه، الذي هو أساس العلم الطبيعي الذي يتشدد به ذاك التافه! أي عقيدة عفنة هذه التي يحرص

أصحابها على إطلاق وصف الفوضى والعشواء على كل "فجوة" من فجوات المعرفة الطبيعية لديهم، حتى يأتي هذا الكلب اللاهث وأمثاله ليحدثونا بكل وقاحة عن الغرور والكبر في "افتراضنا" أن لنا في هذا العالم منزلة مخصصة بين المخلوقات التي وضعها فيه خالقه؟ وما هي صفة ذلك العالم الذي يجيز عقل "هيتشنز" (وليس لمثله عقل) أن يكون مخلوقا لغاية عند خالقه تدور حول الإنسان كنوع من أنواع المخلوقات؟ أن يكون جنة نعيم، لا يرى الإنسان فيه إلا الرفاهية واللذة، ولا يتعرض لكوارث ولا لمهالك من هذا الصنف أو ذاك؟ فمن أنت ومن تظن نفسك يا ملعون حتى تشترط على خالقك أن تنحصر غاياته ومقاصده من خلقك وخلق العالم من حولك فيما يكون العالم معه على مزاجك أنت وهو اك؟ بالله كيف يقال في هذا الهراء والسفاهة إنها "حجة" مفحمة "تصفع" المخالف وتسقط دعواه، كما يحلو لسفهاء الإلحاد أن يزعموا؟ سبحان الذي أحيانا حتى شهدنا زمانا يصبح السفه المحض فيه عقلا وعلماء وفلسفة!

ولا شك بأننا مطالبون بالتسليم الأعمى لكل "حقيقة علمية" يسوقها علينا الأستاذ "هيتشنز" (كما لقبه أتباعه)، من غير أن نتساءل في طبيعة أدلتها وفي مثقال تلك الأدلة في موازين المعرفة! لا بأس! ولماذا نتساءل ولماذا ننقب وراءه؟ هي كذلك ولا بد ما دام الرجل قد جاءكم بها من كتاب قرأه هنا أو هناك! ما بالكم يا أهل الأديان، ألا تقرأون؟

❖ الصفعة الرابعة: في قوله بما حاصله: "دعوني أموت وزجاجة الخمر في يدي"!

يقول النابغة في مسألة "الندم والتراجع عن الإلحاد على فراش الموت" (وكان ذلك في ندوة عامة في جامعة يهودية أمريكية):

يبدو أمرا طبيعيا للغاية في هذا المجتمع، أن تقترب من رجل يحتضر على فراش الموت وأنت لا تعرفه، وهو ممن يكفرون بالخالق، فتقول له: "هل ستغير رأيك الآن؟" إنهم يعتبرونه سؤالا مهذبا للغاية! (يضحك الحضور) وكما تعلمون فإن ثمة تاريخا طويلا للتزوير في هذا الأمر، فمن الناس من زعم أن داروين رجع إلى النصرانية على فراش موته، وكذلك اختلقوا الأكاذيب حول توماس بين، والأمر يقع كثيرا. إنها قطعة مقرزة من تاريخ البشرية. إنها كذلك صورة رديئة من صور الابتزاز، كأن يقال: "أنظر،

لديك فرصة واحدة الآن، ألن تغتنمها؟ أنا أكتب إليك هذا الكلام كصديق!" لقد حاولوا معي ذلك في يوم من الأيام عندما كنت مريضاً للغاية في إحدى المستشفيات، ولكن لم أكن متمكناً من الرد عليهم كما كان يحلو لي يومئذ. ولا مانع عندي من سماع هذا الكلام على أي حال، فإنه بوسعي أن أتحملة. ولكن في ظني أن كثيراً من الناس ممن هم أكبر مني سناً وأشد مني مرضاً، وربما أقل تعلماً منا، هذه التجربة تكون شديدة عليهم للغاية، فهي مسألة محبطة ومقلقة ولا شك أن يخاطبوا بمثل هذا الكلام. يعني لو أني كونتُ أنا و"سام" (يعني صنوه المدعو "سام هاريس" وكان حاضراً في المجلس) فريقاً يذهب إلى المستشفيات الدينية - وهو عكس ما يحصل في الواقع -، فنقول لأناس يرقدون في الألم: "هل قلت إنك كاثوليكي؟" - "نعم" - "حسنًا اسمع، ربما لا يزيد ما بقي لك من العمر على بضعة أيام، ولكنك لست مضطراً لأن تحياها كعبد! حسبك أن تعلم أن هذا كله لم يكن إلا 9Bullshit (يضحك الحضور ويقهقهون ويصفقون)! لقد كان الرهبان يخدعونك! وأنا أضمن لك أنك ستشعر بالراحة"

لا أظن أن هذا سيكون عملاً أخلاقياً! أعتقد أنه سيكون نوعاً من خرق الذوق العام. ولكن ما دام بإسم الإله، فإنه يحظى بالرخصة الاجتماعية، وأنا أقول: (Fuck that!) 10 (يضحك الحضور ويصفقون تصفيقاً حاداً)! وهذا ما سأقوله قطعاً لو كان هذا هو نفسي الأخير! وهذه صفعتنا التالية فليعيها عنا من يعقل: كل هذا ليس من الحجة ولا البرهان العقلي في شيء أصلاً، وإنما هو تدمير واعتراض ساخر لا أساس له إلا ضيق وضجر رجل يتبع ملة من الملل (ألا وهي الإلحاد)، بصنيع رجل آخر على ملة مخالفة (أيا ما كانت)، وانتهت القضية! يقول - مع كثير من السفالة والبذاءة التي هم أهلها - : "لا أظن أن هذا سيكون عملاً أخلاقياً"، ونحن نقول: نعم "الأخلاق" تلك التي يتعلمها العقلاء من أمثالك يا هذا! ما أحسنها وما أحكمها تلك المنظومة الأخلاقية التي تتركن إليها في أحكامك على ما يصح وما لا يصح، وما يليق وما لا يليق! فلا ظننت ولا عقلت ولا تكلفت أن تقيم

9 - وترجمتها المتهذبة أن يقال: هراء وسخف، ولكنها كلمة نابية في الحقيقة، معناها الحرفي: براز الثور!

10 - الترجمة المتهذبة: سحقاً لهذا! وهي في الحقيقة كلمة شديدة القذارة أتنزه عن ترجمتها.

دليلا عقليا واحدا في حياتك، لعنك الله، وإنما هو السباب والتحاذاق والفذلكة الجوفاء، وكل إناء بما فيه ينضح!

من يذهب إلى رجل يحتضر على فراش موته، وقد علم عنه الجحود المحض والتكذيب بأصل أصول العقل نفسه، وخاف عليه من أن يهلك على ذلك الجحود لأنه يراه قد قامت عليه الحجة بعد الحجة على بطلان ما هو فيه وعلى أن ماله الخسران المبين إن مات عليه، وكان يكره له أن ينقلب إلى خالقه وهو من أهل لعنته السرمدية، مع كونه (أي هذا الناصح) قد تحصلت لديه من أدلة صحة هذا الاعتقاد عنده ما يكفي كل عاقل، من كانت هذه حاله، وكانت تلك حال من ذهب إليه يناصحه، فقد تفضل على ذاك المحتضر بعمل أخلاقي نبيل ولا شك! ومرة أخرى نقول - ولن يسمعها إلا من يعقل - إنما العبرة في ذلك ونحوه بالدليل الذي اعتنقه الناصح وجحد المنصوح بزعمنا!

وحسبك أيها العاقل أن تقارن بين من يقول: "أنا كائن مخلوق مصنوع، وخالقي له الحق الكامل في أن يأمرني وينهاني فأطيعه، فإن ثبت أن هذا الدين دينه، آمنت به وقبلته"، ومن يقول في المقابل: "أنا موجود من غير علة، مخلوق من غير خالق، وكل من يزعم خلاف ذلك فهو أحمق مغسول العقل، وكل من يحب أن يطيع خالقا لا يراه ويرى في ذلك تمام الأخلاق وكمالها، فهو مريض في عقله منقوص في أخلاقه!" فأَي الفريقين أحق بالعقل والحكمة وكمال الأخلاق إن كنتم تعقلون؟

أما صنيع من كذبوا وزعموا أن فلانا قد رجع عن الإلحاد على فراش موته ولم يكن ذلك حقا، فهم كذبة محتالون والمذمة واقعة عليهم بأعيانهم أيا من كانوا، فكان ماذا؟ ألا سحقا ثم سحقا للسفهاء!

❖ الصفعة الخامسة: في قوله بما معناه "أنتم تكرهون أعداء دينكم بأمر إلهكم، إذن دينكم هو أصل الكراهية في العالم!"

يقول قرد الإلحاد (6) في محفل من محافل القرودة أمثاله: (إنني على قناعة تامة بأن المصدر الرئيس للكراهية في العالم إنما هو الدين، والدين المنظم: قناعة مطلقة. وأعتقد أن الدين يجب أن يعامل بكل استهزاء وكراهية واحتقار (تصفيق من الجماهير)، وأنا أطالب بهذا الحق!)

وهذه صفعتنا التالية على قفاه: أما نحن فعلى يقين تام لا يتزعزع، بأن المصدر الرئيس للانحطاط الأخلاقي والمرض الاجتماعي والنفسي العضال في هذا العالم إنما هو الإلحاد بشتى صورته! وأما الكراهية فلا يزال البشر يحبون ويكرهون لأسباب شتى، منها الشهوة والهوى كما أن منها المنظومة الأخلاقية (بصرف النظر عن مصدرها)! ولا يزال الناس يحبون من يوافقهم في عقائدهم القطعية (بما في ذلك الإلحاد) ويكرهون ويعادون من يخالفهم فيها (وأنت تشهد ببغض أهل الأديان المخالفة لتحلتك وكرهيتهم)، ولا تأثير لتلك الحقيقة الكونية – البتة – في عقل أحد من العقلاء على صحة أو فساد دعوى حملة هذا الدين أو ذاك بأن دينهم هو الحق، كما تزعم أنت أن اعتقادك الإلحادي هو الحق في مقابل عقائدهم وقناعاتهم! ألسنت ترى يا عدو نفسك ضرورة شن الحروب لإزالة المسلمين "الإرهابيين" من العالم؟ فلماذا تدافع عن إلحادك بكل ضراوة عندما تقابل بدعوى مخالفيك أن ستالين وهتلر كان منطلقهما الإلحاد؟ ما الفرق – في ميزان الحكم الأخلاقي على فعل ما: (س) – بين أن يذهب الإنسان إلى (س) هذا وهو يؤمن بأنه الصواب والخير الأرجح انطلاقاً من نظره الشخصي، وبين أن يشرع في العمل (س) هذا، أيا كان، متبعاً لما يؤمن بأنه أمر خالقه من فوقه وتكليفه الديني؟ إن قلت إن الملحد لا يكره من يكره ولا يحارب من يحارب لأن ربا في الغيب يأمره بذلك، وإنما لانفراده بالنظر العقلي في ذلك، فهو بذلك لا يوصف إلحاده بأنه مصدر للكراهية، فقد شهدت على نفسك ببطان دعواك، وبأن الكراهية ليس مصدرها بالضرورة هذا الدين أو ذاك، وإنما الصواب أن يقال أنها هي وما يتعلق بها من أحكام وأفعال، مرجعهما جميعاً إلى نظام أخلاقي ما، فإن كنت أنت تتلقى ذلك النظام الأخلاقي من هواك ومزاجك وتهافت من تقلدهم من فلاسفة البشر، فأهل الأديان يزعمون أن لهم مستندا في ذلك يرجع إلى رب البشر وخالقهم من فوقهم! فإن صح ما يزعمه أهل هذا الدين أو ذاك، ألا يعد ذلك – في العقل المجرد – دليلاً كافياً عند من لا يعميه الجحود والحقد المحض، على أن كراهية أهل الدين الحق من بين تلك الأديان كلها، وما يتعلق بها من أفعال وأحكام عندهم، هي الأرقى والأرفع والأصوب أخلاقياً، بخلاف ما انفرد به آحاد النظار من البشر على محدودية علمهم ومقياسهم المعرفي؟ بلَى ولا شك، وبذلك يؤول الأمر إلى السؤال: أي تلك الأديان تصح نسبته إلى الخالق

(المعلوم وجوده وكمال صفاته بدهاة العقل) تحقيقاً؟ وبمعرفة الجواب تنحسم المسألة في العقل السوي من كل وجه، ويتعلم الإنسان ما هو الموضع الصحيح الذي يضع فيه محبته وبغضه، ويتعلم من هم أهل لأن يكونوا أولياءه ومن هم أهل لأن يكونوا أعداءه، تأسيساً على مصدر هو الحكمة التامة ولا بد بمجرد انطباق وصف (وحي الخالق) عليه!

أشك يا هذا الأحمق المغرور في أنك قد تفهم شيئاً من هذه الحجة لو كنت حياً الآن وسمعتها مناً بلسانك! ولو قدرنا أنك فهمتها فما كنا لنجد منك في جوابها إلا السب والسفالة والبذاءة على أي حال، فهنيئاً لك نار جهنم، وهنيئاً لأتباعك ما أكلوه من خراءتك، وليضحك الحمقى والسهفاء وليقهقوا ما بدا لهم، وطوبى للعقلاء!

❖ الصفعة السادسة: في قوله بما معناه "ما بالكم تحبون شخصاً تهابونه يا هؤلاء المرضى؟"

يقول القرطبي في ندوة أخرى من ندواته: (لذا فعندما أقول في العنوان الثانوي لكتابي: إنني أعتقد أن الدين يسمم كل شيء، فإنني لا أسلك بهذا الكلام ما يسلكه بعض الناشرين من وضع عناوين مستفزة ومثيرة لاجتذاب القراء! وإنما أقصد أن أقول إن الدين يصيبنا بالمرض في أعظم أصول كرامتنا الإنسانية، حيث يقول لنا إننا لا يمكننا أن نكون أخلاقيين من غير "الأخ الأكبر" أو من غير الحصول على الإذن الشمولي بذلك. بمعنى أننا لا يمكننا أن نحسن إلى بعضنا البعض بدونه. بل يجب أن نكون خائفين، بل ويجب أن نحب "شخصاً" نخاف منه، وهو جوهر ذاك الشذوذ النفسي الذي يقال له "سادو-مازووية" (حب تعذيب النفس)، وهو كذلك جوهر الدناءة وصورة العلاقة بين السيد والعبد، وهو السيد الذي يعلم أن الموت آتاكم، ولا يصبر على إنزاله بكم! أقول إن هذا هو الشر! ومع أي أفضي بعض الليالي في بيتي، إلا أنني أكون أكثر استمتاعاً بتلك الليالي التي أخرج فيها لأكافح ضد هذا الشر المطلق، وهذا الغباء المحض!)

وإليك صفعتنا التالية: دعك من العنتریات الفارغة يا ذاك العرید، فلقد والله جعل الله منك آية أن جعل عربدتك وإفراطك في أمر نفسك (وهو محض الفساد الأخلاقي في ديننا) سبباً في هلاكك، وقد كنت

تشهد على نفسك بأن الخمر والتدخين قد قتلاك! فيا ليتك كسرت أنفك وحنيت ركبتك وضرعت للذي خلقتك أن يعفو عنك وأن يمن عليك بما أنزل في الوحي من مكارم الأخلاق ومحاسنها، ومن كمال الحكمة وتاممها، فمن يدري، لعلك لو فعلت لكنت اليوم بين الأحياء من اجتنابك تلك الخبائث طاعة لأمر ربك الكريم ذي الفضل والإنعام! فلو أنك قبلت تلك "الوصاية الأخلاقية" من خالقك التي تسخر منها تتكبر عليها يا ذاك التافه، لامتنتع عن تلك الأشياء التي أهلكتك، ولصنعت كما يصنع العقلاء الذين شهدوا على أنفسهم بالنقص البشري، فما قابلوا رسل ربهم إلا بالشكر والثناء عليه سبحانه، وبالرضى بما تفضل عليهم به الرب الخالق من نعمة التعليم الأخلاقي الرباني!

فلإن كبرت وقلت كما يقول بعضهم: أنا حر! من حقي أن أهلك نفسي وأن أرتكب في حقها كل حماقة وأنا أعلم أنها حماقة، فلن تجد منا إلا وصفك بما أنت أهله: محض الحماقة! ولا حاجة بالعقلاء لمن يدعوهم إلى السفاهة والحماقة، ولا يلتفت إليهم إلا أحمق مثلهم! وإنما يحتاج الناس إلى من يبصرهم بعيوبهم ويصونهم من شرور أنفسهم، ويعلمهم ما به يستقيم حالهم ويمتاز في نظرهم الخبيث من الطيب! فإن كان مشهودا للإنسان بنقص العلم مهما كمل (ولا يماري في هذا إلا مكابر هالك)، وكان مشهودا للخالق - بضرورة العقل - بكمال العلم والحكمة وتاممهما، وثبت أنه سبحانه قد أرسل للناس رسولا يدعوهم ليعلمهم مكارم الأخلاق ويأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر، فماذا بقي لمن يرمي ذاك الفضل العظيم وراء ظهره إلا أن يوصف بمحض الحماقة والسفاهة؟

صدق الذي قال في كتابه: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: 130]

وما وجه الإشكال العقلي أو المذمة الأخلاقية يا ذاك القرد الأعمى، في أن نكون للذي خلقنا عبيدا طائعين، وأن نحبه مع كوننا كذلك نعظمه ونهابه سبحانه وتعالى؟ ألا يصح في العقل أن يجتمع التعظيم والإجلال مع المحبة والرضى التام؟ وهل كنت تطمع في أن يجعلك خالقك ندا له، أو أن يتخذك له ولدا أو صاحبا أو شريكا مثلاً؟ صفة العبودية هي الصفة الوحيدة التي تليق بعلاقة المخلوق بخالقه،

فالمخلوق ملك لخالقه والمصنوع ملك لصانعه بدهاءة العقل، شاء ذلك المخلوق أم أبى! وليس في العقل ما يمنع ذلك المخلوق من أن يحب خالقه وأن يرجو رحمته، وأن يخشاه كذلك ويتقي غضبه، وأن يجتمع الأمران في قلبه! ألم يسبق لك أن أحببت رئيسا لك في العمل أو أستاذا لك في المدرسة، وأنت في ذات الوقت تخشى غضبه وعقوبته؟ فلا إن جاز أن يقع ذلك من الإنسان مع مخلوق مثله، فهو مع خالقه أولى بالجواز قطعا، ولكن أنت وأمثالك قوم جحدة مكابرون، لا تعرفون من العقل إلا ما يأتي على هواكم ومزاجكم، قاتلكم الله وأخزاكم!

أما "السادو-مازوخية" هذه فإنما يوصف بها من ارتضى لنفسه أن يجحد ما أنزله الله للبشر من الخير على رسوله، ليظل هو وأهله وسائر الناس غارقين أبد الدهر في تلك البهيمية المحضة التي أهلك بها ذاك التافه نفسه بعدما أفنى عمره في تزيينها لخلق الله من حوله! فالحمد لله الذي عافانا من العفن وأهله!

❖ الصفعة السابعة: في قوله بما حاصله: "قولوا له إن لم يتركني لحالي فليس لي برب ولا إله!"

وهذا ما جرى في حوار أجراه معه مذيع في برنامج إذاعي (فيما يبدو): محاور (فيما يبدو وكأنه برنامج إذاعي) يسأله: ماذا لو كان الإله موجودا بالفعل يا سيدي؟ أما كان ليحسن إليك؟

هيتشنز: كلا، ما كان ليفعل ذلك. لأنه لو كان هذا صحيحا، لكان معناه أن لدي والد أبدي خالد، دائم المراقبة لأفعالي، فلن يموت ليتركني أمضي في حياتي وأن أنضح، وإنما سيقيني تحت المراقبة الدائمة، ويشرف على كل دقيقة من حياتي، ويطلب مني أن أكون شاكرا له وممجدا له على الدوام. المحاور مقاطعا: ولكن لك إله بالفعل يا سيدي!

هيتشنز يواصل دون التفات: أعتقد أن هذا سيكون أشبه بالعيش في كوريا الشمالية! أعتقد أن النتائج ستكون شنيعة.

المحاور: لا أظن أن الإله هو "كيم جونج"، ولكن ماذا لو كان ما قلته لك صحيحا ...

هيتشنز مقاطعا: إذن اسأل "كيم جونغ" وفستسمع منه رأيا مختلفا!

وإليك صفعتنا السابعة على قفا ذاك الهالك: هذه آية التمحض في الهوى ورد الحق بلا دليل ولا برهان إلا أن نفس ذاك الملعون تكرهه! فلا شيء مما ذكره ذلك القرد من صفات يكرهها في الإله الذي يرفض أن يعبد، يصح في العقل أن تعتبر نقيضا لمطلق معنى الإحسان إلى المخلوق كما يزعم، أو أن يلزم منها النقص في صفاته بما ينفي عنه الحق في أن يتأله خلقه ويعبدوه! تأمل كيف يشرع الملعون في الكلام عن علاقته بخالقه بتشبيهه بمخلوق من المخلوقات الناقصة (الوالد البشري) بما أجزم بأنه كان على يقين في نفسه من بطلانه وامتناعه! وما ذاك إلا ليفتح لنفسه بابا للتلبيس على السامعين، فيمرر تحت ذلك الوصف ما يقتضي اعتقاد المذمة في تلك الحال التي فصل في وصفها بعد! ذلك أنه لا يحسن في العقل بوالد من بني آدم أن يراقب ولده دائما وأبدا في كل حال، وألا يكون لذلك الولد أدنى قدر من الخصوصية أو أن يكون له سر يسعه أن يخفيه عن ذلك الوالد! وقطعا لا يحسن في العقل تلك الصورة التي يصورها لذلك الأب الذي لا يريد أن يترك ولده "لينضج" ويستقل عنه بالعقل والرأي فلا يعيش إلا تابعا له، شاكرا ممجدا خاضعا له ما بقي حيا! لماذا لا يحسن ذلك بين الوالد ووالده؟ لأنهما مخلوقان كلاهما، مملوكان لخالقهما، لا لبعضهما البعض، وهذا واضح والله الحمد! فكيف وبأي عقل أجاز ذاك الشيطان لنفسه أن يقيس ربه الذي خلقه وسواه وعدله، على ذاك الأب المتسلط الذي تفنن في وصفه وتنفير السامعين منه؟ ليس ربك الذي خلقتك بأيك ولا أستاذك ولا رئيسك في العمل ولا شيء من ذلك، وأنت تعقل ذلك قطعيا يا عدو نفسك، ففيم المكابرة؟

ولا يكتفي الملعون بصورة الوالد المتسلط بما تأباه نفوس الأسوياء، بل يزيد ليضيف إليها صورة الطاغوت البشري المتأله، الذي يأمر البشر أمثاله بأن يكونوا له عبيدا! ومع أن محاوره نبهه إلى أن الرب الخالق ليس بشرا قطعيا، إلا أنه لم يبال بذلك، وأجابه بأن الطاغوت المذكور يرى نفسه هو ذاك الإله الخالق! فمن ذا الذي تخادعه بهذا الهراء يا عدو نفسك، ومن ذا الذي تحسب أنك قد خاطبت عقله بما ينزع من نفسه القناعة بضرورة وجود الخالق، وبأحقية في أن يطاع رسوله وتتبع شريعته ويخضع المخلوق له خضوع المملوك لمالكه، وأن يعبد وحده لا شريك له بما لا يجوز في العقل أن

يبدله إنسان لإنسان مثله؟ لا والله ما خطبت عقلا ولا منطقا ولا صفت أحدا إلا نفسك، وإنما غايتك أن تفننت في دغدغة مشاعر السفهاء من أقرانك والمفتونين بك، بل لعلك قلبتهم على أقفيتهم من شدة الضحك على سخريتك واستهزائك بالدين وأهله في كل مناسبة، حتى تبعتك تلك الثلة من السفهاء الذين جعلوك رأسا من رؤوسهم في نحلة ليس فيها رائحة العقل أصلا!

فهذه سبع صفعات متتابعات على قفا قرد الإلحاد الهالك "كريستوفر هيتشنز"، ولدينا بعون الله المزيد، نضيفه إلى هذا الشريط إن كان في العمر مزيد، والله أسأل الإخلاص والقبول، والحمد لله رب العالمين.



النصح والتبيين لمن قال : ليس في الإسلام ما يمنع من قبول نظرية دارون

الحمد لله الذي خلق كل شيء وقدره تقديرا، بث في الأرض من كل دابة، وخلق آدم بيده على صورته ونفخ فيه من روحه، ثم أسجد له الملائكة توقيرا .. والصلاة على خير خلقه محمد النبي الأمي، خاتم النبيين والسلام عليه وعلى آله تسليمًا كثيرا..

أما بعد..

فإنه لا يكاد يخفى على أحد في هذا الزمان ما لنظرية داروين الموسومة (النشوء والارتقاء) من تأثير بالغ على أصول الفكر العلمي الطبيعي والفلسفي - بصورة عامة - في بلاد الغرب في زماننا، لا سيما في أوروبا، المتصدرة في بث أوحال الإلحاد في الأرض في كل مكان، والله المستعان.

ولا يبالغ في الحقيقة من يدعي أن علوماً بأكملها - تخصصات علمية مستقلة - قد قامت على أساس تلك النظرية وحدها، لا سيما فيما بين حقلي علم الأحياء الطبيعي وعلوم البحث والتنقيب الحفري التاريخي (الأركيولوجيا).. علوماً تقوم أصولها - بكل ما فيها من مباحث - على تلك النظرية، قيام البناء على الأساس! ويكفي أن نشير ههنا على سبيل المثال إلى ما يسمى بعلم (الإحشاء) أو *Paleontology* وهو ذلك العلم المعني بدراسة ما يسمى بالتاريخ الطبيعي (وهو تاريخ ارتقاء الكائنات بعضها من بعض بناءً على نظرية داروين)! فهذا العلم ريب لتلك النظرية، فبقاؤه - كله بكل ما فيه من مباحث - مرهون ببقائها، وزواله بزوالها، والمطالع كذلك لفلسفات الغرب خلال القرنين الماضيين يلمس بجلاء ما لهذه النظرية من تأثير في كافة حقولها عندهم، ولا تكاد اليوم تقف على كتاب من كتاب الفلسفة الغربية المعاصرة - حتى فلسفة الأخلاق والأديان - إلا وترى فيه تقريراً - بالتضمنين أو التصريح - لتلك النظرية وبناءا عليها!

فكانت سنة الله في هذه الأمة كما قررها سيد المرسلين بأبي هو وأمي ﷺ.. أن يخرج من يتبع سنن اليهود والنصارى في التعامل مع هذه النظرية... شبرا بشبر وذراعا بذراع! (فمما يؤسف له أشد الأسف، أن نرى من عقلاء المسلمين من يضربه الوهن والهزيمة النفسية في مقتل، كما ضربت كثيرا من النصارى الغربيين من قبل، من علماء الطبيعيات والفلاسفة المتصدرين لمناقشة الملاحظة في دعاوهم المعاصرة، فإذا هم يتلمسون موطننا وسطا بين تلك النظرية وما جاءنا من خبر الخلق في نصوصنا،

يرومون الجمع بين المتناقضين من حيث لا يشعرون!

يقول قائلهم - كما قالت النصارى من قبل: "ليس في نصوصنا ما يمنع من قبول أصل نظرية داروين وفكرة ارتقاء الكائنات من بعضها البعض بصفة عامة، فبوسعنا أن نقول إن ذلك كله إنما كان من تقدير الرب جل وعلا، مع استثناء خلق آدم عليه السلام لما جاء فيه من النص الصريح" ويقول القائل منهم (ينقل كلاما لا يعي حقيقته): "الارتقاء *Evolution* حقيقة علمية مجمع عليها في سائر دوائر العالم العلمية، فلا يمكننا إنكاره، وإنما نقول إن الله قد خلق به خلقه على ذلك النحو البديع الذي نراه، في عملية طويلة دامت عبر بلايين من السنين على سطح الأرض!" (يقلد في ذلك دعوى علماء النصارى المشتغلين بالرد على الملاحظة في أوروبا، حذو القذة بالقذة)، بل رأينا من ذهب إلى أبعد من هذا، وخالف صريح القراءان وقال بما معناه "لا مانع من قبول نظريات التاريخ الطبيعي بأكملها، والقول بأن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان سليلا للقردة العليا، اصطفاه الله وذريته من جنس بدائي بائد، ليرتقوا إلى تلك المنزلة التي نراها الآن لبني آدم في الأرض!!"

فيا لله كيف اهتز اليقين في تلك النفوس المسكينة، في قضايا غيبية لا سبيل إلى الوقوف على خبرها وحقيقة ما جرى فيها - أصلا - إلا بنص من الرب جل وعلا، فراحوا يتأولون النصوص خرقا للإجماع وهدما لفهم الأمة عبر قرونها المتطاولة لما بين يديها من نصوص الوحي، وراحوا يتلاعبون بها تلاعب النصارى وغيرهم من أهل التحريف والتبديل، وكأنما وضعهم هذا "الداروين" في مأزق وضيق عليهم الخناق وأخرجهم، فلم يجدوا إلى خروج من سبيل إلا بالرضوخ له ولمن صار يدين بدينه الجديد ممن أحكموا سيطرتهم على دوائر البحث الأكاديمي في أوروبا وغيرها، يقولون كما قالت

قريش للذي بعثه الله فيهم بالحق، "نعبد إلهك يوما وتعبد آلهتنا يوما!!"

ويجهل إخواننا أن تلك الطائفة المهزومة من النصارى قد أصبح المثقفون في أوروبا يسمونهم بالخلقيين *creationists* وكأنما صار الخلق - بسبب طريقة هؤلاء المساكين المفتونين في المناقحة عن معنى الخلق - لا يزيد على كونه "نظرية" قابلة للأخذ والرد، يُطلب التدليل عليها كما يطلب على غيرها من فرضيات العلم الطبيعي أو الفلسفي!!! والله الذي لا إله إلا هو، ما رأت البشرية انحطاطا للعقل كما رأت على أيدي هاتين الطائفتين جميعا، المتنازعتين على وجود الرب جل وعلا، يقولون "لأهل الدين (نظرية) في نشأة الكائنات على الأرض (ألا وهي الخلق)، ولأهل العلم نظرية أخرى، ولكل من الفريقين أدلته!!!"

ولست في هذا المقال بالذي يروم هدم جهود إخوانه ممن انفردوا على ساحة الدعوة إلى الله تعالى في الغرب وفي بلادنا بالتصدي للملاحدة وأضرابهم، ولكنه نداء توجيه وتحذير، أوجهه إلى كافة المشتغلين بالرد على الملاحدة والمتكلمين في تأصيل موقف المسلم من قصة الخلق وتاريخ الكائنات على سطح هذه الأرض ومن نظرية داروين وما جاء به من البضاعة = أن اتقوا الله والزموا سبيل المؤمنين من قبلكم في هذا كما في غيره، ثم تعلموا - رعاكم الله - تلك النظرية الفاسدة على حقيقتها وافقهوها حق الفقه، فإن فعلتم فسيظهر لكم من قبل ما كان خافيا عليكم، وسيظهر لكم بطلان ووهاه كثير مما أعجبكم من طرائق للنصارى الغربيين في الرد على هؤلاء الدراونة! وسيتبين لكم أنه ليس بعد الهدى إلا الضلال، وأنه ليس بين الحق والباطل إلا باطل مخلوط بحق مدخول!

فاعلموا حفظكم الله وسددكم أن نظرية داروين في أصل الأنواع إنما تقوم - في أصلها الفلسفي - على مطلب إيجاد آلية عشوائية - أي لا تحتاج إلى قوة خارجية لتوجيهها وحكمها وضبطها - لنشوء تلك الكائنات على سطح الأرض، بدءا من أصل الخلية الواحدة! (ولك أيها العاقل الكريم أن تتأمل في وصفي الأنف للآلية بأنها عشوائية، وجعل العشواء آلية، وتنعم النظر في هذا الوصف: فيه أصل الفساد في نظرية داروين لو تأملته!) فما كان إلا أن وضع داروين تلك الآلية فيما يسمى بالانتخاب الطبيعي

Natural Selection بالإضافة إلى ما يسمى بالطفرة العشوائية *Random Mutation*

ولهذا لم يسم داروين كتابه الأول (أصل الكائنات بالارتقاء) وإنما (أصل الكائنات بالانتخاب الطبيعي)! وهذه الآلية هي إضافته التي حولت تلك النظرية من مجرد فكرة فلسفية قديمة إلى نظرية في علم الأحياء على نحو ما نرى.. فما حقيقة الانتخاب الطبيعي هذا وكيف تعمل تلك (الآلية)؟

تقوم فكرة الانتخاب الطبيعي ببساطة على افتراض أن التكيف مع الطبيعة شرط كان الأصل في سائر ما جاء إلى الأرض من كائنات هو العجز عن القيام به والتخلف عنه (على اعتبار أن تلك الكائنات ليست بمخلوقة ولا جاءت إلى الوجود بفعل فاعل مريد ذي قدرة وإرادة)، فكان مصيرها جميعا الهلاك والانقراض إلا ما كان منها سعيد الحظ بظهور جين جديد في خلاياه (بالطفرة العشوائية ونحوها) أفضى إلى ظهور عضو جديد أو وظيفة جديدة أو نظام بيولوجي جديد في ذلك النوع بعينه، أعانه على التكيف مع الطبيعة (كالمفتاح مع القفل على حد تشبيه دوكنز)، فلم يهلك ذلك الكائن، واستمر نوعه وبقي، وبهذا تكون الطبيعة قد "انتخبته" دون غيره من الكائنات لبقى في الأرض، ولتنزل منه سلالة من كائنات أخرى، يهلك ما يهلك منها حتى تأتي الطفرة العشوائية السعيدة لبقى منها ما يبقى، فكلها جاءت إلى الأرض بأمثال تلك الطفرات العشوائية التي وصلت بنا في النهاية - وبعد بلايين السنين - إلى هذا الحال الذي نراه على سطح الأرض!

هذه أيها الموحدون الكرام، وباختصار شديد، حقيقة ما يسمى بنظرية داروين في أصل الأنواع. يؤمن هؤلاء السفهاء بأن الحياة يمكن أن تنشأ على هذا النحو البديع الذي لا تكاد تدرك عظمتة عقولنا، من خلال تراكم طويل لخطوات من الإضافات العشوائية الكثيرة التي لم تلتزم نسقا معيناً ولا طريقاً مخصوصاً، حتى وصلت في النهاية إلى هذا الحال المحكم تام الإحكام الذي نراه الآن من حولنا في كل مكان! فأين عقولهم هؤلاء إذ يصفون العشواء التي لا حاكم لها، بأنها آلية محكومة تنضبط بقوانين الطبيعة عبر بلايين السنين، وكيف يغفلون عن ذاك التناقض العجيب؟؟ وأين عقولهم إذ يصفون الكائنات بالنشأة العشوائية، ويغفلون عن ضرورة الإرادة والتقدير في صياغة تلك العلاقة البديعة - من الأصل - بين الطبيعة والمخلوقات، وبين المخلوقات وبعضها البعض، التي هي شرط لبقاء الكائن و"انتخابه" بالأساس، كتلك العلاقة بين المفتاح والقفل التي ضربوا بها المثل؟؟ هؤلاء أسفه أهل الأرض عقولا، ولا عجب في هذا! ولكن العجب كل العجب، والمصيبة كل المصيبة، فيمن افتتن بهم

من عقلاء المسلمين وراح يقول إن الإسلام ليس فيه ما يمنع من قبول نظرية داروين بعمومها فيما عدا ما يتعلق بخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ!! شيء مخجل والله، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

بأي عقل ودين يقبل المسلم الموحد التسليم بصحة هذه "الآلية" العشوائية العمياء، يدعي أن الله قد أجراها بإرادته وعلمه وتقديره؟؟ أي تقدير هذا وأي إرادة بقيت إذن يا أيها العاقل الفطن؟؟

إن كانت تلك الطفرات الجينية في زعمك يا مسكين ليست عشوائية وإنما قدرها الله تقديرا، كل منها في وقتها وحينها، فقد أبطلت معنى الانتخاب الطبيعي رأسا، وجئت بما يناقض (آلية) داروين التي ما فرح بها الملاحدة إلا لأنهم عدوها أول بديل مقبول لمعنى الخلق، يغني عن وجود الخالق!! فإن كان الله تعالى قد قدر تلك الطفرات التي يسميها الداروينيون بالعشوائية، فهو كذلك - ولا بد - قد قدر أي الأنواع يبقى وأيها ينقرض، وهذا يهدم معنى الانتخاب الطبيعي رأسا ولا شك! ومع أننا لم نر مثل هذه الطفرة قط في تاريخ وجودنا على هذه الأرض (رأينا تكيفا للكائنات وتحورا لها جينيا، نعم، ولكن لم نر نشأة عضو جديد لوظيفة جديدة في كائن حي أبدا!!!) إلا أن من إخواننا من لا يرى مانعا من قبولها كطريقة يخلق الله بها الأنواع الجديدة على الأرض، من أنواع أخرى مشابهة!!

وأنا لا أقول إنه يمتنع عقلا أن يخلق الله بعض الكائنات الجديدة والأنواع الجديدة من خلال التغيير الجيني (وهذا نراه واقعا بالفعل)، بل ولا يمتنع عقلا ولا شرعا أن ينشئ الله جينات جديدة في نوع ما فتصير نوعا آخر (وإن كنا لم نر هذا من قبل!!) لا يزال الله قادرا على ما يشاء، فعلا لما يريد وقتما يريد.. ولكن القصد أن الإخوة يتكلمون بمثل هذه الممكّنات من منطلق (وما المانع؟)، في مقام النظر فيما جاء به داروين وتقرير ما جرت عليه قصة الخلق على الأرض! فلو أنهم قرأوا وفهموا أصول تلك النظرية حق الفهم لعرفوا ما المانع! ولو أنهم قرأوا قصة الخلق فيما جاء في كتاب الله تعالى وما صح في سنة رسول الله ﷺ، لاكتفوا بها، ولما أشغلوا بالهم بتلك المحاولات المتهافتة المخزية للجمع بين الحق والباطل، وتصور قصة الخلق من منظور (ارتقائي) أو (دارويني)! بل لفهموا وأدركوا ما في وصف الكائنات بأنها (ترتقي) من تنقص واضح وحط من قدرة الخالق جل وعلا، إذ خلق في الابتداء أنواعا لا ترتقي ولا تصلح، ثم أصلح خلقه ذاك "بالترقية"، سبحانه وتعالى عما يصفون!!

فإن قالوا إننا نرى بجلاء ظاهرة التكيف في الكائنات، والتغير الجيني الذي يفضي إلى ذلك التكيف، فهذه حقيقة "الارتقاء"، قلنا لهم ليس التكيف ارتقاء! وإن كان التكيف حقيقة نراها فليس الارتقاء بحقيقة!! التكيف Adaptation إنما هو انتقال من حالة سابقة لمخلوق بديع الصنع تام الإحكام والتقدير في بيئته التي كان يعيش فيها، إلى حالة جديدة يكون بها تام التوافق مع بيئة أخرى جديدة صار الآن يعيش فيها، كيف بعد كيف، وتوافقا بعد توافق، واتزاننا محكما من بعد اتزان! أما الارتقاء

evolution فانتقال عشوائي من وضع منحط ناقص، إلى وضع تصادف أن صار يرقى للبقاء والتوافق مع البيئة، فكان الانتخاب والبقاء لما هكذا صفته!

وفي الحقيقة فإن خير ما يوصف به دعاة الداروينية أنهم يؤمنون بذلك الخالق الذي سماه إمامهم في العصر الحديث ريتشارد دوكينز "بصانع الساعات الأعمى" *The Blind Watchmaker* معارضة لمثال ويليام بالي الذي ضربه لدقة الخلق بعمل صانع الساعات. ذلك بأنهم في الحقيقة لم يبتطلوا وجود الخالق جل وعلا ولا يستطيعون، وإنما غاية ما فعلوا أن جعلوه خالقا أعمى ناقص العلم مسلوب الإرادة، وضع نظاما للحياة من طبيعة وكائنات تعيش فيها، وضبط متغيرات الكون كلها بما يناسب الحياة على الأرض، ثم راح يتخبط خبط عشواء في إنشاء تلك الكائنات، لا يدري أيها سيبقى وأيها سيفنى ومتى ولماذا!! تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

فهذه حقيقة ملة الداروينيين: صانع الساعات الأعمى! وهم ينافحون بشدة ضد من يقول إن نظريتهم مفادها أن الحياة نشأت نشأة عشوائية، يقولون الانتخاب الطبيعي ليس عشوائيا، ومن قال بهذا القول فلم يفهم الانتخاب الطبيعي! إنما هو آلية ونظام مستمر، متقيد بقيود قوانين الطبيعة! فإن جئت تلزمهم باللازم الواضح لهذا التقرير منهم، وهو الضرورة العقلية لوجود قائم على ذلك النظام يضبطه ويقيده بذلك القيد من أوله إلى آخره، حتى وإن كان خالقا يعث بالطبيعة ويضرب ضرب العشواء فيها على حقيقة اعتقادهم (تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا)، قالوا كلا إنما هي صدفة بعد صدفة، وحدث عشوائي بعد حدث عشوائي، ومثل هذا لا يوصف بأن له منظما أو ضابطا يضبطه من الخارج!! فلا سبيل لمجادلة من يضاد عقله الذي في نفسه على هذا النحو، ويقلب ثوابت المنطق واللغة رأسا على عقب، يروم الاستدلال لإثبات المعاني الواضحة التي لا يماري فيها العقلاء، تلك المعاني التي لو

اختلف في مثلها اثنان لم يبق لأداة العقل عند أي منهما كبير فائدة !
وأكرر، لا عجب من هؤلاء، فالسفاهة من أهل السفاهة لا تُستغرب! ولكن العجب العجيب ممن جاءنا
من المسلمين يقول إنه لا يبعد أن يكون الله تعالى قد أنشأ الكائنات على الأرض على نحو ما تقول
نظرية داروين !

ولعل قائلًا منهم يقول :ما المانع من أن نقول كما قالت بعض النصارى موافقة لما عند علماء الأحياء
(يعني الملاحظة) من نظريات، إن الله بدأ الخلق في بحيرة دافئة كانت فيها تلك الأحماض الأمينية
والبروتينات التي تتكون منها الخلية، فضر بها الله ببرق أو نحو ذلك فنشأت الخلية الأولى، ثم تركها
بعد ذلك لترقى وتتعدد ببطء شديد، طفرة بعد طفرة على نحو ما قال الداروينيون، بلا "تدخل" منه في
سيرها، حتى جاء وقت مجيء آدم، بعدما استوت الكائنات واستعدت لاستقباله، فخلقه في الجنة كما
أخبرنا ثم أهبطه إلى الأرض ليجدها كما وجدها؟؟ هذا لا يتعارض مع قوله تعالى إنه خلق كل شيء
وقدره تقديرا!

وأقول لهؤلاء :إن مثل هذا التصور باطل بطلانا لا أكاد أحصي أدلته من العقل والنقل، ولا أدري -
والله - من أين أبدأ لبيان ذلك!! هذا كلام من لم يقرأ كتاب الله يوما قط! أي شيء يحملنا على قبول
هذه الخرافة أصلا وبأي بينة؟؟ وهل وضعها واضعها إلا سعيا لتصوير نشأة عشوائية للحياة دون خالق
أصلا؟؟ وهل وقف هؤلاء المنهزمون الجهلاء يوما على آيات امتنان الرب جل وعلا على الناس بخلق
الدواب والأنعام باختلاف ألوانها وأشكالها وما جعل الله في كل منها من نفع سخره لبني آدم تسخيرا؟
إن شطرا كبيرا من كتاب الله في هذا المعنى، فهل قرأه هؤلاء يوما ما؟ فمن أين له هذا المسكين القول
بأن الله بدأ خلق الدواب من خلية واحدة في بحيرة؟ أشهدهم الله حدث الخلق الأول وأوقفه عليه، أم
يقولون على الله ما لا يعلمون؟؟ سكتب شهادتهم ويسألون!

لا شيء عند المشتغلين بما يسمى بعلم أصل الحياة) *Abiogenesis* وهو أيضا من شعب العلوم
القائمة قياما تاما على نظرية داروين) يرقى لأن يسمى دليلا أصلا، وما هم إلا قوم سفهاء يرومون
محاكاة حدث النشأة الأولى هذا في المعمل (يتوهمون لسفاهتهم أنهم لو وفقوا في هذا فيسيكون ذلك

دليلاً - وتأمل - على أن الحياة نشأت في بحيرة بلا خالق وبلا أي قوة خارجية تضبط وتجهز لذلك الحدث الفريد مثل تجهيزهم لتلك التجربة في المعمل!! فإن زعم أصحاب تلك التجارب أن الحياة نشأت على هذا النحو فهم ملاحظة على أي حال لا عقل لهم ولا يهتدون! أما هذا الموحد الذي يقول على الله بغير علم، يرمم بالغيب رجماً، يقول أنشأ الله الدواب على الأرض بطريقة كذا وكذا كما قال داروين وغيره، يوافق ما زعمه هؤلاء السفهاء، فهذا حقه أن يعزر وينكل به تنكيلاً!

ينبغي أن يكون واضحاً لدى المسلمين جميعاً أن هذا الحدث الفريد، حدث الخلق الأول، لا يمكن - عقلاً - أن يستدل على شيء من أحداثه بالنظر فيما نراه الآن من حولنا في السماء والأرض! إذ هذه الأحداث التي نراها في الكون إنما بدأت بعد الحدث الأول الذي خلقت به ولا بد! وكذلك الدواب، ما نراه اليوم من أحداث تجري بين أنواعها، لا دخل له بما جرى في حدث خلقها الأول، ولا يستدل بهذا على ذاك! فمن القضايا الفلسفية التي يأخذها الدراونة مأخذ المسلمات، وكأنها غير قابلة للنقاش = قضية الاستمرارية الكونية *Uniformitarianism* وهي الآن معدودة من أركان علم

الجيولوجيا التي لا خلاف في صحتها. وفي الحقيقة فإن علماء الجيولوجيا لو لم يفترضوا استمرارية العمليات والأحداث التي تجري الآن على الأرض كما هي في الماضي فإنهم لن يمكنهم الخروج بشيء ذي بال فيما يتعلق بتاريخ للأرض وطبقاتها الظاهرة! ونحن لا نمانع من قبول ذلك الافتراض فيما لا يظهر لنا - بالدليل الحسي أو العقلي أو النقلي - ما يمنعه.. فنقول مثلاً: بما أن الطبقة الفلانية على سطح الأرض تتكون اليوم حيث تتكون بمعدل كذا، فإن هذا يعني أن الطبقة المشابهة التي

سماكتها كذا التي نجدتها في موضع كذا، يكون عمرها - بالقياس - كذا وكذا.. هذا المنطق في القياس مقبول بالجملة لا نرفضه، وهو يفضي إلى استنتاج ظني بشأن تاريخ تلك الطبقة.. ولكن إن جاءنا دليل آخر أقوى من هذا، يفيد بأن هذه الطبقة كانت أقصر عمراً مما دل عليه ذلك القياس، قدمنا الدليل الأقوى، وخرقنا مبدأ الاستمرارية هذا ولم يلزمنا إطراده! فإن القائلين به - وهو محل إجماع عندهم - لا يمنعون من ظهور ما يخرقه في تاريخ الأرض من كوارث أو نحوها..

فالآن عندما يأتي قوم يريدون تطبيق هذا المبدأ نفسه على أصل خلق الأرض نفسها، يقولون إن استقرار ما يجري على طبقات الأرض من تغير وتحول تدريجي، يمكن أن يفيدنا بمعرفة عمرها

الافتراضي وتاريخ نشأتها الأولى، فهل هذا الاستدلال نقبله منهم؟ لا نقبله! لماذا؟ لأن نشأة الأرض الأولى لم تكن حدثاً متوسطاً بين حدثين مماثلين في تاريخ الأرض، فيمكننا تحديده باستخدام تلك الطريقة الإطرازية في قياس ترتيب الأحداث في تاريخها قياساً على ما نراه الآن من ذلك، وإنما هو الحدث الأول الذي به خلقت الأرض نفسها بما فيها، يوم بسطها الله ودحاها وجعلها على نحو ما نرى! فمن الطبقات القديمة التي يرجع بها الجيولوجيون تاريخياً إلى بلايين السنين إعمالاً لقاعدتهم هذه، ما لا يبعد أن يكون قد خلقه الله على هذا النحو يوم خلق الأرض وبسطها، في حدث واحد لا بالتراكم عبر بلايين السنين! فنحن لا ندري ولا يمكننا أن ندري كيف خلق الله الأرض في ذلك الحدث الأول، ولا يمكننا - بضرورة العقل - أن ندخله في تلك السلسلة القياسية الاستمرارية! وكذلك حدث الطوفان، طوفان نوح عليه السلام، هذا حدث لا شك أنه قلب الأرض رأساً على عقب في تاريخها الجيولوجي، فمجرد افتراض أنه لم يتغير شيء في سير النظام الكوني بعد حدث كهذا عما كان قبله = افتراض لا يقبله المسلمون! وهنا قضية فلسفية وأصولية دقيقة شديدة الأهمية، أرجو أن ينتبه إليها إخواننا من المشتغلين بفلسفة العلوم ويعلم الجيولوجيا .. لا سيما وقد رأينا منهم من يتحمس أشد الحماسة لنظرية الانفجار الكبير هذه يعدها مما يدل على صحة الوحي!!

الفرق الجوهرى بيننا وبين الملاحدة، أن الملاحدة لا يملكون إلا ما يرون الآن من القرائن من حولهم، أما نحن فلدينا من نصوص الوحي المعصوم الثابتة عندنا ما يفيدنا بما يجهل هؤلاء من خبر الماضي البعيد، ذلك الماضي الذي يحلمون بمعرفة أسرارهِ وقد رموا خبر السماء فيه وراء ظهورهم، فصاروا لا يملكون إلا افتراض استمرارية ما يرونه الآن من أحداث في الكون وصولاً إلى غور الماضي السحيق كطريق لمعرفة ما جرى فيه! فإن قالوا لنا إن نظرية الانفجار الكبير تقول إن الكون بدأ بانفجار، وقد دلنا على ذلك ما نراه من انتشار للسحب الكونية وما نراه الآن من توسع مطرد للكون وأجرامه ونحو ذلك، قلنا لهم لا يلزم - عقلاً - أن يكون ذلك التوسع مستمراً من الماضي السحيق كما هو بداية من نقطة واحدة أو جرم واحد!! فإنه لا يبعد - عقلاً - أن يكون الكون قد بدأ من جرمين كبيرين، انفجر أحدهما وبقي الآخر حيث لا نره - مثلاً! أو أن يكون قد بدأ على نحو انكماشى انقباضى، ثم راح يتوسع إلى

حد معين ثم رجع للانكماش وهكذا ونحن الآن في مرحلة من مراحل التوسع (وهذه نظرية يقول بها بعض الفلكيين الآن بالمناسبة!!) ولا يمتنع - وبنفس النسق العقلي - أن يكون الكون قد خلقه الله على نحو ما وصف لنا في القرآن والسنة، ثم حرك أجرامه في أفلاكها حتى جئنا نحن اليوم لنراه يتحرك ويتوسع على نحو ما نراه!! ولا يلزم أن يكون حدث الخلق الأول للكون انفجاراً أصلاً كما يدعون! وإنما هو كما وصفه الله، ووصفه رسوله، نقف عليه بلا زيادة ولا نقصان.. ولو كان ينفعنا العلم بالمزيد من خبر ذلك الغيب البعيد لأخبرنا به الملك الشهيد! الانفجار حدث تتناثر فيه الأجزاء المتفجرة عشوائياً كما لا يخفى من مجرد معناه!! فكيف ينسب هذا المعنى إلى الخالق جل وعلا في بنائه الأرض والسماء وإنشائه إياهما إنشاءً؟؟ وإن قالوا نحن لا نقول إنه انفجار عشوائي كما يدعون وإنما نقول إن الله أحدثه وأجراه على نحو ما أراد، فلماذا يتمسكون بمعنى الانفجار *Bang* ويحتجون على صحة القرآن به، مع أنه لم يقل بمثل هذا المعنى أحد ممن فسروا آيات الخلق في قرون أمتنا قط؟؟ الله وصف في القرآن تفجيره للماء من العيون، فلماذا لم يصف خلق الأرض والسماء بالتفجير كذلك؟؟ لماذا نعتصر أعناق كلام المفسرين لنخرج بما يوافق نظرياتهم؟؟ ولماذا تقبلون معاشر المسلمين من هؤلاء سعيهم للتنظير والافتراض في كيفية نشأة السماوات والأرض أصلاً؟؟ ألا يكفيكم ما جاءكم من خبر الخلق في النص؟؟

نحن المسلمون نرفع أخبار الخلق عندنا فوق ما يتبعون من الظنون، ولا يعيننا اتفاقهم على خلاف ما عندنا إن اتفقوا، ولا يرهبننا ذلك ولا نتهيه! وكذا لا يحملنا ما قد يظهر في بعض نصوصنا من موافقة لشيء مما افترضوه في نظرياتهم على الاندفاع إلى قبوله منهم وجعله آية من آيات صدق النبوة دونما تمحيص وتحقيق لمراتب الاستدلال العلمي المتبع في القول بتلك النظريات! وأصلنا الأصيل وركننا الركين أنهم مهما قالوا ومهما استدلووا، فلا شيء من استدلالاتهم يمكن - عقلاً - أن يرقى لرد أو إبطال ما لدينا، بالنظر إلى قوة أدلتنا في الدلالة على ما عندنا في مقابل أدلتهم.. ولا يحملنا - وهو المعنى المهم في هذا المقام - على مثل ما حمل عليه النصاري من تحريف لمعاني النصوص في الكتاب كما صنعوا بسفر التكوين إذ قلبوه بأكمله إلى ضرب من المجاز حتى لا يقال إنهم ردوا ما جاء به العلم

الحديث وتمسكوا "بأساطير الأولين!!!"

ما أخبرنا الله به في نصوصنا هو الحق كما أخبر، ولا يملك أحد من الخلق من الدلائل ما يمكنه من معارضة تلك الأخبار أو إبطالها بحال من الأحوال! ونحن نتحدى أعلم فلاسفة الأرض جميعاً أن يأتينا بدليل واحد يرقى - عقلاً - لمخالفة ما صح به النص عندنا من أخبار الخلق الأول، سواء خلق السماوات والأرض أو خلق الدواب والحياة على الأرض!!

فإن علمنا هذا وفرغنا منه، وقررنا أنه لا معارضة لما جاءنا به النص من معاني الخلق، بقي أن نسأل إخواننا: لماذا - إذن - تنهزم أنفسكم وتضعف بإزاء تلك النظريات وكأنها وحي منزل، ونراكم ترومون لي أعناق نصوصنا حتى توافقها، بل تستنطقونها بتلك النظريات أحياناً؟؟ وكيف يصل بكم ذلك النزاع الذميم إلى حد قبول نظرية تقوم قياماً تاماً على نفي القدرة الخالقة والإرادة الخارجية عن سير الحياة على الأرض وعن نشأتها، لمجرد أن صارت من مسلمات بعض العلوم في زماننا؟؟ وإن قلنا باستمرار ما يجري من تغير في الكائنات إلى عمق التاريخ على الأرض، فأين ما عليه قلم بالقياس إن الكائنات الحية نشأت كلها - من حيتان وطيور ودواب وحشرات - من أصل واحد؟؟؟ رأيتم ولو لمرة واحدة طائراً ينشأ بالتطور من زاحف (مثلاً)؟؟ ليس يوجد أصلاً فيما نرى الآن من أحداث بين الكائنات الحية ما يمكن أن نطرده استمراراً بإعمال هذه القاعدة القياسية، لنصل في النهاية إلى القول بقبول شجرة الارتقاء التي تبدأ عند الكائن أحادي الخلية!!! ولا يفيدهم التقارب بين صور الكائنات، ولا يخدمهم ترتيب الطبقات الجيولوجية التي وجدوا فيها ما وجدوا من الحفريات، لأن تلك القرائن الظنية - مهما كثرت وتراكمت - لا ترقى لمعارضة العقل الصريح الدال على ضرورة الخلق المحكم المتقن - لا هذا الارتقاء العشوائي المخزي الذي لا يحكمه حاكم - ولا لتكذيب ما جاء به النص عندنا من خبر الخلق!

فأكرر إن الأمر الذي ينبغي أن يفهمه عقلاء المسلمين أن تلك النظرية ما وضعت إلا لجعل العشواء (على سلسلة متتابعة عبر بلايين السنين) بديلاً للخلق المحكم والتقدير المتين! فلو قلم لهم الله هو الذي فعل هذا كله عبر تلك البلايين من السنين لأجابوكم - كما قال بعضهم تصريحاً - بأن هذا من العبث لأن نظريتنا تقوم على الزعم بأنه لا يلزم أن يكون هناك خالق أصلاً ليقوم على تلك العملية كما

نصفها!! فإن لم ينتبه الموحدون إلى هذا المعنى، ولم يجعلوا ديدنهم إبطال تلك العملية أو الآلية من أصلها وإرجاع الأمر إلى نصوص الوحي في هذا وحدها دون غيرها، فقد قالوا على الله بغير علم، مقالة شديدة المذمة – والتناقض في ذات الوقت – كالتي قالها النصارى، حاصلها أن الله بدأ الحياة على الأرض ثم تركها وأخذ يشاهدها من الخارج لتجري بلا توجيه ولا إرادة حتى تصل إلى الحالة التي كان يريدتها من قبل حتى يخلق فيها الإنسان ويجعلها كما نراها الآن!! فإن كان من شيء فإن هذا لازمه نفى العلم عن الله ونفي إرادة خلق آدم وابتلائه في الأرض، ونفي القضاء والقدر والحكم الرباني على سائر ما يجري على الأرض من أحداث، ونفي القيومية والكفر بأكثر صفات رب العزة جل وعلا التي ما استساغ النصارى مثل هذا القول الساقط إلا لجهلهم بها وتضييعهم لها في كتابهم!!

فكيف يغفل هذا المسكين عن لازم قوله إن الله بدأ الخلق الأول ثم "تركه" و"لم يتدخل فيه"؟؟ أهو وصف لله بالغفلة أم بالغياب أم بالانشغال عن الخلق وإهماله أم ماذا؟؟؟ ألا يعي من يقبل من الداروينيين قصتهم هذه ما يلزمه من هذا القبول؟؟ إنه والله قول أشد ذماً لله من قول أهل الكتاب إنه

سبحانه "استراح" في اليوم السابع، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً!! ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي

الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ

رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ [الحج: 65] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ

أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ [فاطر: ٤١] ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ

السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ [النحل: ٧٩]

النصارى لغرقهم في الجهل والضلالة لم يجدوا مانعاً من قلب نصوص كتابهم (كتاب الخلق) كلها إلى المجاز حتى لا يظهروا بمظهر مروجي الأساطير القديمة الذين لا يزالون – في القرن الواحد العشرين! – يقولون بحرفية هذه الروايات، يعارضون بها ما جاء به "العلم الحديث"!!! وهذا الضرب من روب التحريف نعرفه، وقد عرفته سائر ملل الأرض من قبل، وما ضلت أغلب طوائف المبتدعة من أهل القبلية إلا بالوقوع في مثله: الانصراف إلى خلاف المعنى الظاهر من النص الذي كان عليه الأولون، وصولاً إلى حد التأويل الباطني، بلا قرينة ولا بينة إلا الشبهة العقلية الواهية واتباع الهوى! يقولون لو

حملنا هذا النص على ظاهره لعارضنا الدليل العقلي (وليس إلا معنى فاسدا جاءت به عقولهم بلا سلف ولا إمام) أو لعارضنا النظرية الفلانية التي أجمع عليها أهل الأحياء - بدعواهم - أو لوقعنا في التشبيه والتجسيم ... إلى آخر ما في تلك القلوب المتشابهة، والله المستعان! فهل أنتم ذاهبون إلى أمثال تلك التحريفات والتبديلات؟؟ وأنا أعجب والله كيف يقبل المسلم الموحد من هؤلاء قصة مخزية سفينة كقصبة ارتقاء العين ونحوها (مثلا)، يقول إن الله أجرى هذا الارتقاء بعلمه وحكمته وتقديره؟؟ أما تستحون يا هؤلاء؟؟ ألا تتقون الله؟؟ أم تراكم لا تفهمون ما جاء به داروين؟؟ إن كنتم تجهلون فتلك مصيبة، وإن كنتم تعلمون فالمصيبة أعظم!! فالحاصل يا عباد الله أنه لا يمكن للمسلم الموحد أن يقبل ببعض نظرية داروين دون بعضها، لأنها إنما تقوم قياما كاملا - في أصل آليتها التي جاء بها داروين - على تنحية العقل والإرادة والتدبير الخارجي (وما يلزم من معاني الخلق الواضحة الجلية شديدة الجلاء لسائر العقلاء) عن قصة نشأة الكائنات على سطح الأرض! فأى جزء منها هذا الذي يمكن للمسلم قبوله، وبأي برهان؟؟ ولماذا يا عباد الله يا عقلاء؟؟ أهو الضعف والوهن؟ أهو الجهل بحقيقة نظرية داروين وأصولها الفلسفية؟ أهو الجهل بما جاء في قصة الخلق من نصوص في دينكم؟ أهو الخوف من اتهامهم إياكم بمثل ما اتهم به السفهاء أتباع الأنبياء في كل زمان؟؟ أي شيء هذا إذن وكيف تفسرونه؟؟ أسأل الله العلي العظيم أن يلهم هؤلاء رشدهم وأن يفقههم في دينهم ثم في دين هؤلاء الذين افتتنوا بهم، وأن يعجل برجوع الإسلام عزيزا في صدور أتباعه كما كان في زمان العزة والتمكين، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله

والحمد لله رب العالمين.



فتح الكريم الأعلى في نقد ما يقال له "النقد الأعلى" مغالطات الماديين في فلسفة التاريخ وفي التعامل مع نصوص الإسلام

الحمد لله وحده، أما بعد:

فمن أعجب العجب ما يقع عليه المرؤ بين الفينة والأخرى من محاولات متهافئة من قبل قروود الإلحاد المعاصرين لإطفاء نور الشمس، ولاستغفال أولي الأهواء من بني آدم بما يأتي على هواهم بدعوى التحقيق العلمي والبحث "المتجرد للحق"، ونحو ذلك من شعارات يحسنها كل أحد! فوالله لولا أني وقفت بنفسي في يوم من الأيام على كلام من ينكر وجود من خلقه وخلق هذا العالم من حوله ما صدقت أن توجد مقالة كهذه في الأرض أصلاً! ومن نفس هذه البابة أقول: لولا أني وقفت على كلام من يزعمون أن محمد بن عبد الله ﷺ خرافة لا وجود لها في التاريخ على الحقيقة، ما صدقت أن يوجد من يزعم زعماً كهذا! ولكن هكذا سنة الله جل وعلا في خلقه، سنة كونية ماضية لا تبدل لخلق الله. فكل من ابتلي في يوم من الأيام بمطالعة مؤلفات الفلاسفة من شتى الملل والنحل، لا يملك إلا أن يقف في وجل بإزاء عظمة الخلق جل وعلا، الذي خلق البشر ليتليهم بالغيب، فجعل - من كمال حكمته سبحانه - في نفوسهم ما به قد يبلغ الواحد منهم أن يجترئ على استحسان نفي وجود الشمس في كبد السماء، والتكذيب بوجوده هو نفسه أو وجود هذا العالم من حوله، أو وجود غيره من البشر أولي العقول والألباب! فالذي وقف على مثل هذا، ورأى كيف أنه ما من خرافة أو أكذوبة أو قول ساقط ممجوج يتصوره العقل البشري إلا وقد صار قولاً بل أقوالاً ومذاهب ومدارس لها أساتذتها ومصنفوها وروادها في "الفكر الفلسفي" العالمي، من وقف على هذا التيه المبين وسبر غوره وخبر مبلغه، لا يجد والله إلا أن يشني ركبتيه حمداً لله تبارك وتعالى الذي قال في محكم القرآن: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** (٨) ﴿الشَّمْسُ 7-8﴾، يحمده آناء الليل وأطراف النهار على أن

ألهمه الرضى بالإسلام ديناً، ثم يضرع إليه يسأله الثبات على دينه حتى يلقاه. فكم من حقيقة لا يتصور

عاقِل أن ينفِئها أو يخالف فيها أحد من البشر، قد وجد في هذه الأرض تحقيقاً من ينكرها ويحارب من أجل إبطالها وإزالتها من قلوب الناس! فوالله إنه لفي عافية ونعمة لا يدرك قيمتها أكثر الناس، هذا الذي من الله عليه بالبراءة من الهوى والتجرد للحق بحق، وإعلان التسليم بصحة ما شهدت نفسه وشهد عقله بأنه هو الحق الذي لا مزية فيه ولا ارتياب!

لقد شهد العقلاء جميعاً والفلاسفة والنفسانيون وأهل الأخلاق بأن تحصيل المعرفة بالشيء والدراية بدليله وبرهانه شيء، والإقرار بأنه الحق وقبوله (واعتناقه كـمعرفة فردية واعتقاد شخصي) ثم الرضا بالعمل بمقتضاه أياً ما كان ذلك المقتضى = شيء آخر بالكلية! وكم من إنسان تمر به حجة الحق الظاهرة المرة بعد المرة ولكنه يأبى إلا أن يتغافلها ويوليها دبره، لا لأنها لا يقوم بها البرهان العقلي الكافي في نظره وفي علمه، ولكن لأنه يكره التسليم بصحتها، ويكره ما يترتب على ثبوتها في حياته هو من تبعات ومقتضيات! فيظل يفني من عمره السنوات الطوال في تلمس دعاوى كل جاحد لها من أمثاله (وهو واجد من بين الفلاسفة والمفكرين من يوافقه في ذلك لا محالة!)، فتراه يجمع "الشبهات" (وكل دليل باطل ظاهر البطلان فليس هو بدليل أصلاً وإنما هو شبهة اصطلاحاً) بعضها إلى بعض حتى إذا ما حوجج، رمى بها في وجه مخالفه في سلة واحدة وقال هذه أدلتي على بطلان ما تزعمون!

وكثيراً ما يكون الباطل من الضخامة والفحش بحيث لا يدري العاقل من أين يبدأ في الرد عليه! وأنا والله ما كنت أتصور ولا أود أن أبذل من وقتي ما أضع فيه مقالا كهذا، أرد فيه على قوم بلغ بهم الجحود والغرور أن زعموا أن رجلاً اسمه محمد بن عبد الله لم يولد ولم يخلق أصلاً!! ما كنت أحب ولا أرجو أن يأتي علي يوم أجد شطراً من إنتاجي العلمي موضوعاً في الرد على قوم لا عقل لهم أصلاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ولكن هؤلاء الذين لا عقل لهم، يشاء العلي القدير فيما كتبه على الناس من بلاء في هذا الزمان، أن يكون لهم شأن في البلاد كبير، وتابع في الأرض وفير، وأن يكون لهم كتب ومؤلفات وأن تغزو تلك المؤلفات بلاد المسلمين، فيتلففها أولو الأهواء من المنافقين والزنادقة المنغرسين بين أظهر المسلمين، فتعظم وتروج ويصبح لأصحابها شأن ومنزلة، ويثار بها الغبار والرماد في أعين العوام والجهلاء من المسلمين، حتى يعان الشيطان على الموتورين منهم، وإذا بنا ننادي على طلبة العلم

والعلماء المتخصصين في أرفع العلوم وأرقاها على ظهر الأرض قاطبة (علوم الشريعة والدين الحق) أن يتركوا معالي البحث والمعرفة التي هم مشغولون بها، وينزلوا إلى تلك الأحوال والمستنقعات الفكرية العفنة، ليكتبوا ما ترجى منه صيانة العامة والجهلاء من زبالة أولئك المتهوكين السفهاء، فإن لم يفعلوا، تكن فتنة في الأرض وفساد عظيم !

ولقد وجدت - بكل أسف - شيئا من الرواج لهذه الدعوى التافهة (دعوى أن محمد بن عبد الله شخصية وهمية لم توجد في الحقيقة) بين فئات من أهل الإلحاد من بني جدلتنا، ولا أعجب من ذلك والله! فالذي ارتضى لنفسه التكذيب بعلّة وجود نفسه وسببه الأول، لا يُستغرب منه التعلّق بأي مقالة بعدئذ مهما كانت ساقطة واهية، إذ قد ثبت عليه - يقينا - التلبس بأفحش درجات الهوى والتكذيب بالجليات الواضحات على أي حال، ألا وهي مقالة الإلحاد نفسها، فهل بعد الإلحاد نفسه من عقيدة تعلوه أو تعدله في السفه والتهافت، وفي ضخامة وعظم ما تكذب به وتنفيه، حتى يستغرب من أصحابه اعتناقها؟ كلا والله! ولهذا لا نعجب إذا رأينا من السفهاء من لا يكتفي بدعوى أن الدين الذي جاء به محمد فيه كذا وكذا مما لا يعجبهم ولا يأتي على هواهم (وإذن فهو لا - أخلاقي ولا يناسبهم ولا حاجة لهم فيه)، أو بدعوى أن محمدا كذاب وما تلقى وحيا ولا شيء من ذلك، بل يارتضى لنفسه النزول إلى دركة أخرى من دركات الانحطاط الفكري والمعرفي، حتى يقول بمقالة متهافئة جاء بها بعضهم مفادها أن محمدا هذا لم يولد أصلا، وإنما هو شخصية أسطورية اخترعها العرب ليجمعوا الناس عليها ! سنستوي بحول الله وقوته في هذا المقال الموجز لسحق تلك الدعوى التافهة وبيان وهائها بما فيه الكفاية، والله أسأل أن يعافي المسلمين من تسليم آذانهم لكل ناعق في زمان أصبح فيه من يقول لعامة الناس لا تسمعوا لهذا وذاك = مذموما متهما في عقله وعلمه لمجرد ذلك، وإلى الله المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إن دعوى هؤلاء السفهاء (وهم شرذمة قليلة من الباحثين الغربيين المعاصرين المتخصصين في تاريخ بلاد الشرق الأوسط) 11 بأن محمدا لم يولد ولم يوجد في التاريخ (ومثل هذه الدعوى قد قيل في غيره

11 - وهم بذلك يخرقون إجماع المؤرخين من غير المسلمين الذين لم يجدوا مانعا علميا من التسليم =

من النبيين من قبله المذكورين في القراءان وفي كتب أهل الكتاب من قبلنا)، تقوم عندهم بإجمال على ركيزتين أساسيتين :

-قولهم بأن البقايا الأركيولوجية والحفائر ونحوها، وكذا الوثائق المادية المتوارثة من تلك الفترة (القرن السابع الميلادي) في جزيرة العرب وما حولها، لا أثر فيها لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لكثير مما تحكيه كتب السير والسنن من خبره، بل ليس فيها أن العرب كانوا قبل الإسلام وثنيين كما هو منصوص في القراءان !

-قولهم بأن المؤرخين من غير المسلمين لم يأت في تراثهم ما يعضد القول بوجود محمد (فيما يسمونه بالتأكيد الخارجي) *Outside Confirmation* ، فلا يجد الباحث إلا المصادر الإسلامية وحدها حتى يتعرف على تلك الشخصية التاريخية، ومن ثمّ فلا عبرة بتواتر أخباره عند المسلمين أصلاً مهما تواترت، إذ هو في ذلك - بزعمهم - كأى تواتر يقع في أي أمة من الأمم في توارثهم حول خرافة من الخرافات أو دعوى تاريخية باطلة لا حقيقة لها .

وكثيراً ما ترى هاتين الشبهتين ينضم إليهما دعاوى المنصرين وبعض المستشرقين بشأن القراءان وأنه كتاب بشري مصنوع من وحي ما في كتب أهل الكتاب، في عصر لاحق متأخر عن تلك الفترة التي "يزعم" المسلمون أن محمداً قد عاش ومات فيها، وذلك لزيادة التأثير العاطفي باستمالة من يروجونه منه الميلان. 12 فإن هذه الدعوى تخرج عندهم من نفس مخرج الدعوتين السالفتين وتحت نفس

=للمسلمين بصحة ما يزعمون وقوعه من أحداث في حياة محمد عليه السلام، فضلاً عن وجوده نفسه، صلى الله عليه وسلم .

¹² - هذه الشبهة قد قتلت رداً وإبطالا وتفنيداً في الحقيقة، ومع ذلك، لا تزال تنزل تلك الردود عند هؤلاء منزلاً وكأنها النقش في الماء، أو النحت في الهواء، والله المستعان! قلنا مراراً وتكراراً إن مجرد وجود توافق بين ما يرويه القراءان من أخبار، وبعض ما هو موجود في نصوص أهل الكتاب، لا يصح في العقل أن يعد دليلاً في نفسه على أن القراءان مأخوذ من تلك الكتب! ذلك أننا إن أهملنا كل اعتبار آخر، فسئلى العقل يجيز أن تجد هذا التشابه نفسه متحققاً في حالة ما إذا كان القراءان وتلك الكتب قد جاءت كلها من أصل غيبي واحد ومصدر سماوي واحد، ولكن قد حُرف منها ما حُرف = وبقي منها ما بقي، وهو ما نزعناه نحن ولدينا من الأدلة على صحته ما لا يترك للعاقل الصادق سبيلاً لردّه! فأى سفاهة هذه التي يقترفها هؤلاء عندما يزعمون أنه ليس إلا نصاً مركباً من نصوص قديمة لمجرد هذا التشابه، حتى ذهب بعضهم

الرأية "الأكاديمية" المرموقة: التحقيق الأكاديمي التاريخي *Historical Scrutiny* لبيان الحقيقة التاريخية من الدعوى التي لا تقوم على دليل. ولا شك أنه من السهولة بمكان أن يخرج كل صاحب عقيدة باطلة بدعاوى تاريخية يقابل بها ما تواتر عند مخالفيه من أهل الملل، ثم يدعي أن هذا من التدقيق الأكاديمي ومن تمييز الحقيقة عن الخرافة! ولهذا استحسن بعض غلاة الماديين من الغربيين إسقاط التاريخ نفسه كعلم أو كصناعة معرفية يمكن الاستناد إليها في تحقيق المعرفة بالماضي، وهذا ولا شك من إفراطهم، وهو قول لو التزموا لوازمه بتمامها لوجب عليهم أن يتركوا – كل واحد

(المدعو كريستوف لوكسنبرغ *Luxenberg*) إلى الزعم – فيما صار مادة للضحك عند العقلاء، و"دليلاً" يُستند إليه عند الملاحدة وعامة السفهاء – بأن كثيراً من الألفاظ التي وصفها بأنها "غامضة" في القراءات لا تفهم فهما صحيحاً إلا بإرجاعها إلى "الأصول السيريانية"، وأن ذاك اللفظ الذي كان ولا يزال المسلمون يفهمونه من النص القرائي على أن معناه "العذارى" (فيما وعد الله به المؤمنين في الجنة) إنما يعني في الحقيقة الزبيب أو العنب!!

وقد قلنا كذلك مراراً وتكراراً إن القراء لم يكن نقله في زمان محمد عليه السلام وصحبه الكرام بكتابة المخطوطات ونسخها، وإنما كان بالأساس – هو وسائر ما نقله الرواة إلينا من أخبار النبي وأصحابه – منقولاً بالسمع والحفظ في الصدور، وقد كان المسلمون ولا يزالون يصلون في صلاة الجماعة بالقراءات متلو من زمان النبي وأصحابه إلى يوم الناس هذا، وقد كانوا يتقربون إلى الله بحفظه وتلاوته ويتوافرون على ذلك يعلمونه للصبيّة الصغار من نعومة الأظفار، حتى كانت الأمة لا يتصور فيها – وإلى وقت قريب – أن يشب صبي من الصبية من غير أن يكون حافظاً للقراءات! وإجازات المجازين من الحفاظ في تلاوته تمتد بالسند إلى النبي عليه السلام نفسه! والقاصي والداني يعلم أنه لن يخطئ رجل في قراءة القراءات في ملا من المسلمين إلا وجد أكثرهم يرده ويصوبه! هذا نقوله اليوم في زماننا هذا، فكيف بزمان الأولين من قبلنا؟ فوالله لو أن هذا القراء لم يكتب أصلاً ولا وضع في صحائف هذا المصحف الذي بين أيدينا الآن لما ضاع منه حرف واحد في أمة هذا دينها وتلك عبادتها، والحمد لله رب العالمين! هذا تواتر والله الذي لا إله هو لم يوجد في الأرض مثله قط، ولا عرفت له البشرية نظيراً!

نقول هذا الكلام مهما نقول، ونكرر مهما نكرر، ثم نمضي في كل مرة وكأننا ما قلنا من شيء أصلاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله. بل يخرج علينا من يزعم – كما قال المستشرق الألماني غوستاف فيل *G. Wei* في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي – هكذا بكل سهولة إن اعتماد الإسلام في الصدر الأول على حفظ الروايات في الصدور وعلى الرواية الشفهية، كان باباً – في نفسه – لكثير من النزاع والانقسام و"الفبكة" والاضطراب! أي أن مجرد حفظ المسلمين في تلك الحقبة الأولى لنصوص الوحي وتلقيها وروايتها سماعاً، لا يتصور معه أن ينضبط لهؤلاء طريق أو منهج لتمييز الحق من الباطل فيما ينسبون إلى نبيهم! فبالله هل هذا "نقد" علمي يستحق أن يلتفت نقاد التراث الإسلامي (أهل الحديث والأثر وعلماءه) إليه؟ هذا جحود ومكابرة واضحة لا تخفى.

منهم - جميع المعارف الطبيعية والمادية التي لم تأت من طريق حسه ومشاهدته وتجربيه المباشر، وإنما نقل إليه خبرها في الكتب والمراجع! ولا يجاب عن ذلك الإلزام كما أجاب بعضهم بأن وجه تميز العلم التجريبي عن العلم التاريخي أن هذا الأول يأتيك بأخبار يمكنك في أي وقت أن تختبر صحتها بنفسك إن شئت بينما لا يمكن ذلك في الخبر التاريخي الذي يصور لنا واقعة حدثت وانقضت وليس تجربة يمكن تكرارها، فإن هذا يختزل صنوف الدليل والبرهان المعرفي في الدليل التجريبي والحسي وحده، وهي آفة النحلة الوضعية والطبيعية ونحوهما من فلسفات مادية كما هو معلوم .

وبعيدا عن هذا الاستطراد، ورجوعا لأصل ما نحن فيه، نقول إن زعم كل صاحب دعوى تاريخية استناده إلى دليل وبرهان تاريخي، وزعمه - بالمقابل - وهاء ما يستند عليه مخالفوه، لا يختلف عن زعم أي صاحب دعوى معرفية أن الدليل معه لا مع مخالفه، والعبرة في النهاية بحقيقة هذا الذي يسميه "الفحص والتحقيق التاريخي"، وسلامة المنهج النظري المعرفي المتبع فيه. وهنا مرتبط الفرس وبيت القصيد .

إن هذه الشبهة تنزل بنا ضرورة إلى تعريف "الحقيقة التاريخية" (إستميا وأصوليا) وما يريده بها القوم في كل مرة يطلقونها بشأن دعوى من الدعاوى التاريخية نفيًا أو إثباتًا! ما صفة "الدليل التاريخي" في تقدير هؤلاء، وما ميزانهم في المفاضلة بين ما يقال له عندهم "أدلة تاريخية"، وهل هذا المنهج الذي يتبعونه مقبول في العقل المجرد أم لا؟

إن العقيدة المادية التي يعتنقها هؤلاء تأبى أن تتركهم إلا وقد تشبع بها نظرهم في كل شيء، حتى في علم التاريخ نفسه! فنحن نقول إنه ليس في العقل ما يوجب أن يكون الدليل "الأركيولوجي" (أي ما كان ذلك) مقدما بإطلاق على الدليل الخبري (أي ما كان ذلك)، والعكس صحيح! بمعنى أن رواية الراوي قد تكون رواية صادق ضابط لا يهيم ولا يختلط عليه الخبر عند نقله، فتقدم تلك الرواية على ما يحتمل من المكتشفات الأركيولوجية أن يفسر تفسيرًا يخالفها، ولا يُعترض عليها بدعوى أن الأركيولوجيين لم يعثروا على أي حفائر أو مخلفات مادية تؤكد ما جاءت به من الخبر! وقد تكون الرواية كذبا ووهمًا، فيقدم عليها المكتشف الأركيولوجي المادي وإن كان عند أضعف درجات الاستدلال النظري فيما

يفيده من المعرفة التاريخية! فلماذا نقدم رواية الصادق الضابط على ما قد تظهر منه مخالفته من المكتشفات الأركيولوجية؟ السبب في ذلك أن المكتشف الأركيولوجي ليس دليلاً حسيماً مباشراً كما يوهم كلام هؤلاء السفهاء، وإنما هو شيء مادي يستخرجه الباحث من مكانه حيثما وجده، ثم يذهب المذاهب في تفسيره وترجمته ووضع النظريات لتصور العلاقة بينه وبين غيره مما بين أيدي المؤرخين من وثائق وأدلة. فلا يتوقع الباحث الأركيولوجي في يوم من الأيام أن يكتشف في تنقيبه في الأرض - مثلاً - شريطاً من أشرطة الفيديو مسجلاً عليه مشهد ذلك الحدث الذي يحاول بناء تصوره التاريخي بصورة صحيحة! وحتى لو تصورنا وقوع ذلك في يوم من الأيام، وتصورنا أن الحضارة التي ينتمي إليها ذلك الحدث كان فيها تلك التقنية، فسيظل السؤال مفتوحاً: من صاحب هذا الشريط ولماذا صوره، ولماذا تركه ههنا، وهل هو تسجيل للواقعة نفسها أم هو تسجيل لواقعة مشابهة أو تمثيل لها أو نحو ذلك ... الخ .

والقصد أن ما يقال له "الدليل الأركيولوجي" هذا ليس هو ذاك الدليل الحاسم الذي يهنا من عشر عليه بالحجة القاطعة للنزاع التاريخي (إن وجد ذلك النزاع وكان معتبراً في نفسه أصلاً)! وإنما هو غاية مرام من لا يجد سواه، يستند عليه - إن وجده - في دراسة تاريخ أمة من الأمم الغابرة! فإن وُجد في تلك الأمة المبحوثة من المستند الخبري الموثق المعتمد ما يتحقق به المطلوب (وسنأتي لاحقاً ببيان لميزان العقلاء في معرفة التوثيق الخبري المعتبر)، تحقق المطلوب، وكان من العبث المحض أن يسعى الواحد من هؤلاء في البحث في مخلفات تلك الأمة من قصاصات لوثائق بالية تركها بعضهم هنا وهناك، وأدوات ومباني وزخارف ونحو ذلك مما يشتغل به الأركيولوجيون، طلباً لمعرفة تاريخها! ولهذا نقول لهؤلاء بكل قوة وحزم: أي "تحقيق أكاديمي تاريخي" هذا الذي جئتم تطالبوننا بقبوله منكم عندما يأتينا أحدكم بقوله إننا لم نجد في الحفائر التاريخية ما "يثبت" صحة ما جاء في القرآن وما زعمه المحدثون والمؤرخون عندكم في كتب السنن والسير والتراجم؟ أي هراء هذا؟ يعني مما ضحكت منه حقيقة، قول أحدهم (ويدعى يوهانس يانسن، وهو أستاذ متقاعد في الفكر

الإسلامي المعاصر في جامعة هولندا!) 13 في تقديمه لكتاب من تلك الكتاب الهزلية التي تبث تلك الشبهة (وهو كتاب حديث لباحث أمريكي لم تمر على طباعته بضعة أشهر، ومع ذلك يعد اليوم من أكثر الكتب مبيعا في أمريكا وإلى الله المشتكى).

"إنه من المعقول أن تكون لدينا شكوك حول تاريخية "محمد" (أي صحة وجوده تاريخيا). فبداية، ليس ثمة آثار أركيولوجية مقنعة تؤكد تلك القصة التقليدية لمحمد ولفترة صدر الإسلام. صحيح إن علماء الإسلام ومحدثوه لديهم قدر هائل من المعرفة بالعقود الأولى من تاريخ الدين، ولكن ما يزعمونه لا يحظى بأي تأكيد على الإطلاق من البقايا الفيزيائية المتممة إلى الزمان والمكان المعنيين. ما يعرفونه محصور في الروايات، نفس الروايات تعاد روايتها المرة بعد المرة!" اهـ. 14

قلت: تأمل طليعة اعتراض ذلك التافه على ما يعرفه علماء المسلمين ومحدثوه ومؤرخوه من خبر نبينهم محمد عليه السلام وأصحابه وما جرى في العقود الأولى من تاريخ الأمة من أحداث! مساكين هؤلاء الذين لا يملكون من مستند لمعرفة تاريخ دينهم وأخبار نبينهم الذي ورثوا عنه الدين، إلا الروايات المتصلة عن الموثوقين من الرواة عندهم! ما أفقرهم إلى الدليل الأركيولوجي هؤلاء! فلتضحك أيها القارئ الكريم ما شئت من أستاذ جامعي يجعل هذا هو رأس اعتراضه على "تاريخية محمد" عليه صلاة ربي وسلامه! يا هذا "البروفيسور" الجاحد المكابر، تلك البقايا الفيزيائية التي تطالبنا بالبحث عنها في التراب (بصرف النظر عن جدواها التاريخية إن وجدت) إن عدت فلا يعقل أن ترجع بمجرد ذلك العدم على تكذيب أو حتى توهين جميع الروايات التي يستند إليها المسلمون! كم ابتلعت الأرض من أمم لا حصر لها ولا عد، فلم يبق من آثارها المادية شيء يُعثر عليه، بل ولم يبق من خبرها بين الأمم ما يروى، فهل يصح هذا عندك دليلا على أنها لم توجد أصلا؟ أي عقل وأي "تحقيق أكاديمي" هذا الذي تزعمونه لأنفسكم قاتلكم الله، وأنتم لا تميزون بين دليل النفي ودليل الإثبات

13 - ولك أن تتصور أيها القارئ المحترم أي "فكر إسلامي" هذا الذي يدرسه هؤلاء الخراف في جامعاتهم المرموقة تلك !

وتتعمدون الخلط بينهما؟!

ما معنى أن يقول قائل القوم إن أقدم مادة تاريخية يستند إليها المسلمون في معرفة تاريخ نبيهم ترجع إلى مئة وخمسة وعشرين سنة بعد موته، ومن ثم فهذا انقطاع كبير يفقدنا الثقة فيما هو مدون في تلك المادة؟ هذا معناه أن هؤلاء الجحدة يزعمون أن قبل ظهور تلك المدونات المكتوبة (حتى على التسليم بصحة هذا التاريخ تنزلاً) لم يكن بين المسلمين محتو معرفي معتبر وموثق يتلقون منه خبر نبيهم متصلاً بنقل العدل الضابط عن مثله وصولاً إلى مصدر الخبر، مع أن هذا الخبر (الذي يثبت به وجود محمد من حيث الأصل) منه ما هو قوام الدين نفسه، إذ لا يقوم الدين إلا على روايات النبي وأصحابه بالأساس! فهل تحتاج دعوى كهذه إلى تكلف إبطالها أصلاً؟ إن كان صاحب هذا الصنف من الدعاوى بشأن تاريخ ظهور هذه المدونة أو المخطوطة أو نحوها، جاهلاً بأن في هذه الأمة شيء اسمه الإسناد، ويظن أننا عثرنا على نصوص القراء وعلى مدوناتنا الحديثية مخطوطة في لفائف أثرية كانت مدفونة في كهف هنا أو هناك، فليذهب ذاك الجهول ليتعلم! ولكن هذه حقيقة لا يجهلها من له أدنى صلة بعلوم التاريخ بصفة خاصة، والله الحمد. 15

أما المهزلة الثانية التي يرتكنون إليها، فهي مسألة "التأكيد الخارجي *Outside Evidence*" هذه، ويقصدون بها وجود رواية أو مؤرخين من أمم أخرى غير أمة الإسلام تطابق روايتهم ما جاء به المسلمون في رواياتهم من القصص والأخبار. ووجه كونها من المهازل، أنه معلوم بالحس والمشاهدة أن الحدث الواحد قد تتنازعه أكثر من طائفة، فتزعم كل واحدة من تلك الطوائف فيه زعماً يخالف الطائفة الأخرى، بل وقد تهمله إحدى الطوائف فلا تدونه في تاريخها - مع كونه مما مر بها تحقيقاً -

15 - والعجب كل العجب أن ترى من يستند إلى مطلق وجود الإسناد وعلوم التمهيص الحديثي الدقيق عند علماء المسلمين، ليجعله قرينة على "كثرة وقوع الكذب والفبركة على النبي وأصحابه" (وهذا وقع في كتاب المدعو سبنسر هذا)! سبحان الله، كيف يصبح وجود هذا العلم الشريف عندنا الذي به عرفنا الصحيح من الضعيف، والصادق من الكاذب، دليلاً على ما يريده هؤلاء من توهين تراثنا الحديثي وتلبيسه كله بلبوس الكذب و"الفبركة"؟ أيسدّل على الشيء بدليل ينقضه؟ أقول فليأتنا صاحب هذه الدعوى ونحوها برواية واحدة أجمع علماؤنا على قبولها في باب من أبواب الدين مع أن حقها ألا تقبل لأنها مكذوبة أو "مفبركة"! ودونه من الآن إلى آخر عمره وإن أمهله الله مئة عام! ما ظن هؤلاء السفهاء بعقول المسلمين؟ أيحسبون أنهم يخاطبون صبياً صغاراً لا يعقلون ما يسمعون؟

وتدونه طائفة أخرى لما في ذلك من مصلحة لهم، وتدونه كذلك طائفة ثالثة على نحو مخالف لمصلحة يرونها، مع كون تلك الروايات ربما يظهر بعضها مدونا مكتوبا (أو منقولا بالمشافهة) لأول مرة بعد الحدث بزمان، إن ظهر أصلا! ومن المشهور عند المؤرخين قولهم إن التاريخ يكتبه المنتصر! بمعنى أن الفئة المنتصرة إن كانت ممن لا خلاق لهم بالحق والعدل والإنصاف، فلك أن تتيقن من أن التاريخ الذي سيكتبه مؤرخوها ممن صفتهم كصفة حكامها (تجار دنيا يريدون الشهرة والوجاهة الاجتماعية) لن يكون "فوق الشبهات"، بل سيكون أكثره كذبا وتلفيقا! ثم إنه من المعلوم كذلك أن الوقائع التاريخية الكبرى التي تنسحق فيها أمم وتعلو فوقها أمم أخرى، يكون لدى مؤرخي الأمم المهزومة منها الكثير من الحقد والكراهية تجاه الأمة الفاتحة الغازية، لا سيما إن كانت الحرب حربا دينية وفتحا ترفع فيه راية ملة أخرى غير ملة المؤرخ إلى سدة الحكم والسيادة فوق بلاده أو بلاد أهل ملته! ومعلوم كذلك أن العوام يشتهون الكلام بالقليل والقال، من غير تبين ولا استيثاق، وأن من تخلف عن الضوابط العلمية المحكمة في النقل والرواية، وكان ممن يعظم العوام روايته، فإنه يصبح مصدرا من مصادر الرواية التاريخية وإن كانت تلك "الأقاويل" و"الإشاعات" هي غاية بضاعته! وكم من حروب وثورات قامت لا على شيء إلا على أمثال تلك "الأقاويل"! ولقد شاهدنا في بلاد المسلمين كيف أن أمة من الأمم الحاكمة التي فتحها المسلمون على يد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، قد بلغ الحقد بأهل الملة المغلوبة فيها (المجوسية الزرادشتية: وأسألوا أهل فارس عن تاريخهم يخبرونكم بما صنعه ذلك الرجل بسادتهم ورؤوسهم) أن أطلقت من الأكاذيب والدعوى الباطلة الواهية ما تكونت منه ملة كاملة تخالف المسلمين في مصادر التلقي الأولى لديهم، أصبح يقال لأصحابها اليوم "الرافضة"، وهو حقد بإزاء عموم المسلمين (الذين يسمون بالسنة ويسمى الروافض بالنواصب) لا يزال القوم يتوارثونه إلى اليوم في كتبهم ونصوصهم الموروثة عندهم على أنه من أصول الملة والدين!

هذه العوامل كلها ونحوها تتسبب في اختلاف الروايات والأخبار بين الناس بطبيعة الحال، فيروي هؤلاء ما يغفله أو يتغافله أولئك، ويزعم قوم في واقعة بعينها ما يزعم غيرهم خلافا! وإذا بما يقال له

"كتب التاريخ" يأتيك مشحونا - لا محالة - بالكاذيب والتخرصات أشكالا وألوانا! فمن اهتدى إلى المنهج الصحيح في القبول والرد، فلن ينتقي من تلك الحمولة الثقيلة ما يأتي على هواه ويترك ما يخالفه، ولن يشترط - يقينا - ذلك الشرط المتهافت الذي يشترطه هؤلاء بهذا الإطلاق الأعمى في قولهم بضرورة الوقوف على هذا الذي يقال له "التأكيد الخارجي"! فإن هذا الشرط الساقط لازمه الواضح افتراض الصدق فيمن يروي الخبر التاريخي حول أناس يتمون إلى ملة تخالف ملته، بل تحارب أهل ملته وتغزوهم غزوا! فعلى أي أساس من العقل يفترض في مثل هذا أن يكون صادقا فيما يرويه عن أعدائه، حتى يقال إن ما سكت عنه هؤلاء من خبر محمد ودينه ومن معه، فهو مفتقر "للتأكيد الخارجي"؟! وهل يلتزم هؤلاء السفهاء هذا اللازم في تعاملهم مع روايات التاريخ وأخباره: التسوية بين الرواة من كلا جانبي الصراع في مقدار ما يستحقه الجميع من الثقة فيما يأتي من رواياتهم وأخبارهم؟ هذا محال! فإذا بطل اللازم بطل الملزوم .

ولكن هؤلاء لا عقل لهم أصلا حتى يتبها إلى اللوازم العقلية والمقتضيات الفلسفية الظاهرة لمنهجهم الفاسد! إنما هم قوم أهل هوى محض لا غاية لهم سوى هدم الأديان كلها من داخلها، والعمل على إزالتها من الأرض تحت شعار النقد العلمي والتحقيق الأكاديمي !

تأمل على سبيل المثال كيف أنه في السبعينيات الميلادية، نشرت الباحثة الدنماركية **باتريشيا كرون** *Grone* وزميلها الاسكتلندي **مايكل كوك** *Cook* كتابا "مثيرا للجدل" (وهو كتاب لا يذكره أحد من المؤرخين حتى الملاحدة منهم إلا جعله مادة للسخرية)، زعما فيه (فيما بات يعرف بنظرية الهاجرية *Hagarism*) أن الإسلام ليس إلا شعبة من شعب الملة اليهودية، قدم أصحابها نسل إسماعيل وهاجر على نسل إسحق، وأن قصة نشأته في جزيرة العرب ليست إلا أسطورة استعملها ملوك العرب بعد فتح كل من مصر والشام وفارس، في القرن الثامن الميلادي (أي بعد ذلك التاريخ الذي أجمعت الأمم كلها على أنه كان تاريخ بعثة محمد بن عبد الله بقرن كامل أو يزيد)، واصطنعوها اصطناعا حتى تضمن لهم السيادة والسيطرة على أقطار الإمبراطورية الجديدة! وزعما كذلك أن قصة

مكة بوصفها ذلك المركز الحضري الذي فتحته محمد وأصحابه وطرّدوا منه المشركين، قصة واهية تاريخيا ولا أساس لها. 16 فماذا كان دليلهما في هذه الدعاوى العملاقة الفاحشة التي يريدون بها إعادة كتابة تاريخ أمة بأكملها؟ قالوا إنه لم يرد في الوثائق التاريخية المنقولة من البلدان المحيطة (على سبيل التأكيد الخارجي!) ما يؤكد صحة القول بأن تلك الفترة التاريخية في القرن السابع الميلادي قد وقع فيها ما يزعم المسلمون أنه قد وقع من الأحداث، ولا عُثر في البقايا الأثرية الفيزيقية على شيء يعضد زعمهم بأن مكة كانت ذلك المركز التجاري الحيوي الذي جاء خبره في روايات السير والحديث عند المسلمين !

وتأمل كذلك كيف يقارن المدعو "روبرت سبنسر" في كتابه المذكور بين الصورة التي ترسمها نصوص الإسلام لمحمد بن عبد الله ﷺ، وبين الصورة التي يمكن أن ترسمها أي رواية موروثة لشخصية خيالية أو حقيقية، حتى وإن لم تكن إلا خيالا محضاً، يريد من مجرد ذلك الوصول إلى القول بأن ما أنجزه المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم في أقل من قرن واحد من فتح البلاد باسم الدين، من الممكن أن يكون من وحي شخصية خيالية كان العرب يؤمنون بها إيماناً راسخاً! فتراه يقارن ما في روايات المسلمين من خبر محمد عليه السلام بقصة ماكث الملك الاسكتلندي الذي جعل منه شيكسبير بطلاً ملحماً، مع أنه في واقع الأمر كان دون ذلك! (انظر المرجع السابق) فهل هذه يا عباد الله يا عقلاء، "حجة" ترقى لإبطال مستند المسلمين في اعتقاد أن رجلاً مشى على الأرض اسمه محمد، وأنه فعل ما نزع أنه فعله وقال ما ندعي أنه قاله، ﷺ؟ أحقا يحتاج العقلاء إلى الرد على مثل هذا السفه؟ فتلك الثلة من "المغامرين" في علوم التاريخ قد استصحبوا كما ترى قاعدة محسومة لديهم مفادها أن روايات المسلمين هذه لا قيمة لها إذا ما انفردت بالإخبار عن حدث ما أو عن شخص ما،

16 - وإن كانت "كرون" هذه قد تراجعت فيما بعد عن موقفها المتطرف بإزاء وجود محمد ﷺ، وقالت إنه لا بد وأنه

قد وجد في القرن السابع الميلادي رجل يعتقد بأنه يملي على العرب إرادة الخالق، وقالت إن الدليل على هذا الأمر =

= قد يكون معتبراً فيما يوصف بأنه "استثناء" (!!!)، من غير أن تتكلف إبطال ما بثته في كتابها الأول من خرافات

وسخافات! (سبنسر 2012، ص 33)

من غير أن يعضدها أو يوافقها دليل خارجي، ولا مثقال لها حائذ في ميزان صنعة التاريخ أصلاً! وهو أصل تغني روايته عن تكلف إبطاله، وقد شذت به تلك الشذمة من المؤرخين والمستشرقين عن إجماع أهل صناعات التاريخ في كل مكان، كما يشهدون هم على أنفسهم بذلك في مؤلفاتهم الساقطة تلك! كما استصحبوا أصلاً كلياً مفاده أن "علماء الإسلام" ليسوا هم المرجع في فهم تلك النصوص، بل ليس لجهود هؤلاء العلماء والأئمة بطول تاريخ المسلمين وعرضه من قيمة أصلاً عند هؤلاء! والمتأمل في "تحليلاتهم" للنص القرآني لا يخفى عليه الكيفية التي يتعاملون بها مع هذه النصوص من موقع الفوقية و"العلو" على هؤلاء العلماء جميعاً، وجعل إجماعاتهم واتفاقاتهم وجميع صناعاتهم المعرفية بمنزلة "نظرية" جاؤوا هم بنظريات أخرى في مقابلتها! فترى ذاك المدعو روبرت سبنسر - على سبيل المثال - ينتهي إلى الحكم في كتابه الجديد بأن القرآن ليس فيه إلا أربعة من الآيات وحسب فيها ما يمكن الاعتماد عليه من معلومات بشأن النبي محمد، لأن في تلك الأربعة دون غيرها التصريح باسمه الصريح، أما ما جاء فيه الخطاب موجهاً إليه أو إلينا عنه تحت لقب "رسول الله" أو "الرسول"، فلا ندري لعل المقصود بها واحد من أولئك الأنبياء والمرسلين الذين تكرر ذكرهم في القرآن عشرات بل مئات المرات! (سبنسر 2012) هذا الكلام مبني كما لا يخفى على أساس التسليم المسبق بأن هذا النص منسوخ أو منقول من نصوص قديمة عن أولئك الأنبياء! وهو مثال يبين لك مقدار الاستخفاف بعقول المسلمين، وطريقة تلك الثلة المنحطة من المتسبين إلى علوم التاريخ في التعامل مع النص الديني عندنا وكأنهم قد اكتشفوه حديثاً في كهف من الكهوف، فاستوت في ذلك مساعيهم في فهمه و"فك طلاسماته" بجهود أولئك الذين عثروا على حجر رشيد مثلاً أو على مخطوطات البحر الميت! هذه السخافة لا يدري المروء والله أضحك من سفاهة أصحابها أم يبكي من كبرهم وجحودهم البالغ، ومن اغترار بعض السفهه من بني جلدتنا بزبالتهم تلك!

هل نحن الآن مطالبون بأن نعتبر أن ما وقف عليه هؤلاء السفهه من وثائق تاريخية قديمة (على سبيل المثال، فيما ساقه علينا سبنسر هذا في كتابه) ترجع إلى القرن السابع الميلادي، كتبها بعض الكهنة النصراني المقهورون ممن فتح المسلمون بلادهم في زمان عمر رضي الله عنه، يصلح كمستند تاريخي لمعرفة تاريخ النبي محمد وكتابه ودينه، بحيث إن وجدنا في تلك الوثائق ما يوافق ما عند المسلمين،

رفعنا ما عند المسلمين إلى منزلة المستند التاريخي، وإن لم نجد فيها ونحوها ما يوافق كلام المسلمين، بل لم نجد فيها ذكرا لمحمد ولا لرسالته، أسقطنا نصوص المسلمين كوئائق تاريخية، وتركنا دعاواهم بشأن نبهم وكتابه محلا للشك والتوقف المعرفي؟ هل هذا هو النقد العلمي والتحقيق التاريخي الذي يتشدد به أولئك السفهاء؟ أهذا ما بات المسلمون اليوم مطالبون بالرد عليه في ساحات "البحث الأكاديمي"؟ اللهم إليك المشتكى يا مثبت العقل والدين !

تقدم تقريرنا لما هو معلوم بالواقع والمشاهدة من تقلب أخبار التاريخ وتضاربها بين الطوائف والجماعات البشرية، فكيف عرفنا نحن المسلمون أننا على الحق وأنهم على الباطل، وأن رواتنا وأئمتنا هم الصادقون فيما رووا، بينما كان مخالفوننا في المقابل على الباطل والكذب؟ كيف عرفنا أي الرواة - وما أكثر ما يطفح به التاريخ البشري من مؤرخين وقصاص ورواة في كل مكان من الأرض - يأتينا بالحق عن ديننا وعن نبينا وأصحابه وأيهم يكذب لغاية في نفسه؟ كيف عرفنا براءة ما أجمعنا على قبوله من ذلك، وسلامة منهجنا نفسه في القبول والرد؟ عرفناه بإعمال نفس القاعدة الكلية التي نقررها ههنا، ونهدم بها ذلك الشرط التافه الذي يشترطه هؤلاء السفهاء للتسليم بصحة ما في رواياتنا من أخبار: الثقة (وما يتشعب عنها من توثيق واستيثاق وتبين) ! الثقة هي أساس قبول كل عاقل لما يأتيه من خبر ورواية لا يظهر في متنها ما يستوجب ردها من مخالفة لأمر معلوم بيقين، وهي أساس كل صنعة معرفية تمد إلى فنون النقل التاريخي بنسب! فما قوام تلك الثقة عندنا، وما قوامها وأساسها عند مخالفينا من أهل الملل؟ كيف عدل هؤلاء من عدلوهم وجرحوا من جرحوهم، من رواة أو مؤرخين أو نحو ذلك؟ هذا هو مربط الفرس.¹⁷

¹⁷ - على أنه يجب ألا يخفى أننا نتكلم ههنا عن منزلة من التوثيق والتمحيص والتبين في الرواية التاريخية لا يتكلفها المسلمون إلا في تلك الروايات التي يتأسس عليها شيء من الدين عندهم! أما روايات التاريخ والسير والتراجم فالأمر فيها أهون، وهو مع هذا، أشد احترازا في قبول الروايات من عمل أكثر المؤرخين من غير المسلمين! حسبك أن الرواية تأتي مقرونة بإسنادها ورجالها لزوما، فمن شاء أن يفحصها لغرض تحقيقي دقيق، لم يعجزه ذلك! فلو أن كتابا = ككتاب ابن اسحق - جدلا - ثبت وهاء جميع ما فيه من روايات السيرة، فإن هذا لا يؤثر في ديننا في قليل أو كثير، ولا يوصل منه - وهو الأهم ههنا - إلى ما يريده دعاة "خرافية" النبي محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام، الذين قال قائلهم في سياق "حججه" إن ذلك الكتاب (يعني كتاب ابن اسحق) مشكوك في "تاريخيته" !

نحن المسلمون نؤسس الثقة عندنا في كل خبر يفيد علما بشيء من الدين، على مقدار التزام الراوي نفسه بتلك الأخلاق التي تجعله أهلاً لأن يؤتمن على ما يروي ابتداءً. والأصل فيمن التزم بهذا الدين إجمالاً أنه صادق فيما يروي عنه وأن شهادته الشرعية مقبولة ما لم يثبت عليه الكذب أو الفسق (انخرام العدالة الأصلية) بأي صورة من صورها. أما صاحب البدعة (وهي الشذوذ في قضية كلية ومنهجية من قضايا الدين) فقد يكون له هوى في رواية ما يخدم تلك البدعة من الأخبار، فلا يقبل منه كل خبر يشبه فيه ذلك. وأما المشرك الأصلي فلا تقبل روايته الدينية (أو خبره التاريخي عن النبي عليه السلام وصحابته) ولا شهادته الشرعية لأنه ليس من أهل الملة أصلاً، وهو يعلم أن المسلمين يريدون رفع دينهم فوق دينه في الأرض، فلا يعقل أن يأتئنه المسلمون على دينهم نفسه، وعلى معرفتهم بنبيهم وأصحابه. هذه القواعد والضوابط الكلية البديهية كان الصحابة يعملون بها من غير أن يدونوها أو يقدحوها كقواعد علمية مفصلة. ولم تظهر في الأمة حاجة إلى ذلك التعيد إلا عندما بدأ الصحابة وكبار تلامذتهم يسمعون من الروايات ما يجزمون بأنه ليس من كلام النبي عليه السلام، فاشتروا على كل راو أن يسمي لهم رجاله ومن سمع منهم، ومن هنا نشأ الإسناد في الرواية. فإنهم هم شهود تلك الأحداث المروية، وهم الذين حدثوا بها تلامذتهم، الذين نقلوها بدورهم إلى تلامذتهم من بعدهم، وهكذا. ولهذا كان من الميسور على من تلقى الرواية من شيخه أن يسمي شيخه إن سئل عنه، ولم يزد هذا الشرط الجديد على أن جعل ذكر مسلسل المشايخ المحدثين هذا (الإسناد) عادة مستقرة عند الرواية والتحديث. فإن جاء من يخترع سلسلة لم تقع في التلمذ والتحديث، فسيكشفه أهل الشأن لا محالة ولو بعد حين .

ثم إن كل طائفة من الطوائف المبتدعة التي زعمت مخالفتنا في مصادر التلقي، قد تبين بفضل الله بطلان ما تستند إليه من روايات تشذ بها عنا، وذلك من فساد ما تقرره تلك الروايات نفسها من عقائد بمقياس النقل والعقل جميعاً. والكلام ههنا عن تلك الطوائف التي ردت دواوين السنة التي أجمع أهل السنة على قبولها، سواء لتكفيرهم الصحابة أنفسهم، أو لتكفيرهم التابعين وتابعيهم، أو لطعنهم على أئمة السنة الذين نقلوا إلينا تراث هؤلاء جميعاً. فهؤلاء ما وقعوا في ذلك إلا لمخالفتهم لأولئك الأعلام في أصول المعتقد نفسه. فإن قيل إن النقل (كأصل) هو محل الخلاف بين الطوائف هنا، فلا يصح اعتبار

النقل نفسه هو الطريق لمعرفة أي تلك الطوائف أصدق فيما تنقل، قلنا فأين العقل إذن؟ كل من رد السنة التي بين أيدينا - لتكذيبه رواياتها الأوائل وتكفيره إياهم غالبا كما تقدم - محجوج بالعقل لا محالة، وهذا ظاهر معلوم والله الحمد. 18 فلزم أن يكون الإسلام الحق هو ما تتابع أئمة هذه السنة المطهرة (المعلوم مصادرهما ورجالها) على حفظه وتوارثه عن بعضهم البعض، ولزم أن يكونوا هم محل الثقة التامة في نقل هذا الدين والإخبار بالحق والصدق عن نبيه وعن صحابته. ولهذا كان من أصول نقد الرواية في الإسلام: النظر في السند والمتن جميعا، وليس في السند وحده أو المتن وحده. ونحن نتحدث أن يأتي أحد من المخالفين من أي طائفة من طوائف البشر بحديث أو رواية قد أجمع أهل السنة على تصحيحها، مع أن في متنها شيء يمنعه العقل والمنطق، أو تتعارض مع خبر آخر أو دليل معرفي من أي صنف، يعدلها في المنزلة الدلالية أو يعلو عليها، تعارضا يمتنع معه الجمع بينهما على نحو يتوافق وفهم الأولين لها (كخبر تاريخي أو نحوه) .

القضية الأخرى التي يجب أن ننبه إليها في هذا المقام، أن هذه الأمة لم تتأسس - كأمة قوية ذات منعة وشوكة - إلا على هذا الدين الحق الذي توارثته تلك السلسلة من الثقافات عندنا (بصرف النظر عن مصدره عندهم)، وهذا أمر لا يماري فيه أحد، ولا يجروء على نفيه هؤلاء المغامرون من المؤرخين الماديين! فقد كانت أمة المسلمين من يومها الأول أمة قوية منيعة، اجتمع المسلمون فيها تحت لواء قيادة وحكم أولئك الذين نزع منهم أصحاب النبي المقربين منه، رضي الله عنهم وأرضاهم، فكانوا هم حماة الحق والدين وحماة الوحي والنص وهم حملته إلى أقطار الأرض، الذين قاتلوا واسترخصوا من أجله الدماء والأنفس والأموال! ولك أن تتصور ضخامة ما صنعه هؤلاء في بلادهم في سبيل صيانة هذا الدين من كل دخيل عليه، وقد رأيتهم بذلوا - بالفعل - المال والنفس وقدموا أرواحهم في سبيل أن تنتشر رسالته في أقطار الأرض من حولهم وأن تصل إلى الناس في كل مكان! فكان هذا تقديرا إلهيا لم يكتب من قبل لأمة من أمم الأنبياء والمرسلين، أن قامت الشوكة والغلبة في الأرض لأولئك الأئمة

18 - وأظهر مثال له عندنا، حجج أهل السنة ضد عقائد الرافضة والباطنية وأضرابهم من الملل التي زعمت النسبة = إلى القبلة والإسلام وهو منها بريء! فكلها تقوم على تصورات في صفات الرب جل وعلا لا تكاد تمتاز بها عن أهل الملل الشركية والثنية في شيء أصلا، والأمر في هذا يعرفه من خبره .

الأوائل الذين علموا الدين للناس! لقد ضربوا المثل الذي أذهل سائر الأمم من حولهم لما يصنعه الإيمان الغيبي الراسخ بجيوش تقاتل في سبيله، فلا يزال المؤرخون في حيرة كيف نجح هؤلاء العرب في بناء إمبراطورية كبرى امتدت من الهند والصين شرقاً إلى المغرب غرباً، ومن وسط إفريقيا جنوباً إلى بطن أوروبا شمالاً، في فترة لا تساوي شيئاً في أعمار الأمم (بضعة عقود لا غير)! وجوابنا أن هذا أمر قد جعله الله سبباً عظيماً (إن لم يكن هو أعظم الأسباب قاطبة) في حفظ الدين وتحصين روايته المتصلة وتمحيص خبره في تلك الطائفة من لدن هؤلاء الثقات الكرام وإلى يوم الناس هذا، كما لم يكن لأمة من قبل .

فليس من الهوى ولا من التقليد الأعمى أن وضع العقلاء من المسلمين ثقتهم في أئمة أهل السنة، الذين تسلسلوا بالتلمذ والمشيخة وصولاً إلى هؤلاء النبلاء الأوائل رضي الله عنهم في صدر الأمة! فإن صاحب الحق يعرف ببضاعته، وللناس عيون وألباب! وليس من التعصب الأعمى أن اعتقدنا أن الإسلام الحق هو ما جاءنا من طريق هؤلاء الأكابر، فاتخذنا قاعدة نرد بها كل خبر في الدين وفي تاريخ النبي عليه السلام والأصحاب والتابعين، يتخلف عن شروطهم فيما انعقد الأمر فيه لديهم على قبوله وتوثيقه من الروايات والأخبار، لا سيما إن كان يأتي من راو أو مؤرخ على غير ديننا. وهو كما ترى موقف ظاهر القوة في ميزان العقل، حيث يضع الثقة التاريخية فيمن لم يعرف التاريخ نفسه من هم أكثر أهلية واستحقاقاً لها منهم، والله الحمد!

إن الاعتقاد بصحة ما اعتمده أئمة السنة من خبر ورواية لما وقع من محمد عليه السلام وأصحابه من أقوال وأفعال = ضرورة دينية كبرى عند المسلمين، كان ولا يزال المسلمون يتعبدون ويتدينون لله ديانة بإيفائها حقها من البحث والتمحيص! فليست هي مسألة "تاريخية" عارضة يحتمل أن يكون قد مر عليها أربعة عشر قرناً من الزمان من غير أن تحظى بما يليق بها من التحقيق والتدقيق! 19 لذا نقول إنه

19 - تأمل كيف يقول المدعو "روبرت سبنسر" بكل سهولة في كتابه المذكور: "ليس دين الإسلام فريداً من بين الأديان في زعمه بأن مادة الإيمان فيه مادة تاريخية مفتوحة للبحث التاريخي. ولكنه فريد في كونه لم يخضع من قبل لهذا النقد التاريخي الدقيق على أي مقياس ذي بال. بينما خضعت كل من اليهودية والمسيحية للبحث العلمي التاريخي الموسع على مدار ما يربو على قرنين كاملين". اهـ (المرجع السابق ص 20). هذا "النقد الدقيق" الذي يتكلم عنه ذاك لجويهل،

هو ما يقال له "النقد العالي *Higher criticism*" ويقصد به تلك الطريقة الحديثة التي انتحلها =
 =بعض الفلاسفة المعاصرين خلال القرنين الماضيين في التعامل مع النص الديني، وفي النظر في المادة التاريخية لتلك
 النصوص بمنظور يزعمون أنه "حيادي" و"موضوعي". فمن ذا الذي له أن يزعم أن المسلمين مطالبون بالتسليم =
 بصحة هذا المنهج الجديد في التعامل مع النص الديني الموروث، وكأنهم كانوا عبر قرونهم الطويلة، جهلاء كلهم سفهاء
 عميان، لا يقوم لديهم من المعارف المعتبرة في التوثيق التاريخي شيء ذو بال أصلاً؟! ومن ذا الذي له أن يدعي أن تفنن
 أولئك الأعاجم في تأويل القرآن وفحص نصوصه (وهم الجهلاء بلسان العرب أصلاً) أمر يتحتم على المسلمين أن
 يقبلوه وأن يرفعوه إلى منزلة "النقد العالي" والتحقيق العلمي الرفيع؟ ومن ذا الذي له أن يدعي أن فلسفة هؤلاء
 ومنهجهم في البحث التاريخي والموازنة بين ما يعتبرونه من ألوان الدليل التاريخي، فوق أن ينتقد هو نفسه وفوق أن يرد
 كله أو بعضه على أصحابه؟

لقد تلقى كثير من المجرمين من بني جلدتنا فلسفة هؤلاء باستحسان كبير، حتى إن من الأسماء الكبيرة في سماء الأدب
 و"الثقافة" العربية المعاصرة من وافقهم في كثير مما ذهبوا إليه، ولا تزال - مع ذلك - تروج أسماؤهم بين العوام في
 بلادنا على أنهم من الأعلام! فهذا "طه حسين" (عليه من الله ما يستحق) يزعم - على سبيل المثال - أن القرآن يجب
 أن يفتح للنقد الأدبي مثله في ذلك كمثّل سائر الكتب البشرية، ولبس ذلك على الناس بأنه مما لا ينبغي أن يخشاه
 المسلمون لأنه سيكون فيه تعضيد لحجتيه وكماله وليس العكس! وقد رد عليه علماء المسلمين آنئذ بما يليق به،
 وألقموا ذلك الحجر نفسه الذي نلقمه نحن ههنا في هذا المقال لكل مغامر سفيه يقول إن نصوصكم مثلها كمثّل أي نص
 موروث في أي أمة من الأمم، فيجب أن تعامل بنفس المعاملة! فلسنا من السذاجة والحماسة بأن نقبل من هؤلاء السفهاء
 الماديين فلسفتهم في نقد النصوص الدينية ومنهجهم في الترجيح التاريخي، بدعوى أن ذلك "النقد" سيأتي ولا بد بما
 يثبت صحة الدين والنص وينفي عنه الشبهات! أي نقد هذا الذي يرجى منه تلك الثمرة يا هؤلاء الكذبة وهو يقوم على
 منهج فلسفي فاسد من الأساس، منهج يبدأ بالتسليم بمقدمات حقيقتها تناقض تلك النتيجة التي تتكلمون عنها =
 =البتة، وينفي حق أهل التراث الديني نفسه وورثة اللسان الأول الذي جاء به ذلك التراث في أن يقدّم فهمهم وتأويلهم
 الموروث على فهم غيرهم وتأويله الجديد لما بين أيديهم هم من النصوص، وفي أن يعتمد منهجهم العلمي والمعرفي
 الموروث في شيء من ذلك؟

لا يعيننا ولا يضيرنا أن اضطر النصاري - مثلاً - لإظهار قبولهم لذلك المنهج النقدي الجديد، بل وقبولهم لبعض
 نتائجه، فهم أهل تحريف وتضيع وتبديل على أي حال، يتقلبون مع كل موجة جديدة ولا يضيرهم أن يكذبوا ويحرفوا
 الدين ويغيروه من أجل أن تبقى لهم قاعدة عريضة من الأتباع في بلاد الغرب المعاصر، تماماً كما صنعوا من قبل في
 أصلهم الأول! أما أمة محمد وعلماء أمة محمد، فلم يرثوا كذباً ولم يؤسسوا دينهم على خرافة، وإنما بنوه على توثيق

وتمحيص وتدقيق يقوم على أساس من التسليم المسبق بصحة ذلك الحق الذي جاء به النص القرءاني المعجز = على أيدي قوم عدول صادقين، ولديهم والله الحمد من الأدلة الدامغة في هذا المعنى ما يكفي لسد أفواه المكذبين! هذا الأصل هو ما عليه عرف العقلاء من من الشخصيات التاريخية حقيق بأن يقبل كلامه وحكايته ومن منهم ليس كذلك! وأما الماديون والملاحدة أصحاب ذاك "النقد العالي" الذي أحدثوه، فلا يقيمون وزنا للتأويل الموروث أصلاً، لا عندنا ولا عند غيرنا، وهم يتعمدون إغفال ما في التأويل الموروث لنصوص القرءان من إعجاز ثابت من طرق شتى وفي أوجه شتى، يرفعه فوق سائر الكتب الدينية التي ورثها أهل الملل، ويجعله حقيقاً بأن يقبل وأن يتبع، وبأن يوثق في عدالة وصدق أولئك الذين وثقهم هذا الكتاب نفسه وكانوا سبباً في وصوله إلينا، حتى يكون في رواية العدول الثقات عنهم ما يكفي في تحقيق المعرفة التاريخية المحكمة لمن طلبها، ويكون في صحة ما أخبر به القرءان نفسه من الأخبار والقصص كفاية لمن أراد الحق خالصاً متجرداً. القرءان نفسه، بهذا التأويل الموروث، هو معجزة محمد بن عبد الله، وهو دليل نبوته الأول، صلى الله عليه وسلم، فهل يقبل هؤلاء هذه الدعوى؟ كلا والله! ولو قبلوها ما سلخوا مع نصوصنا تلك المسالك، ولا نكشف لهم فساد منهجهم ونحلتهن المادية الساقطة تلك، سواء في النقد التاريخي أو في التأويل النصي! فبأي عقل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟

لم يكتف هؤلاء المجرمون بإهمال تراث علماء الرجال والعلل والأثر عندنا وكأنه لم يوجد أصلاً (الذي كان الواحد منهم أجهل به من حمار أهله، لأنهم أعاجم كلهم لا قدرة لهم على دراسة علم عظيم ثقیل كعلم المصطلح وعلم الرجال عندنا - فضلاً عن أن يصبروا على ذلك إن سعوا فيه جدهم!)، بل زعم بعضهم أن له "إسهامات" رائدة في "نقد" تراثنا الحديثي! فهذا الراهب الفلمنكي هنري لامنز *H. Lammens* يحكم في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بأن كتب الحديث تفتقر إلى الحس النقدي ويغلب عليها الطابع الأدبي! وهذا المستشرق الهنغاري إيغناز غولدتسيهر، (وهو ممن تشدقوا كثيراً بمحبتهم لدين الإسلام وتعظيمهم لنبيه) أنه بالنظر إلى كون دواوين السنة قد دونت في عصور كان الصراع السياسي فيها على أشده، وكان النزاع مولداً لروايات بطالة مكذوبة عند أطراف = تلك النزاعات، فإنه يلزم من ذلك أن تكون تلك الكتب (دواوين السنة) كلها لا قيمة لها في ميزان التوثيق التاريخي، لأن الذين دونوها والرواة الذين نقلت رواياتهم فيها ليسوا محلاً للثقة! وذاك الإيطالي "ليون كاتاني" *Gaetani* يصرح بثقة وحزم منطعي النظر في أوائل القرن العشرين بأننا نكاد لا نجد شيئاً حقيقياً بشأن محمد في كتب الحديث أصلاً! بل يمكننا - بزعمه - أن نسقطها كلها بوصفها كتباً أبوكريفية *Apocrypha* وهو المصطلح الكنسي في وصف الكتب غير القانونية أو التي قررت الكنيسة إهمالها كوثيقة تاريخية!

بل زاد بعضهم جرأة فوق جرأة ووقاحة فوق وقاحة، وقرر أن يتصدق على هؤلاء المسلمين المساكين بأن يضع بنفسه قواعد من عنده لنقد الحديث ولتمييز الصالح منه *Reliable* وغير الصالح، كما صنع الهالك المدعو فليهاوزن

من السفاهة المحضة أن يتعامل بعض المستشرقين والمؤرخين الغربيين مع نصوص ديننا وكأننا وجدناها وجادة في مخطوطة أو قرطاس، وكأننا لم يكن لدينا أساس للتوثيق والتبين نقبل به ما نقبل ونرد به ما نرد، أو وكأننا مطالبون بتوثيق من وثقوه هم من المؤرخين ورفعهم فوق من وثقهم أئمتنا من رواة المسلمين ومحدثيهم! ونقول إنه من العبث المحض، مجرد أن يتصور أحد هؤلاء السفهاء من

Welhausen في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي! ولعلها تدرس تلك القواعد اليوم في جامعات القوم على= أنها فتح "تاريخي" كبير وإنجاز من قبل "عالم" متخصص في "النقد الأعلى" للأديان ونصوصها ووثائقها التاريخية، جاء بما لم تستطعه الأوائل! وسأكتفي في هذا السياق الضيق بذكر قاعدة واحدة قررها ذاك التافه للموازنة بين النصوص= =الحديثية في دواوين السنة، حتى يضحك من قلبه أصغر طالب علم في علوم الحديث يطالع هذا الكلام، ويحمد الله على نعمة الإسلام والعقل! فقد اتخذ فليها وزن هذا لنفسه ميزانا، على غرار دراسته لكتب موسى الخمسة في العهد القديم (الذي كان متخصصا في "نقده") ومقارنته بينها، ليميز من خلالها بين النصوص التي كتبها نفس اليد، والنصوص التي لا يبدو من أسلوبها أنها من نفس المصدر! فدع عنك أيها القارئ المحترم كيف أن هذا الجاهل تغافل حقيقة أن اللفظ في الحديث قد يقع فيه اجتهاد من الراوي، وأنه محفوظ بالمعنى لا باللفظ، وأن الكتاب الواحد من دواوين السنة تساق فيه روايات الجمع الغفير من الرواة، ويكفيك في هذا كله أنه كان أعجميا يتخذ لنفسه من المقارنة "اللغوية" بين أساليب التعبير عند الرواة طريقا ليقول هذه الرواية وتلك ترجعان إلى مصدر واحد لتشابه الأسلوب، وكأن ثمة مخطوطات خفية مندرجة في تاريخ المسلمين، تلقى عنها هؤلاء الرواة رواياتهم، فتوافق أسلوب من تلقوا عن المخطوطة الواحدة منها، على غرار ما كان يعتقد الرجل أنه حصل في كتب العهدين القديم والجديد الذين كان متخصصا في دراستهما، ثم جاء هؤلاء الرواة بعدئذ بالنقل عن تلك الكتب وهم يزعمون في ذلك أسانيد ملفقة من أولها إلى آخرها، فتلقى المحدثون أصحاب الدواوين روايات هؤلاء وكتبوها بتلك الأسانيد هكذا جزافا!

ألا فلتضحك الثكلى من "نقدهم الأعلى" هذا، ومن إسهامات الإمام "يوليوس فيلهاوزن" في علم الحديث، وما يزعّم هؤلاء الضباع أن لهم به اليد العليا في النظر في نصوص المسلمين وتمييز الصحيح فيها من الضعيف، وتتبع "أصولها التاريخية" ولا حول ولا قوة إلا بالله! الأمر العجيب فعلا هو سبب تسميتهم هذا العبث "بالنقد الأعلى"! أعلى من ماذا؟ أعلى من أي شيء؟ وبأي ضابط وعلى أي معيار؟ لأنه من إنتاج "الرجل الأبيض"؟ لأنه مما جادت به قريحة =الفيلسوف الملحد، أو - بعبارة ألطف - المفكر "المستنير"؟ هذا "لعب عيال" موضوع تحت الأقدام، ولا يطالع عندنا إلا على سبيل التفكه والتندر!

المؤرخين المعاصرين أن بوسعه إسقاط ذلك التراث العظيم بمثل قولهم "إن المؤرخين الخارجيين لم يقولوا بهذه أو تلك" أو "إن الآثار المادية ليس فيها مصداق تلك الروايات" أو "إن القراء مؤلف من مقتطفات من الكتب القديمة" أو "إن الملوك بارعون في اصطناع الدين ووضع النص الديني بما يناسب هواهم ويقوي سلطانهم"، إلى آخر ما يسوقونه علينا من صور لهو الصبيان ولعبهم! نعم لا يخلو زمان من أمم وملوك وسلاطين يتنازعون السيادة، ولا يخلو من مجرمين يسعون لتحريف الدين بما يوافق هواهم، بداية من التأويل الفاسد لنصوصه، ووصولاً إلى العبث بمصادر تلقي تلك النصوص نفسها! ومعلوم أن كثيرا من الملل الوثنية الباطلة لم تنشأ إلا لإشباع مطامع الكهنة وشهواتهم! فكان ماذا؟ من طلب الحق من بين ذلك كله فلن يخفى عليه طريقه! لن يخفى عليه دين يزعم أصحابه في حق خالقهم ما ينتزه به عن كل نقصية قالت بها أهل الملل الأخرى في حقه وهو منتزه عنها بضرورة العقل والفطرة! لن يخفى عليه دين لا يزال أصحابه يتوارثون كتابا محكما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولو كان من تأليف بشر لوجدوا فيه اختلافا كثيرا! أفلا يكون أولئك الذين نقلوا إلينا هذا الكتاب المعجز وأحكموا وثاقه فيما بينهم، أهلا لأن يوثق فيما يأتي عنهم وعن تلامذتهم من خبر من نزع أنه نبي من أنبياء الله؟

لا والله ليس في أولئك الذين يسمون بالمستشرقين ولا فيمن تخصصوا في دراسة تاريخ الإسلام وكتابه ونبيه من يرقى لأن يقال في حقه إنه منصف متجرد للحق، مهما رأينا في كتابات بعضهم من صدق في التحديث عن ذلك النبي وعن أمته وأصحابه، إلا من مات منهم على الإسلام! فوالله لو أنصف الواحد من هؤلاء وتجرد للحق حقا لأسلم ولا رضى الإسلام ديناً، إذ ليس الأمر في حجية الوحي الموروث بين المسلمين ورقه العقلي فوق سائر ملل الأرض قاطبة وفوق ما تطيق عقول البشر وضعه وتأليفه، بالذي يخفى أو يحتاج إلى بحث أو نظر أو طول مدارس، وهذه مسألة لا أمل من الدندنة حولها في كل مناسبة لشدة الداعي إليها عند الرد على أولئك الذين يقولون إنهم "لا دينيون" لا يزالون ماكثين فيما يقال له عندهم مرحلة "البحث عن الحق"! فهم يعلمون أنهم لن يجدوا في الأرض ملة توحد الخالق بما يوجبه له العقل السوي وتعظمه بما هو أهله كهذه الملة، بل كلها على ألوان شتى من الشرك والتنقص من ذات الخالق ونسبته إلى ما لا يستقيم به عقل ولا نظر (حتى الإلحاد ملة شركية عند

التحقيق، وليس ههنا محله)! وهم يشهدون بأن جميع الملل في الأرض تتهم خالق السماوات والأرض بالنقائص وتنسب إليه المتناقضات، إن لم تنف وجوده بالكلية، سبحانه وتعالى عما يصفون، إلا ملة محمد بن عبد الله! وهم يعلمون أن جميع كتب الأديان فيها من التناقض والاختلاف والغلط ما فيها إلا هذا الكتاب الذي جاء به محمد بن عبد الله، الذي تحدى عقلاء العالم كله بالإتيان بكتاب مثله يخلو من التناقض والاختلاف والعبث وسوء البيان فكان ولا يزال يعجزهم عن ذلك من أولهم إلى آخرهم!

ففي أي حديث يمترون، وبأي حجة بعد هذا يكذبون؟ وما نوع تلك الحجة أو الدليل الذي يشترطون ظهوره لهم حتى يتعرفوا على الدين الحق ويرتضوه لأنفسهم إن كانوا فاعلين؟ نسأل الله السلامة من الأهواء وغفنها! فإن الهوى إذا ما عشنش في القلب وضرب فيه، فلا رجاء لأن يرضى من هذه حاله بالحق الجلي الواضح إلا أن يرحمه الله!

ألا فليعلم كل عاقل أن الرواية التاريخية ونقل الخبر التاريخي = دين عندنا، وأن الدين عندنا معاصر المسلمين جد فليس هو بالهزل، علم فليس هو بالجهل! فمن حسب أن له في سوق العلم والتحقيق العلمي مكانا بقبوله مثل ذاك العبث والهراء الذي كتبه تلك الشرذمة (وأكتفي بهذا القدر مما نقلته منه ضربا للمثل لا غير)، تريد أن تنفي وجود محمد نفسه، صلوات ربي عليه وسلامه، وتحط على جهود أربعة عشر قرنا من علماء المسلمين وأئمتهم في تمحيص الرواية وفهم النص، وكأنها هواء لا وجود له أصلا، فليذهب مع من وافقهم إلى حيث ذهبوا وليمكث فيهم ما شاء أن يمكث، وليهنا بلذة العلو على أكتاف من استحسنوا كلامه من السفهاء، وبقبول من استحسن هو كلامهم وناصرهم عليه، ثم ليهلك معهم في مزبلة التاريخ كما هلكت أمم من قبلهم من المجرمين غير مأسوف عليها، والحمد لله رب العالمين .

تحذير البرية من غناء "التنمية البشرية" ومما يسمى بالبرمجة اللغوية العصبية!

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن والاه أما بعد
فهذه رسالة "طويلة نوعاً ما" كنت قد كتبتها حول فتنة شاعت وانتشرت بين شباب المسلمين في أيامنا
هذه أشد الانتشار، ألا وهي فتنة ما يسمى بالتنمية البشرية والبرمجة اللغوية العصبية، وبقيت الرسالة
عندي فترة قد انشغلت عنها. ولما اشتركت على هذا الموقع المبارك رأيت أن أنشرها عليه نصيحة لله
تعالى سائلاً إياه أن يرزقني الاخلاص وأن يجعل فيها النفع وأن يعفو عما وقع فيها من الخطأ والزلل،
وموجهها بها دعوة إلى اخوتنا طلبة العلم حفظهم الله في هذا الموقع الكريم إلى أن يتبهاوا إلى هذا الخطر
الداهم وألا يتهاونوا فيه، وفقني الله وإياكم إلى كل ما يحب ويرضى، والله ولي التوفيق، والحمد لله رب
العالمين.

اخوتي الكرام أحبتي في الله هذه رسالة أكتبها اليكم بشأن فتنة ظلماء بدأت تفشو في أمة
المسلمين بسرعة مذهلة تحت شعار "العلم" واغتر بها الكثيرون غير متنبهين لأصولها وحقيقتها
ومتابعها ومراميها حتى صرت أسمع كلاماً عنها وعن دوراتها بين أخوة ملتزمين يقبلون عليها بلا
بصيرة ولا حول ولا قوة إلا بالله! إنها فتنة ما يسمى بدورات التنمية البشرية على وجه العموم، وما
يسمى منها بالبرمجة العصبية وما يتشعب عنها على وجه الخصوص.

الرسالة أعترز بعون الملك المعبود جل وعلا أن أجعلها قصيرة ما أمكنني، ولكن لعل الضرورة إلى
بسط البيان إيصالاً للفائدة تكون مقدمة على الحاجة إلى الاختصار في موضوع خطير كهذا، وتفصيل
يورث أملاً لا خير من تقليل يورث إخلالاً.. فأرجو المعذرة منكم اخوتاه إن وقع في رسالتي هذه بعض
طول واستطرد في بعض المواضع، وأسأل الله لي ولكم الاخلاص والقبول، وأن ينفعني بها قبل أن

ينفعكم أنتم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

أما بعد فتلك الظاهرة المسماة بمباحث التنمية الذاتية هذه قد بدأت في الظهور على الساحة الفكرية بانتشار واسع تحت هذا المسمى (التنمية الذاتية أو البشرية) منذ عهد قريب من الزمان! ولكنها في أصلها وحقيقتها ليست جديدة على الاطلاق! انما هي عنوان جديد فضفاض يدخل تحته محيط واسع من النظريات والأفكار والمعتقدات القديمة والأساطير وتتداخل فيه مجالات بحثية كثيرة بداية من علم النفس وعلم الاجتماع والطب ووصولاً الى التنجيم والسحر والوثنية والشعوذة ووحدة الوجود! ولعل هذا التشابك المعقد بين رايات العلوم والنحل المختلفة التي تتحرك تحتها تلك الممارسات وتصطبغ بها عند أصحابها هو السبب في وقوع اللبس الكبير على كثير من فضلاء المسلمين واغترارهم بها، حتى رأينا بعض المشتغلين بالدعوة يتدربون عليها ويمارسونها ويتمسكون بموقف التفصيل وليس الاجمال عند الحكم على تلك الممارسات بصفة عامة، ويزعمون امكان تنقيتها وأسلمتها والانتفاع بها !

ولكن الذي نتصر له هنا انما هو القول المجمل الذي ذهب اليه عدد غير قليل من أكابر العلماء الذين تناولوا القضية وحققوا فيها تصورا يكفي لاطلاق حكم شرعي، فموقفهم يؤيده التأمل الشامل لأصل المسألة وجذورها وما تروجه تلك الممارسات بين المسلمين، وهو ما يقدم درءه على جلب منافع أخرى واقعة أو متوهمة في المقابل قد تظهر عند التفصيل في بعض تلك الممارسات، والله أعلم. وجريا على سنة العلماء في البدء بشرح المصطلح، دعونا نبدأ أولاً بسؤال خبراء الغرب – الذين باعوا تلك السلعة الخبيثة بيننا وروجوا لها والذين تتلمذ عليهم اخوتنا المفتونون بهذا الأمر هداهم الله – عما يقصدونه بالضبط من قولهم (التنمية البشرية أو الذاتية)

التنمية البشرية هي كما يعرفها أصحابها: تنمية قدرات الانسان وتحسين أدائه على كافة الأصعدة، الشخصية، والمادية، والروحية، والمهارية، .. الخ .

انك ان سمعت هذا الكلام قلت ما أحسن هذا! كل انسان يريد أن يكون فائزا في الدنيا موفقا في كل ما يعمل.. ولكن ظاهر الأمر الرحمة، وباطنه من قبله العذاب!

فهي وباختصار، البديل العصري *New Age* الذي اكتشف السفهة بظنونهم النجسة أنه لا بد من وضعه لاصلاح ما يمكن اصلاحه من فساد نفوسهم وتصوراتهم، فيكون لهم (نمط حياة) يضبط لهم كل شيء، لعلهم يجدون فيه الغنية عما ينقصهم اذ رموا الدين الحق وشرعة السماء وراء ظهورهم! فهو نمط حياة بالفعل، نمط مبرمج مرتب يتحتم على من يدخل فيه أن يسلم له نفسه وأن يخضع له خضوعا كاملا حتى يؤتي معه ثماره المزعومة! يأمرونه بأن يفعل كذا وكذا وأن يمارس كذا وكذا وأن يواظب على كذا وكذا، فيدعون أنه اذا ما فعل، تحقق له النجاح والفاعلية في حياته كما يزعمون. وهو يأتيهم طائعا راغبا مؤمنا مصدقا واضعا كافة عقائده وأفكاره بين أيديهم ليعيدوا صياغة حياته من جديد! يسلم لهم كما نسلم نحن الله !

فان قلنا لهم أن يا سفهاء، لماذا تنكرون علينا وتلومونا اذ نسلم عقولنا وقلوبنا للذي خلقنا ليصلح لنا حياتنا بما شرع وأمر وأنتم تسلمون أنفسكم للمشعوذين والدجاجلة والفلاسفة والأفاكين، قالوا بل أنتم السفهاء ولا عقل لكم!! ان البشر جميعا لا غنى لهم عن نظام دقيق يرتب وينظم حياتهم ويأمرهم بالحكمة ويوجههم الى ما فيه صلاحهم تفصيلا في كل شيء، وهؤلاء يقررون بذلك ان لم يكن بالمقال فبلسان الحال! فان قلت لهم خذوه اذا من وحي السماء قالوا هذه أساطير الأولين! فهذا أمر نعهده ونفهمه فيهم لأنهم قوم سفهاء ضالة لا سبيل لهم ولا هداية ولا نور، وقد نبأنا القراء بأحوالهم! ولكن الذي لا يمكن السكوت عليه، هو أن يصبح أصحاب الحق وحمة وحي السماء وشرعة رب العالمين التي لا تستقيم حياة انسان الا بها، وبها وحدها، منقادين لما خرج من زبالة عقول هؤلاء المرضى بهذه الصورة المخزية!! فان كلمتهم قالوا لك هذا علم! هذا نفع للمسلمين فلم لا نأخذ به؟؟! فانا لله وانا اليه راجعون!

ان (التنمية البشرية) هذه هي أشبه ما يكون بمظلة كبيرة متشابكة من المعتقدات والنظريات والفلسفات الفاسدة المبتثقة من أصول الحادية ووثنية، في مقتطفات انتقائية من كل ملة وكتاب في الأرض، تستوعب تحتها كما كبيرا من المهارات والممارسات والأفكار المتناثرة قليلة النفع – أو كثيرته أحيانا – والتي قد يمكن فصل وادخال كل فكرة مقبولة منها في سياق دورات تدريبية لمهارات مخصوصة في مجالات معينة واختصاصات معينة في العمل، بعيدا عن الأصول العقدية والمنابع التي تأتي مقرونة بها

عند عرضها في اطار التنمية البشرية! بمعنى أنه ان تم تحليل المحتوى الذي يقدمه هؤلاء، لوجد أن أكثره يعرض التوحيد لخطر أكبر - مهما صغر - من أي نفع قد يرجى منه عند عرضه بهذه الصورة، وان كان ثم نفع فانه يمكن لأي مدرب محنك في أي مجال من المجالات العملية أن يدرب المحتاجين الى تلك المهارات في اطار عملهم، لا كقواعد حياتية عامة لكل انسان يوهم الناس أنهم لن ينجحوا مطلقا الا بها، ولا في سياق (دورات التنمية) هذه التي يفتتن الناس بها فيسلمون لها أنفسهم، وانما في صورة مهارات عامة مكتسبة في كل مجال عملي بحسبه، قياما على معتقد صحيح وبناء على منهج اسلامي قويم.

ان هذا التنوع الكبير في موضوعات التنمية البشرية ومجالاتها هو سبب وقوع تلك الفتنة بهذا الكلام عند كثير من فضلائنا، هداهم الله. فالذين صنفوا فيها وأعدوا لها الدورات والندوات، جمعوا تحت عباءتها كما كبيرا من المهارات العملية التي قد يكون كثيرا منها ذا نفع اذا ما صح المعتقد الذي من ورائه، وقام على بنية شرعي صحيح. ولن يكون ذلك الا اذا انتزعت تلك المهارات من سياقها الفاسد الذي لا تأتينا ان أتتنا من عند هؤلاء الضالة الا ملوثة به ومقرونة معه! بمعنى أن تؤخذ كل مهارة نافعة لتوضع في سياق المجالب العملي الذي تخدمه تحديدا والا فلا حاجة اليها لأن الله أغنانا عنها بما شرع من شرائع اصلاح عام لكل صغيرة وكبيرة في حياة الانسان! لا نريد زيادة على شرع الله الا ما يرتبط ارتباطا مباشرا بمهارة عملية في مجال عملي بعينه، طالما كان المجال وكانت المهارة تلك من المباحات! أما هذا التلبس على خلق الله فيجب منعه! يجب أن يمنع بث دورات تحت ذلك الشعار المجمل المبهم (التنمية البشرية) والذي يعتدي بمجرد منظوقه هذا على حق من حقوق الله تعالى وهو حقه في اصلاح البشر اصلاحا شاملا بما شرع ونزل من هدي الأنبياء ومن وحي السماء! انظروا عباد الله الى ما ترمي اليه وتناقشه - في المقام الأول - تنميتهم تلك ...

"كيف تصبح أكثر سعادة واطمئنانا في حياتك؟

كيف تصبح أكثر ثقة في نفسك وفي قدراتك؟

كيف تحسن التعامل مع الآخرين من حولك؟

كيف تحقق الرضا التام بعملك وبشخصيتك؟

هل تفتقر إلى معنى أو غاية أو هدف للعمل؟

هل تريد رفع مستوى معيشتك وتحصيل المزيد من المال؟

لا تدري كيف تنظم وقتك وحياتك؟

لا تدري كيف تحسن علاقتك بأولادك؟

لا تحسن التعامل مع رئيسك في العمل ومرؤوسيك؟

الجواب عندنا.. بادر ولا تتأخر.. اقرأ سلسلة كتب دكتور فلان واحضر ندواته ودورات، وستغير

حياتك على نحو لم تكن تتصوره ! "

هذه العبارات (والتي جمعتها من اعلانات ومواقع متفرقة لدورات التنمية البشرية بمختلف فروعها)

تلخص لنا الغاية التي يوههم أصحاب التنمية الناس بأنهم يوصلونهم إليها. هذه هي الأسئلة التي يقدمون

فيما يزعمون الجواب عليها !

ان تلك الأسئلة جميعا لو وزناها بميزان الحق والدين، لوجدنا أن جوابها - أو ما صح منها - لا يكون

الا في الدين وشرعية السماء، ولفهمنا حينئذ حقيقة ما يرمي إليه هؤلاء السفهاء وما يروجون له من

قولهم (التنمية البشرية !)، تعالوا نجيب لهم عن أسئلتهم تلك !

- كيف تصبح أكثر سعادة واطمئنانا في حياتك؟

نقول بدخولك في الاسلام لرب العالمين وبربط قلبك وجوارحك بذكره وطاعته والانقياد له وحده لا

شريك له. هذه ليست "وصفة مجربة" وانما هو حق اليقين !

- كيف تصبح أكثر ثقة في نفسك وفي قدراتك؟

قلنا هذا سؤال لا يصح طرحه لأنه لا يجوز للمسلم أن يعلق أمله ورجاءه باعتقاد في قدرته الذاتية وثقة

فيها، وانما يثق في ربه الذي خلقه وفطره عز وجل، وفي أن الله لن يخذله ولن يقدر له الا الخير ان كان

أهلا لذلك ! كن عليما بقدر نفسك وحدود قدراتك وما تجيده وما لا تجيده، فهذا واجب حتى لا تظلم

نفسك والمسلمين بتبوء مكان ليس لك ! أما الثقة والتوكل والاعتماد على القدرة فلا يكون متجها الا

إلى الله عز وجل وحده لا شريك له ! فكيف يجيب هؤلاء عن هذا السؤال؟؟

- كيف تحسن التعامل مع الآخرين من حولك؟

قلت بالخضوع التام لسنة وهدى سيد المرسلين ﷺ ولا سبيل لك الى هذا المطلب الا سبيله ﷺ!

فهل أنت مسلم لله أم لغيره؟

- كيف تحقق الرضا التام بعملك وبشخصيتك؟

الرضا بما كتبه الله للعبد من الرزق وتحقيق القناعة به لا يكون من سبيل الا سبيل محمد ﷺ، وأما

الرضا "بشخصيتك" فالذي يرضى بنفسه ويفرح بها هذا على شفا هلكة!!

- هل تفتقر الى معنى أو غاية أو هدف للعمل؟

قلت ان لم تكن مسلماً فقطعاً أنت تفتقر الى معنى أو غاية أو هدف للعمل، أي عمل، بل لحياتك

كلها، فكن مسلماً أو كن ضالاً كما الأنعام يسوقك كل ناعق حيثما يريد!!

- هل تريد رفع مستوى معيشتك وتحصيل المزيد من المال؟

قلت هل تريد أن تجلس أنت في مكان رب العالمين توزع أرزاق الناس كما يحلو لك؟؟ يا هذا ان كنت متخصصاً في مجال من المجالات العملية (كمجال التجارة مثلاً) وكانت عندك نصائح للتجار للدعاية أو لدراسة الجدوى أو نحو ذلك ليرفعوا بها أداؤهم فاعقد لهم دورات في التجارة ولا بأس، علمهم فيها ما عندك من الخبرة مما لم يكن فيه محظور، هذا خير. أما أن تجمع عموم البشر من حولك وتقول لهم تعالوا أعلمكم قواعد ان طبقتموها على حياتكم في أي مجال كنتم تعملون أيا كان، حققت لكم مزيد نجاح وكانت سبباً في جلب مزيد من الرزق اليكم، فاحسباً وارجع الى الأوثان التي كنت

تعبدوها، لعلها توحى اليك بكلام جديد!

- لا تدري كيف تنظم وقتك وحياتك؟

قلت النظام والترتيب يمن الله به على من فقه دينه ففقهها صحيحاً، وسبيل ذلك مبثوثة في نصوص الاسلام، ولا يزال المسلمون - المحسنون العالمون منهم - يبدعون ويحسنون تنظيم أوقاتهم ويرتبون أولويات العمل على بصيرة من ربهم وبركة منه في أوقاتهم قد حرمها هؤلاء النعاج بكفرهم! فلا يغرنكم حرصهم على الالتزام بما يضع بعضهم لبعض من النظم في بلادهم، فالانسان لا يعمل الا

راغباً أو راهباً أو كليهما... فهم يرغبون الدنيا ويرهبون زوالها، ويجدون في الأرض ما يوعدون! اما نحن فقلة منا اليوم الذين فقهوا دينهم ورغبوا فيما عند الله خالصا ورهبوا عذابه خالصا فأحسنوا العمل في كل شيء، فانا لله وانا اليه راجعون. ان نجاح أي نظام عملي دنيوي له أسباب دنيوية يجب الأخذ بها في سياق شروط انجاح ذلك النظام، منها حسن التخطيط والترتيب والتنسيق! وتنظيم الوقت لا يحتاج الى (تنمية بشرية) وانما الى عقل مرتب منظم، قائم قياما كاملا على حكمة وهدى الاسلام!! فأففقوا عباد الله وارجعوا الى صوابكم قبل فوات الأوان!

- لا تدري كيف تحسن علاقتك بأولادك؟

- لا تحسن التعامل مع رئيسك في العمل ومرووسيك؟

قلت فاسمع الى قال الله وقال الرسول وتزود من زاد الوحي اذا! فنور الحق والوحي يكفيك! اعلم يا عبد الله أنه من لم يكفه هدي الاسلام لصلاح نفسه وحياته فوالله ما عرف الاسلام ووالله لا يصلحه شيء سواه!!

فدع عنك هذا الغثاء وارجع الى هدي الله المستقيم الذي لا صلاح ولا فلاح الا به.

ان من المسلمين - بل أكثر المسلمين اليوم ولا حول ولا قوة الا بالله - من اذا سمع قال الله وقال رسول الله، مر على الكلام مر الكرام! واذا ما قلت له قال الدكتور روبنسون من جامعة ويست فيرجينيا أو البروفيسور ميكلسون من نورث كارولاينا، أنصت وانتبه وانشرح قلبه ونزل الكلام عليه وكأنه وحي السماء!!!

قال تعالى ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾

﴿إِذَا هُمْ بِسَبَّحُونَ﴾ [الزمر: 45]

نسأل الله العافية!

دعوني أصدمكم بنقل من موقع لواحد من باحثي ما يسمى بتطوير الذات *Personal*

development (ولن أقول علماء حفظا لمهابة ومنزلة الكلمة) يدعى *ستيفن أيتكيسون* (وهو

ممن يلقبون أنفسهم بمدرربي الحياة *Life Coach* ولعله ما يناظر الحكيم أو الجورو أو الداعية أو

المنصر عند أصحاب الملل الأخرى)

(<http://www.stevenaitchison.co.uk/blo...-back-in-life/>)

يقول الرجل في مقال له بعنوان "عشر معتقدات تعوقك في حياتك وتعطلك!" في المعتقد الخامس:

" 5- الايمان بأن الاله *god* هو كيان خارج عن حكمك! أنت تتحكم في الهك، وليس العكس! انني عندما أقول (*god*) فأنا أعني بذلك قوة روحية، لا أعني الانجيل وما الى ذلك، فكل ذلك لا ينبغي الايمان به بصورة حرفية! ان الهك ليس الا قوة في داخلك أنت، فعندما تصلي، فانك تصلي لنفسك، وعندما تسأل المغفرة فأنت تسألها من نفسك! لا أحد في هذا الكون يتحكم فيك! أنت تتحكم في القوة التي بداخلك، فاياك أن تتنازل عن هذه العقيدة! أنت لست في حاجة الا أي أحد أو أي شيء يسمح لك أن تعيش حياتك، عشها لنفسك وأعن الآخرين على أن يعيشوا حياتهم كذلك! "

قلت هذه هي نهاية المسألة.. انه بيت القصيد !

ان سؤالا من جنس: (كيف تصبح مديرا ناجحا) مثلا هذا للجواب عليه شقان، شق علمي عقدي تشريعي، وشق عملي وضعي تطبيقي. فأما الشق العلمي فهو ما يتعلمه الانسان من عقائد ليضع فيها طمعه ورجاءه وخوفه وخشيته من أثر عمله وعاقبته الآجلة والعاجلة. وأما الشق العملي الوضعي فهو ما يتدرب فيه على مهارات مخصوصة وأسباب دنيوية تكتسب وتؤخذ من أهلها بالنظر والممارسة والمران. وهذا الأخير يرتبط بكل مهنة واختصاص بحسبها! فانتبه أيها اللبيب الى حدود هذا وحدود ذاك، ولا يغرنك بديع القول من قوم سفهاء !

يقول المدعو ابراهيم الفقي - أحد أئمة النعيق بهذا الوهم في أمتنا - في أحد أشرطته بتلخيص وتصرف ناقله كما تجده على هذا الرابط، هدى الله القائمين عليه:

<http://forum.amrkhaled.net/showthread.php?t=43842>

"الأحاسيس ستقودك إلى طريق من اثنين: الألم أو السعادة.. الألم والسعادة هي محركات الأفعال لماذا لا يقوم بعض الناس لصلاة الفجر؟ لماذا لا نقرأ؟ لماذا لا...؟ ببساطة لأننا نربط هذه الأفعال بالألم... يجب أن نربط أي شيء نريد آدائه بالسعادة.. أو بشيء يسعدنا (مثل أن نقوم الفجر لننال الثواب الجزيل وحب الله عز وجل...و.و.و) ، يجب أن نربط الجزء الروحاني من أفعالنا بالسعادة."

قلت الله أكبر! ما رأيكم في تركية النفس وما صارت اليه؟! الرجل يعلمكم لماذا لا تقومون لصلاة الفجر فسامعوا! لا بد من الأمل والسعادة! ارجب واطمع وانطلق وتخيل أي شيء تقنع نفسك بأنه سيتحقق لك في دين أو دنيا أو غير ذلك، فلن "تنجح" في صلاة الفجر أو في غيرها الا هكذا!! اربط الصلاة صلاة الفجر بشيء يسعدك كالثواب وحب الله و و الخ!! "يجب أن نربط الجزء الروحاني من أفعالنا بالسعادة"!! الرجل يوجب ويفرض ويأمركم بما يصلح لكم دينكم ونفوسكم: "الجزء الروحاني" من أعمالكم!! فالله المستعان!

الجزء الروحاني عندنا نحن معاشر المسلمين اسمه الايمان يا هذا! وما هكذا يتكلم المسلمون ورثة الكتاب عن الايمان وعن الترغيب والترهيب وتركية القلوب واصلاحها!! هذه أمور لها فقه عند المسلمين من وحي منزل أفاض العلماء في بيانه والتصنيف فيه، فلا تبلغه أحلام النعاج الضالة الذين تنقل اليها كلامهم!! هذا كلام من لا ايمان لهم بالغيب يريدون أن يطبقوه على من لهم ايمان!! منذ متى ونحن معاشر المسلمين نتخذ الضوابط والمناهج التربوية و"الروحية" من غثاء السفهاء الذين ينغفون علينا من كل حفرة من حفر الأرض ونخضع لها أرواحنا ونفوسنا هكذا صما بكما عميانا؟؟!

يقول الرجل (من المصدر السابق): "خرج شاب عصبي سافر للدراسة بالخارج وسكن في "موتيل" صغير ملك زوجان عجوزان.... كان يعامل الناس بخشونة.. ولا يحس بالأمان تجاه أي شخص.. وبعد فترة يصاب بحادث ويدخل المستشفى ويجد الزوجين حوله وجيرانه يزورونه.. ويودونه.. فتوقف لحظة وعلم أن هناك اعتقاد خاطئ وهو ربط معاملة الناس بالألم.. وبعد ذلك تغير... وبدأ يبادلهم الحب والود.. وحين جاء موعد السفر حزم جميع أمتعته.. وحزن الكل لأنه ستركهم.. قالت له العجوز: أخذت جميع حقائبك؟ قال: نعم، قالت: ولكن بقي حقيبتين لن تستطيع أخذهما معك: حبك لنا وتأثيرك فينا.. وحبنا لك وتأثيرنا فيك"..

قلت ما شاء الله! لعل بعض الذي يسمع هذا الكلام لا يملك الا أن يبكي تأثراً!! أرايتم كيف يكون اصلاح نفوس الناس وتحسين أخلاقهم ومعاملاتهم؟! دعكم من هدي النبوة والسيرة وأعمال القلوب وفقه المعاملات وعقائد الاسلام في الغيب، دعكم من هذا كله! ها قد جاء علاجكم الذي طالما انتظرتموه يا مساكين!!، ويقول في شريط له بعنوان "قوة الاعتقاد" كما أورده مفرغه بتصرف واختصار

(من المصدر السابق أيضاً) : "في أسبوع عدم التدخين في إحدى البلاد : جاء للدكتور ابراهيم... مدخن (82 عاماً) يقول أنا جربت كل شيء حتى أمتنع عن التدخين... ولكن لا شيء يفيد.. فسأله الدكتور ابراهيم: ماذا تفعل طوال يومك؟.. فقال : لا شيء سوى التدخين، والجلوس أمام الكمبيوتر والتدخين.. فقال له الدكتور ابراهيم لن أمنعك عن التدخين... أقول لك دخن، نعم دخن ولكن تنفس كل يوم خمس دقائق وتمشي خمس دقائق... ثم بدأ الدكتور يضيف إلى نشاطاته شيئاً جديداً في كل مرة يتصل به فيها.. ثم سأله مره: هل تعلم أن هذا الدخان قد يقتل زوجتك لأنها تدخن معك؟ فانزعج الرجل.. فطلب الدكتور منه أن يحدد أماكن التدخين.. ففعل وبعد فترة أتى إلى الدكتور وقد ترك التدخين نهائياً، لجأ الدكتور ابراهيم إلى زيادة نشاطاته وابعاد تركيزه عن التدخين... وتحطيم الروابط القديمة المرتبطة بالتدخين... لتحل محلها روابط أخرى... فغير اعتقاده عن التدخين .

*الناس حين يريدون اقتلاع عادة سيئة غالباً ما يتعاملون مع مستوى السلوك (والسلوك هو ثمرة الاعتقاد) فلو تعاملوا مع الاعتقاد مباشرة لكان ذلك أنجع.. " أ.هـ

قلت أبشروا يا اخوة فقد اكتشف الرجل هو وسادته الذين تتلمذ على أيديهم، أن التعامل مع الاعتقاد عند النصيحة والاصلاح - ولن أقول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه في الغالب ما سمع شيئاً بهذا المعنى من قبل في حياته!! - يكون أمضى أثراً وأنجع من التعامل على مستوى السلوك! (ولا تسئل ما معنى محاولة اقتلاع عادة على مستوى السلوك.. المعنى في بطن الكاتب!)

اكتشف أن تغيير اعتقاد الانسان بشأن الأمر الفاسد هو سبيل حمله على الاقلاع عنه!! رحماك يا رب الأرض والسماء!! كأن الله ما أنزل شيئاً قط من السماء! هذا مبدأ من البداهة أصلاً بحيث لا يحتاج إلى تقرير! وهو أصل منهج الاسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واصلاح القلوب والدعوة، أنه لا يظهر قصد الانسان ولا يعمل باخلاص و ارادة صحيحة الا اذا ما رسخت الرغبة والرغبة والمحبة وأركان الايمان جميعاً في قلبه! ولكن ما أدرهم هؤلاء بهذا الكلام!! لقد كان أساتذته الذين تلقوا عنهم يبحثون في حيرة حتى اكتشفوا هذا المعنى، ففرحوا به وبدأوا تطبيقه على الناس!!

وانظروا اليه اذ علم هذه الحقيقة، فما المعتقد الذي يريد غرسه في قلب المدخن حتى يعينه على

الاقلاع عن التدخين! دع عنك حقيقة أنه لم يدعه إلى التوحيد، فهذا أمر لا علاقة له به ولا يعنيه كما هو واضح! الرجل معني "بالسلوك الانساني" يا اخوة! فما علاقة التوحيد بالسلوك الانساني؟؟! بل ما علاقة الدين بأي شيء أصلاً؟؟! الله المستعان !

فبعيدا عن التوحيد، وعن الايمان باليوم الآخر، والوعظ والترهيب من أثر المعصية ومن فجأة لقاء الله وعدم أمن مكره سبحانه وتعالى، والتحذير من تسويف التوبة، والالتيان بالأدلة والآيات الباهرات في الوعد والوعيد، وغير ذلك مما تعلمنا في هدي نبينا ﷺ، بدأ بأن قال له: دخن! نعم دخن، ولكن خذ خمس دقائق بلا تدخين في كل يوم!! ثم بعد ذلك اجعلها عشرة دقائق! ثم !! ...

تماما كما يأتيك رجل يزني ويدمن التردد على بيوت البغاء، فتقول له أول ما تقول، خفف من الزنا قليلا! لا أقول لك لا تن! بل ازن، ولكن اذهب إلى بيت البغاء ثلاث مرات في الأسبوع فقط، بدلا من أن تذهب كل ليلة! وربما تنصحه في المرة التالية وتقول له حاول بالتدريج أن تقلل عدد النسوة اللاتي تجامعهن في المرة الواحدة من خمس إلى ثلاث نسوة! ثم تقول له حاول المرة القادمة أن تختار إحدى المومسات الدميمات، فلعلها تقطع طمعك في ذلك المكان!.. ثم حاول كذا وكذا ...

أو كمدمن خمر يأتيك فتقول له، لا أقول لك لا تشرب، بل اشرب، ولكن بدلا من ثلاث زجاجات في اليوم، اجعلها زجاجة واحدة يا أخي! ثم بالتدريج، "غير الصنف"!! الله المستعان!

هذا هو ما يراود للمسلمين أن يتبعوه بدلا من هدي محمد ﷺ، أو على الأقل جنبا إلى جنب معه كما يدعو المفتونون هداهم الله! وكشأن كل مسلم جاهل مقيم على بدعة أو ضلالة يروج لها، فهو لا يعلم أن في دين الله ما شرع لحل تلك المشكلة أو غيرها، فيزين له الشيطان جهالته وما أتى به من غير مصادر الاسلام، يدعو الناس إليها على أنها السبيل والملاذ، فيناذب بذلك دين الله وشرعته ويحاربها من حيث لا يدري !!

أي اعتقاد هذا الذي علمه الدكتور لذلك المدمن واضعا اياه بدلا من معتقد فاسد كان في قلبه من قبل؟؟ حتى تلك القاعدة التي زعم أنه طبقها لم يطبقها على وجهها الصحيح! ألم يكن من الأنجع والأوفر والأقصر طريقا أن يخوفه من ايذائه لزوجته في بيته من البداية، بدلا من التطويل على الرجل

بلعبة الخمس دقائق والمشي وغير ذلك؟؟ بلئ! ولكن أين تكون "المتعة" اذا؟؟! أين تكون الاثارة والتشويق؟؟ أين يؤلف تلك القصص والابداعات والحوارات التي توهم المترددين عليه بأن هناك خطوات متدرجة مدروسة بعناية فائقة لو لم تتبع على نحو ما يقول سيادته فلن يزول ادمان ذلك المدمن؟؟! أين يظهر وهم العلم اذا؟؟! رحماك يا الله!

ويقول الرجل في نفس المحاضرة (نفس المصدر) :

"تمرين للتخلص من الاعتقاد السلبي :

- 1- اكتب بعض معتقداتك السلبية
- 2- اكتب الخسائر التي تجنيها من هذا الاعتقاد السلبي في حياتك، و تخيل نفسك بعد فترات مستقبلية متفاوتة، وكيف تسوء حالتك.. وعش هذه الحالة.
- 3- اكتب الاعتقاد الايجابي المراد
- 4- اكتب الفوائد التي تعود عليك منه.. وتخيل نفسك بهذا الاعتقاد على فترات مستقبلية متفاوتة.. واشعر كيف تكون سعيدا بهذا الاعتقاد .
- انظر للفرق ما بين الحالتين

*عند التفكير لا تستعمل الطريقة السلبية: انا لست (.....)

-السبب في عدم قدرة الناس على التغيير

- 1- الصورة الذاتية التي ترسمها لنفسك وتحد من قدراتك
- 2-منطقة الأمان : "أنا كده كويس ليه أتغير" والتعود والركون إلى الحالة الحالية .
- 3- الخوف من المجهول"

قلت ترى كيف كان الصحابة رضي الله عنهم يغيرون "المعتقد السلبي" في أنفسهم وهم لا يحسنون الكتابة؟؟ لعلهم كانوا يذهبون الى كاتب منهم يعد لهم مثل تلك الورقة؟؟ أم تراهم كانوا يستعملون التنويم المغناطيسي؟! أو الريكي ربما؟ ما شاء الله!

أفيقوا يا هؤلاء ودعوا عنكم هذا الوهم والغثاء من قبل أن يأتي على البقية الباقية من دينكم!!

وبالطبع لا يفوته أن يصبغ صبغة اسلامية على الكلام في وسط المحاضرة فيقول: "والآن هيا... فنحن أفضل مخلوقات الله.. ولدنا قدرات لا محدودة"

فأين هذا من قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء : 28]
ويقول: " تذكر: كل سعادتك في قلبك... عش كأنها آخر لحظة ..عش بالإيمان بالله سبحانه وتعالى
..عش بالحب والتفاؤل..وقدر قيمة الوقت"

قلت نسأل الله العافية من تلبس الشيطان! المسكين يحسب هو وأتباعه أن دخول هذه العبارات وسط كلامه يكسبها المشروعية! ان عبارة "عش كأنها آخر لحظة" هذه من كلام كفار الغرب لاغراق الناس في الدنيا وحب الدنيا والاستزادة من التلذذ بالشهوات حتى الثمالة! فهذا هو فهمهم هم لمعنى "السعادة" التي يتوهمون! أما قوله "عش بالإيمان بالله وسبحانه وتعالى" فوددت والله لو أسأله، ما معنى الإيمان عندك وما لوازمه يا رجل؟؟ وكيف يجتمع هذا مع ما قبله مع ما بعده مع ما تدعو الناس اليه؟؟! سبحان الملك!

ويقول الدكتور في مقدمة شريط آخر من سلسلته "نجاح بلا حدود"، كتقدمة لما يبيته من غشاء:
"كل انسان يبيحث عن شيء يغير به حياته للأحسن، بالضبط زي قصة الرجل العجوز اللي كان يمشي ماسك شمعة، ولما الناس سألته انت بتعمل ايه، قال بابحث، قالوا له بتبحث عن ايه، بعد فترة صمت رد وقال بابحث عن نفسي! والآن عندي ليك سؤال، هل لازم نعيش العمر كله عشان نكتشف معنى حياتنا ونكون فعلا سعداء؟

كان دايمًا عندي حب استطلاع لمعرفة لماذا هناك ناس ناجح وسعداء وأغنياء، والبعض الآخر يكونوا فاشلين وتعساء وفقراء، فدرست حياة الأشخاص الناجحين لأكثر من خمسة وعشرين سنة، واكتشفت انهم يقوموا بأداء حاجات معينة على نفس النمط هي السبب وراء نجاحهم! والأشخاص الفاشلين أيضا يقوموا بأداء حاجات معينة على نفس النمط بتكون هي السبب في انهم يعيشوا في مستوى أقل من اللي ممكن يوصلوا له! أنا فكرت بيني وبين نفسي، اذا قدرت اني أطبق خطط الأشخاص الناجحين وأتبع خطواتهم، واذا قدرت اني أكتشف أخطاء الأشخاص الفاشلين وأتفادها، فممكن أصبح ناجح أنا

كمان !

وده بالضبط اللي أنا عملته.. في أقل من ثمان سنوات اترقيت من غاسل أطباق في مطعم صغير الى مدير عام في فندق خمس نجوم! والآن أصبحت محاضر عالمي وكتبت أكثر من عشر كتب، ترجمت لعدة لغات وحقت نسبة مبيعات ممتازة، والآن، باستعمالك لهذه الخطط، أنت أيضا ممكن تعمل أي شيء تحب انك تعمله أو تكون أي شيء تحلم انك تكونه أو يكون عندك أي شيء تتمناه في حياتك!! "

انتهى بتصرف يسير .

قلت انظروا كيف يروج أصحاب الخرافة والباطل لباطلهم ويغرقون من أتاهاهم فيه! صدق والله امام الحكماء عليه السلام اذ قال هم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها! معنى الحياة وأسباب السعادة اكتشفها هذا "الدكتور" غاسل صحون الكفار الذي ذهب يتسول على موائد الأمريكان ذليلا حتى فتح الله أبواب الدنيا عليه واستدرجه بما آتاه وفتنه وفتن به! وها هو الآن ينصحكم ويعلمكم معنى الحياة وأسباب النجاح!! لقد نطق الروبيضة والله! لقد نطق الروبيضة!

الشريط هذا تقدمه فيه امرأة — بعد فراغه من هذه المقدمة الجذابة مباشرة — تقول "دكتور ابراهيم الفقي له خلفية متنوعة في الفروع والمجالات، هو محاضر وخبير عالمي، دكتور في علم الميتافيزيقا، حصل على أكثر من 23 شهادة عليا، مدرب معتمد للبرمجة العصبية، معلم معتمد للذاكرة، ومعلم معتمد لتكنولوجيا السيادة على الذات وهو يشغل حاليا منصب رئيس الهيئة الأمريكية الدولية لتدريب البرمجة اللغوية العصبية! من خلال هذا البرنامج ستكتشف الأسس الحقيقية للسعادة والبرنامج الذي يساعدك على تحقيق حياتك حتى تكون كاملة وملئمة بالأحاسيس الايجابية الفياضة بلا حدود! المعلومات التي يحتوي عليها هذا البرنامج هي نتيجة خمسة وعشرين سنة من الدراسة والخبرة الشخصية والبحث والسفرات وتعتمد على أقوى الطرق الفنية التي ابتكرت في مجال التطوير الشخصي، والسلوك الانساني! كل هذه الطرق الفنية الخارقة، ساعدت آلاف الأشخاص كي يكونوا أحسن مما كانوا عليه... هذا البرنامج هو الوحيد الذي يخاطب سلوكك اليومي كإنسان عربي بأحدث الطرق العلمية بغض النظر عن وظيفتك أو مهنتك، فهو يخاطبك كأب، كأم، كزوج، كزوجة، كابن،

كابنة، كمدير، كعامل، أو كصديق! هذا البرنامج صمم خصيصا للارتقاء بسلوكك اليومي حتى تصل الى النجاح والساعدة والقوة اللا محدودة....

قلت انظروا الى حجم الدعاية حتى في داخل الشريط نفسه! سبحان الملك !

﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر : 8]

ترى الذي يأتيهم مفتونا بهم يسمع هذا الكلام فيذهل وينخلب له! "ما كل هذا؟؟ يا له من حبر! يا له من عالم كبير!!" وهو كالشاة الضالة لا يفهم نصف ما سمع ويحسبه علما حقا! "الميتافيزيقا" هذه التي أعد فيها الرجل تلك الدكتوراة التي يلحق لقبها باسمه، يحسبها الظمان ماءً ويظنها الجاهل علما! انها أشبه ما يكون في اسمها بالفيزيقا التي هي علم الطبيعة، ولكنها محض ضلال الفلاسفة، فهي معنية بما وراء "الفيزيقا"! الميتافيزيقا هي فلسفة (الماورائيات)! مباحث ما وراء الطبيعة حيث يخوض كل فيلسوف ضال بعقله المجرد في أمر الغيب الذي لا يأتينا علمه الا بوحي من الله يجب التوقف عنده، فيخرج بما يحلو له ويعجب أتباعه من الضالة من حوله!! هذا هو "علم" الميتافيزيقا ببساطة شديدة وباختصار! وهو منبع لكثير من العقائد الفاسدة والخرافات التي غرق فيها الكفار في بلاد الغرب بحثا وتنظيرا، يلبسونها لباس العلم والبحث العلمي ويمنحون فيها الشهادات العليا والدرجات العلمية الكبرى!

أما الثلاث وعشرون شهادة عليا في علم النفس والتسويق وإدارة الأعمال وما الى ذلك، فيكفيك أن تعلم أنها (عليا) ولا تسل في أي موضوع بالضبط حصل على كل منها ولا على يد من!! ثم ان الرجل مدرب معتمد "للبرمجة العصبية"! وهذه تبدو هي الأخرى لمن لا يعلم وكأنها علم عظيم من جملة علوم النفس والطب الحديث!! هي برمجة ولغوية وعصبية في نفس الوقت!! وتأينا من أوروبا والدول المتقدمة! "كلام كبير" أليس كذلك؟؟ ثم يكفيك أنه "معتمد"!! ألم تسمع؟ الرجل معتمد في (الذاكرة)!! ومعتمد في "تكنولوجيا السيادة على الذات"! نعم تكنولوجيا! تلك التي حفيت أقدامكم جريا معاشر "العرب" وراء الحصول عليها والحق بركاب العصر فيها! فماذا

تريدون أحسن من هذا؟ الرجل معتمد من بلاد الحضارة والرقى وكذا وكذا!! جاءكم بكل تلك الشهادات الثقيلة فوق ظهره، فهل تطمعون في أعظم من هذا العلامة يعلمكم كيف تعيشون حياتكم وتكونون "سعداء"؟؟! هذه علوم وطرق خارقة لا يبلغها أمثالكم، فاسمع وكن من الشاكرين !!
الله المستعان!

ان المصيبة والفتنة تأتي من أن كثيرا من المسلمين يتوهم أن (التنمية) هذه فيها علوم امبريقية كالطب ونحوه! فهذا مثالا منتدئ اسمه "أمل الأمة"، يضع مجال (التنمية البشرية) هذا في قسم (ساحة العلوم والتكنولوجيا والطب)!! فرحماك يا رب العالمين!

<http://vote.amlalommah.net/vb3/forumdisplay.php?f=5>

يقول شاب يدعى (عمر يسري) معلنا عن احدئ محاضراته والتي هي بعنوان (رمضان والتغيير):
"الكلام اللئى هتسمعه فى المحاضرة دئ مسمعتوش قبل كده ومش ممكن تسمعه فى مكان تانى"

<http://forum.amrkhaled.net/showthread.php?t=141767>

قلت وهذه والله هي عين المصيبة يا هذا!! أن نتكلم عن رمضان، شهر عبادة المسلمين، بكلام لم يقل به أحد من أئمة وعلماء المسلمين من قبل!! اتقوا الله يا هؤلاء فديننا ليس لعبة!!
الذي زاد الطينة بلة أنه تبين لي أن هذا المحاضر صبي مراهق عمره تسعة عشر عاما!! خارج لتوه من الثانوية العامة ولا يزال يأخذ المصروف من أبيه!!! وهم يزعمون أنه يؤصل للتنمية البشرية تأصيلا شرعيا!! فالله المستعان!!

وانظروا الى الجرأة على الدين والاستهانة بالقرآن والحديث في اعلان آخر لذلك الزائع لنفس المحاضرة على موقع آخر (وهو مدونته الخاصة):

"ان شاء الله المحاضرة هيكون فيها كلام جديد جدا جدا عمرك ما سمعته يعنى مش كلام مكرر وتقليدئ عن رمضان وحبة احاديث على ايات ..لا ده مش درس فى جامع ولا خطبة جمعة..

دئ محاضرة تنمية بشرية.. ان شاء الله هيكون كلام جديد ومفيد ومؤثر وممتع كمان كلام لا عمرك سمعته ولا هتسمعه فى مكان تانى ..المحاضرة هدية مجانية من فريق سدرة العلم للتنمية البشرية (معانصنع الحياة)"

<http://omar-masry.blogspot.com/2007/09/blog-post.html>

قلت قاتل الله الجهل وأهله! انظروا الى نظرة التهوين والانتقاص للجامع والخطبة في مقابل ما جاءوا هم به! (مش كلام مكرر وتقليدي عن رمضان وحبة أحاديث على آيات)! الله المستعان!! هذا الصبي المسكين نموذج من نماذج آخذة في الانتشار!! فيها أنا ذا أنادي فيكم قبل فوات الأوان، انتبهوا فان دينا جديدا يدعى اليه بين أظهركم يجتذب أبناءكم اليه وأنتم لا تشعرون!

هذا هو الأساس العقدي والفكري الذي انفتح له الباب ليقوم عليه دين شباب "صناع الحياة" الذين صار أكثرهم عبادا للدنيا!! فيعلم الله ماذا سيعبدون غدا!! لستم صناع حياة والله بل أنتم صناع موت! قاتل الله كل جاهل ذا هوى يسحب الجهال وراءه بلا علم ولا بصيرة ولا كتاب منير!! أفيقوا عباد الله وانقذوا أولادكم وشبابكم قبل فوات الأوان!

وانتبهوا معاشر العلماء وطلبة العلم فالخطب خطير والفتنة كبيرة والله! هذا الرجل (مصطفى الفقي) وأمثاله يبثون كلامهم في كثير من شباب المسلمين ويصرفون وجوه الناس اليهم، ويجدون اقبالا منقطع النظر! هذه ثغرة خطيرة يغفل الأكثرون عنها! المسألة ليست مجرد أشرطة وكتب تافهة تنهال علينا من هنا وهناك (كيف تكون ناجحا في حياتك) (كيف تنظم وقتك) (كيف ترتب عقلك) (كيف كذا وكذا)!! لقد توهم الكثيرون من طلبة العلم والدعاة أن الأمر أهون وأنفه من أن يتصدى أحد للتحذير منه، ولكن ليس كذلك والله! بل الخطب أكبر من هذا بكثير! انه سحب تدريجي للبساط من تحت عقيدة الاسلام وتعاليم المرسلين في قلوب المسلمين!! سيما اذا ما تلون في لون يدخل به على فئام من شباب الصحوة الذين يحسبون عليها، ولا حول ولا قوة الا بالله! انه دين جديد بعقائد ومعاملات بل وطقوس

وعبادات، يبث في الناس تحت شعار (التنمية البشرية وتطوير الذات) وأنتم عنه غالفون!! عباد الله، ان الخطاب يظهر من عنوانه كما يقولون، انظروا الى الاسم الذي اختاره القوم لهذه الممارسة (البرمجة العصبية) أي أنهم "يبرمجون" الانسان ويغسلون عقله، فهل هذا أمر يقبله مسلم يتبع محمدا

ﷺ امام الحكمة وسيد الأولين والآخرين؟ يذهب الى "معالج" معتمد من كذا وكذا، ويقول له أنا

فاشل فبرمجني حتى أكون انسانا ناجحا؟؟ برمجنى؟؟ سبحان الله! ما هذا الكلام؟؟ ألا يستحيون؟؟

ان مجرد الذهاب الى واحد من هؤلاء الدجالين، مع تحقق العقيدة في أن ما سيعلمه الرجل لك أو

سيمليه عليك أو سيحدثك به أو سيجربه معك سيكون سببا في نجاحك الخارق كما يروجون

ويزعمون! هو خارق بالفعل، ولكنه خارق للتوحيد، بل وهو من الشرك!

أتدري لماذا أيها الأخ الحبيب؟ لأنهم لا يزعمون أنهم يعلمونك كيف تنجح في صنعة ما ينقلون اليك خبرتهم فيها - مثلا - أو يدربونك على ممارستها بالأسباب المعتادة، وانما يزعمون أن عندهم ما ان تلقيته منهم ومارسته، وأخضعت عقلك لهم من أجله، نجحت في اخراج طاقة غيبية كامنة في نفسك كنت تجهلها، تسبب لك النجاح في حياتك كلها وتحرك مما كان من قبل سببا في تعطلك وفشلك! فالذي يزعمونه ليس العلاج للمريض بحق أو باطل وانما هو دعوة الخلق جميعا الى تحقيق نتائج مذهلة من النجاح والنبوغ في كل شيء لكل من يأتيهم ويتلقى منهم، بسبب غيبي يلبسه الشيطان عليهم!!

ولهذا يسميها القائلون عليها بالتنمية البشرية أو "تنمية الانسان"!! فهو في نظرهم قاصر عاجز مهما عمل ما دام لم يتوصل الى تنمية ذاته باخراج كوامن النفس والطاقات والقدرات الجبارة التي يغفل عنها في نفسه!!

فهل - بالعقل المجرد - يتحقق هذا الكلام الا بغرس معتقدات غيبية مخصوصة في الناس، واشراب قلوبهم بها، واستدراجهم اليها وتعليق حياتهم بها؟؟ وهل يدخل الشيطان ويأتي الشرك الا من هذا الباب؟ ما هذه المعتقدات ومن أين جاءت، وان كانت عقائد عامة ليس فيها جانب غيبي كما يدعون وانما تتعلق بسلوك البشر وتصنع منهم عمالقة وتوقظ فيهم (العملاق النائم) وما الى ذلك - على حد زعم القائمين عليها - فأين هي من عقيدة المسلمين، وهل جاء هؤلاء بما قصرت عنه عقيدة الاسلام في تحقيق علو الهمة للناس في الحق وبالحق؟ هل أتاهاهم وحي جديد بما تصلح به نفوس البشر، قصر عنه وحي نبينا أم ماذا؟؟!

كيف نجح الصحابة الأولون رضي الله عنهم وأرضاهم وكيف صاروا من قبلكم عمالقة أفاذا، عمادا لأمة الاسلام أعلا ما ضربت على جبين التاريخ بأختام من نور؟؟ هل احتاجوا الى "التنمية البشرية" وما شاكلها من الوهم والخرافة والدجل الوثني، أو "برمجهم" مختص في البرمجة العصبية المزعومة،

أو نومهم المنومون ومارسوا عليهم التنويم (الايحائي)، أم أنهم اتبعوا هدي رسولنا صلى الله عليه وسلم خير ما يكون الاتباع، فكانوا بذلك على خير ما يكون عليه الرجل العاقل الحكيم من بني آدم على هذه الأرض؟

يا اخوة لو كان هذا خيرا لسبقونا اليه، ولما كان سبقهم اليه من ذوات أنفسهم وانما من نور ما فاض بين أيديهم من علم الوحي مما علمهم سيد المرسلين ﷺ وتلقوه عنه! فأين سلفيتكم معاشر الملتزمين، يا من افتتنتم بمن حفظوا القرآن في ستة أسابيع على حد قولهم بسبب تلك البرمجة؟؟ ان التنويم المغناطيسي (والذي يسميه هؤلاء الأفاكون بالايحائي تعمية لحقيقته) معروف ممارس في الأرض منذ أكثر من أربعين قرنا من الزمان، وما يتطلب أي أدوات أو آلات من أي نوع! فلو أن اصلاح انسان بالايحاء و(البرمجة) وبالتنويم الشيطاني هذا كان خيرا، أما كان أولى وأهم أن يأتي الوحي بتزكيته من الحجامة وبول الابل مثلا وغيرها من أنواع العلاج والتداوي التي كانت معلومة أيضا قبل أن يزكيها الوحي؟ ولو كان ثم طريق مختصر للحفظ في وقت قياسي، أو لتحسين ضبط الحافظ لما يحفظ، وغير ذلك، ألم تكن هذه الأمة التي ما كان نقلها للدين في أصله الا بما تحمله الصدور حفظا ووعيا، أحوج الى أن تتعلم هذا الأمر حتى يصبح المسلمون جميعا حفظة ضابطين متقنين؟

بلى! ولكن ما سمعنا بذلك في العالمين، بل ان أهل النظر وعلماء التوحيد ذموا ممارسات التنويم هذه لارتباطها بالشياطين واستحضارها، كما هو متبع في ملل الوثنيين اذ يتوهم المنومون (بفتح الواو المعجمة) خلال شعائرتهم في معابدهم أنهم قد حل في أجسادهم آلهتهم المعبودة تتواصل معهم وتنقلهم الى وعي آخر، وما هي الا شياطين تتلبسهم وتعبث بهم !!

ما الذي يحمل مسلما موحدا على ترك أسباب علو الهمة وشحذ التوكل والتوحيد في قلوب المسلمين، والتي هي هدي سيد المرسلين، الى مخلفات وثنية وعقائد الحادية تعبد المرء لقوة باطنة خفية في داخله يتوهمها ويتوكل عليها من دون الله؟؟! ألا أن الأولى تحصيلها يحتاج الى طول معالجة للنفس وتعاهد لها طويل وجهاد لا ينقطع ما دامت في الصدر أنفاس، وأما الثانية فتظهر آثارها (المذهلة) في أحيان كثيرة في وقت قليل ومع مجهود قليل أو منعدم أحيانا؟؟ ما هذا التلبس

العجيب؟؟

انني أقول لكل من فتنتهم دورات التحفيظ بالبرمجة هذه من اخوتي الملتزمين ان اتقوا الله ولا تدعوا الشيطان يلبس عليكم فيأتيكم من باب القرآن! ولا (تستسهلوا) وتتواكلوا ويوهمكم الشيطان بأنه قد جاءكم أخيراً ما حرم من مثله الأولون من "اختراع" يحفظهم كتاب ربهم في أيام معدودة!! فلا يزال القرآن يحتاج الى الجهد والمثابرة في حفظه، ولا يزال الى قيام الساعة يحتاج الى التعاهد الدائم والمواظبة على المراجعة المستمرة ليثبت الحفظ، وهذه سنة كونية لله تعالى ماضية في الناس، وعليها ترتب أجر وفضل حملة القرآن، فلو أنه كان يكفي لحفظه ابتلاع كبسولة صغيرة لما كان لحملته ذلك الفضل العظيم الذي دلت عليه نصوص السنة، فعلى قدر المشقة يكون الأجر! ولا يزال القرآن يتفلى من صدور حملته ليتليهم الله بتعاهده الدائم خوفاً من نسيانه، جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلى من الإبل في عقلها.."

فلا تغتروا بمن قال أن هذه الدورات كانت سبباً في أن حفظ القرآن كله في شهر واحد!! لو أردت أنت أن تحفظ القرآن كله في مثل هذه المدة، فستفعل بعون الله وبلا دورات ولا أوهام ولا شيء من ذلك، ولكن اعلم أنك ستنساه كله أو جله في أقل مما حفظته فيه! لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحفظون القرآن خمسا خمسا، خمس آيات في اليوم، فهل كانوا يعجزون عن حفظ خمس صفحات - مثلاً - أو أكثر في اليوم؟ كلا! وانما العبرة في التأني وسهولة المراجعة والتدرج الذي يناسب أحوال قلوب البشر.. انه الهدى الأحكم والأحسن ونحن ندين الله بأن هؤلاء سبيلهم هو سبيل الرشاد، رضي الله عنهم وأرضاهم! فهل تريدون ذلك السبيل أم تريدون غيره؟ أم أن الذي يعيننا اليوم هو السرعة والعجلة حتى نكون في يوم وليلة من حفظة القرآن؟؟! أولو كانت عاقبة ذلك فساد عقيدتكم وانخرام توحيدكم، ورسوخ الاعتقاد عندكم بأمور أقل ما فيها أنها تدمر توحيد التوكل والانابة وتضع في مكانه ما الله به عليم؟؟

سئل الشيخ أيمن سويد عن هذه الدورات فقال "مثل هذه الدورات تعد تجربة رائدة إلا أنها غريبة

بالنسبة لي ولا أحبها لأن ما يأتي بسرعة يذهب بسرعة والذي أفضله هو حفظ صفحة أو صفحتين في اليوم مع الاستمرار بحيث يحفظ الطالب القرآن الكريم كاملاً في سنة أو سنتين بيسر وسهولة وبيقى حفظه أرسخ في الذاكرة²⁰.

انني أحسب هذا الرجل من الصادقين الذين لا يتبعون الهوى، فما أسهل أن يخرج هو الآخر على الناس ببرنامج من تلك البرامج يدعوهم اليه، وهو من هو في علوم القراءات وفي التحفيظ، ليزداد شهرة وانتشاراً بذلك، ولكنه لم يفعل، وإنما استغربها وتخوف منها وعبر عن ذلك بوضوح، فأسأل الله أن يتجاوز عنه قوله أنها تجربة "رائدة".

في بحث قيم للدكتورة فوز بنت عبد اللطيف كردي أستاذة العقيدة والأديان بكلية التربية للبنات بجدة قالت: "إن البرمجة اللغوية العصبية جزء لا يتجزأ من منظومة تضم عشرات الطرق والتقنيات لنشر فكر حركة «النيو ايج (New age Movement)» فهي طريقة عملية مبطنة لنشر «فكرهم العقدي وفلسفتهم الملحدة» في قالب جذاب وبطابع التدريب والتطبيق والممارسة الحيوية لا طابع التنظير والفلسفة والدين، لذا فالخطر في «البرمجة اللغوية العصبية» لا يكمن في كونها وافدة من أفراد مشبوهين فقط، بل لأنها تحمل فلسفاتهم وعقائدهم المنحرفة وتدريب عليها، كما أن فرضياتها التي تعامل كحقائق ومسلمات ما هي إلا مجرد ظنون وتخريصات مزجها المدربون بنصوص وقصص تاريخية اشبهت في ظاهرها بظاهر تلك الفرضيات التي ليس لها مصداقيات إحصائية، وليست نتائج لأبحاث علمية أو دراسات نفسية معتمدة مما يجعل تطبيقها على الناس وتدريبهم عليها يشكل مخاطرة ومجازفة غير محمودة العواقب، ومن وجه آخر فقد مزجت في تقنياتها بين التدريبات الإدارية والمهنية وبين الطقوس السحرية والطرق المشبّهة في برنامج متكامل متدرج المستويات .

وتعتمد فلسفة البرمجة اللغوية العصبية الأصيلة على فلسفة (الإنسانية) أو الأنسنة التي تسعى تطبيقاتها إلى تنمية ما يعتقدونه من القدرات البشرية للوصول إلى ما يسمونه (الإنسان الكامل) صاحب القدرات الخارقة في التأثير، وقد مثلت هذه الفلسفة في العصر الحديث توجّهاً قوياً في الغرب، تبناه فلاسفة

ومفكرون بصور شتى، وظهرت لنشره بين الناس عدة جمعيات أبرزها ما كان في القرن التاسع عشر الميلادي متمثلاً في حركة «النيو ثوت» (*New Thought*) «التي أتت بها» فيناس كويمبي» ثم تلتها جمعية «التيوصوفي» (*Theosophy*) «في نيويورك التي أسستها» مدام بلافاتسكي»، وأخيراً حركة «النيو ايج»، وحركة «الوعي» التي خرجت من معهد (إيسلان) بكاليفورنيا محضن فكر التيوصوفي الباطني، و«حركة القدرة البشرية الكامنة» (*Human Potential Movement*) «بريادة» كارلوس كاستنيدا» ومؤسسي معهد إيسلان «مايكل ميرفي» و«ريتشارد برايس»، وقد تبني رواد ذلك المعهد البحث في قوى الإنسان الكامنة وخوارق الأفعال والتأثير، واعتنوا بتتبع العقائد والطقوس والفلسفات التي تحرر هذه القوى من إसार المعتقدات الدينية (غير العقلانية بتعبيرهم ويقصدون السماوية القائمة على التسليم للوحي)، كما اهتموا بابتكار طرق لنشر فكر روحاني (*spirituality*) يكون بديلاً عن الدين (*Religion*) بين العامة والخاصة بحيث يلبي حاجاتهم إلى الدين دون أن يشتمل على عقائد الدين وتعاليمه، وبمنهج جديد لا يصادم الدين السماوي ويواجهه وإنما يداهنه ويزاحمه، ويوجه نصوصه وتراثه المعرفي بطرق باطنية لكي يتوافق مع ما تدعو إليه الحركة من التدريبات الجماهيرية والتطبيقية مباشرة المشتملة على الفكر والمعتقدات الباطنية" وهذا هو الرابط المنشور عليه البحث لمن أراد مواصلة قراءته - وهو بحث نافع ممتع جزئى الله كاتبه خير الجزاء

<http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?t=9155>

سئلت الدكتورة حفظها الله عن بعض دورات تحفيظ القرآن في شهر واحد هذه:

السؤال:

"أستاذتنا الفاضلة د. فوز كردي

الرجاء إفادتنا حول الدورات الإبداعية لحفظ القرآن الكريم؛ خاصة بأن الدكتور (****) محاضر في معهد (****) وسيرته الذاتية مرفقة في الإعلان عن هذه الدورة. مع التوضيح إن أمكن ذلك.

وجزاكم الله خير الجزاء"

الجواب:

"دورات أفكار إبداعية لحفظ القرآن هي من دورات البرمجة اللغوية العصبية وتأخذ حكمها المبين في الموقع من أقوال أهل العلم ، بل هي أشد منها باطلا لما فيها من صرف الناس عن هدي الرسول والسلف الصالح في حفظ القرآن المبني على التدبر والفهم إلى ما يدعى من الحفظ السريع بمهارة التنفس واللاوعي وقد اختبرت شخصياً أعداد ممن ظنوا أنهم استفادوا وتبين لهم أنهم إنما صرفوا عن السنة إلى البدعة وعن الافتقار لله والدعاء إلى الثقة بالنفس والقدرات وغير ذلك ، والمدرّب كان من المحاضرين في معهد **** وقت ما كان يدرس القراءات التي لم يعد لها وقتاً في جدول دورات البرمجة على ما يبدو ... والله المستعان."

قلت والله انها لفتنة أن يدخل هذا الكلام الى قلوب الملتزمين من باب شدة حرصهم على حفظ كتاب الله! اللهم اعصم كتابك وحملته والملتزمين من أبواب الشر جميعاً يا رب العالمين. والمشكلة أن كثيراً من أوراق تلك الدورات والتي تنشر على الناس تكتب بصورة موهمة يملأها ما ظاهره التوكل على الله وسلامة المعتقد وما الى ذلك، فان قرأها عالم بدون الاطلاع على تفاصيل ما يقال في تلك الدورات نفسها وما يتدرب المتدربون عليه حقيقة، فانه قد ينخدع ويفتي بجوازها بل وربما باستبائها لغلبة الخير المرتجى منها في نظره على أي شر أو ضرر، فالذي يظهر له غالباً أنه لا ضرر أصلاً! وهذا هو عين الخطر والتلبيس الذي يقع فيه الملتزمون!

وأحياناً يكون الأمر خالياً بالفعل من مناهج البرمجة وخرافاتها، وانما يكون منهجاً مكثفاً للحفظ في اجازة الصيف يجتمع عليه بعض الاخوة في مسجدهم فيما بينهم، كهذا المنهج الذي نشرته احدى الأخوات في أحد المنتديات

<http://www.3roos.com/forums/133/t88482.html> تقول:

"هنا ساضع لكم برنامجاً للحفظ... كما قلت مسبقاً خلال شهرين فقط في اجازة الصيف والطرق يا اخوة كثيرة في الحفظ وكما قلت مسبقاً ان هذه الطريقة مجربة وقد جربتها وابشركم قد اتممت الحفظ والله الحمد. وحتى تنجح هذه الطريقة نطبق الشروط التالية :

1- الله .. الله بالاخلاص

2- العزيمة القوية الصادقة

3- ان لا يكون الحافظ لوحده بل يكون معه اصدقاء يساندونه ويساعدونه على ذلك (واقترح من خلال

هذا المتدنى تترابط فنقسم مجموعات وكل مجموعة تتسال اخر اليوم عن الحفظ.. وهكذا

4- أن يكون المسموع يضبط تلاوة القراء .

والبرنامج هناك (تعني في المقرأة) مراتب المرتبة الاولى حفظ القراء كاملا والثانية عشرون جزء

والثالثة 10 اجزاء والرابعة 5 اجزاء

المرتبة الاولى حفظ القراء كاملاً...

والخطة كالتالي

الحفظ: يومياً عشر أوجه ويستخدم مع الحفظ طريقة الربط وهي في اليوم الاول

(1) ستحفظ 10 اوجه فتربطها مع العشر الثانية في اليوم الثاني ثم الثالثة والرابعة فاذا جاء اليوم الخامس

تحذف العشر الاولى فتبقى العشر-الثانية-الثالثة-الرابعة-الخامسة وهكذا كل يوم تحذف 10 وتزود

10 وهذا برنامج الربط وهكذا في المراتب الباقية فقط بدل 10 اوجه تضع في الثانية 5 والثالثة 4 والرابعة

(2) المراجعة: فتخصص لك برنامج سرد يومي لمراجعة الماضي حتى لا يتفلت "أ،هـ.

وأقول جزئى الله خيرا هذه الأخت ونفع بكلامها، ولو قصر البرنامج على هذا الكلام لما كان فيه بأس

ان شاء الله وما كان لنا عليه من تحفظ سوى مثل ما ذكره الدكتور السويد والدكتورة فوز من أن الاسراع

الشديد فيه انما هو خلاف هدي السلف رضي الله عنهم وأنه يسهل نسيانه وضياعه بهذه الصورة، والله

أعلم. ولعل المسلم الفطن ان أراد أن يحتاط لدينه، فليسأل هل الموضوع عبارة عن مقراءة في مسجد أم

أنه دورة تدريبية في مركز مخصوص برسم اشتراك ونحو ذلك، فلو كانت الثانية، فهذه هي الدورة

المنبثقة عن البرمجة العصبية والتي نحذر منها ها هنا، أو شبيهتها التي لا تقل خطرا، والا فالمقراءة في

المسجد ان كانت حفظا وتلاوة وتسميعا على ما هو معلوم بين المسلمين من أمر المقارئ من دون

دخن أو دغل أو فكر دخيل، فهذا كلام آخر.

فأما الدورات شبيهة البرمجة في التحفيظ فقد راجت مؤخرا على أثر اشتها وانتشار دورات البرمجة،

وهي تدرب الحافظ على مد وتطويل ساعات الحفظ في اليوم الواحد حتى تصل الى خمس ساعات

متصلة، يحفظ في كل جلسة منها شطرا ضخما من القرآن! وهذه أيضا لا تخلو من تعزيز جانب القدرات الذاتية والثقة فيها وهو الأساس، وهو سبب كونها دورات باشتراك وتسجيل وليس حلق ومقارئ في المساجد مفتوحة لكل أحد! وهذه الأخيرة هي التي لم ير بعض أهل العلم بأسا في إباحتها. ان الذي ينطبع عند كل سامع عنها أن تلك الدورات ستكون بمثابة علاج نفساني لما في نفسه من عوائق تحول دون تمكنه من انجاز ما يريد (وهو في حالتنا هذه حفظ القرآن)، وهي كذلك حقا، ولذلك يتناول القائمون عليها مبادئ الثقة بالنفس واكتشاف القدرات العقلية وما إلى ذلك على أنها وسيلة علاج، وهنا مكنم التلبس، وهو الوجه المشترك بين هذه الدورات ودورات التحفيظ بالبرمجة، وهو أصل علة المنع كما أسلفنا!

ولأضرب مثلا آخر لبرنامج لحفظ القرآن في مدة محددة (وليس دورة وليس رقما قياسيا مذهلا ولا شيء من ذلك!!) أورد اليكم بتصريف يسير هذا البرنامج الذي وجدته تتناقله بعض المنتديات تحت عنوان (احفظ القرآن في ألف يوم) :

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

إخواني أخواتي القراء

تقوم الفكرة على أساس حفظ القرآن كاملا خلال الفترة المحددة مع حرية اختيار

1- المكان

2- الوقت

3- الجزء

ملاحظات أولية

يفضل أن يكون الحفظ من مصحف الحفاظ (طبعة المدينة) "كل صفحة بها خمسة عشر سطرا"

للأسباب الآتية

- لأنه يبدأ بأول الآية وينتهي بآخر الآية في نفس الصفحة

مما يساعد على التركيز في الحفظ.

- لأن كل 20 صفحة تساوي جزءاً كاملاً (عدا جزء عم) وهذا موافق لطريقة الحفظ ويقصد بالصفحة

وجه واحد فقط

طريقة الحفظ:

- 1- أن يحفظ الشخص في كل يوم صفحة واحدة فقط.
- 2- بعد حفظ خمس صفحات يكون اليوم السادس للمراجعة، وهكذا حتى نهاية الجزء
- 3- بعد حفظ جزء كامل تخصص أربعة أيام لمراجعة الجزء المحفوظ
- 4- بعد حفظ خمس أجزاء (حسب الطريقة السابقة) تخصص عشر أيام لمراجعة الأجزاء الخمسة المحفوظة
- 5- عند إتمام حفظ عشر أجزاء تخصص خمسة عشر يوماً لمراجعة الأجزاء العشر.
- 6- عند إتمام حفظ خمسة عشر جزءاً تخصص خمسة وعشرين يوماً لمراجعة الأجزاء المحفوظة.
- 7- عند حفظ عشرين جزءاً تخصص ثلاثين يوماً للمراجعة الشاملة لمراجعة الأجزاء المحفوظة.
- 8- عند حفظ خمسة وعشرين جزءاً تخصص خمسة ثلاثين يوماً للمراجعة الشاملة لمراجعة الأجزاء المحفوظة
- 9- عند إتمام حفظ القرآن كاملاً تخصص خمسة وأربعين يوماً للمراجعة الشاملة.
- 10- بهذه الطريقة تكون قد حفظت القرآن في 1000 يوم.

مقترحات للحفظ:

- 1- لك حرية اختيار الجزء الذي تريد حفظه، وحرية اختيار الوقت والمكان
- 2- استغل أوقات الفراغ في الحفظ والمراجعة ولا تضعها، ومن الأوقات التي تستغل أثناء انتظارك لإنجاز معاملة ما، وبعد صلاة الفجر، بين الأذان والإقامة، بعد صلاة الظهر... الخ.
- 3- استخدم الورقة والقلم في كتابة الآيات التي ستحفظها.
- 4- قم بتصوير الصفحة التي تريد حفظها واجعلها معك طوال اليوم لتحفظ منها مع مراعاة عدم دخولك الحمام بها.

5- استخدم الشريط للآيات التي ستحفظها واستمع لها أثناء القيادة

أو أثناء استراحتك قبل المنام

6- اجعل لك شيخا تقرا عليه القرآن لتحسن القراءة والتلاوة والتجويد.

7- اشترك مع عائلتك أو أصدقائك في حفظ الآيات ويفضل وضع مكافأة مادية.

8- احرص على قراءة ما تحفظه في صلواتك (الفرائض، السنن، التطوع)

9- اقرأ تفسير الآيات التي ستحفظها ليسهل عليك الحفظ.

10- اجعل نيتك خالصة لله تعالى، ثواب الله عز وجل.

11- أن تضع بين يديك الفضل العظيم في حفظ القرآن

12- ابتعد عن التسويف وابدأ بعزيمة قوية وهمة عالية في حفظ القرآن.

13- وأخيرا ابتعد عن الذنوب والمعاصي فإنها سبب رئيس في عدم الحفظ وكثرة النسيان.

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن ينفعكم بها وان يعينكم على حفظ كتابه كاملا

و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. " أ.هـ

قلت هذا كلام طيب نفع الله به كاتبه وقارئه وجزئ ناقله خير الجزاء. والكلام كما هو واضح لا علاقة

له بالبرمجة العصبية من قريب أو بعيد! فليس كل تنظيم للوقت على هيئة (برنامج زمني) يدخل في

البرمجة العصبية، وان كان يوصف من حيث الاصطلاح العام بأنه "برنامج" انه لا يزال البشر جميعا

يضعون الجداول والبرامج والخطط لتنظيم أعمالهم وأوقاتهم ويصيبهم ما كتبه الله لهم من توفيق

يتفاوتون فيه، بدون حاجة الى شيء من ذلك الغشاء الذي جاءت به دورات البرمجة العصبية الوثنية

تلك! فهذا الذي عرضناه آنفا هو برنامج من هذا الوجه، من باب كونه خطة منظمة مرتبة تماما كما يعد

بعض الاخوة برامج للدعوة أو للنشاط العلمي الصيفي في أحد المساجد أو ما الى ذلك. أما "البرمجة

العصبية" هذه فشان آخر!

ان الذي هبطت همته انما يحتاج الى من يخوفه من سوء العاقبة أو يرغبه في حسن المآل وفي فضل

العمل، ويكون شديدا معه اذا لزم ذلك، كما هو حال كل معلم مرب يشرف على تلاميذه اشرافا مباشرا

ويتابعهم متابعة دقيقة، ولقد كان هذا هو نهج السلف عند تتلمذ الواحد منهم على شيخ له يلازمه كظله

حيثما ذهب! أما أن نعلق طالب الحفظ بقوة باطنة فيه ونوهمه أن تكاسله وهبوط همته هو بسبب عدم ثقته في قدراته الذاتية، فنفتح أمامه بذلك بابا يقض من بنيان توحيده قضا فهذا أمر مرفوض قطعاً أيا كان مسماه وأيا كانت درجته، وحتى وإن لم يكن يقوم على شيء من مناهج البرمجة العصبية!

إن أصحاب البرمجة هذه يقرأون كتباً فيها ما سماه واضعوه **بقانون الجذب** *Attraction law* وانظروا إذ سموه بالقانون أيهما للناس بأنه حقيقة ثابتة ثبوت الجاذبية الأرضية (مثلاً!!) هذا "القانون" الشكلي اللعين خلاصته أن الإنسان إذا ما ركز تركيزاً شديداً في شيء يطمع فيه ووضع كل طاقته في ذلك، فإن أحداث الكون كلها تتحرك من أجل أن توصله إليه!! أي أن عقل الإنسان يصبح ربا للكون يتحكم في مجرياته ويسير الأقدار على هواه، "ليجذب" إليه ما يريد! فالأمر عندهم ليس واقفاً عند حد ملئ الإنسان بالثقة في نفسه وفي قدراته حتى يذهب عنه اليأس ويتحسن أدائه كما يتوهم كثير من الناس!! انهم يؤمنون بأن "العقل الباطن" إذا ما شحذ وملئ بصورة النجاح والحصول على المراد فإن ذلك المراد يتحقق حتماً ويمضي الكون كله في سبيل تحقيقه خضوعاً لأثر الطاقة المزعومة! هذا أيها الاخوة هو بعض ما في قاع ذلك البئر العفن الذي يقف اخوتنا المفتونون بالبرمجة على حافته يغترفون منه ويرسلون بدلائهم إلى بطنه ولا حول ولا قوة الا بالله!

عباد الله إن خطراً يتهدد صفاء التوحيد ونقاؤه في قلب المسلم إنما هو خطر لا يعدله ولا تقوم له منفعة دنيوية مهما عظمت! بل ولا تعدله مصلحة شرعية وإن كانت هي حفظ وختم كتاب الله! فانتبهوا يا أولي الألباب!

ومثال "دورات" التحفيظ القائمة على بعض مبادئ البرمجة العصبية هو ما اشتهر به **الدكتور يحيى الغوثاني**، وهو هداه الله من علماء القراءات أصحاب الاجازات وله باع فيها، ولكن يجب التحذير من منهجه البرمجي لافتتان الكثيرين من شباب الملتزمين به بغير علم ولا بصيرة!

في إحدى دوراته والتي نشر تفريغ لها على موقع صيد الفوائد في كتاب بعنوان **(طرق ابداعية في حفظ القرآن الكريم)**، وفي معرض كلامه عما أسماه بالعامل الخارجي (والذي في نظره لا يمكن أن يكون غيره سبباً في حمل شيخ كبير في الستين أو السبعين مثلاً على أن يختم القرآن حفظاً!!) يقول الغوثاني:

"إذا وقفت على رجلك ثلاث ساعات مثلاً .. تتعب صح ؟ .. طيب إذا وقفت 4 أو 5 ساعات .. لا تستطيع صح ..؟؟ بس إذا قلت لك إن تقف 8 ساعات .. مستحيل صح ؟؟؟ لكن مالذي يدفع مغنيا أن يقف على خشبة المسرح 14 ساعة متتالية وهو يغني ، وذلك ليدخل اسمه في موسوعة جينيس للأرقام القياسية :.. (عامل خارجي)

مسابقة حصلت حول أكل طبق من الصراصير مقابل إعطاء مال بشرط أن تقر مشه تحت أسنانك !! وتقرظه فلم يقوم احد .. إلا بعد أن رفعت المكافئة إلى مبلغ خيالي أكثر من 500 ألف دولار قام رجل .. قال أنا أكله . واعتبر نفسي أنني أكل فستق .. (عامل خارجي)" أهـ.

قلت انه يضرب هذه الأمثلة بعد مقدمة جميلة أجاد فيها وأحسن الكلام عن الاخلاص ضارباً أمثلة رائعة من السلف رضي الله عنهم!! فهل يا ترى يريد بذلك أن يقول - مثلاً - أن كل قوم لهم مشربهم وما يطمعون فيه ويتيقنون تحققه لهم فيعملون من أجله راغبين، فان كانوا هم يريدون الدنيا فنحن نريد الآخرة، فيكون العامل الخراجي عندنا هو رضي الله تعالى ورفعة قدر صاحب القرآن يوم القيامة؟ أبدا! انظروا ماذا قال كخطوات مختصرة لحفظ القرآن، في مقال منشور له على ساحة فضاء الفضائيات في موقع الشيخ سلمان العودة

(<http://muntada.islamtoday.net/showthread.php?t=15077>)

"1 - حدد ما تريد حفظه

2- اجعل أهدافاً لحفظك للقرآن الكريم على الأقل ثلاثة

3- ضع تصوراً داخلياً لأهدافك ، وتخيّلها كما لو أنها تتحقق

4- احلم بأحلام جديدة (كحفظ المزيد من الأجزاء) واجعلها حقيقية عن طريق تكرار ورؤية وسماع هذه الأحلام والشعور بها وكأنها تحققت

5- ثق بعقلك المبدع وقدرته على تحقيقها كما يثق الطفل في وعد والده

6- ركز ذهنك على ما تريد (وهو حفظ سورة البقرة مثلاً) وليس على تفاصيل عمل ما تريد

كالوسائل ، ونحو ذلك فإنها تأتي لوحدها

7- فكر في عدد من نتائج وثمار حفظك لكتاب الله

8- زد أو قلل عدد النتائج بما يجعلها دائما قوة دفع

9- فكر في أسلوب وطريقة لضغط الجدول الزمني لإنجاز المهمة

10- عش المشاعر والأحاسيس التي يعيشها حافظ القرآن الكريم

تخيل نفسك وأنت تنعم بنعمة حفظ كامل القرآن الكريم

أو وأنت تتلوه في المحراب إماما في صلاة التراويح في الناس

أو وأنت تنال شهادة الحفظ من أساتذتك " أ. هـ.

قلت فأين هو الاخلاص لله تعالى وتحقيقه ومراقبة النفس فيه في هذا الكلام؟ كيف يتحقق وأنت

تشجع الناس على الحفظ باستحضار أسباب - أو حوافز - ثلاثة على الأقل (يتركها الرجل للناس في

البداية ليتصورها كما يحلو لهم، ثم يعطيهم اقتراحاته لبعض تلك الأسباب فيما بعد)!! العامل

الخارجي هنا اذا ليس هو توحيد القصد والارادة والذي هو الحافز الغيبي الذي لا يقبل الله العمل الا

باتخاذ نية خالصة تتحقق بالايمان واليقين، وانما هو أن تستحضر مشهد اعجاب الناس بك وأنت تتلو

القرآن أمامهم في المحراب اماما!! أو ربما وأنت تنال الشهادة والناس تصفق، أو ربما وأنت تنشر

صورتك في صحيفة من الصحف على أنك أول من حفظ القرآن في ثلاثة أسابيع مثلا، أو أقل!!

تستحضر تلك الصور وما يصاحبها من شعور بالسعادة المتوهمة، وترسخ العقيدة في سعة قدراتك

على جعله حقا وفي أنها طاقة لا حد لها، وتوهم نفسك بأن العقل الباطن قادر على كل شيء بمجرد أن

تأمره بما تريد، ثم تشرع في الحفظ فاذا بك تنجز ما لم تكن تتصور أنك تقدر على انجازه!! انه محض

الرياء وشرك الأعمال والقصد (جعلها لغير الله) وشرك التوكل!!

نعم، هذا هو الحافز الحقيقي أو العامل الخارجي الفعلي الذي يحرك أصحاب البرمجة الناس به! انه

كما وصفه الرجل: التحدي! والتحدي هو شعور مكثف قصير الأجل ينبثق لا من الاصطبار على

الأمر وطول العزيمة عليها لبعث المرمى والمراد المأمول منها وتعلقه بما بعد الموت مع معالجة ذلك

من نفس الانسان، وانما ينبثق من الحماسة العاجلة السريعة طلبا لأمر عاجل سريع، تحقيقا لتحدي

يتحدى الانسان به نفسه أو يتحداه به غيره! يقول في نفسه مثلا (نعم أنا قادر على انجاز كذا في وقت كذا

وسأثبت لنفسي ذلك! فيكون الباعث على العمل بذلك ليس هو الاخلاص لله تعالى أبداً، وانما هو الرغبة في استخراج قدرة باطنة خفية يعتقد كمونها في داخله!

ان بعضهم قد يقول ان استحضار هذه الصور في الذهن تحفيزا وتشجيعا ليس فيه بأس لأنه يمكن قياسه على عقد المسابقات وتوزيع الجوائز تشجيعا للشباب والأطفال على حفظ القرآن، وهذا لم يقل أحد بحرمة أو بكونه بابا الى الشرك! ونقول صحيح أن أحدا لم يقل بأن ذلك من الشرك، ولكن هناك فرق واضح بين أن تقول لطفل تشجيعا له "لو حفظت القرآن في أجازة الصيف سأعطيك هدية كبيرة" وبين أن تدعو الناس لأن يخرجوا قوة باطنة مزعومة فيهم يعتقدون قدرتها على انجاز ما يريدون يقينا، مع استحضار غرض دنيوي في النفس استحضارا دائما لاستخراج تلك القوة!! والذي يدخل مسابقة لحفظ القرآن من غير أن يصحح قصده واخلاصه فيحفظ القرآن من أجل اصابة الجائزة هذا وقع في شرك القصد وحبط عنه أجر حفظه الذي حفظه فيجب الحذر من ذلك اذا كانت المسابقة للبالغين المكلفين الذين يميزون، أن يراقبوا القصد والنية ويحققوا الاخلاص، وأما الأطفال الصغار فالخرج مرفوع عنهم لأنهم دون التكليف، وهذا هو السبيل الأجدي والأقوى لجذبهم وتحفيزهم!!

فان كنت رافعا همتك لتجاوز بها السحاب فتوكل على الله رب الأرباب كما كان دأب السلف والأصحاب، أما أن تعتقد في ذاتك وفي نفسك وفي قدراتك ما يجب ألا يكون الا لله وحده فهذا شرك! ان العلماء يفرقون بين الأخذ بالأسباب مع التوكل، وبين شرك الأسباب! فهذا نوع من الشرك موجود ومنتشر عند المشركين من كافة الملل، وهو اعتقادهم النفع والضرر في ذات الأسباب المادية التي بين أيديهم لا في مسببها الواحد الأحد سبحانه وتعالى! وكل خلل في جانب التوكل ونقص فيه في قلب المكلف انما يدخل في مكانه درجة من درجات ذلك الشرك. فأما هذا الذي أماننا ها هنا انما هو شرك من نوع أخطر! فهو اعتقاد ليس قوامه أسباب مادية وانما يقوم على أمر غيبي باطني مزعوم في داخل الانسان يجعله - ان هو أحسن اخراجه واستدعائه والاعتماد عليه - قادرا على فعل أي شيء يريد!

فهذا، بالاضافة الى الطاقة الاسطورية التي يتكلم أهل البرمجة عنها، وما يقولونه من كونها ماثلة في أصل كل شيء في العالم، الى جانب ما يلبسون به على الخلق في مسألة الاتصال بالكون والطبيعة وما الى ذلك، كل هذا مؤداه - وهو أخطر من شرك التوكل - الى وحدة الوجود والى اعتقاد الحلول وغيره

من عقائد وفلسفات الوثنيين !

ثم ان هناك فرقا - حتى لا يقع اللبس - بين اكتشاف موهبة أو قدرة فذة من عند الله تعالى في انسان ما، وتنميتها فيه، وبين اغراقه في التوكل على قدرة موجودة فيه أو متوهمة واستبطانها في نفسه على نحو ما يصنعه البرمجيون! فأنا ان وجدت في ولدي القدرة الفذة على سرعة الحفظ - مثلا - فاني أدربه على استخدامها استخداما جيدا وأنميها فيه من غير أن أقول له "ثق في قدرتك أو في عقلك الباطن"!! والذي تظهر عليه الموهبة لا يحتاج لمن "يخرجها له"!! أما الذي يصنعه المبرمجون فعلى العكس من ذلك! انه ليس تنمية لموهبة موجودة ظاهرة بالفعل، وانما هو ايهام بقدرة باطنة يحاولون اخراجها من كل من يأتيهم!!

ونحن وان كان الانصاف يحملنا على الاقرار بأن الكتاب المذكور فيه جملة نصائح نافعة لحفظ القرآن الا أن فيه من دخن البرمجة وأبوابها ما ترجح به كفة المفسدة !
وبيانا للحق ونصحنا له نعود ونؤكد على مسألة مهمة للغاية وهي أنه ليس كل من يضع برنامجا مفصلا للحفظ يكون قائما في برنامجه على البرمجة العصبية أو على أفكارها! وقد أوردنا مثالين فيما تقدم لبرنامج لا يحتاج الى دورات أو مراكز أو نحو ذلك ولا علاقة له بشيء من ذلك الفكر الوافد الخبيث. فليحذر الدعاة وطلبة العلم من التحمس بلا روية ودراية وبصيرة فيكونون بذلك سببا في سد أبواب للخير أمام المسلمين من حيث يحسبون أنهم بذلك يصونون جناب التوحيد ويقفون على ثغر من ثغوره، وليكن منهجنا هو منهج أهل العلم والفقه في حسن تصور الشيء قبل الحكم عليه، من خلال قراءته ومراجعته والتحري عنه .

ولأضرب مثلا آخر على برامج طيبة لا علاقة لها بالبرمجة العصبية وغيثائها، أورد اليكم برنامجا أعده الشيخ الدكتور [علي بن عمر بادحدح](#) ونشره على موقعه (اسلاميات)، والبرنامج طيب جدا وفيه ملاحظات وافرة من محفظ خبير بأخطاء الحفظ وعليم بالأمور التي يقع فيها الطلاب في المقارئ فتعرقل حفظهم وتضعفه أو تبطل من سيرهم فيه، وهي معروضة في صورة برنامج مفصل أيضا (وأعني بالبرنامج جدولا زمنيا مفصلا لانجاز الحفظ بصورة نظامية في أورد ثابتة في مدة محددة كما يأتي بعد).

يقول الشيخ ممهدا له:

"وقبل البداية نحتاج إلى ثلاثة أمور

أ - إخلاص النية.

ب - وإصلاح العمل.

ج - وإذكاء الأمل.

إخلاص النية

فكل عمل بلا إخلاص هباء، وكل عمل لا يراده وجه الله - عز وجل - لا يكتب له التوفيق، ولا ينتهي إلى الغاية المحمودة، ولا يصيب الأمل المنشود ونحن نعلم ذلك وتدل عليه نصوص كثيرة.

وأما إصلاح العمل

فإن الله - جلا وعلا - قد قال: {واتقوا الله ويعلمكم الله}، ونحن نعلم أن العمل الصالح هو الذي يورث نور القلب، وانسراح الصدر، وسكينة النفس، وحدة الذهن، وقوة الحافظة، وسلامة الجوارح؛ فإن الله - جلا وعلا - يمنُّ على من استخدم جوارحه في طاعته ومرضاته، وسخر بدنه وملكاته فيما يحب الله ويرضى.. يمنُّ الله - جلا وعلا - عليه بحفظ حواسه وسلامتها له ويزيده فيها ما يميزه عن غيره بإذن الله - عز وجل - وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه أنه قال: "إن العبد ليحرم العلم بالذنوب يصيبه"، وكما قال الله جلا وعلا: {واتقوا الله ويعلمكم الله}؛ فإن من أراد أن يتهيا لحفظ القرآن، وطلب العلم، ومعرفة الحق والاستزادة من الفقه في الدين فإن طريقه أن يتطهر قلبه ويزكي نفسه بإصلاح العمل وإصلاح القصد لله سبحانه وتعالى.

وأما إذكاء الأمل

فنعني به الثقة بالله - سبحانه وتعالى - والأمل في عطائه ومنتته وجوده، فلا يتسرب اليأس إلى نفسك في هذا الأمر - أي حفظ القرآن - ولا في غيره من الأمور؛ فإن بعض الناس يغلق على بعضه أبواب الأمل وما يزال يسرب على نفسه ويجلب إليها المثبطات والمجبطات ويكثر ويعظم لها العوائق فحينئذ لا يكون عنده اندفاع ولا حماس ولا تهيو نفسي ولا قوة عملية لحفظ ولا لغيره من الأعمال، ولقد كان من تربية النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه ولأئمة أن يبعث الأمل دائماً حتى يكون ذلك موقد

لشعلة العمل ومذكي لنار الحماسة ومعلياً لمعالي الهمم بإذن الله - سبحانه وتعالى - فلا بد لنا من إخلاص وصلاح وأمل حتى نتهياً لهذا العمل الصالح ولغير "أ.هـ.

(<http://www.islameiat.com/main/?c=247&a=1699>)

ثم يقول الشيخ مواصلاً :

"وأما عند البداية فنحتاج أيضاً إلى ثلاثة أمور

1 - ملائمة الابتداء.

2 - ومواصلة الارتقاء.

3 - وكفاءة الأداء.

أما ملائمة الابتداء

فنعني بها ألا تأخذنا الحماسة ، فنبدأ بدية مندفة لا تتناسب مع مقدرتنا وطاقاتنا أو إمكانياتنا ولا تتوافق مع ظروفنا ومشاعلنا وبيئتنا وهذا يحصل كثيراً عندما يستمع المرء إلى تفضيل لأمر من الأمور ، أو ثواب في عمل من الأعمال ، فتتحمس نفسه ويشتاق إلى ذلك الأجر والثواب ، فيبدأ بداية قوية شديدة أخذاً فيها بأقصى طاقته بالغاً فيها غاية جهده فلا لبث بعد قليل أن تقعه العوائق ، وتصرفه الصوارف ؛ لأن واقع الحال يختلف مع ما أخذ به نفسه من الشدة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) ، والقليل الدائم خير من الكثير المنقطع ولا نريد أن نطلق مع العواطف دون أن نقدر الأقدار ونحسب الحساب ألازم لكل عمل وما يحتاجه من وقت وما ينبغي تهيئته له من ظرف وما يحتاج إليه أيضاً من طاقة وبذل وعمل .

وأما مواصلة الارتقاء

فنعني بها الاستمرارية التي تتحقق به النتائج والتي تعظم بها الحصيلة والتي تجنى بها الثمار ؛ فإن المرء قد يحسن الأمر ويتقنه ويبدأ فيه ويحصله ، ثم لا يلبث أن ينقطع فيضيع ما قد حصله ، ويتبدد ما قد جمعه فيعود مرة أخرى كأنما يبدأ من الصفر من جديد ، فيجمع ويكسب ويحصل ، ثم لا يستمر ولا يبني على ما سبق ، فلا يزال في مكانه يسير دون أن يتقدم ، ودون أن يرتقي ، ودون أن يضيف إلى رصيده

مكتسبات حقيقية لها صفة الدوام والاستمرار ، ولها صفة الحفظ والاستقرار ؛ فإن كثيرا من الناس في هذا الشأن كمن يحرق في ماء البحر - كما يقال - والذي يحرق ماء البحر لا يخرج بنتيجة ولا يحصل على ثمرة مطلقة.

وأما كفاءة الأداء

فإننا لا نريد أن نستمر بعمل ناقص وبإتقان مختل ؛ فإن هذا يشبه الذي يمشي بالعرج ؛ فإنه ما يزال يتعثر ويتأخر وإن كان مستمرا ثم إنه كذلك يجد أنه يحتاج في كل مرة أن يرمم عمله الذي أنجزه وأن يصلح ويكمل ثمرته الذي زرعها على أكمل وأتم وجه ؛ فإن الكمال والتمام يريح الإنسان ويوفر وقته ويوفر جهده ، وأما الذي يعمل العمل فيتمه من غير إحكام ؛ فإنه كأنه في بعض الأحوال لم يصنع شيء فيكون كحال الذي توقف وانقطع مثله مثل الذي يستمر على خلل ونقص دون أن يراعي الكفاءة والكمال المنشود. " أ.هـ

هذا كلام قيم جدا ممتون باتقان العلماء، ويكشف عن خبرة محفظ مكين يسدي نصائحه لطلبته بصورة عملية تعينهم باذن الله على اجتناب الأخطاء والعثرات وعلى حسن الحفظ وضبطه، وعلى اعداد جدول عملي للحفظ، فما أحسن هذا !

يفيض الشيخ بعد ذلك في مراحل البرنامج، ويبين أهمية السماع والتلقين والقراءة على متقن، وتصحيح أحكام التجود واتقانها قبل الشروع في الحفظ،

ويقول مبينا ما يقصده بلفظة (برنامج) " نأتي إلى البرنامج ، وماذا نعني بالبرنامج ؟

قلنا في الدرس الذي مضى أننا نريد أن نوزع الأوقات وأن نحسبها ، ونتذكر ما قلناه بأن الجمع إضافة ، وأن الضرب مضاعفة ، وأن القسمة تجزئة .. نريد أن نجعل برنامجا مجدولا يمكن أن نوزعه على الأيام وعلى الأشهر والأعوام ، وبالتالي نلتزمه ونأخذ به ، فنصل إلى نتيجة.

هنا - على سبيل الإجمال - مرحلة التلقين الأولى التي فيها هذه القاعدة النورانية أو غيرها ، إن كان سيعطي لنفسه ساعة في كل يوم ؛ فإنه يحتاج إلى نحو شهرين ونصف ليتقن هذه الحروف وطريقة أدائها بشكل جيد جداً ، وإذا أخذ بساعة كل يومين - يعني ثلاثة أيام في الأسبوع - فإنه يحتاج إلى نحو أربعة أشهر ، وليس لمضاعفة شهران ونصف خمسة أشهر ، لماذا؟ لأنه وإن كان المدة أقل لكنه مع السير

سوف يختصر كثيراً مما يحتاج إليه في البداية.

وإن اختار أن يكون درسه أو وقته لا يتيح له إلا ساعة في الأسبوع؛ فإنه يحتاج إلى ثمانية أشهر حتى يتقن ذلك بإذن الله، وقد يقول قائل: إن هذه مدة طويلة! فنقول: خذ بها سنتهين، وكم من الناس عنده هذه المشكلة، وهو إلى الآن قد مضى عليه خمس أو عشر سنوات، وهو لم ينتقل من مرحلة إلى أخرى! خذ نفسك ببرنامج وإن طال؛ فإن ثمرته في آخر الأمر ملموسة محسوسة. أ، هـ.

قلت ولعل القارئ الكريم إذا ما فرغ من قراءة هذا البرنامج القيم بكامله من على موقع الشيخ (في الصفحة التي سبق تخريج رابطها في محله) فإنه سيجد أنه ليس هناك "ضوضاء" و"فرقة" دعائية حول البرنامج من جنس (اختتم القراءان في شهر واحد!!... اثبت لنفسك أنك تستطيع!... تعرف على قدراتك الهائلة في الحفظ والتذكر!...) إلى آخر ذلك الهراء! بل ليس غايته أن يجعلك تختتم القراءان في مدة زمنية بعينها تضرب بها رقما قياسيا كما يغري الآخرون الشباب بذلك!! وليس البرنامج معتمدا من جامعة كذا في بريطانيا، ولا يلقي في مركز أو معهد باشتراك مالي للحضور وشهادة مختومة من كذا وكذا، وليس له مقدمات تسبقه فيها كلام (الحكيم الهندي) و(مثال الفيل والنملة) وغيره من أمثال عن العقل الباطن والواعي تصرف عن التوحيد والقصد السديد، وليس فيه أثر لإفك البرمجيين عن "العماق النائم" و"القدرة الكامنة" والطاقة وتسخيرها وما إلى ذلك ولا علاقة له بالبرمجة من قريب أو بعيد!! فمثل هذا - ويوجد مثله كثير - وإن كان الشيخ بادحدح نفسه قد تلقى بالفعل دبلوما في البرمجة العصبية في عام 1998 الميلادي كما وجدت في ترجمته، وأحسبه كان متأولا في ذلك عفا الله عنا وعنه، إلا أن كلامه هنا ليس في قراءته والعمل به بأس على الإطلاق بل إن فيه نفع وفائدة عظيمة لمن يسر الله له الثبات عليه والمواظبة وكتب له فضله، فجزاه الله خيرا.

فيجب التمييز الدقيق والحذر من الخلط والتسوية بين الصالح والطالح، وبين ما هو من البرمجة وما ليس له علاقة بها! وأهم من ذلك الحذر من ادخال مثل هذه الفوائد (التي نجدها في أمثال هذا المقال للشيخ بادحدح) تحت عباءة البرمجة، فهذا هو ما أغرى كثيرا من اخواننا وحملهم على القول بأن علوم البرمجة هذه أمر لا بأس به وأنها إن تعاهدها العلماء بالتنقية والتنقيح فإنها ستجلب للمسلمين

نفعا كثيرا! وهذا ليس صحيحا بالمرّة كما أفضنا فيما تقدم، فالخير الذي نراه أحيانا في مصنفات بعض المسلمين (سيما طلبة العلم والمحفظين) الذين درسوا البرمجة ومارسوها ليس منبعه هو ذلك "العلم" الوافد (ان صحت تسميته بالعلم وما أراها تصح) وانما هو في الحقيقة سببه ما جمعه هؤلاء الفضلاء من نصوص شرعية وجدوها تحقق غاية اذكاء الهمة ورفعها وتطوير القدرات والمهارات وغير ذلك مما ترمي اليه البرمجة والتنمية البشرية بعمومها! فأتي النفع من جمعهم وعرضهم لما جمعوا من مصادرنا نحن معاشر المسلمين ومن تراثنا الزاخر الوافر، وليس من زبالة القوم وما قذفوا به علينا !!

انه لا يزعم منصف عاقل أبدا أن أي كتاب من كتب الفلسفة لأي حضارة من الحضارات قديما أو حديثا لن يجد متناوله فيه من أوله الى آخره كلمة واحدة يمكن أن توصف بأنها صائبة أو حكيمة أو ذات نفع! هذا لا يقول بمثله عاقل أبدا! وانما نحن نحمل ميزانا حساسا نضع على رأسه سلامة (لا إله إلا الله) التي لا يعدلها نفع للناس مهما عظم! وقد أغنانا ربنا بما أوحى الى رسولنا صلى الله عليه وسلم عن تخرصاتهم وتخبطات فلاسفتهم، بل وأمرنا أن نخرج عليهم لننقذهم هم من غثاء ما أغرقتهم فيه ظنونهم وأوهامهم وجاهليتهم! فما بالناس اليوم نعاود كرة غزوتهم الأولى لنا تحت شعار (التنوير) في القرن قبل الماضي، ولكن بلباس جديد (التنمية البشرية)؟؟!

إن الناظر المحقق يجد أن اعداد برنامج تحفيظي كهذا من قبل عالم من علماء القراءان، لا يحتاج بحال من الأحوال الى دبلومة في "البرمجة NLP" فهو جماع خبرة وافرة في التحفيظ والتلقين وليس قائما على غثاء القوم والله الحمد والمنة، والناظر في كتب السلف يجد من الكنوز ما يفوق تصورات هؤلاء الضالة المساكين! فلنميز بين الأصول الصحيحة والفاصلة ونحقق المصادر أيها الاخوة ولا يلتبس علينا الأمر فنفتح الباب بذلك لشر لا يعلم مداه الا الله! وتذكروا قول الله تعالى ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ

الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ [محمد: ٣٠]

ان حفظ كتاب الله هو من العرى القليلة الباقية في ديننا يتمسك بها الملتزمون ليسرها الذي قال الله فيه

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧] وهي لا يختلف اثنان ولا يتناطح

عزنا في كيفية تحصيلها باذن الله تعالى بطرق ميسورة - لمن يسرها الله عليه - معلومة متبعة من زمن القرون الأولى، تلقينا وتحفيظا وسماعا وتسميعا وتلاوة وضبطا، وهي من رواسخ هذه الأمة المجمع عليها والتي ارتبطت بحفظ الذكر والقرآن نفسه الى قيام الساعة! فلو أن هذا الباب المحكم المتين أتاها الملحدون والوثنيون من قبله وطرقوا عليه حتى ثقبوه ثم هتكوه علينا، وأوقعوا طالبي حفظ القرآن في شراكم منه، فان ذلك يكون هتكا لركن من أشد أركان الأمة خطورة!! انه ركن حفظ كتاب الله في الصدور، واتباع السلف في ذلك واخلاص التوكل فيه! أنا لا أبالغ ولا أضخم الأمور، وانما أقول أن انتبهوا عباد الله فأول الغيث قطرة، ونحن قد تخطينا مرحلة القطرة بمراحل ومراحل بالفعل ولا حول ولا قوة الا بالله !

هل ترون يا عباد الله من تزكية لهذه الفلسفات والعقائد الوافدة الخبيثة وتشجيع للناس على تناولها أكبر وأعلى من جعلها - كلها أو بعضها أو بعض فروعها - من أسباب تسهيل حفظ كتاب الله للطالبين؟؟؟ هذا خطر محقق والله، قد زلت فيه أقدام كثير من الملتزمين بل ومن طلبة العلم ولا حول ولا قوة الا بالله! ما حاجة عالم كبير كالشيخ الدكتور بادحدح أو غيره الى دراسة هذه البرمجة العصبية والى ممارستها وقد وجد في نصوصنا ما يغنيها عنها وعما هو خير منها؟! ألم يكن بوسعنا أن نقوم نحن باخراج الكنوز التي في كتبنا ودعوة الناس اليها، مع وضع برامج تنظم لهم أوقاتهم مع تحفيزهم وتشجيعهم عليها بما أثر عن السلف رضي الله عنهم؟؟! أكننا في حاجة الى دورات ال *NLP* هذه ذات الأصول الفلسفية الوثنية الهندوكية الخبيثة لتفتح أعيننا على ما عندنا من الخيرات والكنوز؟؟! أبدا والله! فما الخطب اذا؟؟!

انظروا الى ما كتبه بعض المسلمين الزائغين القائمين على أحد مواقع البرمجة النفسية العصبية هذه [\(http://nlpnote.com/\)](http://nlpnote.com/)، في استقبال زائري موقعهم:

"نهانينا لقد وصلت إلى الشاطئ وانتهت رحلة البحث الطويلة وستبدأ رحلة النجاح الجميلة الممتعة"
فهذا الموقع هو موقعك ودليلك لاكتشاف الكنز الذي بداخلك وهو بوصلة النجاح الداخلي و
الخارجي ، سوف تحقق ما تحلم به بإذن الله تعالى وتطور وتحسن ما تمتلك وتتخلص من كل ما

يعيقك وكل مالا تحب أفان كنت حلمت يوما بحياة أفضل فسوف تجد الطريق لها هنا إن شاء الله
كيف تحقق الحياة التي ترغبها وتستحقها؟ وكيف تتقن فن الحياة الشخصية والعملية؟ وكيف تسخر
سلطان العقل الذي سوف يمكنك من القيام بأي شيء والحصول على أي شيء أو تحقيق أو ابتكار أي
شيء تريده بالنسبة لحياتك؟.

هل تعلم أنك تغيرت بدخولك هذا الموقع وقراءة هذه السطور؟؟؟!!

أنت تعلم أنك لا تستطيع أن تسبح في نفس النهر مرتين

ماء النهر في تغير مستمر وأعلى ذلك لقد تغيرت - إن شاء الله إلى الأفضل - بدخولك هذا الموقع
وقراءتك هذه السطور الحد الأدنى لقد اكتسبت معلومة وعرفت موقع يسعى لتحقيق النجاح لأعضائه
النهر يعرف الجهة التي يريد أهل تعرف أنت الجهة التي تريد؟

وهل هي حقاً ما تريد؟ هل تعرف كيف تصل إليها؟ حسناً هل تعرف كيف ستزيل العقبات التي في
طريقك؟ مهما تكن إجاباتك (حتى التي قلتها داخل نفسك) لتساعد ونأخذ بأيدي بعض مصداقاً لقول
سيد الخلق حبيبنا رسول الله عن نعمان بن بشير يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين
في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالسهر والحمى . هذا موقعكم لكم ومنكم تذكرونا بصالح دعائكم "

الله المستعان! ما هذا الكلام؟؟؟! "وصلت الي الشاطئ وانتهت رحلة البحث الطويلة"؟؟؟ سبحان الله!
ما أشبه هذا الخطاب بخطاب المسلمين للضالة من أهل الملل عندما يهديهم الله الى نور الحق!! أي
شاطئ وأي بحث طويل؟؟ وأي كنز هذا الذي في دواخلنا يؤدي بنا الى النجاح؟؟؟! هل هذا كلام
مسلمين موحدين؟ ان في دواخل نفوسنا وبين جوانب صدورنا نفوس ناقصة مذمومة توجب على كل
مسلم أن يتعاهدها بالتربية والتزكية والاصلاح ولا يغفل عنها طرفة عين والا أوبقته!! هذا هو الذي في
داخلنا! في داخلنا شر وابتلاء عظيم يحتاج منا الى دوام الاستعاذة منه والا أهلكنا! كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعو في شأن النفس ويقول (اللهم اني أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه)!
ويقول (ولا تكلني الى نفسي طرفة عين)!! وأنتم تدعون الناس لخراج "الكنز" من نفوسهم الذي اذا
ما أخرجوه واعتمدوا عليه نجحوا وفلحوا وكذا وكذا؟؟؟! انا لله وانا اليه راجعون! أي عقيدة هذه يا

عباد الله ومن أين جاءت؟؟

المسلم لا يثق في نفسه ولا يتوكل على علمه ولا قدرته - مهما عظمت - والا أشرك من حيث لا يدري! هذه دعوى الذين لا يؤمنون بالغيب فلا يحسنون الظن ان أحسنوا الا بأنفسهم ولا يثقون ان وثقوا ويتوكلون ان توكلوا الا في أنفسهم وعليها!! أما المسلم الموحد فيثق في خالقه جل وعلا، ويتوكل عليه وحده لا شريك له! أحسن الظن بربك وثق في ارادة الله الخير لمن اتقاه، وكن من المتقين، وتوكل عليه حق توكله وادعه واستخره، وأحسن التمكن من صنعتك آخذاً بالأسباب المباحة لذلك، واحتسب النوايا الصالحة التي تقربك الى الله، ينقضي الأمر ويتحقق لك النجاح والفلاح المبين في الدارين!! أما هذا التعليق بأهواء وشهوات الدنيا، وتعبيد الناس لذوات نفوسهم وغرس الغلو فيها والتوكل عليها من دون الله فما هذا من ديننا ولا يرضاه الله بحال من الأحوال!! ماذا يملك لنفسه أقوى الناس وأكثرهم نبوغاً وعبقريّة وقدرة وعزيمة واصراراً، ان لم يرد الله له البسط في الرزق والعلو بين الناس في الأرض؟؟ وان منعه الله ذلك وقدر عليه حظه من الدنيا وضيقه، أفيذهب يطلبه بالاعتماد على "الكنز الذي في داخله" واخراج "الطاقات الكامنة" وما الى ذلك من هراء المشركين؟؟! أيغنيه ذلك عن الانابة الى الملك الذي بيده مقاليد كل شيء وحده لا شريك له؟؟!

يقولون: "سوف تحقق ما تحلم به بإذن الله تعالى وتطور وتحسن ما تمتلك وتخلص من كل ما يعيقك وكل ما لا تحب فإن كنت حلمت يوماً بحياة أفضل فسوف تجد الطريق لها هنا إن شاء الله كيف تحقق الحياة التي ترغبها وتستحقها؟ وكيف تتقن فن الحياة الشخصية والعملية؟ وكيف تسخر سلطان العقل الذي سوف يمكنك من القيام بأي شيء والحصول على أي شيء أو تحقيق أو ابتكار أي شيء تريده بالنسبة لحياتك؟.

ها هو قد بدأ الايحاء والتنويم والاغراق في الوهم وايراث الغلو في قلوب الناس من أول كلمة!: اذا ما تلقيت عنا ما عندنا فثق أنك سوف تحقق كل ما تحلم به وتنجز بعقلك الجبار كل شيء وأي شيء وتحصل على أي شيء تريد لحياتك وتحقق الحياة التي تستحقها و...!!

ما هذا؟؟! هل هذا كلام موحدين يا أولي الألباب؟؟ ثم هل من التوحيد أن نقول (الحياة التي

تستحقها؟ هذا من الافتئات على الله ومن التسخط على قدره! هل يعلم الواحد منا عاقبة أمره ومآل حاله وقدره ومنزلته عند الله، ليعلم أيستحق الخير أم لا يستحق؟ والله لو حاسبنا الله بعدله لأهلكنا! فلو سجدنا الدهر كله لله ما وفينا حق نعمة البصر وحدها!! فأبي جهالة عمياء هذه؟؟ أنا ما أحسب هذا الا نقلا مترجما ترجمة حرفية من كلام قوم مشركين كمثلى عبارة (*Live the life you deserve*)، التي تكثر على ألسنة الغربيين، فلم يزد هؤلاء الا أن زينوه بقولهم (بإذن الله) و(ان شاء الله) وأدخلوا اليه حديثا لا صلة له بالموضوع، حتى يأخذ الطابع الذي تطمئن له قلوب العامة الجهال من المسلمين! فالله المستعان!

مثل هذه المقدمات تجدونها في مواقع أئمتهم من ضالة الغرب، فهم يقلدونها حذو القذة بالقذة! هذه على سبيل المثال ترجمة لمقدمة موقع المدعو ستيفن أيتكيسون الذي سبق الكلام عليه (<http://www.stevenaitchison.co.uk/>)، واسمه "غير أفكارك تغير حياتك"، يقول:

"أشكرك على زيارة هذا الموقع. والآن، اشكر نفسك على اتخاذك خطوة صوب أهدافك. ان اتخاذ الخطوة الأولى ليس أمرا هينا، وقد يتطلب تغييرا جوهريا في أحوالك قبل أن تتمكن من تحطيم العوائق التي في داخلك، فأيا كانت أهدافك في الحياة، فأنت الوحيد القادر على تحقيقها! وما يقوم مدرب الحياة *Life coach* الا بمعاونتك على معرفة واكتشاف قدراتك. أي انسان في الحياة لديه القدرة على انجاز أي شيء يريد... نعم أنا أعني ما أقول... أي شيء!! ان حياتك يحكمها أفكارك (عقائدك) ونظرتك وادراكك للعالم. فلو تمكنت من تغيير هذين الأمرين، فانك تكون قادرا على تغيير العالم حقيقة لا وهما! خذ من وقتك لحظة وفكر الآن في هدفك الأكبر، غايتك الكبرى، سواء كان ذلك أن تلتقي بنصفك الآخر، أو أن تفقد وزنا، أو أن تكون غنيا ميسور الحال، فكر في غايتك ومرادك الأكبر، حلمك الأشد الحاحا عليك. والآن استمع الى أفكارك. أتجدها تقول لك: "لن أصل لشيء كهذا أبدا"؟ أم أنها تقول لك: "نعم هذا ممكن!"؟؟ حسنا... ان هدي أنا ها هنا انما هو أن أجعلك تقول لنفسك (نعم هذا ممكن) على كل هدف من أهداف حياتك، الواحد تلو الآخر!" أ.هـ.

قلت ما أشبه هذا بما يقولون في الموقع العربي! هو نفس الكلام!

فلو أنك أتيت بهذا الكلام وأضفت إلى العبارة "نعم هذا ممكن باذن الله"، أيجعله ذلك العمل منك كلاماً "اسلامياً"؟؟ أيجعله منضبطاً؟؟!! المشكلة يا اخوة مشكلة منبع وأصل فكري قدرتي شديد الفساد، ليس علاجه أن ندخل (باذن الله) و(ان شاء الله تعالى) هنا وهناك، أو نزيهه ونرقعه بحديث صحيح أو آية من القرآن من آخر!!!

ان الشجرة التي نبتت في أرض نكدة عفنة وسقيت بماء مسموم، لا يصلح ثمرها أن يطلى بالسكر والعسل قبل أكله!! ان البعرة تظل بعرة ولو سكبت عليه قارورة عطر!

انني أضع هذا الكلام في أعين أولئك الذين يقولون أن شغل الناس بدراسة علوم العقيدة والفرق الضالة (كالقدريّة والمعتزلة وغيرهما) هو أمر لا يرجى منه نفع لهم! الذين غرقوا في علم الكلام والفلسفة حتى صارت بين أيديهم متون لا يكادون يفهمون منها شيئاً ولا نفع يرجى لإنسان عاقل منها، هؤلاء هم الذين لا حاجة للمسلمين فيما معهم، بل ونسأل الله أن يعجل بخلاص المسلمين مما يقصدون عندما يتكلمون عن العقيدة وعلم الكلام، ومما يرجعون إليه من كتب الفلاسفة! أما دراسة الفرق المنحرفة والملل المحترقة فهذا أمر يجب تعلمه وبيان الفساد والانحراف بالدليل عليه من الكتاب والسنة والاجماع حتى يتقي المسلم شرهم ويمنعهم من افساد دينه ودين أولاده في بيته!! شتان بين علوم تحيا بها القلوب وتحصن العقيدة فيها تحصينا، وبين كلام يذهب العقل ويفسد الدين!!

﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْأَيَّاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام : 55]

ان في هذا الموقع العربي وفي وسط طوامه الموبقة، رابط عنوانه (الاسلام والبرمجة اللغوية العصبية)! فتحت الرابط لعلي أقرأ كلام بعض العلماء الذين زكوا تلك الدورات مثلاً أو جوزوها وناقشوا مخالفاتهم فيما هذبوا إليه، فلم أجد الا بعض مقالات عامة كلها تصب في الدعوة إلى الله ووسائلها، كالكلام عن استقامة الداعية وعن سبل الدعوة على الانترنت ووسائلها، ونحو ذلك من موضوعات دعوية لا تكاد تجد في أي منها تعلقاً بموضوع البرمجة هذا من قريب أو بعيد!! فأني تلبس على الناس هذا؟؟

ثم أي شيء هو "فن الحياة الشخصية"؟؟ هل للحياة الشخصية - أيا كان مرادهم بها - فن أتقنه الكفار السفهاء وعجز المسلمون عن مثله؟؟ هل هناك ما هو خير من هدي سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم نحتاج الى تعلمه واتقانه واتخاذَه فنا حتى ننجح في "حياتنا الشخصية"؟؟ !

هذا تلبيس على الخلق بالألفاظ الموهمة الرنانة، كدأب أهل الدعاية والاعلان جميعا!!

ان العقيدة التي يبني عليها هؤلاء القوم كلامهم في الطاقة الكامنة المزعومة داخل الانسان، ليست كلاما مجازيا مجردا كما يدعي المخالفون، وانما هي قائمة قياما كاملا على تلك الطاقة (المسماة بطاقة قوة الحياة) والتي يعتقد في وجودها الهندوس، وتندفق في اعتقادهم فيما بين مراكز سبعة في جسم الانسان أسموها "شاكر"!! هذه المراكز يعتقد الهندوس أنها مفاتيح للروح - التي لا يعلم شيء عن أمرها الا بوحى - تفتحها ممارسات اليوجا وتنشطها وتغير بذلك في نشاط الانسان وسلوكه على حد زعمهم، اذ تربطه بطاقة الكون المزعومة تلك وتفتح روحه للاتصال الحلولي المباشر مع ذات الرب (تعالى الله على افكهم علوا كبيرا) فيعتقدون أن الانسان تقوم حالته النفسية والمزاجية بل وكل قدراته وعلاقاته بالناس وعلاقته بمعبوده الغيبي، على حالة تلك الشاكر وتندفق تلك الطاقة المزعومة خلالها !!

ونحن نقول أن هذه الطاقة المزعومة انما هي عقيدة غيبية مكذوبة وليست علما كما يدعون، ولا تقوم على أدلة حسية مادية تثبت وجودها تلك الطاقة أو تلك المراكز السبعة التي زعمها الهندوس منذ آلاف السنين، وبدعوا من اجلها ممارسة اليوجا التي هي من صلواتهم وقرباتهم الى آلهتهم وشياطينهم! هذه أساطير وثنيين لا يشبثها نقل صريح ولا عقل صحيح! ومع ذلك فمن المسلمين من هم مقتنعون بأن هذا "علم" قيم نافع وأنه لا ضير في أن ننشره بين المسلمين! فانا لله وانا اليه راجعون

انظروا الى هذا الرابط من الموقع سالف الذكر حيث يشرح بعضهم كيف يمكن للانسان تقوية (الشاكرات) الضعيفة لديه!!

<http://nlpnote.com/forum/showthread.php?t=11071>

وانظروا الى نماذج من التعليقات التي كتبها بعض المفتونين بهذا الكلام في المنتدى على الموقع المذكور (هداهم الله وصرفهم عن فتن الشياطين) :

"موقع رائع وسلس لك الشكر يا انجل ومن الله المثوبة لفت إنتباهي أن بعض التمارين المقترحة

لتنشيط الشكرات يشبه وضع التسبيح بالأصابع الذي كان يحرص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم على القيام بها بعد الصلوات الخمس بيده اليمنى"

قلت انا لله وانا اليه راجعون! لعله أصبح يرى الآن اعجازا في تشريع الاسلام اذ وجد مثله في علوم الهندوس وطقوسهم (عفوا، في علم الطاقة الحديث!!) التي ينشطون بها تلك (الشاكرا) المزعومة!! او لعل الرسول ﷺ لم يكن يحرص على هذا الا مما تعلمه من شاكرات الهندوس!!! أستغفر الله العظيم! اللهم الغوث من عندك يا رحمن!

هذا نموذج من أسئلة اختبار (الشاكرا) الوثني هذا، أنقله - من نفس الموقع - ليشهد عليه كل موحد لبيب:

"هل تحب الآخرين لدرجة أنك تنسى نفسك؟"

-هل تحب معظم الناس؟"

قلت من هم "الآخرين"؟؟ وما ضابط هذا الحب؟ هذا يا من لا يعلمون هو معتقد الهندوس في محبة كل المخلوقات على السواء - وليس جميع الناس فحسب - لأنها كلها صور للرب هو متمثل فيها متحد معها كما يعتقدون، تعالى الله عن ذلك النجس الوثني علوا كبيرا .

"هل تظن الصدف لها هدف مقصود وليست عشوائية على الإطلاق؟"

قلت: هذا يا اخوة هو سؤال يوجه الى رجل مسلم يؤمن بالله واليوم والآخر والقدر خيره وشره، ليتحدد على الجواب عنه بالنفي أو الايجاب ان كانت احدي (شاكراته) المزعومة هذه مفتوحة أم مغلقة!! فان كان الجواب بالنفي يدل على انغلاق الشاكرا عنده فليغير اذا معتقده من أجل فتح الشاكرا!! وان كان العكس فالعكس!! فما قولكم معاشر الموحدين؟؟!

"هل أنت قلق على وضعك المادي أو أمن منزلك؟"

قلت انه جهلك بالشاكرا هو السبب ولا شك! ثق في الشاكرا آمن بها ورسخ المعتقد فيها واعمل على "تسليتها" من أن لآخر اذا ما تعرضت للانسداد حتى يزول عنك القلق وتتدفق حياتك بسلاسة!!! الله

المستعان !

"هل أنت - بشكل عام - حر لتفعل ما تريد؟"

قلت هل هذا سؤال يوجه بصورة مطلقة هكذا للمسلمين؟؟

"هل تحذر للشخص الذي تعبر له عن حبك حتى لا تتأذى؟؟"

"إذا كان هناك نزاع بينك وبين شخص ما ، فهل تراعي ألم ذلك الشخص؟"

قلت يا مسكين، هل تتعرض لهذا حقا ولا تعلم ماذا تصنع؟؟ خذ عنهم العلم اذا بما يشرعه أرباب الهندوس من أجل التعامل مع هذه الحالة وغيرها، ولا تقلق فهو علم مجرب منذ آلاف السنين وهو اليوم معتمد من مركز كذا في أمريكا، في بلاد العلم والتكنولوجيا!! ماذا نريد أكثر من ختم أمريكا وأوروبا على الشيء حتى نبتلعه كما البهائم العمياء وكأنه الوحي المنزل من السماء؟؟ انه طريق النجاح ولا ريب فعليكم به!

"هل تحس أنك تسكن في جسدك؟"

قلت عما قريب ستشعر بذلك بمجرد أن تتلبس الشياطين بجسدك، فلا تعجل!!

"هل تشعر بأنك متصل بالكون وبكل شيء محيط بك؟"

قلت ستشعر بذلك أيضا ولا شك بمجرد أن تحقق "النيرفانا" الهندوسية، فاعمل واجتهد، المهم تحقيق اليقين في أنك "ستتصل بالكون وبكل شيء من حولك"!! فأنت والكون شيء واحد أصلا، وكل شيء هو شيء واحد، ولكن بكل أسف جثمت على قلبك معتقدات قديمة (كالا سلام والتوحيد وغيرها) عزلتك عن هذا التواصل الحسي الكوني العظيم!! ألم تقرأ الفيدا والباغفاد جيتا يا أخي الحبيب، أم آتيت بنقل النصوص منها حتى تؤمن وتصدق؟؟! عقيدة وحدة الوجود ركن من أركان الملة الهندوسية، فعليكم بها ان كنت تريد للشاكر أن تفتح وتريد النجاح والفلاح!!

"هل أنت صديق الطبيعة؟"

الله المستعان!

"هل تتقبل كل شيء يحصل لك بتسليم (للحياة)؟"

قلت كيف تسلم بالقدر؟؟ أما زلت مسلما تؤمن بهذه الأشياء؟؟ دعك يا أخي من هذا واعلم أن شيئا في الأرض لن يحول دونك ودون مرادك أيا كان ان حققت ما ندعوك اليه !!

- "هل تؤمن أن وجودك دليل على وجود شيء أكبر منك؟"

قلت لا تعليق!!

- "هل تستطيع التعبير عن مشاعرك الجنسية؟"

قلت، لا تعليق أيضا حفظا لمشاعر القراء!

- "هل يهكم أن تخجل من نزواتك؟"

- "هل تجد الراحة في كل من الجماع والشهوة؟"

- "هل تحس أنك ثابت وحاضر وغير قابل للاهتزاز؟"

"هل تعبر عما في نفسك بواسطة المهارات كالموسيقى - الفن - الغناء .. إلخ . أو بوسيلة إبداعية

أخرى؟"

انا لله وانا اليه راجعون! والله ان قلبي يدمى من بشاعة هذه الأسئلة التي نقلتها! ان تعقيبي عليها ليس

تضخيما لها ولشناعتها وانما هو بيان لمؤداها ولازمها الذي يغفل القوم عنه!!

وأنا ما أملك الا أن أتساءل، ألا يزال مخالفوننا يخالفوننا بعد ما تقدم؟؟؟!

الله المستعان !

ومما يحزنني ويؤلمني ايلاما قول احدى العضوات في المنتدى المذكور: " هناك كلمات تقال عند

الشروع في فتح أحد الشكرات !!، وهذا ما منعني من الإقدام على هذه التجربة، مثل **RAM** ما معناها

؟؟!! لا شك أن هذا العلم جاء من طقوس بعض الأديان، وتلك الكلمات ربما تجر المسلم في أن يقع في

الشرك بالله والعياذ بالله دون أن يعلم" .

قلت انا لله وانا اليه راجعون، يا هذه ما دمت علمت بهذه الحقيقة وتبين لك فما بالك تخوضين معهم

في مجمل الأمر؟؟ هذه مسلمة - أسأل الله أن يعافيهما من مواصلة التواجد في ذلك المكان الوثني -

تخوفت من بعض ما يمارسه هؤلاء، لما وجدت كلمات لا تفهمها، والذي تجهله هذه المسكينة أن

Ram هذا هو بطل أسطوري وهو اله هندوسي معبود مبسوط له ملاحم طويلة في كتاب **Ramayana**

الملحمي المشهور عندهم!! فلا بد من الاستغاثة بإله من آلهة المشركين حتى تدخل الشياطين -

حقيقة - وتبدأ في العبث بهم بما يجدونه في أطرافهم وفي مواقع تلك الشاكرات المزعومة من أجسادهم من تمثيل فوري ووخز عند ممارستهم لتلك الطقوس، وهو ما يلبس عليهم أن الأمر قد أجدى نفعا بالفعل!! فما رأيكم معاشر الموحدين في قوم قد خرجوا من ملة الاسلام بالكلية من أجل (البرمجة وتحقيق النجاح في الحياة تحت عباءة التنمية البشرية)؟؟؟! أما زلتم ترون ذلك بابا يسوغ فتحه أمام المسلمين؟ انا لله وانا اليه راجعون!

ويسأل أحدهم في تخبطهم هو الآخر عن تلك الألفاظ التي يتوجب عليهم استعمالها (لتنشيط الشاكرات النائمة كما يافكون!!) ويقول: "أعوذ بالله شو "أوم" بعد؟!!.... أوم هذا صنم من أصنام الهندوس!!" وأقول بل هي أخطر من هذا! أوم هذه هي مقطع لفظي سانسكريتي تقول نصوصهم المقدسة عندهم أنه الرمز الذي يعبر عن جوهر الهندوسية! (كما في كتابهم كاثا أوبانيشاد) وهي في زعمهم صوت كلمة التكوين التي بدأ بها الخلق!! فهي عندهم رمز للرب وللخلق ولوحدة الوجود واستمراره! وعليه فهي اليوم عندهم اسم للرب ينادونه به! ولأنهم يعتقدون أن الرب كامن في كل مخلوق من المخلوقات، فهم يعتقدون في فلسفاتهم الظلماء أن نداء هذا الاسم يستدعي قوى الخلق الأولى التي هي حالة في جميع المخلوقات، وبالتالي فهو يحرك طاقة الروح ويصلح ما فسد من (الشاكرات!!) وانظروا اذ يقدمون ما عندهم من برامج لحفظ القرآن في 45 يوم، ويضربون مثالا لامرأة في السبعين يزعمون أنها نجحت في ذلك بسبب ما علموها، يقول أحد الكاتبين على متداهم في ذكر الخطوات التي اتبعتها المرأة:

" 3- برمجة العقل الباطن نحو تحقيق الهدف : إعتمدت على حقيقة كون العقل الباطن لا يفرق بين الواقع والخيال في برمجة عقلها الباطن نحو تحقيق هدفها بأن بدأت في تخيل نفسها وهي تطبق الخطة بنجاح وعاشت بخيالها تفاصيل تنفيذ الخطة بنجاح .. ثم تخيلت نفسها وقد حفظت القرآن الكريم كاملاً وعاشت ذلك الموقف بكل تفاصيله الوقت والمكان والمشاعر والأصوات وعندما وصلت إلى قمة تلك المشاعر الرائعة عملت لها رابط أو مرسة .

من الممكن عمل المرسة بالضغط باصبع السبابة مع الإبهام على شكل حلقة لمدة 10 ثواني ثم تتركهما وتستطيع استجلاب هذه المشاعر لاحقاً عن طريق الضغط باصبع الإبهام مع السبابة بنفس

الكيفية السابقة

ثم بدأت تتصرف في كل يوم كأنها نجحت في حفظ كتاب الله كاملاً لتعمق هذه المشاعر وتزيد ثقتها بنفسها وتسمو بعزمها واهتمامها .. كما اعتمدت على الرسائل الإيجابية لجذب الهدف الذي تود تحقيقه وذلك عن طريق ترديد عبارة (انا الآن حافظة للقرآن الكريم كاملاً)

ووضعها على شكل ملصقات في أي مكان قريب من نظرها لتحقيق نفس الهدف .. وترديد هذه العبارة ورؤيتها مهم نفسياً لأن علماء النفس يقولون ان الإنسان حتى يتبرمج على مسألة معينة أو سلوك مختار ينبغي عليه ترديده أو تكراره من 6 الى 21 مرة

- 4 البدء في التنفيذ : ثم بدأت في تنفيذ المخطط الذي رسمته حتى حققت بفضل الله هدفها . هذا و نسأل الله العلي القدير لأختنا الحافظة التوفيق والسداد وأن يجعل القرآن الكريم حجة لها لاعليها يوم تلقاه "أ.هـ.

<http://www.nlpnote.com/forum/showthr...DE%D1%C1%C7%E4>

قلت صدق الملك الذي قال في كتابه: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [٢٠] [محمد:

٣٠] والذي قال: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَّا يُدْرِكُونَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [٥٥] [الأنعام : 55]

سبحان الملك! كيف ساغ لهؤلاء الزائغون المنحرفون قبول معتقدات الهندوس وبدعهم وخرافاتهم وجعلها سبيلاً لحفظ كتاب الله للمسلمين؟؟ ماذا ألم بنا وما الذي أصابنا؟؟ كيف لم يستشعر أي واحد من زوار تلك المواقع أي غرابة في هذا الكلام؟؟! برمجت العقل الباطن المزعوم عندها على قبول الوهم بأنها قد حفظت القرآن فعلاً، وحققت الثقة التامة في "قدراتها وعقلها المبدع" ثم راحت في حركات للأصابع منبعها وثنى محض، وهي تصدق انها للطاقة ولحفظ الطاقة وغير ذلك من الغثاء، وراحت تتصور أوهاما تبالغ في تصورها وربطها بما رتب عليها فلاسفة الوثنية من منافع وما قام عليها من ممارسات، ثم اذا هي تستدرج الى الاعتقاد في أن قدرتها وعقلها الباطن وهذه الطقوس والممارسات هي التي كانت سببا في نجاحها في الحفظ!!! فساء به حفظا وبئس ذلك العمل والمعتقد! نسأل الله العافية!

وانظروا الى هذه الكاتبة (على نفس الموقع) تنقل كلاما منسوباً الى الشيخ الغوثاني هداية الله، تقول فيما أسموه بالتاءات العشرة لحفظ كتاب الله، تحت التاء الثانية (التخيل) :

"تمرين الإسترخاء مع التخيل"

- 1- الجلوس في مكان هادئ ومريح.
- 2- ارتداء ملابس مريحة خالية من الأربطة والأحزمة والمشدات.
- 3- التوكل على الله والبدء بجملة (بسم الله الرحمن الرحيم).
- 4- إغماض العينين وترديد اسم الجلالة (الله) حسب ما ترغب من العدد.
- 5- التركيز على الصدر عند التنفس.
- 6- أخذ شهيق عميق بحيث تمتلئ الرئتان بالهواء الغني بالأوكسجين والاحتفاظ به لفترة وجيزة، ثم إخراجها من الفم كمن ينفخ البالونة مع تكرار هذه العملية حسب الحاجة
- 7- تخيل نفسك وأنت تنعم بنعمة حفظ القرآن وأنت تتلوها "أهـ.

<http://www.nlpnote.com/forum/showthr...DE%D1%C1%C7%E4>

قلت انظروا الى وهم العلم، وما يفتحه الباطل من أباطيل ومبتدعات! أي تخيل هذا؟؟ من الذي قال من الأولين أو الآخرين أن "التخيل" يسهل الحفظ؟؟! هل هذا "اكتشاف علمي" كما يزعمون أم أنه تلبيس من أصول عقائد الهندوس حسب الجاهلون علما؟؟! ان شيئاً من هذا لا يمكن اثبات كونه هو سبب سهولة حفظ القرآن بأي وسيلة تجريبية حتى وان أراد الباحثون دراسته دراسة علمية تجريبية للتأكد من كونه علماً! فمن أين أتت؟؟ جربها قوم فأفلحت؟؟ لقد جرب قوم آخرون من أتباع المنامات والكشوفات علاج الالتهاب الكبدي أو حصوة المرارة - لا أذكر أيهما بالضبط - بقراءة آية ﴿الْم تَرَّ

إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ [الفرقان : 45] سبعين

مرة كل صباح على ملعقة من العسل فوجدوه ينفع!! فهل هذا علم، وهل يؤخذ الدين ويتعامل مع كتاب الله بالتجربة والاكتشاف؟؟! ان الشيطان يستدرج أتباعه الى أدنى دركات الظلمة وهم يجربون ويفرحون!!

ها هي قد وضعت من حيث لا تشعر - أو من حيث تشعر! - بدعة في الدين اذ تقول أن في كل جلسة

لحفظ القرآن علينا أن نجلس مغمضي العينين نردد كلمة لفظ الجلالة (الله) حسب ما نرغب من العدد في سرنا قبل البدء!! انه نفس المدخل الذي دخلت الحلولية منه وغيرها من الطامات الكبرى الى معتقد غلاة التصوف وغيرهم من أصحاب البدع! هو نفس الباب يفتح الآن في حفظ وتحفيظ القرآن!! التجريب وتلبيس الشيطان! ردد الذكر الفلاني وأنت مستلق على جنبك وضع اصابعك في وضع كذا وكذا واثبت عليه، تجد كذا وكذا وتشعر بكذا وكذا، ويتحقق لك ما تريد!! والباحث في دروب ذلك الموقع يجد من بدع الصوفية - أيضا - الكثير!

ثم ما علاقة الصدر والتنفس بالموضوع أصلا؟؟ اثبتوا لنا برهان طبي معلمي أن ذلك يؤثر على الحفظ وصحته ونحن نسلم لكم، ولكن ليس لكم ذلك!!

هناك فرق بين تجريب شيء يقوم على معتقد غيبي محض، وبين تجريب شيء معلومة أسبابه بما يمكن تتبعه وملاحظته اعتيادا. نحن لا نجرب آيات القرآن في أمور نعتقد أنها تنفع فيها مما لم يرد به نص، فاذا ما وجدنا النفع تحقق جعلناه دليلا على صحة هذا الاعتقاد! ففي الغيب قوم كافرون ما من شيء أحب اليهم من تلبيس دين المسلمين عليهم! والله يستدرج المبتدعة المتكلمين عن الغيب بغير علم بأسباب كونية لا يدركونها ولا يستطيعون تتبعها وقياسها، وما ذلك الا بما كسبت أيديهم إذ تطاولت عقولهم على ما لا علم لهم به ولا قدرة!

﴿وَلَا تَقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]

36]، فلا نتكلم عن الغيب الا بدليل، ولا نجرب عملا سعيًا في اثبات أو تكذيب سبب غيبي لنجعل ذلك التجريب دليلا على صحة عقيدتنا في ذلك السبب! هذه عقيدة أهل السنة التي يجب أن يتعلمها جميع المسلمين! اذا جاءك أحد يقول لك لقد أثبتت التجربة أن ترديد اسم الله ألف مرة وأنت مغمض العينين يخفض من ضغط الدم وينظم الدورة الدموية (مثلا) أفترضه؟ هذا قول على الله بغير علم! ان الذكر والتسبيح له بخلاف الفضل الأخروي أثر مادي دنيوي لا يعلم كيفه وأسبابه الا الله، ولا يأتيها الا بخبر الوحي! كخبر أن قراءة آية الكرسي قبل النوم كل يوم مثلا تحفظ النائم من الشيطان، فهل رأينا نحن الشيطان؟ وهل نستطيع اثبات ذلك الأمر بالبحث والتجريب الامبيرقي (الملاحظة الادراكية

المباشرة) كما نثبت الأمور المادية المعلومة بالمشاهدة؟؟ أبدا! وانما هو خبر غيبي ثابت عندنا بطرق ثبوت أخبار الوحي، فيجب تصديقه والايمان به والوقوف عنده وتحرم المزايدة عليه! هذا الحفظ من الشيطان انما هو أمر غيبي، مؤداه قد نراه أمامنا في عالم الشهادة وقد لا نراه، وهو ألا يتعرض النائم الى أذى خلال نومه بسبب الشيطان.. فلو تركنا آية الكرسي وقرأنا آية أخرى بدلا منها وتبعنا النائم فوجدناه لا يتعرض لأذى فيما نستطيع تتبعه وملاحظته أفيكون ذلك دليلا لنا على أن هذه الآية لها نفس أثر آية الكرسي في حفظ النائم؟؟! هذا قول على الله بغير علم!

اننا لا نأخذ أمر الغيب وفصائل الأعمال كالأذكار والتلاوات وأثرها على النفوس والأجساد الا بنص، ولا مجال للتجربة في ذلك أبدا!

وهذا هو منهجنا في كل أمر مشاهد محسوس يزعم الزاعمون له سببا غيبيا لم يأت به النص ولا يمكن قياسه وتبعه بالادراك والملاحظة! وهذا هو الحال في أمر ذلك العقل الباطن المزعوم وأثره في الحفظ أو في غير ذلك مما ينسب اليه! هل رأيتم ذلك العقل الباطن أو تتبعتموه بأجهزكم؟ فما يدريكم اذا أن ما تشعرون به ويقع عليكم من آثار سببه هو ذلك العقل الباطن حقيقة وليس سبب غيبي آخر مما لا ترون؟؟ هذا عبث خطير يجب منعه ويجب منع انتسابه الى العلم الامبريقي!! سمو الأمور بأسمائها، هذه عقيدة باطنية في الغيب وليست علما!

وكذا موضوع الشهيق وتنظيم التنفس بالتركيز هذا، فأثره المزعوم على جودة الحفظ لا يمكن اثباته معمليا، وهو من ممارسات اليوجا الراسخة عندهم والتي يزعمون أن بها يتحقق صفاء الذهن وكذا وكذا! هذه مسائل عقدية المنشأ عندهم تتعلق بطاقة غيبية يعتقدون فيها، وليس مبررها ما يلبس به على الناس بأنه فتح الرئتين فتحا طبيعيا لمزيد من الأكسجين اللازم لنشاط الدماغ!! والا فمن أين أتت مسألة (تركيز التفكير على الصدر عند التنفس) ان لم يكن من معتقد الهندوس في اليوجا وقدرة الانسان على تنظيم الطاقة داخله عند تركيزه العقلي في هدوء على أي عضو من أعضائه؟؟! وما علاقة الملابس الفضفاضة الواسعة بهذا الكلام كله؟؟ انها اليوجا يضعون المسلم الجاهل ويغرقونه فيها اغراقا من حيث لا يدري!!! والا فالذي يتنفس تنفسا طبيعيا ويجلس في مكان جيد التهوية فان الأكسجين اللازم لنشاط دماغه سيأتيه باذن الله، دون الحاجة الى استجماع التركيز العقلي في صدره أو

اتباع شعائر اليوجا الوثنية هذه والغوص معها في الوهم والخيال... والضلال!!!

فالله المستعان! وانظروا اذ تقول تحت عنوان التركيز:

"ركز على الرسم

الكلمات

الأسطر

الصفحات

الأرباع والأجزاء

ركز على أحاسيسك ومشاعرك وضع المصحف على الجهة اليسرى العليا من العين "أ.هـ

قلت حسنا، التركيز مطلوب ولا شك، ولا ينازع في أهميته عاقل، ولكن من أين أتت مسألة وضع

المصحف على الجهة اليسرى العليا من العين هذه؟؟؟! لعله كان اكتشافا شيطانيا كبيرا لأحد البراهمة

الهندوس منذ أربعة آلاف سنة!! يا عباد الله هذا ليس علما وأتحدى أكبر كبرائهم أن يأتينا بدليل على

وجود علاقة حسية يمكن اثباتها بين هذا الوضع وبين سهولة الحفظ!! ليس هناك نقل ولا تجريب ولا

عقل ولا شيء!! فمن أين يتكلمون؟؟! انها عقائد الوثنيين!

تقول الكاتبة فيما تقول: "التجويد يثبت الحفظ بطريقة أقوى وأوسع عن الرسول صلى الله عليه وآله

وسلم" قلت ولا بأس في وضع أحاديث على لسان الرسول ﷺ أيضا، ألم نطرق دروب الوثنية

جميعا؟؟! أين قرأت كلاما (عن) الرسول ﷺ بهذا المعنى؟؟؟

الله المستعان!

ان الحفظ المكثف هذا حتى ولو كان بمنأى عن طرق ومسالك البرمجة النحرفة هذه، فانه لا يخلو من

مآخذ ومخاطر على القلوب ليست بالهينة..

فالذي يأتي سريعا يذهب سريعا كما قدمنا! والاخوة قد يطلبون هذا الطريق "استسهالا" - وهو غالب

ما استشعرته فيمن وجدت منهم تحمسا لهذا الأمر - فكأنما يقول أحدهم لنفسه (لماذا أنتظر وأمكث

سنة كاملة أو سنتين في عناء حتى أختتم القرآن ان كان بمقدوري ختمه في شهر واحد فقط؟؟!)! ان مثل

هذا ليس ذا همة عالية أبدا بل ولا أراه ذا اخلاص وصدق في طلبه أن يكون من أهل القراء! فأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، وليس هذا من فراغ، وإنما لكون المداومة - ولو على القدر القليل - دليلا على استقرار ودوام حضور المحبة والاخلاص في القلب، والحرص على الثبات على الطريق مهما طال ومهما بعدت المسافة! ولا يكون ذلك إلا لمن اصطفاهم الله وأحبهم، جعلني الله وياكم منهم.

فما المشكلة في أن يحفظ صاحبنا في عام أو في عامين؟ المشكلة أنه يكون فاقدا للمحبة والرغبة الخالصة لله عز وجل في اتمام هذا العمل، فلا يستطيع أن يثبت على العام أو العامين! هو مشغول عنه، قلبه ليس فيه مكان له، فلا يستطيع اخراج ورد ثابت يثبت عليه - ولو قل! فبدلا من أن تأتي أخانا هذا بما يرفع همته ويصحح الاخلاص عنده ونصرفه عن الشواغل الأخرى التي ملأت قلبه فأخذت حظ القراء منه، اذا بنا نقدم له طريقا مختصرا مكثفا في شهر واحد فقط، يخرج من بعده من الحفاظ الخاتمين لكتاب الله - أو هكذا يوهمونهم!! فما أسعده بمثل هذا، وما أضمر مثل هذا الأمر عليه وعلى المسلمين!

عباد الله اننا لسنا في سباق لانتاج حفاظ لكتاب الله في أسرع وقت كما تنتج السيارات في المصانع!! هذا ليس انتاجا كميا! ما فائدة قلب نسخت فيه صورة من كتاب الله كاملا وليس فيه فقه ولا عمل بأكثر من عشرة آيات منه؟؟! ان أكثر الصحابة لم يكونوا خاتمين! فهل الخاتم منا اليوم يكون أحسن وأعلى فضلا من هؤلاء؟؟! انها فتنة والله! أن يتحول المسلمون إلى مزامير يتغنى الواحد منهم بالقراء وكأنه مسجل، يخرج لك الأحكام والأوجه ويضبط الأحرف جميعا ولا يلحن، وتسمع منه قراءة تبكيك ويخشع لها قلبك، فاذا ما سألته عن التفسير أو الفقه أو المعتقد الذي يستفاد من آية واحدة مما يحفظ لا تجد عنده شيئا!! فما هذا؟؟! انها بضاعة مزجاة! انه سيرى في نفسه القدرة ويعجب بمهارته، ويغتر - ان كان ممن هداهم الله إلى طلب العلم - بأسلوب "التيك او اي" هذا ويطمع في درس مثله في الفقه، ومثله في العقيدة، وفي الأصول وغير ذلك، لعله يصبح كالامام أحمد أو الشافعي في خمس سنوات مثلا!! فالله المستعان!

وما أكثر ما سمعنا بأناس كانوا في يوم من الأيام خاتمين لكتاب الله - حفظوه وختموه فعلا في سنة او

سنتين واصطبروا عليه - ولكنهم نسوه وصاورا كأنهم ما حفظوه في حياتهم قط! فما فائدة أن أغري الناس إلى انجاز مهمة الحفظ في شهر واحد؟؟!

الذي يريد بلوغ المعالي بقفزة واحدة هذا يسقط من حيث وصل في حركة واحدة أيضا! ان وجود هذه المقارئ المكثفة انما من شأنه أن يعزز في قلوب ضعاف الهمة - من أمثالي - الاستسهال في طلب العلم والحفظ، فيصغر عندهم حجم ذلك العمل الجليل في مقابل تعاضم نفوسهم في أعينهم، فيكون لهم فتنة كبيرة، حتى وان لم يكن الأمر قائما على مبادئ البرمجة وغرس الاعتقاد في العقل الباطن وقدراته المزعومة وما إلى ذلك!

انظروا إلى الأثر البعيد أيها الاخوة وليس إلى النفع العاجل القريب، وان كان هذا الأخير عظيما! ثم ان البعض قد يذهب من باب الاستكشاف، يذهب اليهم فلعله يجد القوم يصدقون حقا فيخرج حافظا لكتاب الله... (ولم لا؟؟.. لن أخسر شيئا!!)!!

فالذي نراه والله أعلم، أن يدع اخوتنا أصحاب المقارئ هذه الفتنة ولا يجعلوا حرصهم ودأبهم أن يعدوا جداول لختم القرآن في شهر أو شهرين أو نحو ذلك، وانما ليضعوا همهم في اذكاء الهمة والدعوة إلى الاستقامة على الأوراد وان صغرت، مع المتابعة الدائمة مع شيخ محفظ، مع الدراسة لمعاني القرآن وتفسيره - على الأقل - جنبا إلى جنب مع الحفظ، عسى الله أن ينفعنا بالنور الذي أنزل في كتابه، فلا نكون شموعا تنير الطريق للناس وهي في ذاتها تحترق!

ان الخير كل الخير في اتباع سبيل من سلف يا عباد الله.. الخير كل الخير. وتذكروا أنه لو كان خيرا لسبقونا اليه. هذا الكتاب هم الذين نقلوه إلينا ونحن عيال عليهم فيه، فخذوا عنهم كيف حفظوه ووعوه ولا تغتروا بمغامرات وتهوكات المفتونين، نسأل الله أن يجمعنا بساتنتنا، سلفنا الطاهر في دار المقامة وأن يرفعنا بكتابه ولا يخزننا يوم القيامة انه ولي ذلك والقادر عليه.

جهاز رسم الأوراء!!

يستعمل البرمجيون جهازا خرافيا اسمه (جهاز قياس طاقة الشاكرات)، هو عندي أشبه ما يكون بالجهاز الذي ابتدعه المدعورون هابرد مبتدع ملة الساييتولوجي الجديدة لقياس حالة العقل

وصفائه !!

انهم يصفونه في الموقع السابق بقولهم أنه يساعد على:

"معرفة كيفية توزيع الطاقة بين الجسد والعقل والروح وذلك برسومات بيانية"

قلت والله ان لم يكن في هذه العبارة وحدها دليل واضح دامغ على افك هؤلاء وقيام خرافاتهم هذه بالكامل على عقائد باطنية وثنية فاسدة، فما أدري ماذا يريد المخالفون دليلاً! أي روح هذه التي يقيسون تدفق الطاقة بينها وبين العقل والجسد؟ وأي طاقة تلك وأين رأوها ومن أنبأهم بأمرها؟؟ !

تقول الدكتورة فوز:

"إن الطاقة المرادة هي "الطاقة الكونية" حسب المفاهيم الفلسفية والعقائد الشرقية ، وهي طاقة عجيبة يدعون أنها مبثوثة في الكون ، وهي عند مكتشفها ومعتقديها من أصحاب ديانات الشرق متولدة منبثقة عن "الكلي الواحد" الذي منه تكوّن الكون وإليه يعود ، ولها نفس قوته وتأثيره ؛ لأنها بقيت على صفاته بعد الانشقاق (لا مرئي ، ولا شكل له ، وليس له بداية ، وليس له نهاية) بخلاف القسم الآخر الذي تجسّدت منه الكائنات والأجرام ، وهذه هي عقيدة وحدة الوجود بتلوناتها المختلفة " العقل الكلي ، الوعي الكامل ، الين واليانج " . أما المروجون لها من أصحاب الديانات السماوية ومنهم المسلمون فيفسرونها بما يظهر عدم تعارضه مع عقيدتهم في الإله ، فيدعون أنها طاقة عظيمة خلقها الله في الكون ، وجعل لها تأثيراً عظيماً على حياتنا وصحتنا وروحانياتنا وعواطفنا وأخلاقياتنا ، ومنهجنا في الحياة!!

وهذه الطاقة غير قابلة للقياس بأجهزة قياس الطاقة المعروفة ، وإنما يُدعى قياسها بواسطة أجهزة خاصة مثل "البندول" ، فبحسب اتجاه دورانه تُعرف الطاقة السلبية من الطاقة الإيجابية ، وبعضهم يستخدم "كاميرا كيرليان" التي تصور التفريغ الكهربائي أو التصوير "الثيرموني" ، أو تصوير شرارة "الكورونا" ، أو جهاز الكشف عن الأعصاب ويزعمون أن النتائج الظاهرة هي قياسات "الطاقة الكونية" في الجسد !! في محاولة منهم لجعل "الطاقة الكونية" شيئاً يقاس كالطاقة الفيزيائية ؛ لتلبس لبوس العلم ، ولتوحي ببعدها عن المعاني الدينية والفلسفات الوثنية، مستغلين جهل أغلب الناس بهذه الأجهزة وحقيقة ما تقيس"

(<http://www.ikhwan.net/vb/showthread.php?t=26201>)

(<http://www.ksayes.com/forums/showthread.php?t=10005>)

وهذه الأجهزة التي يقيسون بها الطاقة ليست الا أجهزة لقياس الطيف الكهربائي (*Discharge*) وهو موجود بتفاوت حول كل انسان منا ولا علاقة له فيزيائيا بالأورا أو الهالة التي يزعم الهندوس أنها ناتجة من حركة طاقتهم المزعومة في أجسام البشر!!
والدكتورة فوز حفظها الله لها جهود قيمة في الحقيقة لكشف كذب وافك هؤلاء الدجالين، تجد بعضها منشورا على هذا الموقع:

http://clickclick.maktoobblog.com/ca...%C9%C7%E1%E1%DB%E6%ED%C9%E6_%C7%E1%D8%C7%D%E%C9

وهذا هو موقعها الذي تقوم بالاشراف عليه، نفع الله بها المسلمين:

<http://gibson.myserverhosts.com/~alfowz/index.php>

لقد أصبحت الفيزياء الكمية *Quantum physics* ملاذا لكل أفاك وصاحب عقيدة فاسدة يريد ابطانها في أصل الخلق والمادة وترويجها تحت شعار العلم، لما في طرحها العلمي من غموض يحتمل تفسيرات وأوجه شتى! فكثيرا ما تسمع الحلولية يقولون أن العلم يؤيد موقفهم لما يحدث على مستوى الجزيئات الذرية وانظروا الى نظرية الكم! أو تسمع عبدة الأوثان يزعمون أن العمل يؤيد مزاعمهم في حلول الآلهة الغيبية في أصنامهم! وأصحاب عقيدة الأكوان والعوالم المتوازية التي يفتحون بها الباب أمام خرافة السفر عبر الزمن ويفسرون بها "اليوفو" وما الى ذلك، كل هذا يجدون له ساحة خصبة تحت راية فيزياء الكم! والنظرية لا تعلن الا عجز العقل البشري والرياضيات عن تخطي حد معين في تصور ووصف البنية التحتية لمكونات المادة! فتفتح بذلك الباب لما الله به عليم من تأويلات لأسباب ذلك! والله المستعان على ما يافك المشركون جميعا.

سئل د. محمد بن ابراهيم دودح الباحث في هيئة الاعجاز العلمي سؤالاً على موقع الشيخ سلمان العودة (الاسلام اليوم):

"ما رأيكم بما يدور حول الفيزياء الكمية وهي تناقش قدرات الإنسان الموجودة في عقله وأنه يرى ما يصدق، ولو كان يصدق أنه يستطيع وضع يده على لهب شمعة دون أن تحرقه لمدة 10 دقائق فلن

تحرقة؛ لأنه متيقن من هذا الشيء وغيره كثير... فما رأي الشرع في ما يتعلق بإمكانية حدوث أي شيء ولو كان في نظر الكل مستحيلا فقط لأن العقل يؤمن به. وشكراً

فأجاب قائلاً ما جاء فيه:

"مجال الفيزياء الكمية هو البنية الذرية بينما مجال الظواهر النفسية هو علم النفس *Psychiatry*، وقد نال المنهج العلمي الثقة؛ لأنه يكشف لك الحقيقة كما هي في الواقع. ولذا يحاول البعض التخفي تحت ستار العلوم التجريبية للترويج لممارسات وافدة، لم يثبت فيها دليل علمي قاطع بعد، أو تتصل بعقائد قديمة تضيفي القدسية على المجسّدات .

ودورات: البرمجة اللغوية العصبية والتنفس العميق والاسترخاء والطاقة والتشي كونغ والريكي والماكروبيوتيك؛ رغبة في التطوير الذاتي، وبحثاً عن الصحة والنشاط ووهم اكتساب القدرات الزائفة، أصبحت اليوم بديلاً رائعاً للخشوع في الصلاة والدعاء والأذكار والاستغراق في التفكير والصيام تطهراً وتقوية للإرادة وقمعا لنزوات النفس وتدريباً على التزهد. جملة خدع غزت بلاد المسلمين تحت أسماء براقة تبديها وكأنها من علوم العصر؛ تظاهرت باكتساب المهارات. وليست في الحقيقة سوى ممارسات عقائد وافدة قد جُمعت فوائدها النفسية والجسمانية في العبادات الإسلامية إذا مورست بخشوعٍ والنظر بتشوف إلى الآخرين واستلهاهم نهجهم بلا تمحيص ليس له من ثمرة إلا زعزعة الثقة بالمنهج الإيماني .

فالتغذية تصبح على الطريقة الماكروبيوتيكية ، والتأمل والتفكير على الطريقة البوذية، والصحة واللياقة على الطريقة الطاوية، وفلسفة الشنتوية في اليابان، والتفائل والإيجابية على طريقة أهل البرمجة اللغوية. والنتيجة الفعلية ضياع الهوية الإسلامية" أ.هـ.

وقال كذلك:

"وفكرة الطاقة الكونية تقوم على فلسفة بديلة لعقيدة الألوهية.. فيعتقد الطاويون أن الوجود كل واحد، وكل ما في الوجود هو الطاو *Tao* ، فهو أصل كل الأشياء وإليه مردها.. ثم انبثق منه نقيضان: الين واليانغ. أحدهما الأصل الذي انبثقت منه الأشياء المتجسدة ذات الهيئة والشكل والصفات، أما الآخر نقيض المتجسّدات فقد بقي على صفات الكلي الواحد، وملاً الفراغ الذي في الكون وأسموه الطاقة

الكونية.. "أ.هـ.

ثم يختتم جوابه قائلا:

"ومن هنا فإن خطر هذه الوافدات مدلهم، وفتنتها عظيمة، والشر الذي تجمععه وتدل عليه كثير متشعب. وعلى الرغم من محاولات كثيرين من الحريصين استخلاص ما فيها من خير، بعيداً عن لوثاتها العقدية إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل فمصادمة هذه الفلسفات وتطبيقاتها للعقيدة إنما هي في الأصول التي تقوم عليها لا في بعض التطبيقات الهامشية التي قد يدعي البعض إمكانية التحرر منها .

ثم إن المنهج النبوي يحتم علينا اتباعه بالإقبال على الكتاب والسنة، فما تركا من خير إلا وفيهما دلالة عليه، ولا شر إلا وفيهما تحذير منه. واليقين بهذا من مقتضيات فهم كمال الدين، وتمام بلاغ خاتم المرسلين" والحمد لله الذي قال في محكم التنزيل جازماً: "وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" [آل عمران: 85]. وقال في ثلاثة مواضع بنفس الألفاظ مؤكداً: "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ" [التوبة: 33] و[الفتح: 28]

و[الصف: 9] هذا والله تعالى أعلم. "أ.هـ.

(<http://www.islamtoday.net/questions/...cfm?id=111953>)

ان الاخوة المفتونين بهذه الأمور هداهم الله يقولون أنه من الممكن تنقيتها وتصفيتها واستخراج نفع منها وأقول لهم أبداً والله، فكيف نأتي بخنزير النجاسة العينية هي في أصل خلقته، ثم نحاول غسله وتطهيره حتى تزول تلك النجاسة عنه؟؟ هذا مستحيل! وما حاجتنا أصلاً لهذا الوهم والثنية وقد أغنانا الله بما فيه صلاحنا وصلاح البشرية كلها جمعاء؟؟ أم أنه السعي إلى التريح بكل جديد يذيع صيته ويبطن خبثه وفساده طالما أن الأكثرين من أهل العلم لا يزالون لم يتفطنوا إلى حقيقته بعد ولم تنشر لهم مصنفات موسعة فيه؟؟!

يا اخوة لو لم يكن في منع هذه الأمور إلا العمل بقاعدة سد الذرائع لكفى به علة والله! ولكن الأمر ليس مجرد شبهة أو ذريعة كما أسفلت بيانه! فوازنوا عباد الله بين المنافع والمفاسد! هذه المنافع المزعومة ما حقيقتها، وهل تستحق ان تحققت بالفعل أن نعرض عقيدة التوحيد في قلوب المسلمين للخطر من

أجلها؟ وهل نزعم أنه ليس في تراث سلفنا الصالح فضلا عن هدي نبينا صلى الله عليه وسلم ما يغنيها عنها لرفع الهمة وتنمية القدرة على تنظيم الوقت وترتيب الأولويات وغير ذلك من سبل لإصلاح سائر جوانب حياة المسلمين؟؟ !

انه مهما حاول العاملون في تلك الأمور تنقيتها من وثنيها فهي قوامها أصلا وهي عصبها النابض، والدعوة فيها كما أسلفت في مقدمة رسالتي هذه انما هي دعوة - على أقل تقدير - الى الاعتقاد في النفس وفي قدرة داخلية والتوكل عليها من دون الله، فان لم يكن فيها غير هذا لكفى به خرقا للتوحيد ! لقد جاء أحد الخليجين المشتغلين بهذه الأشياء الى مصر قبل عدة شهور، وأعد محاضرة أسماها (إيقاظ العملاق النائم)! هذه المحاضرة كان سعر التذكرة فيها 200 جنيه مصري على ما أذكر، ومع ذلك فقد افتتن بها من الملتزمين كثير ولا حول ولا قوة الا بالله! المحاضرة تعمل على تعليق الانسان بقدرة باطنة مزعومة تجعله قادرا - بزعم صاحب المحاضرة - على صنع أي شيء حتى المشي على الجمر دون أن يحترق! وفي نهاية المحاضرة يدعو الرجل الحاضرين الى خلع نعاليهم والمشي على جمر متوقد بأنفسهم ليثبت لهم أنهم ان حققوا في أنفسهم ما علمهم صار المشي على الجمر بالنسبة اليهم أمرا سهلا هينا، فاذا ما أتموا ذلك كتب لهم شهادة به!! فهل هذا من ممارسات المسلمين الموحدين؟! هل نحقق بالثقة في النفس وفي القدرات الشخصية قدرة على المشي على الجمر؟! هل هذه دعوانا؟

ان المشي على الجمر هذا من ألعاب المشركين والوثنيين منذ القدم، وخبراء البرمجة هؤلاء يروجون لبضاعتهم في الغرب بمثل هذا الدجل كثيرا، ونحن نقلدهم كالعميان ولا حول ولا قوة الا بالله ! والواقع أن المشي على الجمر المتوقد بخطوات سريعة ليس أمرا مستحيلا ولا فيه أي خطر كما يتوهم الأكثرون، ولا يحتاج الى إيقاظ عملاق نائم ولا شيء من هذا الهراء! ولقد شاهدت بعيني ذلك الأمريكي المدعو (مايكل شيرمر) *Michael Shermer* في برنامج له وهو باحث أمريكي ملحد رئيس تحرير مجلة أمريكية مشهورة بعنوان (الشكك الأمريكي *Skeptical American*) وله برنامج تلفزيوني مختص في إثبات بطلان كافة العقائد الغيبية والخوارق والمعجزات المزعومة والماورائيات جميعا وما الى ذلك، شاهدته يتحدث واحدا من هؤلاء الدجاجلة بأنه سيدخل في وسط

مجموعته هذه ويمشي على الجمر معهم من دون أن يعرض نفسه لسماع شيء مما قاله الرجل لهم وأقنعهم به قبل ذلك، ليثبت لهم جميعاً أن الأمر لا علاقة له بما ألقاه عليهم وأقنعهم به أياً كان!! وبالفعل دخل الرجل ومشى وسطهم وخرج باسماء، واستضاف بعض الأكاديميين الفيزيائيين وسألهم فقالوا له أن الجمرة الكربونية العادية وإن كانت حرارتها الداخلية مئات الدرجات إلا أنها تحتاج إلى طول ملامسة حتى توصل تلك الحرارة إلى أي سطح آخر، فالمشي فوقها بخفة وبسرعة لا يسمح للجلد بأن يصل إلى فترة ملامسة كافية لأن تنتقل معها الحرارة من الجمرة إلى الجلد المتعرض لها! وفرح الرجل بإبطال الأمر كعادته وإثبات أن الظاهرة وراءها سبب فيزيائي معتاد ومعلوم وليس الطاقة النفسية التي تؤثر في تدفق الدم إلى جلد أسفل القدم فتعطل الشعور بالألم، كما يزعم دجال الطاقة هذا!

إن لعبة المشي على الجمر هذه إنما يأتي أصلها من ملل الهند الوثنية وتنتشر أيضاً عند قبائل أفريقيا الوثنية، وهي بالجملة من شعائر أكثر ملل المشركين الأقرب إلى الأصل الأرضي والأبعد عن الأصل السماوي، وقد رأيت الرافضة - قاتلهم الله من ضالة مشركين - يتخذون منها شعيرة في حسينيّاتهم في البحرين لأحياء ذكرى أحداث تقلب آل البيت رضي الله عنهم هرباً في وسط الحرائق التي أشعلت في خيامهم في كربلاء كما يدعون!! ففي وسط شعائر اللطم والنياحة وضرب الظهر بالسلاسل والرأس بالسيوف، وغيرها من أوساخ الجاهلية، عندهم أيضاً مشي على الجمر على صيحات (يا حسين يا حسين)، وهو من الشعائر التي يعدها السيستاني وغيره قرابة إلى الله عز وجل، قاتلهم الله!!

<http://yahosein.com/vb/showthread.php?t=33292>

وفيما يلي، أيها الاخوة الفضلاء، وهو ما أختتم به هذه الرسالة المتواضعة، جمع لما قاله أهل العلم فيما يسمى بالبرمجة العصبية بصفة عامة (نقلاً عن موقع طريق الاسلام)

[\(\(http://www.islamway.com/?iw_s=Article...rticle_id=1411](http://www.islamway.com/?iw_s=Article...rticle_id=1411)

قال فضيلة الشيخ د. سفر الحوالي، أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة أم القرى - سابقاً -

والداعية المعروف: "يجب علينا جميعاً أن نعلم أن الأمر إذا تعلق بجناب التوحيد وبقضية لا إله إلا الله

وبتحقيق العبودية لله تبارك وتعالى فإننا لا بد أن نجتنب الشبهات ولا نكتفي فقط بدائرة الحرام وهذه

البرمجة العصبية وما يسمى بعلوم الطاقة تقوم على اعتقادات وعلى قضايا غيبية باطنية مثل الطاقة الكونية والشكرات والطاقة الأنثوية والذكرية، والإيمان بالآثير وقضايا كثيرة جداً، وقد رَوَّج لها مع الأسف كثير من الناس مع أنه لا ينبغي بحال عمل دعاية لها ". وقال: " أعجب كيف بعد كل هذه الحجج يتشبث المدربون بتدريبات أقل ما يقال عنها أنها تافهة، فكيف وهي ذات جذور فلسفية عقدية ثيوصوفية خطيرة؟! أنتم على ثغرة وأرجو أن أجد وقتاً للمساهمة ببيان خطرها للناس فليس وراء عدم كتابتي في هذا الموضوع إلا الانشغال الشديد."

*فضيلة الشيخ عبدالرحمن المحمود

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود
"أمرها بدأ يتكشف.... نعم انقلوا عني يجب إيقاف هذه الدورات، وأنا أحبي القائمين على تحذير الناس منها وفقهم الله"

فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد

يقول: "أي راحة هذه التي يريد بعض أتباع الـ NLP وغيرها أن يدخلوا المسلمين في متاهاتها؟؟؟؟!!
استرخي.. احلم.. وتخيل...! ثم إذا أوقظت للعمل ثاني يوم، وإذا واجهت الواقع راحت الأحلام
والخيالات!! أتضحك على نفسك؟! ما هذا الهراء الذي يقولونه.... فعلاً إنها مأساة عقل"

*د. يوسف القرضاوي

"البرمجة اللغوية العصبية تغسل دماغ المسلم وتلقنه أفكاراً في اللاواعي ثم في عقله الواعي من بعد ذلك، مفاد هذه الأفكار أن هذا الوجود وجود واحد، ليس هناك رب ومربوب، وخالق ومخلوق، هناك وحدة وجود. إنها الأفكار القديمة التي قال بها دعاة وحدة الوجود، يقول بها هؤلاء عن طريق هذه البرمجة التي تقوم على الإيحاء والتكرار، وغرس الأفكار في النفوس. إن برامجهم التي يعلمون بها الناس تقف وراءها أهداف خبيثة، ومقاصد بعيدة، وكل هذه ألوان من الغزو ويقصدون بها غزو العقل المسلم، وهو ما ينبغي أن نحرص على أن يظل بعيداً عن هذا الغزو."

*د. وهبة الزحيلي

هل علوم الميتافيزيقيا حرام؟ هل علوم ما وراء الطبيعة والخوارق حلال أو حرام؟ وهل التلبثة (التواصل عن بعد)، قراءة الأفكار *telepathic*، الخروج الأثيري عن الجسد *out of body*، *experience*، تحريك الأشياء بالنظر، النظر المغناطيسي، اليوجا، والتنويم الإيحائي، التاي شي، الريكي، التشي كونغ، الماكروبيوتك، الشكرات، الطاقة الكونية، مسارات الطاقة، الين واليانغ.. لأنني وجدت موقع يحرمها: موقع (الأستاذة فوز كردي-السعودية)؟

فأجاب د. وهبة " هذه وسائل وهمية وإن ترتب عليها أحياناً بعض النتائج الصحيحة، ويحرم الاعتماد عليها وممارستها سواء بالخيال أو الفعل، فإن مصدر العلم الغيبي هو الله وحده، ومن اعتمد على هذه الشعوذات كفر بالله وبالوحي، كما ثبت في صحاح الأحاديث النبوية الواردة في العراف والكاهن ونحوهما."

*فضيلة الشيخ عبد العزيز مصطفى:

أستاذ التفسير وعلومه والكاتب المعروف

"أمر هذه الوافدات العقدية جميعها واضح الخطر، ولا بد من تحذير الناس منها وطباعة هذا التحذير ليسهل تناوله ونشره"

*سعادة الدكتور عبد العزيز النغمشي

الأستاذ المشارك بقسم علم النفس بجامعة الإمام محمد بن سعود :

"أكثر المتخصصين في علم النفس والطب النفسي وعلماء الشرع لم يدخلوا فيها ولم ينساقوا إليها برغم كثرة ما قيل عن منافعتها، فانساق النخبة أمر مهم جداً، ونلاحظ أن معظم من انساق وراء البرمجة هم العوام"

*فضيلة الشيخ خالد الشايع

يقول: "هذا الذي يسمى (علم البرمجة اللغوية العصبية) مما يجب تحذير أهل الإسلام من الاغترار بما فيه من الإيجابيات المغمورة بكثير من السلبيات"

*كما أكد معالي الشيخ صالح الحصين وفضيلة الشيخ محمد العريفي، وفضيلة الشيخ صالح الفوزان

وفضيلة الشيخ أحمد القاضي وفضيلة الشيخ عبد الله الدميحي وفضيلة الشيخ أحمد الحمدان وكوكبة

من المتخصصين والمتخصصات في العقيدة والمذاهب المعاصرة على خطورتها وضرورة تحذير الناس من مخاطر الأفكار الوافدة كالبرمجة وأخواتها . ليف من الأستاذات من طالبات العلم الشرعي يؤيدن ويعاضدن :

أبدى ليف من الداعيات تأييدهن لضرورة التصدي للغزو الفكري المتمثل في هذا السيل الجارف من الدورات المشبوهة ومنهن :

✽ المتخصصات في الفقه وأصوله :

-الدكتورة فاطمة نصيف - الدكتورة الجوهرة المقاطي - الدكتورة بدرية البهكلي - الدكتورة وفاء

الحمدان

✽ المتخصصات في التفسير وعلومه

-الدكتورة نور قارووت - الدكتورة سناء عابد- الدكتورة آمال نصير

✽ وأستاذات العقيدة :

-الدكتورة زينب الحربي - الدكتورة عفاف مختار -الدكتورة غربية الغربي -الدكتورة شريفة لسنيدي

-الدكتورة لطيفة الصقير -الدكتورة حياة با أخضر

✽ وأستاذات الحديث وعلومه :

-الدكتورة حصّة الصغير - الدكتورة لطيفة القرشي -الدكتورة أميرة الصاعدي

✽ والداعية الأستاذة أسماء الرويشد، والدكتورة خديجة بابيضان، والداعية الأستاذة أناهيد السميدي

بعد اطلاعهن على حقائق هذا الفكر ومفردات دورة الفكر العقدي الوافد ومنهجية التعامل معه،

وانطلقت مساهماتهن في تحذير المجتمع من خطر هذه الوافدات عن طريق التوعية بين الطالبات

والمجتمع النسائي بشرائحه المختلفة في المحاضرات العامة .

✽أيّد عدد من المختصين في العلوم النفسية والطب النفسي التحذير من البرمجة اللغوية العصبية لما

سببته من فوضى في البلاد ومنهم الاستشاريون النفسيون:

-د. طارق الحبيب

-د. يوسف عبدالغني

-د. عبد الرحمن ذاكر

- د. خالد بازيد

*وأستاذات الصحة النفسية:

-د. انتصار الصبان - د. عزة حجازي -الأستاذة هدى سيف الدين - الأستاذة وفاء طيبة

-الأستاذة سحر كردي

*كما أيدت التحذير بشدة ورتبت لقاء خاصاً للتوعية طالبات قسم علم النفس بجامعة الملك سعود

الأستاذة موضي الدغثير المتخصصة بعلم النفس والمهتمة بالتأصيل الإسلامي "انتهى

أما بعد، فلا شيء يقال بعد كلام سادتنا وعلمائنا! ولا أجد بعد الاطالة ثم هذا البيان الا أن أختتم الكلام

بحمد الملك المنان، وسؤاله جل وعلا أن يصحف ويتجاوز عما وقع من الخطأ والزلل وأن يغفر

للمسلمين والمسلمات جميعاً وأن يرفع عنا تلك الفتنة قبل فوات الأوان انه الحي القيوم الأحد

الصمد، هو المولى وبه المستعان. والحمد لله رب العالمين.



إقامة الحجة العقلية والبرهان المنطقي ضد حرية نشر الكفر والعصيان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وآله وصحبه ومن أتبع سبيله من بعده.

أما بعد:

فقد بات ذائعاً مُنتشراً في هذا الزمان كلام الليبراليين والعلمانيين وعموم الملاحدة وأذئابهم من بني جلدتنا في مسألة "حرية التعبير"، وحرية الكلمة، وحرية الفكر والنشر ونحوها، على اعتبار من التسليم المُسبق التام بكون تلك الحرية حقاً مُكتسباً لا يقبل النزاع ولا المراء، وكون منحيها لطالبتها واجباً سياسياً مُسلماً به على أولي الأمر في سائر البلاد، وواجباً أخلاقياً مُتعيّن الاعتبار والاحترام والتقدير على عامة المجتمع الإنساني، بموجب الحضارة المعاصرة و"الانفتاح العلمي والمعرفي"، والتحرر من قوالب النظم الديكتاتورية القمعية، وما إلى ذلك من دعاية برّاقة فضفاضة قد باتت تُتلى علينا وترتل ترتيلاً، آناء الليل وأطراف النهار.

والواقع الذي يخفى على كثير من أفراد الطائفة العلمانية في بلاد المسلمين، ويحتاج إلى من يصدمهم به صدماً، ويصعقهم به صعقاً لعلمهم يعقلون: أن الفلسفات الليبرالية المُعاصرة لا تقوم في الحقيقة عند تأسيسها لتلك الحرية الأخلاقية المحضّة وذلك "الحق السياسي" المزعوم على شيء ذي بال من الأدلة العقلية أو الفلسفية، سواء في دائرة فلسفة الأخلاق أو فلسفة المعرفة المعاصرة؛ بل إن العاقل المُنصف المتجرّد - من أي ملّة كان - ليشهد بضرورة العقل والفطرة الظاهرة بطلان تلك الدعوى العمياء التي تُجيز لكل جاهل غوي أن يُفسد في الأرض ويدعو الناس لاتباعه على باطله - أيّا ما كان - بدعوى أن هذا أحفظ "للسلام الاجتماعي"، وأبعد عن أسباب التشاحن والقتال وسفك الدماء.

ذلك أن تلك القيمة الأخلاقية الموضوعية المُجمّعة على حُسْنِها بين العقلاء، الداعية لضبط أفعال البشر في كل مجتمع يجتمعون فيه وتقييدها بقيّد معرفي أخلاقي مُلزم - إنما يأتي حُسْنُها العقلي من

مجرد إثبات معنى الألفاظ "إفساد" و"إضلال" و"نشر الباطل" و"تزيين القبائح والمهالك" و"ضرر" و"أذى"، ونحو ذلك من المعاني المستهجنة في اللغة الطبيعية للإنسان، فهي معاني قبيحة مطلقاً لا ينبغي أن يُمارى في قبحها عاقل، هذه المعاني أو الصفات نازلة على بعض الأقوال والأفعال البشرية لا محالة، بما يعني لزوم العمل على منع تلك الأقوال والأفعال من الظهور والانتشار في المجتمع البشري؛ من حيث المبدأ العقلي والأخلاقي المجرد، وهو أمر ظاهر من مجرد الاتفاق اللغوي على استقباح تلك الأوصاف الموصوفة بها، وعليه يصبح من الضرورة العقلية المحضة أن يظهر في أي مجتمع بشري - أيًا ما كانت مرجعيته الأخلاقية - نظام أخلاقي وتشريعي يضع قدرًا من الضوابط الحاكمة للحريات الفردية في ذلك المجتمع، بما يمنع من ظهور تلك الأفعال والأقوال الباطلة والمستقبحة التي يتفق المشرعون على ضررها وخطورتها على أفراد المجتمع.

هذه القاعدة العقلية الكلية لا انفكاك لأي مجتمع بشري من اعتمادها، ومن ثم فلا مفر من ظهور التشريع الضابط والمقيّد لحريات البشر، مهما كان ذلك المجتمع مُفَاخِرًا بكونه "حرًا"، ومهما كان مُنفَكًا من ضوابط هذه الملة أو تلك، ومن قواعد هذه الفلسفة أو تلك، فإنما تختلف المجتمعات فيما بينها في تصور آحاد الأقوال والأفعال التي يصحّ عندهم أن توصف بتلك الصفات القبيحة إلى الحدّ الذي يوجب منعها من الظهور والتفشي في المجتمع، وهو ما يرجع بالأساس إلى اختلافهم في المرجعية الأخلاقية والتشريعية المتفق بينهم على اعتمادها والرجوع إليها في ذلك.

ولهذا نقول:

إنه ليس في الأرض شيء اسمه "حرية مطلقة"، بل لا يُعقل أن يوجد ذلك الشيء في الأرض أصلاً، الحرية المطلقة ليست إلا وهمًا وسرابًا يُداعب به الطواغيت في بلاد الغرب "المستنير" أهواء وشهوات المغفلين من شعوبهم؛ الإنسان مقيّد في حياته - شاء أم أبى - بقيد لا يسعه الانفكاك منه مهما تحرّر، ألا وهو قاعدة الأخلاق الكبرى وأساسها العقلي المتين: ضرورة فعل الصواب (الشيء المستحسن بدليله أيًا ما كان تصوّره)، واجتناب الخطأ (الشيء المستقبّح بدليله أيًا ما كان تصوّره)، ووجوب قبول الحق (الشيء المطابق للدليل أيًا ما كان)، ورد الباطل (الشيء المخالف للدليل أيًا ما كان)، فليس القيد مقصوراً على كونه مضطراً للتعامل في سياق المجتمع الذي يعيش فيه مع أناس قد يؤذيهم منه هذا المسلك أو ذاك، كما تراه سائداً في فلسفات كثير من الماديّين والملاحدة وتنظيرهم الأخلاقي،

ويُترجمه بعضهم بقوله: "أنت حرٌّ ما لم تُضُرَّ؛ أي: ما لم تتسبَّب في الإضرار بغيرك بصورة ما أو بأخرى، وإنما هو نابع بالأساس من اعتقاد الإنسان أن من الأفعال والأقوال ما هو قبيح في نفسه، فيُتَّبَح بالإنسان أن يتلبَّس به، وإن لم يؤذِ بذلك أحدًا من الناس فضلًا عن أن يضرَّه! فإذا ما علِم أن تصديق القول الباطل أو ادِّعاء صحته - أيًا ما كان ذلك القول - قبيح في العقل مُطلقًا، لم يَجْزُ - كحكم أخلاقي موضوعي فطري - تحسين ذلك الاعتقاد أو الادِّعاء والسماح بدعوة الجهلاء إليه وتزيينه لهم، بل لزم أن يكون ذلك حكمًا قبيحًا مُستحقًّا للذمِّ.

وعليه؛ فإذا تقرر أن فعلاً من الأفعال أو قولاً من الأقوال أو حكماً من الأحكام الأخلاقية قبيح مذموم، لزم الإنسان - بضرورة العقل والفطرة - أن يرضى بمطلق وجود التشريع المانع من ذلك، وإلا لم يكن للحكم الأخلاقي أي قيمة أو معنى، كيف لا يرضى عاقل بمنع ما يشهد بأنه قبيح، وصيانة الناس منه؟ هذا لا يستقيم في العقل السليم!

وهل خرج دعاة الإلحاد الجديد في صولاتهم وجولاتهم الإعلامية في أوروبا وأمريكا في السنوات القليلة الماضية إلا سعيًا في "صيانة الناس" مما يزعمون أنه قبيح؟ فبأي عقل يكون جواب هؤلاء بالرفض وعدم الرضا، إن عرض عليهم وضع نظام تشريعي يقمع تلك الأقوال ويمنع من انتشارها في الأرض؟ بأي حجة يتمسكون بحرية نشر تلك الأقوال التي بذلوا في محاربتها ما بذلوا؟! يقيناً ليس بحجة استحسانها، فلولا أنهم استقبحوها ما حاربوها تلك الحرب وما سَعَوْا في ذلك ما سَعَوْا! فما وجه استحسانهم حرية نشر تلك العقائد التي يزعمون أنها هادِمة للعِلْم، ومضادَّة للعقل، ومتسبِّبة في كل فساد وكل كراهية في العالم بطول تاريخه وعرضه؟ أليس هذا تناقضًا فجًّا، وفسادًا ظاهرًا في فلسفة الأخلاق والتشريع لديهم؟ أليس هذا نقضًا لمبادئهم العليا وهدمًا للغاية الأسمى التي يسعون لتحقيقها في العالم؟ بلى، ولا ريب!

لقد ذكرتُ من قبل في موضع لا يحضرني الآن ذكره، أن حرية التعبير عقيدة تهدم نفسها بنفسها؛ أي: إنها متناقضة ذاتيًا (*Logically Inconsistent*)؛ ووجه ذلك أن القائل بها يلزمه أن يسمح - بموجب العمل بها لمن يسعى في هدمها هي نفسها - بالتعبير عن رأيه ونشر فكره المضادَّ لها، إلى الحد الذي قد يُفْضي في نهاية المطاف إلى اندثارها من الأرض وزوالها أصلاً! وعليه فإن أراد المشرِّع أن يتمسك بمبدأ "حرية التعبير" *Free Speech*، ويضمّن بقاءه في الأرض، فإنه يتعيّن عليه منع مَنْ

يُخالف ذلك المبدأ من نشر رأيه بين الناس، وهو ما يعني أنه أمام خيار من اثنين؛ إما أن يقبل بانتشار تلك الآراء والأقوال التي تُهدّد ذلك المبدأ بالزوال والاندثار من الأرض، أو يُضطر إلى أن يخرم هو ذلك المبدأ بنفسه ويعمل بنقيضه؛ إذ يمنع من نشر هذا الكلام الخطير ويحجبه عن الناس! فكيف يكون المبدأ الفكري مُتناسقاً من الناحية المنطقية المجردة، وهو يشتمل على لوازم ترجع عليه هو نفسه بالنقض والهدم؟

ومن المعلوم أن أصحاب "حرية التعبير" في أوروبا وأمريكا لديهم تشريعات مُتفاوتة في مقدار ما تسمح به وما تمنعه بلادهم من أقوال وأفعال؛ فمنهم - على سبيل المثال - من اتفقوا على منع ما يُقال له "خطاب الكراهية" (*Hate Speech*)، وتعريفه أنه: كل خطاب قد يُفضي إلى غرس الكراهية بين البشر، من خلال انتقاد العرق، أو الجنس، أو الدين، أو المذهب الأخلاقي، أو "التوجه الجنسي"، أو الجنسية.. إلخ، وبعبارة أخرى أعم: هو كل خطاب قد يُفضي إلى ظهور العنف في المجتمع! وأينما بحثت لذلك المصطلح عن تعريف عندهم فلن تجد إلا هذه العبارات المطاطة ونحوها مما يؤدّي نفس معناها، فما "خطاب الكراهية" هذا وما ضابطه؟ أهو كل نصّ مسموع أو مقروء قد يُفضي نشره بين الناس إلى أن يكره بعضهم بعضاً أو أن يعتدي بعضهم على بعض؟ فما قولهم في صنوف من صناعة الترفيه عندهم (*Entertainment arts*) تعلّم الناس القتل والسرقة وفنون الجريمة تحت شعار الفن والترفيه، ألا يُفضي مثل هذا إلى تهوين الجريمة في أعين الناس وتزيينها للسفهاء منهم، ومن ثمّ يوصل إلى انتشار الكراهية بينهم؟ فإن قالوا: كلا، فبأي حجة؟ إن قالوا: بدليل

الإحصائيات النفسية والاستبيانات والأبحاث الإمبريقية، قلنا: إن كلا الطرفين في هذا النزاع البحثي عندهم لديهم من الإحصائيات ما يدعمه، بصرف النظر عن مصداقية الاستدلال الإحصائي نفسه (*Inference Statistical*) وهذا أمر معروف لمن بحث فيه! ثم إنه من الحماقة أن يكون ضابط الإجازة والمنع فيما يُقال له "خطاب الكراهية" هذا، إنما هو الاستدلال الإمبريقي على ظهور علامات الكراهية أو العنف تحقيقاً من بعد انتشار هذا القول أو ذاك بالفعل! فالمفسدة إذاً تكون قد وقعت تحقيقاً، مع أنها من المفترض أن تكون هي علّة المنع بالأساس، كعاقبة محذورة! فهل الأمر متروك للتجريب؛ بحيث إذا تفاعل أكثر الناس في مجتمع ما بالاستياء من سماعهم مقالة بعينها، أصبحت هي وكل ما يُناظرها ممنوعة النشر أيّما كان محتواها، والعكس صحيح؟ أليس قد علّم بالمشاهدة أن من الناس من قد يغضب من سماع الحق، بل ربما يشرع بإيذاء من تكلم به؟ فهل يصحُّ

في العقل السوي أن يُمنع الكلام بالحق لمجرد ذلك؟ معلوم أن الإنسان يكره بطبيعته أن يُقال له: إن شيئاً قد اعتقدته من نعومة أظفارك باطل فاسد، والحق بخلافه! فهل يُترك البشر على هواهم ليعتقد كل امرئ منهم ما يهوى من الباطل المحض، بدعوى أن مخاطبتهم بخلاف ذلك قد تُغضبهم ونحن لا نحب أن يكره بعضهم بعضاً لمجرد ظهور الخلاف في تلك القضايا؟ 21

لقد رأينا بالفعل من يتهم بعض أفاضل المسلمين "بازدراء الأديان" لمجرد أن غضب عليهم بعض أهل الملل الباطلة؛ إذ تكلموا ببيان باطل تلك الملل وكشف عوارها؛ بُغية دعوة أصحابها إلى الحق وتحذير الناس من دعائها، ورأينا من يزعم أن مجرد تكفير المسلمين لغيرهم من أهل الملل ووصفهم باسم الكفر "خطاب كراهية"، بل رأينا من يزعم أن القراءة لنفسه فيه "خطاب كراهية"، ويجب منعه، أو منع

21 - وعلى سبيل الاستطراد المفيد في هذا السياق؛ إذ الشيء بالشيء يُذكر، فقد رأينا من جهال المسلمين وضالّتهم ممن افتتن بذلك المنحى العلماني المعوجّ من يقول: إن النزاع الاعتقادي بين "طوائف الأمة" أمر يجب دفعه وكتمه حتى يسهل لنا جمعهم على راية واحدة أو تحت جماعة واحدة، ويسهل إذاً أن نوحدهم في مواجهة "العدو" الصّهيوّني ونحو ذلك الكلام! فأجابهم أهل العلم والتحقيق بالقاعدة المشهورة: "كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة"، بل إن هذه الأخيرة لا تكون إلا ثمرة للأولى؛ إذ المسلمون ما أصبحوا أمةً واحدة - في الأصل الأول - إلا باتفاقهم في كلمة التوحيد، فإذا ضرب الخلاف في هذا المعتقد نفسه، في كلمة التوحيد، صاروا أمماً شتى، لا أمةً واحدة، وإن جمعهم أرض واحدة، ولم يكن من سبيل لتوحيدهم إلا جمّعهم على عين ما جمعهم عليه رجالات الصدر الأول - رضي الله عنهم وأرضاهم. والقصد أن هؤلاء المنحرفين متأثرون في دعواهم بمسألة "خطاب الكراهية" هذا، فلا شك أننا - على منطبق هؤلاء - إن قلنا للسني (المسلم) والرافضي (المُشرك): "ليس بينكما خلاف في الحقيقة إلا في الفروع، والجعفرية هذه ليست إلا مذهباً من مذاهب الإسلام المُعتبرة التي يجوز التبعّد بها؛ كالحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، فإن رأيتم خلافاً في الدين، فلتتعاونوا فيما اتفقتم عليه، وليعذر بعضكم بعضاً فيما اختلفتم فيه"، فلن يبغض أحدهما الآخر كما لو قلنا لهما: "إن الإسلام والرفض ملتان مُختلفتان خلافاً جذرياً يبدأ من مصادر التلقي نفسها، فلا القراءة هو القراءة؛ إذ يعتقدون تحريفه، ولا السنة هي السنة، وهم يتعبدون ليل نهار بسبب الصحابة الأخيار... إلخ!" هذه خطوة من الخطوات على طريق شيطاني خبيث، لا ترى في آخره إلا عقيدة وحدة الأديان، التي حقيقتها إيهام البشر كلهم بأن الملل كلها عند الله سواء، وأن الخلاف بينها يسير لا يؤثّر، فكلّها تتقرب إلى الله بطريقتها، وهو يقبلهم جميعاً ويحبهم جميعاً ولا فرق بين المسلم وغير المسلم أصلاً! ومعلوم بالبداهة أنه لا شيء أحبّ للعلماني المُلحد من أن ينتهي أهل سائر الملل المخالفة له في الأرض إلى مقالة تجمعهم كلهم على مبدأ "نسبية الأخلاق"، بحيث تُصبح الأديان كلها حق، والناس كلها سواء في ميزان العقيدة، وترتاح بذلك رؤوسهم من مساعي أهل الأديان لمنازعتهم السيادة على البلاد في الحكم والتشريع!

بعض الآيات منه! فتحصل إذاً أن خطاب الكراهية" هذا ليس في حقيقته إلا طريقة المشرع العلماني الماكرة لمنع ما يكرهه العلمانيون من صنوف الخطاب، من غير أن يظهر من مجرد ذلك انهيار قاعدتهم الكلية في "حرية التعبير" والواقع أن القاعدة ذاهبة أصلاً لا حقيقة لها في التطبيق؛ إذ إن مناط تعريف "الضرر" أو "الأذى" الذي يرجع من هذا السماح بنشر هذا القول أو ذاك على الفرد أو المجتمع، يؤول لا محالة إلى النظرية الأخلاقية التي يعتنقها المشرع نفسه أيًا ما كانت، وهو ما به يتقرر في نظره أي صنوف الخطاب تُمنع على أنها خطاب كراهية"، وأيًا تجاوز على أنها ليست ذات ضرر أو إفساد في الناس، والخلاف التشريعي بل النزاع القضائي في تلك البلاد في هذه المسائل لا أول له ولا آخر كما هو معلوم، فالحاصل أن "حرية التعبير" المزعومة هذه ليست إلا وهمًا وسرابًا في الحقيقة، تستغفل به الشعوب لابتلاع النحلة العلمانية وقبول سيادة الفلسفة التشريعية الإلحادية فوق رؤوس أهل الملل جميعًا!

فإذا كان المعنى القبيح مرفوضاً لمجرد قبحه، فلا بد أن يكون من المستقبَح كذلك - من حيث المبدأ العقلي والأخلاقي - أن تُقبل تلك المعاني القبيحة أو يُسمح بتحسينها والدعاية لها، والحق (المعنى الحسن) (والباطل) المعنى القبيح (لا يُعرفان بمقدار ما يتسبب الكلام بهما في ظهوره من محبة ووثام بين الناس، أو من كره وبغضاء في نفوس البشر، وإنما يُعرفان بالدليل والدليل وحده، وقد تقدّم بيان أن الحق حسنٌ في نفسه، والباطل قبيح في نفسه، فكيف إذا قام الدليل على أن من الحق معرفة أن الهلكة الكبرى تترتب على مجرد اعتقاد الباطل في هذه القضية أو تلك، وأن من مات عليه فقد آل إلى عذاب أبدى لا انتهاء له؟ إذا علم هذا، وصحّت هذه المقدمة بدليلها، تبين للعقل عظم الجريمة في نشر ذلك الباطل وفي السماح بنشره في الأرض! وهو الدليل العقلي الواضح الذي جاء الشرع بمصادقه في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاجتمع للمسلمين في ذلك دليل العقل ودليل النقل جميعًا، والله الحمد من قبل ومن بعد.

فإذا ما تقرّر أن البشر لا يُتصوّر لمجتمعاتهم شيء اسمه "حرية التعبير" أصلاً، وإنما تتقيّد حرية الإنسان - لا محالة - في نشر ما يريد من الأقوال والأفكار وإظهار ما يريد من الأفعال، بقيود الحكم التشريعي المستمد من المرجعية الأخلاقية الحاكمة لذلك المجتمع - أيًا ما كانت تلك المرجعية - ومن ثمّ يؤول الأمر في معرفة أي الحقوق والحريات يجب حفظه للناس وأيًا يُهمَل ولا يُعتَبَر، إلى الحكم على

تلك المرجعية نفسها، فإن كانت حقاً، كان المجتمع على الحق فيما يُجيز وما يَمنع من ذلك، وفيما يُقيّد من "حريات" الأفراد فيه، وإلا كان المشرّع في ذلك المجتمع على الباطل بداهةً، مهما استحسن العوامُّ والدهماء تلك الحريات وعدّوها من حقوقهم المكفولة وجوباً!

وهذا القدر يتحقّق المطلوب في مُحااجة الملاحدة والعلمانيين من أي ملّة كانوا، والحمد لله ربّ العالمين.



هارون يحيى: بين وحدة الوجود والاتحاد والحلول!

الحمد لله وحده.

أما بعد، فقد اقترح علي أحد الأفاضل أن أفرد مقالا مستقلا لهذه المداخلة التي كنت قد كتبتها قبل مدة في بيان ضلال "هارون يحيى" وفساد عقيدته، فهذه هي، أسأل الله أن ينفع بها المسلمين. وقد تصرفت في مقدمة المداخلة بما يناسب نشرها كمقال مستقل، والله الموفق لما يحب ويرضى.

الحمد لله وحده.

أما بعد، فإنه مما يؤسف له حقا أن تنتشر مؤلفات "هارون يحيى" بين العامة من المسلمين المبتلين بالتعرض للشبهات الإلحادية هذا الانتشار. فإذا كان ينبغي لطالب العلم الذي يأمن على نفسه الفتنة من مؤلفات هارون يحيى ألا يتعامل معها إلا بحذر بالغ (لما سيأتي معك من بيان لما فيها)، فكيف بالعامي الذي لا يميز، بل وصل به ضعفه واهتزاز نفسه إلى حال لا يعلم هشاشتها إلا الله؟ أقول إن العوام لا يجوز لهم الاطلاع على تلك الكتب أصلا، ولا يجوز نشرها بينهم أو دلالتهم عليها لأنهم لا تؤمن فتنتهم بها، ولا يجوز أن نحيل الملاحدة الغربيين عليها أيضا للعلة نفسها! فلسنا نروم نقل الناس من كفر إلى كفر، ولا نريد انتشار الملحدين من الإلحاد حتى ينتهي به الحال إلى وحدة الوجود أو الاتحاد!! وقد رأيت بعض الأفاضل ههنا يتكلمون في انحراف الرجل ورأيت منهم من ينفيه عنه ويبرئه منه - على فداخته وشناعته - دونما اطلاع، وقد تقرر أنه لا يجوز كتم البيان عن وقت الحاجة والله المستعان

فالواقع أن هارون يحيى شديد التعظيم لمحيي الدين ابن عربي شديد التأثير به، وهو متقلب متردد بين زندقتين كل منهما أردى من أختها: القول بما حقيقته وحدة الوجود أحياناً وبما حقيقته الاتحاد والحلول في أحيان أخرى، وإن كان يتبرأ من ذلك ويزعم أن قوله في حقيقة المادة ليس حقيقته وحدة الوجود. فهو يؤمن بأن المادة ليست إلا وهماً في أذهاننا (بما في ذلك مادة أجسامنا) وأن ما يوجد في الخارج مما نسميه نحن المادة، هذا شيء آخر (إن استطعنا إثبات هذا الشيء الآخر فيما سوى الله، وعنده أننا لا يمكننا ذلك، مع أنه يصرح بإثبات العالم الخارجي المخلوق في مواضع كما سيأتي)! فهو يصرح أحياناً بقول ابن عربي في أنه لا موجود بحق إلا الله، ويفرق بين ما يسميه بالوجود المطلق (الذي ينسبه إلى الله وحده) وما يسميه بالوهم (الذي ينسبه إلى كل ما سوى الله)، ويتنصر لذلك القول بمكتشفات علم الإدراك! فمذهبه في الحقيقة إنما هو "إعادة تدوير" لعقيدة ابن عربي، ولكن بلغة علم الإدراك وعلم الأعصاب الحديث الذي أثبت أن تجربتنا الإدراكية لا يلزم أن تكون مطابقة تمام المطابقة في جميع تفاصيلها لما في الخارج (وسيأتي جواب شبهته في هذا الباب لاحقاً).

وأنا لا أجد وجهاً لبثه هذه العقيدة في كتبه المخصصة بالأصالة للرد على الملاحدة والداروينيين، إلا أن يكون غلوه البالغ في عقيدة الهالك ابن عربي يحمله على موافقته في فلسفته المتهافتة، مع اغتنام الفرصة لنصرة تلك العقيدة ببعض مكتشفات العلم الحديث وجعلها مدخلاً إلى الإيمان بالله، كما سيأتي!

ففي كتاب له بعنوان *Matter: the other name for Illusion* أو "المادة: اسم آخر للوهم" (وحسبك بعنوان الكتاب!!)، بدأ هارون يحيى ببيان أن الواقع كله ليس إلا صوراً ترسمها أذهاننا، فيقول (ص 55):

Nobody has been able to move out of the perceptions that exist in the brain. Everybody lives in the cell that is in the brain, and no one can experience anything except that which is shown by his perceptions. Consequently, one can never know what happens outside of his perceptions. Thus to say "I know the original of matter" would in fact be an unjustified presupposition, because there is nothing that could be held up as evidence. The observer deals with the

images formed in his or her brain. For instance, a person who wanders in a garden full of colorful flowers can in fact never see the actual of the garden, but its copy in his brain

"لا أحد أمكنه من قبل أن يتحرك خارج الإدراكات الموجودة في مخه. كلنا نعيش في تلك الخلية التي هي المخ، ولا أحد يمكنه اختبار شيء خلا ما يراه من خلال إدراكه. وعليه، فلا أحد يمكنه أن يعرف ما يجري خارج إدراكه (قلت: يقصد في الحقيقة أو الواقع). وعليه فإن قول القائل: "أنا أعرف أصل المادة" يكون في الحقيقة افتراضا غير مستساغ، لأنه لا يوجد ما يمكن حمله كدليل على ذلك. فإن المشاهد يتعامل مع صور نشأت في مخه. فعلى سبيل المثال، إن شخصا يتجول في حديقة مملوءة بالزهور الملونة، لا يمكنه أبدا أن يرى حقيقة تلك الحديقة، وإنما يرى نسخة منها مطبوعة في ذهنه." انتهى.

وأقول إن قوله بأننا مقيدون بما ندرك فلا نخرج عليه في تجربتنا البشرية صحيح ولا شك، ولكن هذه المفارقة بين حقيقة ما يدخل إلى الإدراك - بهذا الإطلاق - وحقيقة الوجود الخارجي، هي عين المغالطة العقلية وهي سفسطة محضة، وليست المغالطة كما يدعي في قول كل عاقل باستواء الواقع في الخارج بما يدركه من ذلك (ما لم يجد دليلا على فساد إدراكه)! فأنا عندما أشاهد الأزهار في الحديقة، فإنه لا يسوغ لي أبدا بحال من الأحوال أن أزعم أن تلك الأزهار لا وجود لها في الواقع، أو أنها في الحقيقة موجودة على حل غير هذا الذي أراه، ومن زعم ذلك فهو المطالب ببذل الدليل، وليس العكس!! هذه أبجديات عقلية لو خولف فيها لانهدم العلم الطبيعي بل لانهدم العقل كله رأسا، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وبعد سوق كثير من أمثال هذه السفسطات، وللوصول لنتيجته ومقصوده، يعقد صاحبنا فصلا بعنوان "حقيقة المادة تبين أن الله هو الكائن المطلق الوحيد" يقول فيه (ص. 97-98):

Some people, under the influence of materialist philosophy, think that matter is absolute being. Some of these people believe that God exists, but when they talk about the existence of God, and where He is, they display their ignorance. For example, if they are asked "Where is God?", they will ignorantly answer, "Show me your intelligence; you cannot. So, God is a reality like intelligence, but you cannot see it." Others assume in their own minds (God is surely

beyond that) that God has an illusory existence like that of radio waves. According to their false view, they themselves and the things they possess are absolute existence and God's existence encompasses this material existence like radio waves. However, what is illusory is they themselves and the things they possess. The One Absolute Being is God. God's existence embraces everything. Human beings are in no way absolute beings but a transient image

"بعض الناس بسبب اعتقادهم المادي، يرون أن المادة كائن (قلت: أو وجود) مطلق. فبعض الناس يؤمنون بأن الله موجود، ولكن عندما يتكلمون عن وجوده وعن مكانه، يظهر جهلهم. فعلى سبيل المثال عندما يُسألون: أين الله؟، فيقولون في جهلهم: "أرني ذكاءك، لن تستطيع! إذن الله واقع (قلت: حقيقة واقعية) كالذكاء ولكنك لا تستطيع أن تراه". ويعتقد آخرون في عقولهم (والله فوق ذلك قطعاً) أن الله وجوداً متوهماً illusory كوجود موجات الراديو. فبحسب رؤيتهم، هم أنفسهم والأشياء التي يملكونها وجودها مطلق، ووجود الله داخل في جنس هذا الوجود المادي كموجات الراديو. ولكن في الحقيقة فإن الوجود المتوهم إنما هو وجود أنفسهم والأشياء التي يملكونها! فإن الموجود المطلق الوحيد هو الله! ووجود الله يشمل كل شيء! أما البشر فليس وجودهم مطلقاً بحال من الأحوال وإنما هم صور زائلة." انتهى.

ثم يستدل على هذا الكلام بآية الكرسي، يستخرج منها أن قوله تعالى "لا إله إلا هو الحي القيوم" مفهومه أنه لا شيء حي في الحقيقة إلا الله، ولا وجود مطلق (قلت: أي حقيقي في الواقع) سواه! ويعقب بقوله (ص 98):

Someone who knows that, apart from God, everything is a shadow existence, will say with certain faith (at the level of Haqq-al yakin – truth of certainty) that only God exists and there is no other deity (or any being with strength) besides Him

"إن من يعرف هذه الحقيقة، أنه فيما عدا الله فكل شيء وجوده كالظل (قلت: أو الأشباح كما يصطلح عليه أرباب وحدة الوجود)، سيقول بإيمان يقيني (على مستوى حق اليقين) أنه لا يوجد إلا الله وأنه لا وجود لآلهة أخرى (أو لكائنات ذات قوة) من دونه!"

قلت: فأني شيء هذا إلا عين وحدة الوجود؟

ثم يقول (ص 98):

Someone who learns this truth understands that his own existence has the quality of an illusion, and grasps that a being which is an illusion will not be able to see a being which is absolute

"إن من يدري هذه الحقيقة، يفهم أن وجود نفسه موصوف بأنه وهم، فيقبل دعوى أن وجودا موصوفا بالوهم لن يكون قادرا على رؤية وجود موصوف بأنه مطلق"

ثم يستدل على نفيه رؤية الله تعالى مطلقا (لأنه مطلق الوجود ونحن وجودنا وهم في وهم، والوهم لا يمكن أن يرى الحق بعينه!!) بآية الأنعام: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام : 103]

ثم يعقب بقوله (في ذيل الصفحة):

Certainly, we human beings cannot see the Being of God with our eyes but we know that He completely encompasses our inside, our outside, our views and our thoughts

"قطعا، نحن البشر لا يمكننا أن نرى الله بأعيننا، ولكننا نعلم أنه يحتوي دواخلنا وخوارجنا، أبصارنا وأفكارنا، تمام الاحتواء!"

قلت: لاحظ أنه يقصد بالاحتواء ههنا الاحتواء الحقيقي، يعني بذاته جل وعلا، لأنها هي الوجود الحق وسائر ما سواها صور وأوهام في الأذهان. فإن لم يكن هذا تصريحاً بعقيدة وحدة الوجود، فهو تصريح بالاتحاد والحلول، وكلاهما زندقة، نسأل الله السلامة!

ويستدل الرجل لذلك الاعتقاد الموبق بقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي

الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ [آل عمران : 5]

ثم يقول في صفحة (99):

Certainly God, Who is Absolute Being, knows every aspect of the human beings He has created. This is a very simple thing for God. But some in their ignorance may find this hard to understand. However, when we observe the impressions we think are the "external world", that is, as we lead our lives, the closest being to us is not an impression, it is clearly God. The secret of the verse "We created man and We know what his own self whispers to him. We are nearer to him than his jugular vein" (Surah Qaf: 16) is hidden in this fact. But when a person thinks that his body is composed of "matter, the absolute entity," he cannot conceive of this important reality; this is again because he thinks that the nearest thing to him is his body

"لا شك أن الله، الذي هو الوجود المطلق، يعرف كل جانب من جوانب الإنسان الذي خلقه. هذا أمر هين للغاية على الله. ولكن بعض الناس في جهلهم يجد صعوبة في فهم هذه الحقيقة. ولكن عندما ننظر إلى تلك الانطباعات من حولنا التي نعتقد أنها "العالم الخارجي"، أي ونحن نمارس حياتنا، فإن الكائن الأقرب إلينا تحقيقاً ليس انطباعاً (قلت: بمعنى الوهم المتوهم في الذهن، الذي هو العالم الخارجي!!)، وإنما هو الله. وسر قوله تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)) [ق: 16] يكمن في هذه الحقيقة. ولكن عندما يظن الإنسان أن جسمه مكون من "مادة، وجودها مطلق"، فإنه لا يمكنه أن يدرك تلك الحقيقة المهمة: لأنه يحسب أن أقرب شيء إليه هو جسده!" انتهى.

قلت: هنا يصرح بأنه يرى أن جسم الإنسان وهم لا وجود له في الحقيقة، لا أن إدراكنا له وللمادة عموماً يختلف أو يمكن أن يختلف عن حقيقة وجوده في الخارج كما يفهم من كلامه في مواضع أخرى، ويصرح كذلك بأن قرب الله تعالى المذكور في آية (ق) إنما هو قرب حقيقي (لا بالعلم والإحاطة كما أجمع المسلمون على تفسيره)، لأن الجسد وهم (وجود غير مطلق) والله حقيقة (وجود مطلق). فليس الوجود المطلق *absolute existence* في عقيدته كما ترى إلا الوجود الحقيقي في الواقع، الذي ينفيه عن العالم الخارجي كله بما في ذلك جسم الإنسان! فإذا لم يكن للعالم ولا للإنسان وجود حقيقي، فلا موجود بحق إلا الله، وهو عين اعتقاد ابن عربي، ولكن بلغة جديدة.

ثم يواصل تأسيس فلسفته المتضاربة فيقول (ص 99):

For example, if this person conceives of his existence as being his brain, he does not admit the possibility that there is a being closer to him than his jugular vein. However, when he conceives of the fact that matter is not absolute and that everything is a facsimile that he experiences in his mind, then concepts such as outside, inside far and near have no meaning. His jugular vein, his brain, hands, feet, his house and his car that he thought were outside himself, even the sun, the moon and the stars that he thought were so far away, are all on the same plane. God has encompassed him all around and is eternally near to him

"على سبيل المثال، إذا كان هذا الإنسان يدرك أو يعقل أن وجوده هو وجود مخه، فإنه لا يعترف بإمكان أن يكون هناك كائن أقرب إليه من حبل الوريد. ولكن عندما يدرك حقيقة أن المادة "ليست مطلقة"، وأن كل شيء إنما هو صورة مطبوعة في ذهنه، فحينئذ تصبح مفاهيم كالداخل والخارج والقريب والبعيد لا معنى لها. فإن حبل وريده، ومخه ويده وأقدامه وبيته وسيارته التي كان يظن أنها خارجه عن نفسه، حتى الشمس والقمر والنجوم التي ظن أنها بعيدة عنه للغاية، كلها في الحقيقة على نفس المستوى (يعني مستوى الوهم أو الصورة في ذهنه!). فالله قد احتواه من كل جهة وهو قريب منه إلى الأبد." اهـ.

قلت هذا تخريف محض، أرجو ألا يحتاج إلى تحرير رد لإبطاله! أي شيء هذا أن وجود الإنسان هو وجود مخه، ومن يقول به؟ وكيف تكون الأشياء في الخارج إنما هي صور مطبوعة في ذهنه؟ وكيف يبطل وينهار معنى الداخل والخارج والقريب والبعيد؟ كل هذا حتى يصل إلى أنه ليس موجود في الخارج حقيقة إلا الله، وأما ما سوى ذلك فصور وأحوال وهمية! وهذا التخريف في نفي حقيقة معنى الداخل والخارج ومعاني الجهات وقلوبها إلى أوها، لازمه أن يكون النبي عليه السلام قد كذب على ربه وعلمنا وهما وخداعا حين شهد للجارية بأن قولها في جواب سؤاله "أين الله": "في السماء" هو الحق والإيمان! بل لازمه كذلك أن يكون كل نص جاء في القرآن بإثبات علو الله تعالى وأنه مستو على عرشه = باطل لا يصح، لأنه يصف وهما في أذهاننا، بينما الحقيقة في الواقع أن الله لا فوق ولا تحت ولا داخل العالم ولا خارجه وإنما هو فينا ومن حولنا، نسأل الله السلامة. فإن واجهت الرجل بهذه اللوازم، تبرأ وقال كلا أنا أثبت الواقع في الخارج ولا أنفيه، كما سيأتي، فالله المستعان على تلاعب تلك الطائفة ومراوغتها!

ويسوق الرجل في مقام الاستدلال لما تقدم من سفسطة، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي

قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة: 186]

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [الإسراء: 60] وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ

مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: 85]

ثم يشرح في نقل كلام ابن عربي في صفحة (103 - 104)، لبيان أنه لا حقيقة لأفعال الإنسان ولا لإرادته ولا لسببية أفعاله، وإنما كل ذلك وهم لا حقيقة له والله وحده هو الحق، فلا وجود إلا وجوده، ولا صفات إلا صفاته، ولا أفعال إلا أفعاله.

ثم تراه ينتصر لتلك العقيدة الخربة بما قدم نقله من كلام علماء الأعصاب وعلماء الإدراك، ففي

صفحة (106) يقول:

If you ask any scientist or professor of neurology where they see the world, they will answer you that they see it in their brains. You will find this fact even in high school biology text books. But despite the fact that it is clearly evident, information pertaining to

the fact that we perceive the material world in our brains and the results that this information entails for human beings can be overlooked. It is of major significance that one of the most important scientifically proven facts is so carefully hidden from people's eyes

"لو سألت أي عالم أو بروفييسور في علم الأعصاب أين يبصرون العالم، فسيكون جوابهم أنهم يبصرونه

في المخ. وستجد هذه الحقيقة مذكورة حتى في كتب الأحياء في المدارس الثانوية. ولكن على الرغم من

الحقيقة الواضحة الجلية، فإن المعلومات المتعلقة بحقيقة أننا ندرك العالم المادي في رؤوسنا وما

تستلزمه تلك المعلومات من تأثير على حياة الإنسان كثيرا ما تتجاهل. فإنه من الملفت حقا أن تكون

واحدة من أهم الحقائق العلمية الثابتة مخفية بهذه الدقة عن أعين الناس." اهـ.

وتفنيدا لشبهة الرجل التي أسس عليها كتابه هذا في الانتصار بتلك الحقائق العلمية لما يعتقد هو

وشيخه الهالك ابن عربي من خرافة، نقول إنه ما من عاقل من هؤلاء العلماء والباحثين الذين يذكر

كلامهم ويسوق أبحاثهم، ينفي عن العالم وجوده في الواقع، ويجعله وهما في وهم، ولو قال أحدهم بذلك لجعلوه أضحوكة بين أقرانه! ليس لأنهم ماديون كما يقول صاحبنا، ولكن لأنهم عقلاء (أو باقون على هذا الأصل العقلي على الأقل)، يعلمون أن إدراكنا للعالم الخارجي يثبت وجوده تحقيقاً ولا ينفيه، ويدل عليه دلالة قطعية، وأن مجرد التعرض لهذه الحقيقة القطعية بالتشكيك يفضي إلى السفسطة ويهدم العقل هدمًا!!

فالعلم الحديث يفرق بين قضيتين كليتين: الوجود المادي بقوانينه (العالم كما هو في الخارج)، وعمليات الإدراك في أذهان الناس التي بها ينشأ تصورهم وإدراكهم لذلك العالم الخارجي وحكمهم الفردي على ما فيه. وقد كثر كلام فلاسفة الأعصاب والإدراك المعاصرين ونزاعهم في تحرير الطرق العلمية الصحيحة التي يمكن بها تتبع عمليات الإدراك في أذهان الناس بصورة موضوعية، بالنظر إلى كون عملية الإدراك هذه عملية توصف في الأعم الأغلب بأنها عملية فردية *subjective* تتأثر في عقول الناس بمؤثرات شتى، ولكن لم يجزؤ أحدهم أبداً على ادعاء أنه لا وجود للمادة في الخارج أصلاً! كيف وبأي عقل يكون التفاوت بين إدراكنا لبعض مكونات الواقع، وحقيقة ذلك الواقع في نفسه، مؤداه نفي وجود الواقع نفسه في الخارج جملة واحدة، أو جعله صورة محصورة في قوالب رؤوسنا لا علاقة لها بما يحدثها في أذهاننا في الخارج؟

لو لم يوجد في الخارج واقع ندركه، أو جاز لنا أن ننسب ذلك العالم الخارجي المحسوس كما ندركه إلى الوهم المحض، لجاز لنا نسبة الوهم كذلك إلى كل ما نعقل وندعي (من طرق النظر الأنطولوجي) وجوده في الخارج، بما في ذلك وجود الخالق نفسه!

هذه العقيدة المضحكة، هي في الحقيقة خليط متذبذب بين مذهب فلسفي يعرف باسم *solipsism* وعقيدة وحدة الوجود *pantheism* وعقيدة الاتحاد والحلول *panentheism*. وهذا الأول هو اعتقاد الإنسان أنه لا يمكن الوصول إلى إثبات وجود الواقع الخارج عن الذهن، وأن الواقع الخارجي كله يجوز ألا يكون إلا وهما يتوهمه الإنسان في ذهنه. والفرق الجوهرى بين عقيدة هارون يحيى وذلك

المذهب أنه مع نفيه لوجود شيء حقيقي خارج الذهن (أو نسبته الوهم إلى كل ما سوى الله)، فإنه يثبت وجود الله ويجعله حقيقة مطلقة لا يمكن الجزم بوجود ما سواها. وثمة فرق آخر أن الوجدويين *solipsists* يرى كل واحد منهم أنه لا عقل إلا عقله في الحقيقة، والبشر كلهم من حوله وهم في وهم. أما هارون يحيى فلا ينكر وجود عقول البشر من حوله، وهو ما يوقعه في التناقض في الحقيقة. فإذا كان لا يرى وجودا حقيقيا إلا الله، فما هو العقل وما تلك العقول التي يثبتها من حوله؟ هل يثبت حقيقتها أم ينفيها؟ وهل هي أوهام لا توجد عند كل فرد من أفرادها إلا في داخله وفيما يتصور؟ كيف إذن يثبت لنفسه وجود ذاته بانفصال عن ذات الله كما يثبت ذلك لغيره من ذوات البشر، إذا كان يرى أن لا وجود لشيء في الحقيقة إلا الله؟

ثم إن تلك العقول الموجودة في الحقيقة لا تنتظم علاقتها فيما يتفقون على إدراكه من تواصل بينهم في الواقع، إلا من خلال ما يدركون حقيقته من العالم الخارجي من وسائط مادية يشتركون في إدراكها والتعامل معها، فكيف يثبت صاحبنا تعدد تلك العقول وتفاعلها في الواقع ومعه على نحو ما نرى، ثم ينفي العالم الخارجي كله ويكتفي بجعله وهما نتصوره جميعا؟

لذا باتت تتفق القاعدة العريضة من علماء النفس اليوم على أن مذهب الوجدوية هذا *solipsism* ليس في حقيقته إلا مرضا نفسيا *psychopathology*!!

وفي الواقع فعندما قبل هارون يحيى بتهمة وحدة الوجود، تناقض، وشدد في نفي نسبة عقيدته تلك إلى وحدة الوجود، فقرر أنه يثبت أن الله خلق كل شيء، ويؤمن بأن العالم الخارجي موجود في الواقع تحقيقا ولكننا لا نراه كما هو على حقيقته. مع أنه يثبت أن البشر كلهم يتفقون على رؤيته على وجه واحد (من حيث الأصل)، وأن الملائكة كذلك تراه كما نراه! فإذا كان ذلك كذلك فأى طريق يملكه عاقل إلى إثبات أن هذا الإجماع الإدراكي قد وقع على شيء حقيقته تخالف ما ندرك جميعا؟ إن مجرد ثبوت التباين النسبي بين إدراكات البشر لبعض الموجودات في العالم، لا يوصل منه إلى نقض المطلقات المجمع عليها في إدراك العقلاء لما هو مشاهد في العالم الخارجي! وعليه فلا مستند له من الحس ولا من العقل ولا من النقل لنصرة ما يقول به من مخالفة ما تصوره لنا عقولنا لما عليه الواقع،

وإنما هو التعلق بعقيدة ابن عربي لا غير، وفتح الباب لإمكان أن يؤول ذلك الواقع الخارجي الذي يأتي إلى عقولنا وإدراكنا فنراه كما نراه، على أنه ليس إلا صفات الخالق نفسه في الحقيقة، والله المستعان!

يقول هارون يحيى ردا على ناقيه في مقال له بعنوان "السر وراء المادة، ليس هو وحدة الوجود"

<http://www.harunyahya.com/articles/50wahdatulwujood.php>

Having misunderstood the essence of the subject, these people claim that what is explained as the secret beyond matter is identical to the teaching of Wahdatul Wujood. Let us state, before all else, that the author of this book is a believer strictly abiding by the doctrine of Ahlus Sunnah and does not defend the view of Wahdatul Wujood. However, it should also be remembered that Wahdatul Wujood was defended by some leading Islamic scholars including Muhyiddin Ibn 'Arabi. It is true that numerous significant Islamic scholars who described the concept of Wahdatul Wujood in the past did so by considering some subjects found in these books. Still, what is explained in these books is not the same as Wahdatul Wujood

"بسبب سوء فهمهم (يعني من نقدوه) لجوهر المسألة، زعم هؤلاء أن ما شرحناه على أنه السر وراء المادة، يطابق عقيدة وحدة الوجود. فلنقرر أولا وقبل كل شيء، أن كاتب هذا الكتاب يؤمن إيمانا راسخا بعقيدة أهل السنة، وأنه لا ينتصر للقول بوحدة الوجود. ومع ذلك، يجب أيضا أن نتذكر أن وحدة الوجود قد انتصر لها بعض علماء الإسلام الكبار، ومنهم محيي الدين بن عربي. صحيح أن عددا كبيرا من علماء الإسلام الذين وصفوا مفهوم وحدة الوجود في الماضي اعتمدوا في ذلك على بعض الموضوعات الموجودة في تلك الكتب (يعني كتب ابن عربي)، إلا أن ما شرح في تلك الكتب ليس هو وحدة الوجود. " اهـ.

ونقول ما أسهل أن يدعي كل أحد أنه على عقيدة أهل السنة، وقد قامت بضد دعواه الحجج البيّنات!

أود أن ألفت نظر القارئ ابتداء إلى هذا التناقض في كلامه، إذ يزعم أولا أن القول بوحدة الوجود قول معتبر قد انتصر له علماء كبار منهم ابن عربي (فيسوّغ الخلاف فيه، وحسبك بهذا ضلالا)، ثم يرجع

ويقول إن ما في كتب ابن عربي (مما نسبته العلماء إلى وحدة الوجود بسببه) ليس حقيقته وحدة الوجود!!

بل يتبع ذلك في الفقرة التالية مباشرة بقوله:

Some of those who defended the view of Wahdatul Wujood were engrossed by some erroneous opinions and made some claims contrary to the Qur'an and the doctrine of Ahlus Sunnah

"إن بعض أولئك المدافعين عن وحدة الوجود، قد وقعوا في آراء خاطئة وزعموا دعوائاً مخالفة للقرآن وعقيدة أهل السنة" اهـ.

قلت وإذن فالبعض الآخر لم يخالف ما في القرآن ولم يخالف عقيدة أهل السنة! فما هي تلك المخالفات عنده؟ يقول ممثلاً لتلك المخالفات (نفس المصدر السابق):

They, for example, completely rejected the creation of Allah. When the subject of the secret beyond matter is told, however, there is definitely no such claim. This section explains that all beings are created by Allah, and that the originals of these beings are seen by Him whereas people merely see the images of these beings formed in their brains

"فقد ذهبوا، على سبيل المثال، إلى نفي خلق الله تعالى مطلقاً. ولكن نحن حين نعرض مسألة السر وراء المادة، فإننا لا نزعم زعماً كهذا بحال من الأحوال. وإنما هذا القسم يشرح كيف أن كل الموجودات قد خلقها الله، وأن أصل تلك الموجودات يراه الله أما نحن فلا نرى إلا صورها التي تتكون في أذهاننا." اهـ.

قلت: فليتنبه القارئ إلى إن الرجل مع تسويغه الخلاف حول "وحدة الوجود" كما تقدم، لم يكذب يكد من مثال يضربه على مخالفات "بعض القائلين بها" للقرآن سوى قوله إنهم ينفون الخلق مطلقاً! ولقد ذهب هارون يحيى في الحقيقة إلى التمثيل لعقيدته بفكرة فيلم "الشبكة" Matrix، وألف كتاباً

كاملاً بعنوان: Idealism: The philosophy of the Matrix and the true nature of matter

حيث يستند في بيان فكرته على فكرة فيلم "ماتريكس" الذي تدور قصته حول عالم افتراضي رقمي وهمي صنعتها بعض الماكينات في المستقبل وأدخلته إلى عقول البشر ليصبح هو الواقع في ظن الناس جميعاً، وليتخذوهم عبيداً لهم من حيث لا يشعرون! فيقول صاحبنا إذا كان هذا ممكناً ومتصوراً في العقل، فما المانع من أن يكون العالم الخارجي كذلك حقاً، عالماً افتراضياً وهمياً قد ركب في وعينا وإدراكنا، بينما الواقع ليس فيه وجود مطلق إلا الله وحده؟

وأقول ما أخيبها من عقيدة تلك التي لا يجد صاحبها سنداً لها إلا في فيلم من أفلام هوليوود، والله المستعان!

يقول صاحبنا في كتابه المذكور (ص 12):

Saying that matter is an illusion does not mean it does not exist. Quite the contrary: whether we perceive the physical world or not, it does exist. But we see it as a copy in our brain or, in other words, as an interpretation of our senses. For us, therefore, the physical world of matter is an illusion. The matter outside is seen not just by us, but by other beings too. The Angels Allah delegated to be watchers witness this world as well: And the two recording angels are recording, sitting on the right and on the left. He does not utter a single word, without a watcher by him, pen in hand! (Surah Qaf: 17-18 Most importantly, Allah sees everything. He created this world with all its details and sees it in all its states

"إن القول بأن المادة ليست إلا وهماً، لا يعني أنها لا وجود لها. بل على العكس تماماً: فسواء أدركنا العالم المادي أم لم ندركه فهو موجود. ولكن ما نراه إنما هو نسخة تنطبع عندنا في المخ، أو بعبارة أخرى، ترجمة له تأتينا عبر حواسنا. لذا فإن العالم الخارجي بالنسبة لنا ليس إلا وهماً. والمادة في الخارج لسنا وحدنا من يبصرها، وإنما تراها الكائنات الأخرى كذلك. فالملائكة التي خصصها الرب لتكون رقيباً شهيدة على هذا العالم تراه كذلك، والملكان الموكلان بكتابة الأعمال يجلسان على يمين الإنسان وشماله. ((مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)) [ق: 18]، وأهم من ذلك أن الله يرى كل شيء، فهو الذي خلق العالم بكل تفاصيله وهو يراه في كل أحواله."

قلت إذن فهو يثبت أن العالم الذي تراه الملائكة وسائر المخلوقات، تشترك جميعها في رؤيته على صورة واحدة، ولكنه يقول إن تلك الصورة ليست إلا وهما يشتركون فيه جميعا، والواقع بخلافه! وهذا الأمر ممكن ومتصور في العقل بدليل قصة فيلم ماتريكس!! فإلى الله المشتكى! وتأمل التناقض الفج! كيف تكون المادة موجودة والعالم موجودا في الخارج وجودا حقيقيا، ومع ذلك فبالنظر إلى كوننا لا نراها إلا من خلال الحواس والمخ، فلا نعتبرها إلا وهما؟ إذا كان العالم وهما، فما الحقيقة إذن وكيف نعرفها؟ وهل يدري صاحبنا معنى "الوهم" في اللغة؟ نعم يدريه تمام الدراية، وهو في هذا الكتاب يريد إثبات أن الواقع الذي نراه لا حقيقة له وأنه ليس ثمَّ موجود بحق إلا الله! فإذا ما نوقش في ذلك آل كلامه بكل سهولة من وحدة الوجود إلى صورة من صور الاتحاد والحلول (كما ظهر في بعض النقولات أعلاه)! المهم أن يكون شيخه ابن عربي محقا في عقيدته، وألا يكون العالم إلا وهما، أو إن كان له حقيقة، فذات الله هي تلك الحقيقة مشهودة في كل شيء فيها، فلا حقيقة للأشياء إلا حقيقته سبحانه، كما هو قول فلاسفة التصوف! فالحاصل أن عقيدة هارون يحيى في أصل المادة إنما هي تقلب بين مذاهب وحدة الوجود والاتحاد والحلول وغيرها من المذاهب الفلسفية المشابهة، تماما كما تقلب من قبل شيخه وأستاذه ابن عربي! وإذا كان الناس قد تلمسوا لابن عربي المخارج بدعوى أن كلامه كان يقصد به تجربة المتصوف وما يغمر شعوره من فناء العالم من حوله في حال تأمله في حضرة ربه وإغراقه في ذلك، وليس أن الله هو عين المخلوق أو أنه حال فيه تحقيقا، فلا إخالهم يجدون هذا المخرج نفسه لتلميذه هذا، الذي راح يستعمل الحقائق العلمية في علم الأعصاب والإدراك وغيره، ليثبت أن الواقع ليس كما نراه، وأنه ليس من موجود حق (مطلق) فيما وراء هذا الوهم إلا الله! على أي حال فالذي أرجوه أن يكون قد تحقق المقصود بهذا القدر من النقل والتعقيب في هذا المبحث الموجز، وأن يكون طلبة العلم على ذكر من هذا وعلي بينة من مؤلفات هذا الرجل، وألا يضربوا بعضها ببعض، وألا يحيلوا العوام عليها بل يحذروهم منها ولا يدلوهم عليها، فالشأن ههنا يا إخوان في بدعة كفرية كبرى لا يستهان بها، والرجل كلامه مشحون بها، وقد خصص لها فوق ذلك كتابين كاملين كما رأينا، ولا حول ولا قوة إلا بالله! فليتبه الإخوة لهذا، والله الهادي لا رب سواه، والحمد لله رب العالمين.

رسالة: فصل المقال في التحذير من بدعة تشبيه الأفعال

الحمد لله الكريم المتعال، الموصوف بأحسن الصفات وأحكم الأفعال، المنزه عن مشابهة خلقه بحال من الأحوال، والصلاة والسلام على خيرة الخلق سيد الرجال، وآله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم السؤال..

أما بعد، فمما يؤسف له أن كثيرا من الدعاة المبتدئين في طلب العلم يحسبون أن الرد على شبهات الملاحدة أمر سهل ميسور يحسنه كل عاقل، على اعتبار أن الأصل العقلي الأعظم الذي ينقضه هؤلاء الجحدة بإلحادهم وشبهاتهم لا يخفى على ذي لب ضرورته وبدايته أصلا! وهو كذلك ولا شك (أي ذلك الأصل العقلي الكلي)، ولكن ما لا يدركه أكثر هؤلاء أن شبهات الفلاسفة (على وهائهما) بحر لا ساحل له، وأن تلك الفرق الكلامية الهالكة الكثيرة ما ظهرت في تاريخ أمتنا يوم ظهرت، إلا من تصدي أنصاف المتعلمين للرد على شبهات فلاسفة اليونان. مادة وافدة مترجمة فيها من الإلحاد ما فيها، تعلمها هؤلاء وتأثروا بها، وتصدوا للرد عليها من غير أن يكون لهم قدم راسخة في العلم بالكتاب والسنة وبحيل السوفسطائيين في المراء والجدل، فاعتزل منهم من اعتزل وتجهم من تجهم، وقال قوم بالقدر وقال آخرون بالجبر، ونفى قوم عن ربهم صفاته تنزيها وغلا بعضهم فمثلوه بخلقه، ورد كل فريق منهم على الآخر بدعة بدعة وضلالة بضلالة وغلوا بغلو مقابل، حتى صارت تنبت النظريات والبدع والطوام فيما بينهم وتتكاثر كما ينبت الدود في اللحم! وإني والله لأرى التاريخ يوشك أن يتكرر، لتمضي فينا تلك السنة الكونية مرة أخرى في زماننا هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فما أكثر أن ترى حدثا صغيرا يدخل إلى متنديات الملاحدة ليجادلهم في شبهاتهم الفلسفية، التي ربما يرجع بعضها إلى ثلاثة آلاف سنة مضت أو يزيد، وكثير منها لم يعرفه الأولون وإنما ظهر حديثا تحت

فلسفة الطبيعيات ونحوها، تأسيساً وتفريعاً في المجمل على تلك الفلسفات القديمة نفسها، فتراه يتقلب ما بين موافقة المعتزلة تارة، وموافقة الأشاعرة تارة، وموافقة النصارى "الخلقيين" ونحوهم من تلك النحل الفلسفية الطبيعية المعاصرة عند أهل الكتاب تارات وتارات من غير تمييز ولا تدقيق، وهو يحسب أنه يحسن صنعا، فما أشبه الليلة بالبارحة، والله المستعان! وما ظهور تلك الطائفة التي تقول ببدعة "التطور الموجه" في خلق الله لصور الحياة على الأرض منا ببعيد! قوم أنصاف متعلمين في شريعة رب العالمين، فتنهم ما وقفوا على مطالعته من نظريات الغرب، وكبر في نفوسهم جدا أن يردوا جميع ما عند هؤلاء من الباطل لعظمه ولخفاء وجه بطلانه على الأكثرين منهم، فإذا بهم يرومون "الوسط الغلط" (إذ لا وسط بين الحق والباطل إلا الباطل)، وينسبون إلى الله تعالى من عقائد أصحاب تلك النظريات ما لازمه نسبة النقص إليه وإلى صفاته جل وعلا، ورد ما أطبقت عليه الأمة قرونا طويلة فيما تعتقده من أمر الخلق الأول للأرض وما عليها!

ولعل من أخطر البدع التي يتعرض لها المسلمون عند تصدرهم للرد على شبهات الملاحدة: بدعة "تشبيه الأفعال"، وهي بدعة اشتهرت بها المعتزلة من متكلمة المسلمين تأثرا بالملاحدة والوثنيين، فرأيت أن أضع هذه الرسالة في بيانها والتحذير منها ومن مداخلها، عسى الله أن ينفع بها المسلمين وأن يعصمهم من كل بدعة يخفى ذيلها على أكثر الناس، والله الهادي إلى سواء السبيل.

ترجع بدعة "تشبيه الأفعال" في الأصل والمنشأ إلى إبليس اللعين. يقول الشهرستاني في الملل والنحل: "وذاك (أي تشبيه الأفعال) من سنخ (يعني أصل) اللعين الأول؛ إذ طلب العلة في الخلق أولا، والحكمة في التكليف ثانيا، والفائدة في تكليف السجود لآدم عليه السلام ثالثا." اهـ. (المجلد الأول ص 18).

وقد علمت كيف أن إبليس لما أراد أن يتصور العلة والحكمة من أمر الخالق مخلوقا بالسجود لمخلوق مثله، لم يستند إلا إلى أصل جاء به من قياس أفعال ومقاصد ربه على أفعاله هو ومقاصده هو فيما يقدر من مثل ذلك، ألا وهو تصوره أحقية من هو أحسن أو أكمل في أصل خلقته في أن يكون هو الأولي بأن يسجد له من هو دونه في ذلك لا العكس. فلو أنه كان خالقا، وأراد أن يأمر شيئا من خلقه

بالسجود لغيره من مخلوقاته، لأمر الأدنى في أصل خلقته بالسجود للأحسن خلقة وتصويراً، أو لعله كان يأمر الأضعف بالسجود للأقوى، أو الأنقص بالسجود للأكمل، بحسب تصوره للعلل والحكم وما يختاره هو من مقياس في مثل ذلك إن قدرنا وقوعه منه! ومن هنا، من هذا التشبيه المغرق في الكبر والغرور، جاء اعتراضه في جواب قول الله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، بأن قال ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (١٢) الآية [الأعراف : 12] وقال ﴿قَالَ أَتَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (١١) الآية [الإسراء : 61].

كان هذا هو أول ظهور لبدعة أن يتكلف مخلوق تصور الحكمة والعلة في أفعال الله تعالى وأوامره وإراداته، من طريق قياس أفعال الله على أفعاله هو وخياراته وترجيحاته فيما يفعل وما يريد. ولعله كان رأس الإلحاد وأساسه عند التأمل. ذلك أن إبليس لم يكن كفره من جهل ولا من تعلق لديه بمخلوق آخر من دون الله يجعله له ندا، وإنما كان كفره من كراهية نفسه الخضوع لتكليف رباني لم يأت على هواه! فما وجد اللعين إلا أن يزعم أنه لم يقتنع بأن هذا التكليف من العدل أو من الحكمة، فنفي عن خالقه الصفتين جميعاً وجحد حق ربه وهو يعلم أنه على باطل، واشترط شرطاً للطاعة والخضوع لأمر الخالق هو يعلم وهاء وبطلانه. فأى شيء هذا إلا أصل أصول الإلحاد بجميع صورته وفروعه؟

الإلحاد كفر إباء واستكبار وهو من كفر إبليس مهما زعم أصحابه خلاف ذلك! إبليس لم يكن كفره بتكذيب شيء يراه بعينه، فهو لم ينكر وجود الخالق جل وعلا، وإنما أنكر حق خالقه الواجب ببداهة العقل في أن يأمره بشيء فيطيعه في ذلك خضوعاً وإذعاناً وإن خفيت عليه الحكمة من وراء ذلك الأمر. وكذلك الملاحدة لم يكفروا بشيء يرونه بأعينهم، وإنما أنكروا حق الخالق في أن يخضعوا لسلطانه، وهذا هو الأصل الجامع لسائر نحل الإلحاد في زماننا، سواء ما يسمي باللا-دينية أو "اللا-أدرية" أو "الربوبية" أو غير ذلك من صنوف الإلحاد وألوانه. فبصرف النظر هل بلغت بهم السفاهة أن أنكروا وجوده بالكلية أم اقتصروا على التوقف فيه أم قالوا بخالقي لا يأمر ولا ينهي ولا إرادة له أصلاً، أم قبلوا كونه أمراً ناهياً ذا سلطان ولكن زعموا أنهم لا يظهر لهم رجحان شيء من تلك الأديان ونسبتها إليه، فإن أصل الأمر واحد لديهم جميعاً: كفر إبليس! "أأخضع لحكمك وأنا لا أراك؟ أطلبني بعبادتك من

غير أن تجعلني على ما أحب، بل وأنت تأمرني بما أكره؟"، تماماً كما قال سلفهم اللعين: ((أسجد لمن خلقت طينا))؟

هذا الأصل الشيطاني جاء من اعتقاد المخلوق المكلف بشيء من تكاليف خالقه أن من حقه أن يعترض على ذلك التكليف لخفاء الحكمة فيه عن نظره، أو لكونه يرى فيه أو في غيره من تكاليف الخالق ما لا يستقيم وجه العدل أو الخير الراجح فيه على ميزانه ومقياسه المعرفي للخير والشر! فتراه يحكم على أفعال خالقه وإراداته وكأنما يحكم على مخلوق مثله، والله المستعان. وقد تسرب هذا الأصل الباطل المشين إلى أتباع سائر الملل والنحل على أثر فلسفات الملاحدة، فأخرج منهم طوائف تنسب إلى الله ما لا يليق بذاته، وأخرى تنفي عنه ما تزعم أنه يجب أن يتنزه عنه، بتحسينات وتقبيحات عقلية مغرقة في عين ذاك القياس الفاسد الذي قاسه إبليس من قبل، وانطلقت منه فلسفات الإلحاد في أصلها الأول حتى بلغ الأمر أن رأينا من يزعم أن صفات الخالق التي يزعمها أهل الأديان متناقضة لأنه يخلق الشر ولا يمنعه وهو قادر على منعه، فتحصل من ذلك أنه لا وجود له أصلاً، وإلى الله المشتكى!

وقد كان لأمة النبي الخاتم حظ من ظهور من وقع في تلك المهلكة العقلية بين أظهرهم، تأثراً بفلسفات الملاحدة واعتراضاتهم، وهؤلاء عندنا هم المعتزلة ومن تشعب عنهم ووافقهم. ذلك أنهم ذهبوا في جواب الملاحدة - كما سيأتي معك - إلى أقوال يحسبون أنهم بها ينزهون الخالق عن قبيح ما زعمته في حقه الملاحدة، مستندين في تلك الأقوال إلى نفس الأصل العقلي الذي أدى بالملاحدة إلى نسبة تلك القبائح إلى خالقهم بالأساس، سبحانه وتعالى وتقدس، ألا وهو "تشبيه الأفعال"، أو بعبارة أخرى: الوصول إلى الحكم على أفعال الله وإراداته بالقياس على المخلوقين، والتحسين والتقبيح تأسيساً على هذا القياس.

فمن تشبيه المعتزلة للأفعال بتحسينهم وتقبيحهم العقلي، أنهم قالوا بوجوب فعل الأصلح للعباد على الله. لماذا قالوا بهذه المقالة؟ لأن الملاحدة قالت إن الخالق إذا كان قادراً على فعل الأصلح للمخلوق ولم يفعل فهو ظالم له بذلك، أو ناقص عن حد الكمال، فكان جواب هؤلاء الجهلاء أن قالوا بل إن فعل الأصلح في حقه واجب ولا يفعل إلا الأصلح للعباد وجوباً، فوافقوا الملاحدة على أصل شبهتهم

بذلك، ألا وهو القياس في الحكم على الأفعال والإرادات الإلهية، على ما يكون من المخلوق وما يحسن في نظر المخلوق!

ومن تشبيه الأفعال عندهم أنهم قالوا بوجوب الوفاء بالوعد مطلقا وإنجاز الوعيد مطلقا على الله تبارك وتعالى. وهو تشبيه فاسد حتى على التسليم تنزلا بمعقولية ومشروعية ذلك القياس الذي قاسوه! ذلك أنهم قالوا إن الله تعالى يقبض منه ألا يجزي عبدا طائعا على طاعته وألا يعاقب عبدا مذنباً على ذنبه، لأنه قد سبق منه الوعد للطائعين والوعيد للمذنبين، وترك الوفاء بالوعد ظلم وترك إنجاز الوعيد قبيح. ولا شك أن هذا منهم هو القبح بعينه لأن صاحب التشريع إذا ما وعد بالجزاء عن عمل ما، فإنه يعد النوع لا العين، وكذلك في الوعيد، ووجه ذلك أن من فعل المأمورات فإنه قد يستحق الجزاء المنصوص عليه (أي له بعينه) في تقدير صاحب التشريع وقد لا يستحقه، ومن فعل المنهيات فقد يستحق العقوبة المنصوص عليها وقد لا يستحقها، كل ذلك مع بقاء الوعد والوعيد ماضيين في محاسبة النوع بعموم، وليس هذا من الظلم ولا من إخلاف الوعد المذموم في شيء! وسبب كون العقل يجيز ذلك الأمر دون أن يجعله قبيحا بإطلاق في حق من فعله كما زعمته المعتزلة، أنه سواء نظرت في فعل المكلف المأمورات (التي فيها الوعد بالجزاء) أو إتيانه المنهيات (التي فيها الوعيد بالعقوبة)، فإن كلا الوجهين تحتف بهما أحوال ظاهرة وباطنة عند ذلك المكلف قد يعلمها من يقضي فيه بالحكم (جزاء أو عقوبة) وقد تخفى عليه، وهي أحوال لا يخفى منها شيء على خالق الخلق تبارك وتعالى.

لذا فإننا إذا ما تكلمنا عن محاسبة رب العالمين لمخلوقاته، فمن الأمور التي يجب ألا يتغافلها العقلاء أن الخالق سبحانه قد سبق منه إغراق عبده في سابغ النعم والعطايا في الدنيا تحقيقا، فلو أنه حاسبه محاسبة المعاوضة لأهلكه، لأننا إن سلمنا تنزلا بأن العبد إنما يكلفه خالقه بالعبادة لشكر النعم فقط لا غير، لما كفته عبادة الدهر كلها حتى يفي بعوض نعمة واحدة من نعم الله عليه! فإن تفضل سبحانه على من فعل الطاعة المقبولة بمزيد من العطايا والنعم مكافأة له، فلا يقال إن أداء هذه المكافأة إليه حق واجب على الرب تبارك وتعالى مطلقا على سبيل المعاوضة بمجرد وقوع الطاعة، لمجرد أنه قد سبق منه الوعد للطائع (نوعا) بأن يثيبه بمزيد من النعيم! هذا سوء أدب واضح مع الرب جل وعلا، قد

غرقت فيه المعتزلة كما لم يقع من طائفة أخرى من أهل القبلة قاطبة! وقد كان يكفيهم أن يقولوا إن الله تعالى لن يثيب من حق مثله أن يعاقب، ولن يعاقب من حقه أن يثاب، لأن هذا ولا شك نقص وخلف لا يصح في حقه سبحانه! ولكنهم أبوا إلا أن يدخلوا في مسألة من الذي حقه أن يثاب، ومن الذي حقه أن يعاقب! فمن جهلهم وقصور عقولهم قرروا ذلك تحكما بأقيستهم الساقطة، فقالوا إن مجرد فعل الطاعة يوجب المثوبة للفاعل مطلقا، ومجرد فعل المعصية يوجب العقوبة للعاصي مطلقا، فلا يجوز إذن أن يقابل طائع بعدم المثوبة أو عاص بعدم العقوبة، فإذا بهم يوجبون على الله تعالى قبول كل طاعة ويحرمون عليه مغفرة كل ذنب، وهذا من تحكمهم في علم الله ورحمته وحكمته بعقولهم، قاتلهم الله! ثم إنه قد علم أن العفو عند المقدرة مستحسن في أحوال، بل يكون في تلك الأحوال من شيم الكرام، فتأمل كيف انتقص هؤلاء السفهاء من ربههم إذ زعموا أنه ما كان ليعفو عن مذنب قط، ما دام قد تواعد المذنبين (نوعا) بالعقوبة! وهو ما يعني أنك قد ترى الواحد منهم يستحسن عفو ملك قادر من ملوك الدنيا وتركه إنجاز الوعيد في بعض رعاياه المذنبين لخير يراه فيهم أو مصلحة راجحة في علمه أو نحو ذلك، ومع هذا لا يجيز وصف خالقه بنفس هذا المعنى الحسن مطلقا، فسبحان الذي أبى إلا أن يعامل أهل البدع بنقيض مقصدهم، وأن يوقعهم بكل بدعة يتدعونها في أذم وأشد مما زعموا أنهم يفرون منه!

ومن تشبيه الأفعال عند المعتزلة، قولهم بوجوب إرسال المرسلين على الله تعالى لأنه الأحسن والأصلح لهم في الحياة الدنيا، والله لا يفعل إلا الأحسن والأصلح. فما هذا الأحسن والأصلح ومن أين لهم بالقول به؟ إنه الأحسن والأصلح للعبد وبمقياسه هو، لا بحسب ما يكون في علم الخالق جل وعلا وحكمته! هذا جوابهم لدعوى الملاحدة قبح "التستر الإلهي" خلف ستار الغيب، وأنه لو كان يريد الخير لخلقه لما استتر عنهم ولما منعهم من رؤيته كما يرى الواحد منهم الشمس في السماء! فكان جوابهم القياس والتشبيه في الفعل والإرادة بقياس وتشبيه مثله، أو بعبارة أخرى، كان جوابهم للشبهة المنبثقة عن أصل التشبيه، بإثبات ذلك الأصل الباطل نفسه ثم التفريع عليه! فقالوا إن إرسال المرسلين عليه واجب لأنه لا يجوز في حقه أن يتخلف عن فعل ما هو أحسن، فلا يهدي العباد إلى معرفته

والاتصال به. فأى شيء هذا إلا عين التحكم القبيح الذي تحكمته الملاحظة (إعمالاً لأصل القياس على أفعالهم وإراداتهم) حين قالت إنه يقبح منه (سبحانه وتعالى عما يصفون) ألا يظهر نفسه لخلقه في الدنيا فيريهم إياه رأي العين؟

لا يجب على الله تعالى من الأفعال والإرادات إلا ما أوجبه هو على نفسه، سبحانه وتعالى، أو ما كان خلافه قبيحاً بمجرد معناه اللغوي، لا بالقياس والاقتضاء والاستلزام ونحو ذلك، ولهذا ينبغي في هذا المقام أن نفرق بين طريقين من طرق التحسين والتقبيح العقلي في حق الله تعالى، يرجع أحدهما إلى هذا الأصل البدعي الإبليسي، بينما يقوم الآخر على الترجيح الفطري المستقيم.

❖ التفريق بين تشبيه الأفعال وإثبات المعنى المشترك:

ينبغي التنبيه إلى أن التحذير من تشبيه الأفعال لا يعني أننا ننفي وجود اشتراك معنوي بين صفات الذات وصفات الأفعال لله تعالى، وصفات المخلوقين. بل إن الاشتراك المعنوي صحيح ثابت، ولولاه ما عرفنا ربنا وما أمكننا أن نعقل له صفة لا في كتابه ولا في سنة نبيه! ولكن الاشتراك في المعنى لا يجوز في العقل ولا في الشرع أن يتجاوز الإنسان إلى ما وراءه من المعاني الإضافية فيقع بذلك في قياس الخالق على خلقه!

والقياس المذموم ههنا في حق الله تعالى هو ذلك النوع الذي يجري فيه استنباط الوصف أو المعنى المجهول لذات من الذوات أو شيء من الأشياء، بالنظر إلى اشتراكه مع شيء آخر في وصف معلوم. ومثاله أن تقول: إن الأرض كروية، ومن ثم فإن من تحرك عليها فستظل المسافة بينه وبين مركزها ثابتة أبداً (على التسليم لمصلحة المثل ههنا بانتظام كرويتها). هنا كان المجهول من وصف الأرض هو المسافة بين كل شيء يتحرك عليها وبين نقطة اعتبارية في الفراغ يقال لها مركزها. فلما تحقق العلم بأنها كروية الهيئة، وعُلم أن من صفات الكرة ثبات قطرها وتساوي المسافة بين كل نقطة على سطحها وبين مركزها، انتقل الوصف المجهول (ألا وهو تقدير تلك المسافة) في شأن الأرض من وصف الكرة (التي هي شكل هندسي مجرد له خصائصه الهندسية المعلومة)، إلى الأرض التي كانت من قبل مجهولة

الوصف في هذا الجانب. وكانت علة القياس أن كل كرة يجب أن تكون المسافة بين مركزها وبين جميع النقاط على سطحها متساوية في أي موضع من ذلك السطح.

هذه العلة كما ترى إنما علمناها بالاستقراء والتتبع لما يقع تحت طائفة الحس من موجودات، مع إعمال الأقيسة بأصنافها جمعا للمتماثلات وتفريقا للمختلفات، حتى أصبحنا نعرف في مجموع ما نعرف أن الإنسان من صفاته أنه إذا فعل كذا، فلا تكون في نفسه من الغايات والإرادات إلا كذا أو كذا، وأن أفعاله تتعلل بكذا وكذا، وتتقيد بقيد كذا وكذا، إلى آخر تلك الأقيسة التي عرفناها من استقراء المتشابهات فيما نرى من حولنا من مخلوقات الله ومن تصنيفها في أصناف وأقسام. وسبب مشروعية ومعقولية قياس كهذا في أجناس وأصناف المخلوقات، أننا نقف على معرفة صحيحة لجملة كبيرة من الصفات المتلازمة المجتمعة في كل صنف من تلك الأصناف، كانت معرفتها عندنا بمجموعها هي السبب في صحة دخوله - قياسا - في هذا الصنف أو ذاك، بل في صحة مبدأ التصنيف نفسه من الأساس، تماما كما عرفنا مجموع الصفات التي باجتماعها يقال للشكل إنه "كرة" أو "دائرة" أو نحو ذلك. فما دمنا نتكلم عن شيء (أو ذات) حادث يجيز العقل تكرار حدوثه، فنحن بالضرورة نتكلم عن صنف أو نوع يجيز العقل قياس أفراد (ذواته) بعضها على بعض، ونقل الحكم من أحدها إلى الآخر، متجاوزا بذلك حد الاشتراك المعنوي في الوصف المشترك إلى جعله علة لافتراض التكرار النوعي ومن ثم نقل الحكم من المعلوم إلى المجهول من صفات تلك الأشياء أو الذوات تبعا لذلك.

أما عندما نتكلم عن ذات متفردة يوجب العقل انفرادها بالأولية والأزلية، فإن عقولنا التي توجب لتلك الذات العلية الفريدة ما تشترك في معناه مع ذوات المخلوقين من الصفات، هي نفسها التي تمنع من تجاوز ذلك الاشتراك المعنوي في وصفها إلى إثبات صفات إضافية (للذات أو لأفعالها) من طريق القياس، لأنه معلوم بالبدهة أنها يجب ألا يكون لها كفو أو شبيه أو نظير أصلا! لا تعليل لحادث من الحوادث في الوجود يخرج عن تلك الذات المفردة، بل كل الحوادث تتعلل بها أصلا، وينتهي مسلسل أسبابها (كل الأسباب قاطبة) إليها وحدها! والعقل يوجب لتلك العلة الأولى من الصفات ما يقتضيه ذلك التعليل، وهي معاني مشتركة وجوبا بين العلة الأولى وما تحتها من العلل الفاعلة في سلسلة

التعليل، لأن التعليل لا يصح إلا بها أصلاً. فلا يعقل أن يقع إحداث أو تكوين أو تركيب بغير إرادة (مثلاً) لدى فاعل مكوّن مركّب، فوجب أن يكون في العلة الأولى وصف الإرادة، ولزم - وهو ما يعيننا ههنا - أن يكون مشتركاً في المعنى مع كل ذات صح أن توصف بأنها تحدث فعلاً أو تركيباً أو تكويناً أو تخليقاً بصورة ما أو بأخرى. ولكن لا يصح أن يجاوز ذلك الاشتراك إلى القول (مثلاً) بأنه ما دام البشر صانعين وهم كذلك مسبوقون بمن أحدثهم وصنعهم، فكذلك الإله مسبوق بمن أحدثه وصنعه قياساً!

من هنا يتبين لك أن امتناع القياس (بما يستتبعه من تصنيف وتقسيم وتشبيه وتفريق) في حق البارى (الذي هو علة العلل سبحانه، الأزلي الأول بلا ابتداء)، لا يلزم منه امتناع مطلق الاشتراك المعنوي كما زعمته المبتدعة من أهل الكلام، افتناناً بفلسفات الدهرية والملاحدة التي سوت بين القياس والاشتراك المعنوي في حق الخالق فجعلته كله قياساً. فلا يلزم من إثباتنا المعنى المشترك لصفة العلم - مثلاً - للبارى جل وعلا، أن نثبت كذلك كونه قد اتصف بذلك العلم من بعد جهل، بالنظر إلى أننا لا نرى فيما حولنا كائناً واحداً مما يوصف بالعلم لم يأت ذلك العلم اكتساباً! هذه مجاوزة لإثبات المعنى المشترك (الذي هو مطلق معنى العلم كما نعقله في لغاتنا) إلى إثبات وصف إضافي لذلك العلم ما علمناه إلا بتتبع المخلوقات من حولنا قياساً، ألا وهو حدوث ذلك العلم في نفس كانت تخلو منه قبلاً. فمتى زعم المعطلة أن إثبات صفة ذاتية أخرى مما جاء به النص كاليد أو صفة فعلية كالنزول - مثلاً - يلزم منه إثبات التبعض أو التركب أو الجارية أو نحو ذلك، قلنا لهم فما قولكم فيمن يزعم لزوم معنى الاكتساب من بعد الافتقار من مجرد إثبات صفة العلم؟ فما كان قولهم في هذه فهو قولنا في تلك!

الاشتراك المعنوي ليس تشبيهاً ولا قياساً، وإنما هو إنطباق للمعنى اللغوي المجرد على أكثر من شيء واحد يناسبه ذلك المعنى المعين في الخارج، ولا إشكال على الإطلاق في أن يقع ذلك الاشتراك بين الخالق والمخلوق! بل أكثر من هذا إننا نقول إن للأمة رأساً (حاكمها) كما للنملة رأس وكما للسنة رأس (يومها الأول)، فهذا انطباق للمعنى الواحد على أكثر من شيء في الخارج يناسبه ذلك المعنى

تمام المناسبة، من غير أن يلزم من وراء ذلك أي اشتراك في معان أخرى إضافية بالقياس! هذا نقوله ونتصوره في أشياء حادثة مخلوقة، فكيف بالخالق الأول الذي لا شبيه له ولا نظير؟

ولا يعيننا ههنا جهل الفلاسفة المعاصرين من الملاحظة بهذا التفريق الدقيق (أو تجاهلهم له وتغايبهم عنه في الحقيقة)، وإدخالهم كلا المفهومين تحت ما يسمونه "بالأنسنة" أو التجسيم البشري Anthropomorphism، حتى يأتي الواحد منهم إلينا بقوله إن أهل الأديان (هكذا!) يستوون جميعاً في إنزالهم صفات الإنسان (هكذا!) على خالقهم المزعوم، وهذا سببه عند أهل الأديان - بزعم هؤلاء - نفسي وعصبي وارتقائي إلى آخر تلك الدعاوى التي يطلقونها إطلاق العميان بلا تمييز! المسلمون والله الحمد وسط بين طوائف جاهلة غلت فنفت عن الخالق معاني صفاته، وزعمت أن كل صفة يصفها به الناس تجعله بالضرورة "إنساناً" أو شبيهاً بالإنسان، فآل بهم الأمر إلى جعله عدماً ووهماً، وطوائف أخرى غلت فقاست الخالق على مخلوقاته ونسبت إليه صفات البشر حتى جعلته بشراً، بل جعلته شجراً وحجراً، واستجازت أن تصوره في الصور والتماثيل!

ونقول إن هذه القاعدة في إثبات الاشتراك المعنوي مع منع القياس، قاعدة واحدة عند أهل السنة يُعملونها في الصفات الذاتية كما في الأفعال ولا فرق. فكما أنه لا يجوز أن نقول إن ما يوصف به الله من كونه بصيراً يقتضي أن يكون له "عصب بصري" (مثلاً)، فلا يجوز كذلك أن نقول إن ما يوصف به سبحانه من كونه قد خلق السماوات والأرض ليبثلي فيها الإنسان بعبادته، يقتضي ألا يكون ثمة تغييب أو ستر بستر الغيب، أو يوجب ألا يموت إنسان إلا وقد عبد الله وعرفه سبحانه حق المعرفة!

فمن قال إن الله تعالى يشترك مع بعض خلقه في فعل إنزال العقوبة بمستحقها (مثلاً) فهذا حق ولا شك، فكما أن الله يقضي ويحكم، فإن من خلقه كذلك من يقضي ويحكم. هذا إثبات للمعنى المشترك لا إشكال فيه. فإن قيل إن العدل في الحكم والقضاء وصف حسن وضده قبيح، فلا يجوز إلا أن يوصف قضاء الله وحكمه متى وقع منه إلا بأنه عدل تام لا ظلم فيه، فهذا أيضاً حسن صحيح، وهو كذلك من المشترك المعنوي، لأنه يقبح بالقاضي المخلوق كذلك أن يحكم بالظلم فيمن يحكم فيهم. ولكن عندما يقال إن من العدل أن يحكم الله بكذا في هذه الحالة أو تلك، كما أن من العدل أن يحكم

القاضي من بني آدم بمثل هذا، قلنا هذا تجاوز للمعنى المشترك ودخول في القياس الممنوع. لأن الله تعالى لا يقاس علمه على علم خلقه، وهو محيط بخلقه وبما يعملون تمام الإحاطة بينما لا يحيط أحد منهم بعلمه ولا بشيء من أمره إلا بما شاء سبحانه، فعندما يحكم سبحانه في شيء ما فإنه لا يقاس لعلمه وحكمته فيما يقضي ويحكم، على ما به يقضي المخلوقون ويحكمون من علم وحكمة! لذا ليس لعاقل أن يدعي أن مطلق الوصف بالحكمة يوجب على الخالق أن يحكم في مسألة من المسائل بكذا لا بكذا، أو أن يفعل بخلقه كذا دون كذا!

❦ الفرق بين "التحسين والتقبيح العقلي" الفطري والبدعي

ولهذا نقول: لا يفهم أحد من نقضنا وردنا لأصل التحسين والتقبيح العقلي عند المعتزلة أننا نوصد الباب أمام مطلق التحسين والتقبيح العقلي في النظر فيما يُنسب إلى الله تعالى من الأفعال والصفات، كما ذهب الأشاعرة في الرد على هؤلاء إلى نفي الحكمة والتعليل عن أفعال الله أصلاً، وتجويز وقوع الظلم البين منه سبحانه، كمعاقبة المؤمن التقي بتخليده في النار مثلاً! هذا غلو في الجهة المقابلة لا نقول به. فالتحسين والتقبيح العقلي اصطلاح قد يطلق ويراد به ما يتحصل للإنسان من مجرد تصور معنى الصفة أو الفعل المنسوب إلى رب العالمين، إذ الإنسان قادر على تمييز المعاني الحسنة إجمالاً - في اللغة - من المعاني القبيحة إجمالاً، فما نسب إلى الله تعالى من ذلك سواء بالوصف أو بما يقتضيه ذلك الوصف في العقل اقتضاءً معنوياً صحيحاً، فإن العقل يقدر على تمييز الحسن فيه من القبيح من حيث الأصل. ولولا هذا ما قامت للمرسلين حجة على أقوامهم أصلاً، إذ يأتي الرسول إلى قومه فينهاهم عن عبادة الأوثان وعن الإشراك برب العالمين مستصحبا في ذلك (من غير تكلف بحث أو نظر أو محاجة) بداهة الحكم العقلي عندهم بقبح وشناعة ما يلحق بالخالق من وصف يقتضيه مجرد إشراكه بشيء من خلقه في العبادة والخضوع والتذلل!

وكل صفة حقيقتها (حقيقة معناها وليس لازمه) النقص أو الجهل أو العجز، فهي قبيحة في حق الله تعالى بدهاءه، فلا يجوز في حقه إلا أحسن الأسماء والصفات كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ **فَادْعُوهُ بِهَا** الآية [الأعراف : 180]، وفيه تقديم للخبر شبه الجملة يفيد التوكيد والحصر، أي ليس لأحد في الوجود أحسن الأسماء كلها إلا الله سبحانه. فلا يجوز العقل اتصاف الخالق العلي باتخاذ الولد (مثلا) لأن هذا وصف حقيقته وتأويله المباشر = النقص والعوز، والله تبارك وتعالى منزّه عن ذلك ضرورة! وحقيقته كذلك التكرار النوعي: تعدد الأفراد الموصوفة بصفات العلة الأولى (إذ اتخاذ الولد فيما رأينا من حالاته في هذا العالم إنما يكون الوالد والولد فيه من جنس واحد ونوع واحد، وهي حقيقة التكاثر والتوالد كما نعقلها) وهذا قبيح في حق الخالق قطعا لأنه يتناقض ووصفه الضروري تبارك وتعالى بأنه العلة الأولى الواحدة التي لا يكافئها ولا يماثلها شيء، فلا تتعدد ولا تتجنس ولا تتكاثر ولا تتوالد ولا تتناسخ ولا يجوز ذلك في حقها. ولهذا ترى النصاري لما قالت بتلك المقالة الشنيعة، وقعت في حيص بيص في تصور صفات ذلك الكيان "اللاهوتي" (أي معاني تلك الصفات نفسها) الذي هو إله كآبيه سواء بسواء، هل هو عين أبيه أم هو "من أبيه" على بدعتهم التي سموها "بالأقنوم" أم غير ذلك، وتراهم يقولون بأنه أول أزلي مثله بلا ابتداء، فكيف تجتمع صفة الأولية (الأزلية) مع وصف الشيء بأنه "ولد" قد اتخذه والده ولدا؟! هذا لا يعقل. هو وصف بمعاني باطلة في العقل بدلالة المطابقة والاقتضاء اللغوي الصريح، فوقيح قطعا من هذه الجهة.

ومثل هذا يقال في قولة النصاري إن الإله قد نزل إلى الأرض ليصلب ويعذب، حتى يرفع عن البشرية خطيئة أبيهم آدم. هذا فعل قبيح بضرورة العقل، لا يليق برب العالمين لأن العقل يوجب ألا تزر وازرة وزر أخرى، وألا يؤاخذ إنسان بشيء لم يرتكبه، فعندما يقال إن الرب الخالق العادل الحكيم قد أنزل "ابنه الوحيد" ليصلب فتمحى بذلك خطيئة آدم التي كان الرب من قبل قد علقها بأعناق ذريته كلها من بعده بزعمهم، من غير أن يكون لهم يد فيها ولا علم، فهذا ظلم بين لا نعرفه بالقياس على أفعال البشر، وإنما من تخلف معنى الذنب (في صريح اللغة) عن آحاد ذرية آدم، إذ لم يكن لهم في خطيئة أبيهم من

يد ولا شهدوها أصلاً، فكيف تتعلق بأعناقهم تلك الخطيئة ابتداءً، حتى يقال إنها لن تغفر لهم إلا إن آمنوا بأن المسيح قد صلب من أجلهم؟!

والشاهد أن العقل لما حكم بقبح هذه المعاني في حق رب العالمين لم يكن ذلك من قياس على أفعال وصفات المخلوقين، وإنما كان مرجع التقييح إلى فساد المعنى المزعوم في نفسه، ومناقضته لضرورة العقل في حق من لا يصح له إلا كل كمال سبحانه وتعالى.

❖ أمثلة يقع أصحابها في تشبيه الأفعال من حيث لا يشعرون:

ومن أشهر الأمثلة لوقوع بعض إخواننا المتصدرين للرد على الملاحظة في بدعة تشبيه الأفعال، ذلك المثل الذي يضربه بعضهم لله تعالى بقولهم: هب أنك مدرس في مدرسة، أما كنت لتفعل بتلامذتك كذا وكذا لمصلحتهم؟ فكذلك الله سبحانه يفعل بنا نحو ذلك فيما أرسل من المرسلين. ونظير ذلك قولهم: تصور أنك أب تريد أن تهذب ولدك، أما كنت لتفعل معه كذا وكذا حتى يصلح ويستقيم؟ فكذلك الله تعالى فيما يفعله بنا في الحياة الدنيا! ومثله قولهم: ألا ترى الطبيب يضطر أحياناً لغرس الإبرة في جسد المريض وإيلا منه من أجل أن يعالجه؟ ألا ترى الأم تضطر أحياناً إلى ضرب ولدها لتؤدبه؟ فهكذا يفعل الرب بعباده! ووجه الغلط والفساد في هذه الأمثلة ونحوها أن المدرس في المدرسة بشر مخلوق معلول محكوم بما حكمه به خالقه في الحياة الدنيا، وهذا ينطبع - ولا شك - على علاقة ذلك المدرس المخلوق بتلميذه المخلوق. فصحيح إن الله تعالى قد أرسل المرسلين لتعليم البشر ما فيه خير الدنيا وخير الآخرة، ولكن تشبيه حكمة الله تعالى في تكليف عباده بالمكاره (الأمور التي يكرهونها كراهة طبيعية) مثلاً بحكمة المدرس في أمره طلبته بشيء يكرهونه، هو من تشبيه الأفعال المذموم لأنه تحكم في علل الرب واختزال شنيع لحكمته سبحانه فيما يشرع! فإن علاقة الخالق بخالقه ليست علاقة مدرس بتلامذته! وكذلك يقال في الأب يفعل ما يفعل بولده. والطبيب لن يترك أحداً من مرضاه يهلك بلا علاج لأن علاجهم جميعاً هو "الخير الأرجح" بمقياسه وتقديره، وكذلك الأم لن تحرص على تأديب ولد من أولادها وتترك بعض إخوته ليفسدوا وهي قادرة على إصلاحهم، لأنها مجبولة على خلاف ذلك! فإذا كان هؤلاء كلهم "مضطرين" أو "محتاجين" لفعل ما

يفعلون إما لاجتناب شر واقع بأنفسهم (كعقوبة أن نحوها) أو لجلب خير لهم يخشون فواته (كالمكافأة أو لذة إشباع الشهوة والغريزة أو نحو ذلك)، فكل هذا من صفات المخلوقين والله تعالى ليس كمثله شيء!

لهذا لا يفلح شيء من تلك الأمثلة في أداء ما يراد منه من محاجة الملاحدة، لأنه وإن كان فيه تقرير مطلق الموازنة بين الخير والشر في إرادات ومفعولات الله تعالى (وهو معنى صحيح قطعاً ويشترك فيه الخالق مع بعض خلقه)، إلا أنه يفتح الباب للقياس على أولئك المخلوقين للوصول إلى تصور ذلك الخير الراجح (تعيين الحكمة والتعليل) الذي من أجله قضى رب العزة أن يقع في مخلوقاته ما نرى من الشر!

كما أسلفنا فإن الله سبحانه وتعالى وتقدس ليس أبانا الذي في السماء الذي يحبنا محبة الأب لأولاده، فيعاملنا (أعني نحن البشر من خلقه) بما تقتضيه تلك العلاقة من معاملة، ولا هو أستاذنا الذي يعاملنا معاملة المعلم لتلامذته، ولا هو طيبنا الذي يعالجننا ولا أمنا التي ترعانا، هذه كلها ونحوها من تشبيهات وأقيسة النصارى التي ليس في شيء منها معشار ما يجب لرب العزة تبارك وتعالى من تقديره حق قدره وإنزاله منزله! الله تعالى خالقنا الذي صنعنا واختار لكل منا ما اقتضته حكمته وعلمه ورحمته وكمال صفاته من ابتلاءات وأحوال ومآلات في هذه الدنيا التي خلقنا فيها وما بعدها، بصرف النظر عما إذا كنا نستحسن تلك البلايا والأحوال والمآلات (كلها أو بعضها) لأنفسنا أم لا، وبصرف النظر عما إذا كنا نحيط علماً بالحكم والمقاصد والغايات عند الله تعالى من تلك الأحوال والابتلاءات أم لا! لذا نقول إن محبة الخالق لمن اختار أن يحبه من خلقه، كغيرها من صفاته وأفعاله، لا قياس لها على شيء من تلك المحاب الممثل بها في تلك الأمثلة البتة، بل ولا على محبة الصانع منا معاشر البشر لشيء مما يصنع! هي محبة بموجب الاشتراك المعنوي اللغوي الذي نعقله وحسب، ولكنها لا قياس لها لا في حقيقتها ولا في لوازمها ولا في مقتضياتها على شيء من صور المحبة البشرية ولا على شيء من أفعال البشر بمن يحبون، ولا على شيء مما لأجله يحبون من يحبون! هذا جوابنا الواضح التام لكل من شطّ به عقله وراح يسأل: إذا كان الرب يحب المؤمنين حقاً كما يدعون، فلماذا يفعل بهم كذا

وكذا؟ وهو كذلك جوابنا لكل من زعم أن إثبات صفة المحبة لله تعالى على معناها الحقيقي المفهوم بظاهر اللغة، يلزم منه نسبة النقص إليه سبحانه، فوجب من ثم تأويلها إلى إرادة المغفرة ونحو ذلك تنزيها! هذه شبهة الملاحدة على صفات الله (في دعواهم أنها تجعله مماثلا للبشر في حقيقته *Anthropomorphic*)، التي ما وجد جهلاء المتكلمة في أمتنا مخرجا منها إلا أن يعطلوا أو يؤولوا ليلحدوا في أسماء ربهم بدعوى تنزيهه عما يقبَح في حقه، قبحهم الله!

فأساس هذا النوع من الأمثلة أن يقال كقاعدة قياسية إن من يفعل كذا، فلا يُتصور منه إلا أنه يفعل كذا أيضا لزوما، أو أنه يريد من فعله هذا كذا وكذا ولا بد، ولأن من الحسن في حقنا معاشر الفاعلين أن نفعل كذا وأن يكون حاملنا على هذا الفعل كذا وكذا، ومن القبيح أن يكون غير ذلك، ولأن الله لا يجوز في حقه إلا أحسن الخصال، فإن الله كذلك يجب في حقه من الأفعال كذا وكذا، ولا يجوز في حقه من الأفعال والحكم والتعليقات كذا وكذا. هذه طريقة المعتزلة في التحسين والتقبيح كما قدمنا، التي بها انتهوا إلى القول بأن الله تعالى يجب عليه فعل الأصلح للعباد مطلقا، لأن هذا هو الأحسن عقلا في أفعاله. ووجه كونه من القياس الفاسد في حق الله تعالى، أن جاء هؤلاء إلى ما يحسن في نظر الواحد منهم أن يفعله بصنعتة وخلقته، في إطار منظومته المعرفية التي تحكمه هو نفسه في الترويج الأخلاقي وتصور معاني الحسن والقبح والخير والشر والظلم والعدل، وفي حدود ما تحيط به معرفته البشرية القاصرة من العلم بما هو صانع أيا ما كان، ثم جعل ذلك الحسن من الأفعال في علمه لازما بالقياس في حق البارئ تبارك وتعالى الواحد الأحد القيوم الصمد الذي لم يكن له كفؤا أحد! فمن ذا الذي له أن يزعم أن ما كان من الأفعال والإرادات حسنا من أحدنا في نظرنا، فهو إذن حسن من الله تعالى كذلك ولا بد، وأن ما كان من أحدنا قبيحا في نظرنا فهو من الله قبيح كذلك ولا بد؟ ومن ذا الذي يملك أن يوجب على رب العزة تبارك وتعالى أن يصنع بخلقته ما يحبون وما يرونه هم أحسن لهم (سواء كان هو الأحسن لهم تحقيقا أو كانوا يتوهمونه كذلك من جهلهم وقصور علمهم)؟ من أين تأتي تلك القاعدة في الحكم الأخلاقي الذي به يعرف الحسن من القبيح من الأفعال، في حق أفعال رب العالمين؟

يقول الملك القدوس ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤) [النحل : 74] ومن قبلها، قدّم سبحانه بسلسلة من الآيات التي تصف النعم والعطايا التي لا تكون إلا من ملك الملوك الذي بيده ملكوت كل شيء وخزائن كل شيء، تتابع الآيات على نحو قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِي فَضَّلُوا بَرَأْدَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٧٦) [النحل : 71]، ليأتي النهي عن ضرب الأمثال لله من بعد محاجة عقلية متينة لا يملك العاقل منها فكاكا، فيشهد على نفسه بما شهدت به فطرته.

غير أنه ليس كل قياس أو اقتضاء في وصف الله تعالى والخبر عنه بضرب المثل يدخل تحت تشبيه الأفعال ولا بد، والضابط في ذلك أن يُنظر في ذلك القياس هل يثبت منه للخالق صفة إضافية أو يوجب عليه فعلا ما أو يمنع في حقه فعلا ما بالقياس على المخلوقين، أم أنه يكتفي ببيان مقتضى صحيحا من مقتضيات إثبات المشترك المعنوي بين الخالق والمخلوق بقياس الأولى؟

مثلا هب أننا قلنا: إن التلميذ لا يملك أن يقدم بين يدي أستاذه المخلوق، للتفاوت في مقدار العلم بينهما بما يوجب على الأول طاعة الثاني والتلقي عنه، فما بالك بمحل الإنسان من ربه الخالق إذ يعلمه ما ينفعه؟ هذا كما ترى ليس تشبيها يثبت صفة أو فعلا أو قصدا أو حكمة عند صاحب الفعل بدعوى الزوم، وإنما هو إبراز لمقتضى إثبات معنى صحيح في حق الخالق ألا وهو كونه سبحانه يعلمنا ما ينفعنا، وهو المعنى المشترك بين الله تعالى وبين المعلم أو المدرس المخلوق إذ يعلم الناس ما ينفعهم، فنثبت ونقرر مقتضاه من طريق قياس الأولى في حق من نقطع بكماله في الاتصاف بذلك المعنى المشترك. فإذا كنا نحترم المعلم المخلوق الذي هو بشر مثلنا ونرفع كلامه فوق كلامنا، حتى قيل فيه (من علمني حرفا صرت له عبدا) ونحو ذلك، وهو مخلوق محدود الخلقة محدود العلم مثلنا، فما بالنا بما يليق من عموم البشر من خلق وسلوك في معاملة خالقهم وخالق السماوات والأرض جميعا؟ ونظير ذلك أن نقول إن الله هو ملك الملوك، فانظر كيف تقف بين يدي الملك من ملوك الدنيا، تُصَفِّ قدميك في المسجد لتصلي للذي خلقك أنت وسيدك وسيد سيدك وملوك الأرض أجمعين. فالمخلوق

ملك والخالق ملك، ولكن القياس هنا ليس إلا قياس الأولي فيما يقتضيه معنى الوصف نفسه في حق رب العالمين. ومن قياس الأولي في الصفات والأفعال ما ورد من قوله عليه السلام "الله أرحم بعباده من هذه بولدها (يعني الأم)". وفائدة القياس هنا أن المعنى المشترك نحن نعقله وندركه، ولا نراه أشد ظهورا في شيء مما ندرك في هذا العالم من الأم ترحم وليدها، فإن تصورنا ذلك، وعلمنا أن الله أرحم بالمؤمنين من هذه بولدها، استشعرنا عظم رحمته سبحانه بعباده المؤمنين، من غير أن يقع من ذلك في نفوسنا قياس لمعنى إضافي مما نراه في البشر أو تفصيل أو لزوم أو اقتضاء مزعوم قياسا على ما يكون في تقدير الأم لخير الخيرين وشر الشرين ونحو ذلك مما حقيقته تشبيه الأفعال!

فإن قيل ألا يعد من هذه الباب أن نقول إنه كما تحرص الأم على ولدها فتضربه لتؤدبه وإن كانت تكره له الألم، فكذلك الله يبتلي عبده المؤمن ليغفر ذنبه ويرفع درجته؟ قلنا هذا المثل ينبغي أن يتعامل معه بحذر شديد وأن يُحرر تحريرا جيدا لا يتنقل به صاحبه من المعنى المشترك الصحيح الذي أثبتته النبي عليه السلام في الحديث، إلى القياس في الحكمة والتعليل. فلعل كثيرا من إخواننا ممن جربوا مجادلة الملاحدة بهذا المثل قد جاءهم جواب الملحد بقوله: "ولكن الأم مضطرة إلى هذا لأنها لا تملك خيارا آخر، ولو كان الأمر بيدها لجعلت الولد بحيث لا تضطر إلى إيلامه أبدا، أما الرب الخالق فكان قادرا على ذلك ومع هذا لم يفعله!"

وهذا الجواب من الملحد تراه غالبا عندما يقع صاحب المثل في تلك المجاوزة التي نحذر منها ههنا. فإذا كان المعنى المشترك (تجوز وقوع الشر لخير أرجح) صحيحا في الأم كما في الله تعالى، فإن النظر في الحكمة والتعليل من فعل الله تعالى استنادا على مثال كهذا إنما هو من القياس المذموم (تشبيه الأفعال)، وهو ما يتوجه إليه جواب الملحد. ولو أن المثل حُرر على هذا النحو: "ألا ترى أن الأم ترجو خيرا وافرا من إيلاهما ولدها الذي تحبه؟ فكذلك الله تعالى يريد الخير لعبده المؤمن إذ يبتليه بالأوجاع والأسقام"، لاستقام واقتصر على بيان المعنى المشترك دون المجاوزة إلى القياس الفاسد. أما لو حرره صاحبه على مثل قوله: "ألا ترى أن الأم تضطر إلى إيلام ولدها حتى تحسن تربيته، فكذلك الله يبتلي المؤمنين في الدنيا بالآلام والأوجاع" فهو واقع بذلك في القياس وتشبيه التعليل

والحكمة في موضعين، إذ يقرر أولاً أن الأم تفعل ذلك اضطراراً، بينما نحن نعلم ببداهة العقل أن الله ليس "بمضطر" إلى شيء يفعله بعباده جل وعلا، ويقرر ثانياً أن الأم تريد تربية ولدها، بينما نحن نعلم أن حكم الله تعالى من ابتلاء المؤمنين لا تقاس على هذه الصورة، وإن كان الله أرحم بعبده منها بولدها، ففي حكمته سبحانه من الإيلاء والابتلاء بالمرض ونحوه: مغفرة الذنب وتطهير القلب وتذكير العبد بالخضوع والإخبات والضراعة لربه، وفيها ما يتجاوز العبد المبتلى نفسه ليتعلق بغيره من الخلق ممن حوله، إلى غير ذلك مما لا يعلم منتهاه في الحكمة والتعليل إلا الرب جل وعلا. فمن أمثال هذه الصياغات الفاسدة يفتح الباب لجواب الملحد الذي ذكرناه آنفاً. وعليه يجب أن يكون المرؤ على حذر شديد في تحرير ما يكتب في شأن الملك جل وعلا، وإلا جنح إلى نحو ما ترى من حيث لا يشعر، والله المستعان.

❦ في مسألة إرسال الرسل:

من الغلط المنتشر عند بعض إخواننا طلبة العلم عند تناولهم مسألة إرسال الرسل، قولهم إن العقل ينفي (أو يحكم بالقبح على) فكرة أن يترك الله تعالى العباد في هذا العالم "هملاً" دون أن يبين لهم ما تصلح به حياتهم. فهذا في الحقيقة هو عين مقالة المعتزلة بقبح ترك الله تعالى لإرسال الرسل في الدنيا لهداية البشر ودلالتهم على ما فيه صلاحهم، ومن ثم إيجابهم ذلك الفعل على الله تعالى. فإذا ما ناقشتهم في ذلك، أتوك بكلام بعض أهل العلم في سياق تفسير نصوص القرآن ذات التعلق بهذه المسألة، يظنون أن القرآن يصرح بوجوب ذلك على الله تعالى مطلقاً بمقتضى كمال صفاته سبحانه. ولعل سبب الخلط في هذا عندهم أنهم يستدلون بنص القرآن الذي فيه كلام الله تعالى فيما هو الأكمل لهذا العالم بعينه في سياق حكمته من خلقه وما قضاه فيه جل وعلا من قبل من إرسال المرسلين فيه ووعد به آدم وزوجه وهو يهبطهما من الجنة في قوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ

تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: 38] لدلالة شطر من بني آدم لسبيل النجاة،

على وجوب ذلك مطلقاً على الله تعالى (بمقتضى كمال صفاته) في كل مرة يخلق فيها نوعاً من أنواع المخلوقين كنوعنا، في نوع من أنواع العوالم كعوالمنا (وهو الوجوب العقلي الذي ادعته المعتزلة على

رهبهم لدعواهم حسن ذلك مطلقاً منه سبحانه). ونقول لا شك أن العقل يستحسن الوفاء بالوعد، ويستقبح نقضه وهتكه، فمن هذا الوجه ومنه وحده، قبح في حق الله تعالى ألا يرسل رسلاً في هذا العالم بعينه من بعد آدم. وإلا فهب أنه سبحانه ما قضى في حق آدم وامرأته وعدوهما إبليس ما قضى من أحداث فيما قبل نزولهم إلى الأرض، ولم يعدهم بما وعدهم به فيما مر بك من كلامه سبحانه، أفكان من شيء يوجب عليه جل وعلا أن يرسل أحداً من المرسلين في هذا العالم من بعد آدم نفسه عليه السلام؟

من قال "الله أعلم بما هو الأحسن في حقه والأليق بكمال صفاته في مثل هذا وغيره" فقد أحسن الجواب ههنا ووفى بالمطلوب! أما من تكلف أن يقول "نعم هذا هو الأحسن منه قطعاً لأنه لا يليق به أن يترك البشر هملاً من غير أن يدلهم على الغاية التي من أجلها خلقهم"، فهذا واقع فيما قالت به المعتزلة من قبل من تشبيه الأفعال والتحسين والتقبيح قياساً، ولا يصح له أن يتترس بما وجد من نظير ذلك في كلام بعض العلماء في سياق تفسيرهم لآي القراء كما أسلفنا. ذلك أنه لا سلطان لنا من علم ولا عقل إن ادعينا أن ترك الرب جل وعلا البشر في هذا العالم من بعد آدم بلا رسل ولا رسالات ولا كتب ولا شرائع (على افتراضنا جدلاً أنه لم يتفضل على ذرية آدم بما وعده به): ما كان لتتحقق به الحكمة والغاية المعلومة لديه سبحانه من خلقنا في هذا العالم، ولا يجوز لنا بحال من الأحوال أن ندعي أنه يلزم منه وقوع الظلم. فما الذي يمنع في العقل على افتراض هذه الصورة من أن تكون حكمته قد اقتضت أن يموت سائر البشر من بعد آدم ومن اهتدى من ذريته برسالته عليه السلام = من غير رسالة ولا هداية البتة؟ لا شيء عند التحقيق.

لذا يصح أن نقول: إن الله تعالى قد اقتضت حكمته بالفعل أن يرسل من المرسلين ما أرسل سبحانه حيث أرسلهم وقتما أرسلهم، فما كان يليق بكمال صفاته أن يفعل شيئاً غير ما فعل تحقيقاً أو أن يقضي أمراً غير ما قضى، لأنه لا يقضي إلا بالأحكام والأحسن في علمه جل وعلا. ومن هنا، ولأنه سبحانه قد وعد بإرسال المرسلين في بني آدم رحمة بشر من عباده (الذين اتبعوا الهدى وأجابوا داعي الرسل) فلا يتركهم جميعاً هملاً من غير دلالة أو إرشاد، فقد وقع منه الأحسن سبحانه وتعالى تحقيقاً في هذه

الحالة بحسبها، وما كان ليتخلف عن مطلق إرسال المرسلين من بعد آدم لأن هذا يكون إخلافا لما وعد به جل وعلا وما اقتضته حكمته ورحمته في هذا العالم تحقيقا. أما أن يقال إن فعل إرسال الرسل على نحو ما كان من الله تعالى كان واجبا عليه عقلا سواء وعد آدم بذلك أم لم يعد، أو بعبارة أخرى إن إرسال المرسلين إلى البشر هو الأحكم والأحسن من الله مطلقا وأن كمال صفاته يقتضيه مطلقا في كل عالم كعالمنا لنوع من المخلوقين كنوعنا (وهي مقالة المعتزلة وتقاربها مقالة بعض إخواننا) فهذا تحكم في حكم الله وعلله وإراداته وهو من تشبيه الأفعال.

فإن قالوا نحن لا ننطلق في هذا الإيجاب العقلي من منطلق المعتزلة حيث يزعمون أن الله يجب عليه فعل الأحسن للعباد مطلقا، وإنما ننطلق من ذلك من أصل أن حكمة الله في خلق البشر تقتضي إعلامهم بما خلقهم من أجله، قلنا: بل وافقتم المعتزلة في التعليل وإن خالفتموهم في إطلاق القاعدة! ذلك أنهم لما نظروا فيما يكون منهم لو كانوا هم الخالقين، وجدوا أن الأحسن أن يدلوا جميع خلقهم على ما فيه غاية المصلحة لذلك الخلق، وأن يوفروا لهم من أسباب الهداية والصالح ما يحقق ذلك القصد، وهذا هو القول بوجوب الأصلح، أما أنتم فلما نظرتم وجدتم أن الأحسن إن كنتم خالقين، أن تخبروا المخلوق بالغاية التي من أجلها خلقتموه، لأنه لا يحسن أن يترك المخلوق هملا، وهذا تشبيه وذاك تشبيه ولا فرق، وكلاهما يؤول إلى نفس الأصل لو تأملتم. ألا يصح في العقل أن تشتمل الغاية التي خلق الله من أجلها بعض خلقه على تركهم ليموتوا من غير أن يرسل إليهم من يخبرهم في الحياة الدنيا بالغاية التي من أجلها خلقهم؟ بلى ولا شك، ومن نفى ذلك فقد خالف العقل والحس والواقع، فما أهل الفترة إلا قوما قد ماتوا من غير أن تبلغهم رسالة ولا نذارة ولا بيان بالغاية التي من أجلها خلقهم ربهم، فهل يذم الرب جل وعلا بأن "تركهم في الدنيا هملا"؟ معاذ الله!

فالأمر الذي يجب أن ينتبه إليه كل لبيب من إخواننا أن الذي اقتضى كمال صفاته وصول الرسل والمرسلين إلى شطر من عباده في هذا العالم، قد اقتضى كمال صفاته - كذلك - عدم وصول ذلك الخير إلى شطر آخر منهم (يقال له أهل الفترة) في هذا العالم أيضا! فوجب أن تكون كلا الخصلتين منه كمالا سبحانه، وإن جهل من جهل وجه كونه كمالا في إحداهما! فمن ادعى إن إرسال المرسلين في

هذا العالم أحسن مطلقا في حق الله تعالى من عدمه، فقد اتهمه سبحانه بأنه قد قصر عن فعل الأحسن والأكمل إذ قضى في شطر من البشر (قل عددهم أو كثر) أن يهلكوا من غير أن يأتيهم منه نبي ولا رسول!

والقصد أن كثيرا من المسلمين متلبسون في واقع الأمر بمقالة وجوب فعل الأصلح والأحسن للعباد على ربهم سبحانه التي قالت بها المعتزلة، وهم يحسبون أنهم في عافية منها. ووجه كون قولهم من تشبيه الأفعال ومن دعوى وجوب فعل الأصلح للعباد، أن القول بوجوب إرسال الرسل مطلقا لا تعليل له عند من يعقله إلا أنه الأحسن والأصلح لكل نوع كنوعنا هذا في كل عالم كعالمنا هذا! فإن تجرد الإنسان من تصور أن كل ما هو أحسن له أو لنوعه أو لمثل نوعه، في هذا العالم أو غيره، فهو أحسن من الله تعالى ولا بد ومن ثم فهو مقتضى كمال صفاته وتمام حكمته، فإنه لن يجد مستندا واحدا يؤسس عليه دعوى وجوب إرسال المرسلين في هذا العالم أو غيره، إلا ما سبق من وعد رب العالمين لآدم بأن يتفضل على ذريته بأن يجعل فيها من الرسل والنبیین ما شاء أن يجعل جل وعلا، وأن يبعث فيهم النبیین تورا، كما جاءت به النصوص! فلو أنه قد قضت حكمته وعلمه من قبل ألا يتفضل بذلك ولا يرسل في ذرية آدم في هذا العالم أحدا من المرسلين من بعد أبيهم قط، وألا يجعل لهم من دلالة ولا إرشاد إلا ما علمه لآدم عليه السلام قبل أن يهبطه إلى هذه الأرض، أفيحق لعاقل من المسلمين أن يزعم أنه بذلك يكون قد نزل عما هو أحسن وأكمل في حقه سبحانه من الأفعال والإرادات، وتختلف عما هو أليق بكمال صفاته، سبحانه وتعالى وتقدس؟ ألا يجوز أن تقتضي حكمته ألا يرسل أحدا من المرسلين من بعد آدم قط؟ من زعم أن هذا نزول عن فعل الأحسن وهو قبيح، فقد وافق المعتزلة في وجوب فعل الأصلح للعباد في هذا العالم وإن ظن خلاف ذلك، وكان لازم كلامه الطعن في حكمة رب العالمين في تركه أمما من البشر بلا رسول ولا هداية في الحياة الدنيا! دعني أكرر الجزئية الآنفة بعبارة أخرى حتى تتضح (وأرجو أن يتنبه القارئ للأهمية وأن يدقق).

من قال إنه لا يصح في العقل أن يخلق الله تعالى خلقا لغاية ما ثم لا يخبرهم بتلك الغاية، فقد حكم حكما باطلا وأطلق تعميما جائرا. ووجه بطلان التعميم أن إعلام الخالق لمخلوقيه بشيء ما (نوعا

ومقدارا) يتعلق بحقيقة تلك الغاية نفسها عند الخالق! ذلك أنه قد يكون من تلك الغاية نفسها في إرادة الله الكونية وفي علمه التام وحكمته السابعة ألا يخبر بعض خلقه بشيء في الدنيا (أي من طريق المرسلين) أصلا، مع جزمنا بأنه لا يظلمهم بذلك، تماما كما اقتضت حكمته - بالفعل - في هذا العالم أن يترك شطرا من خلقه دون أن تبلغهم رسالة أو نبوة! فالحكم بالحسن أو القبح على فعل الإعلام ههنا (من طريق الرسل) يجب أن يقوم على ضبط مفهوم الغاية (العلة) والحكمة من الخلق نفسه عند فاعله والمصدر المعرفي الذي تتأسس عليه ابتداء، وهذا المصدر ما كان لبشر أن يحظى منه بشيء من المعرفة إلا بمقدار ما يشاء الخالق كشفه للعباد! وهو ما يجعلنا نمنع من التعامل مع أي تصور لحال البشر في الدنيا على أساس من الإلمام والإحاطة المعرفية بتلك الغاية من خلق البشر عند رب البشر على وجه التفصيل كما يرومه ويشترطه الملاحظة، وكما افتتنت بفلسفاتهم فيه المعتزلة وعامة اللاهوتيين وكثير من طوائف المتكلمة! فلا يخفى أن الذي مات على الكفر لم يُخلق لذات الغاية أو الحكمة الكونية التي من أجلها خُلق من مات على الإيمان، وأن من بلغته الرسالة لم يخلقه الله تعالى لذات الغاية التي خلق من أجلها من مات من أهل الفترة، والأمر في ذلك ليس لنا فيه إلا أن نقول: "الله أعلم بما هو فاعل بعباده".

فإن قيل إن الله تعالى يقول في كتابه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] قلنا هذه الآية في الإرادة الشرعية من خلق هذين النوعين، فلا يلزم من ذلك أن يكون جميع الجن والإنس مخلوقين لغاية أن تقع منهم تلك العبادة كونا وتحقيقا! بمعنى أن مقصود الله تعالى من خلق هذين النوعين (بمجموعهما) وتكليفهما (سواء في الحياة الدنيا أو فيما بعدها) إنما هو خضوعهما بالعبادة له سبحانه. ولكن هذا لا يلزم منه أن يكون جميع أفراد النوعين متحققين بالعبودية له، إذ إن من تمام حكمته ومما يتحقق به ذلك المقصود الأسمى نفسه على وجه التمام لديه، أن يجعل منهم - بإرادته وخلقهم وتقديره - من لا يعبد طرفه عين، لا في الدنيا ولا في الآخرة. وهذا هو تفريق أئمة أهل السنة بين الإرادة (أو الغاية) الكونية والإرادة (أو الغاية) الشرعية، فليست به إليه. فإن المعتزلة ما قالوا بنفي القدر إلا لتسويتهم بين الإرادتين في حق الله تعالى (وكذلك صنعت الأشاعرة في الجهة المقابلة فوقعوا في الجبر

كما وقعت المعتزلة في القدرية)، حيث زعموا أن الله لا بد وأنه لا يقدر على أن يهدي الضال، لأن هدايته هي الأحسن والأصلح له، فلو كان قادرا عليها لما تخلف عن فعلها سبحانه، فلزم أن تكون خارجة عن معنى القدرة في حقه، وأن يكون الإنسان خالقا لأفعاله وإراداته، فآل أمرهم بذلك إلى القدرية! وهذا عند التأمل نظير ما يقال له مشكلة الشر عند الملاحدة، غير أنهم أجابوا عن دعوى التناقض بين كونه قادرا على منع الشر (أو المفعول القبيح في خلقه) ومع هذا لا يختار منعه تحقيقا، وبين كونه موصوفا بكمال الصفات كلها، لا بأن نفوا وجوده سبحانه بالكلية كما فعلت الملاحدة، ولكن بأن جعلوا أفعال العباد من خلقهم هم وتقديرهم هم لا من خلقه سبحانه، يخلقونها بإراداتهم الحرة من غير تقدير مسبق منه ومن غير أن تكون تابعة لإرادته جل وعلا (وهي مقالة القدرية)!

يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في وصف المعتزلة في شرحه على الطحاوية:

"وَهُمْ مُشَبَّهَةُ الْأَفْعَالِ؛ لِأَنَّهُمْ قَاسُوا أَفْعَالَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَفْعَالِ عِبَادِهِ، وَجَعَلُوا مَا يَحْسُنُ مِنَ الْعِبَادِ يَحْسُنُ مِنْهُ، وَمَا يَقْبُحُ مِنَ الْعِبَادِ يَقْبُحُ مِنْهُ! وَقَالُوا: يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، وَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، بِمُقْتَضَى ذَلِكَ الْقِيَاسِ الْفَاسِدِ!! فَإِنَّ السَّيِّدَ مِنْ بَنِي آدَمَ لَوْ رَأَى عَبِيدَهُ تَزْنِي بِإِمَائِهِ وَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ لَعَدَّ إِمَامًا مُسْتَحْسِنًا لِلْقَبِيحِ، وَإِمَامًا عَاجِزًا، فَكَيْفَ يَصِحُّ قِيَاسُ أَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَفْعَالِ عِبَادِهِ؟! وَالْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ فَأَمَّا الْعَدْلُ، فَسَتَرُوا تَحْتَهُ نَفْيَ الْقَدَرِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلُقُ الشَّرَّ وَلَا يَقْضِي بِهِ، إِذْ لَوْ خَلَقَهُ ثُمَّ يُعَذِّبُهُمْ عَلَيْهِ يَكُونُ ذَلِكَ جَوْرًا!! والله تعالى عادل لا يجور. ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يريد، فيريد الشيء ولا يكون، ولا زمه وصفه بالعجز! تعالى الله عن ذلك" اهـ. (شرح العقيدة الطحاوية، طبعة دار السلام، الطبعة المصرية الأولى، ص 521)

فتأمل كيف أن الأصل العقلي الكلي (أو إن شئت فقل: الشبهة العقلية الكلية) الذي منه انطلقت المعتزلة في تنظير قاعدتين على الأقل من قواعدهم الخمسة (العدل والوعيد وما تحتهما من تحسين وتقييح) هو بعينه أصل ما يقال له "مشكلة الشر" عند الملاحدة! فأصل العدل عندهم نابع من شبهة أن

خلق الشر في العالم شر في نفسه، ومجرد إرادة نوع القبيح لا تجوز في حق الله تعالى، وإذن فلا يجوز أن يكون هو خالق الشر! (ولهذا قيل إن القدرية هم مجوس الأمة لأن مقالتهم لازمها أن للشر خالقا غير خالق الخير، وهي مقالة الثنوية، ووافقتهم عليها طوائف النصراني التي غلت حتى جعلت إبليس ندا لله يخلق الشر كما يخلق الله الخير). وهذا الجواب (القول بنفي القدر وبخلق البشر لأفعالهم) قد سُبقت المعتزلة إليه في فلسفات اللاهوت النصراني من قبل في بعض ما يقال له نظريات العدل الإلهي Theodicy التي لا يوصل من أكثرها عند التحقيق إلا إلى نفي خلق الله للشر ولأفعال العباد، والزعم بمنافاة التخيير للقدر ومن ثم القول بالقدرية، ونحو ذلك مما ابتدعته سائر أهل الملل والنحل في الرد على شبهة الملاحدة في مشكلة الشر! وأما أصل الوعيد فكما مر بك.

ولا فرق عند التحقيق بين القول بوجوب فعل الأصلح لمجموع العباد في الأرض ووجوب فعله لجميعهم (والفرق بين وقوع الشيء على المجموع ووقوعه على الجميع، أن الأولى لا تفيد استغراق جميع الأفراد في ذلك الشيء، بينما تفيد الثانية هذا المعنى). فقد تجد من المسلمين من يقول إن الله لا يليق بكمال صفاته في العقل أن يترك النوع البشري (بهذا العموم الذي يراد به المجموع) في الأرض بلا رسل ولا رسالات، ولكن هذا لا يمنع من أن يموت كثير من بني آدم دون أن تصلهم تلك الرسالة. وكما سألنا من زعم وجوب ذلك عقلا لأعيان العباد جميعا، فإننا نسأل من زعم وجوبه للمجموع كذلك: ما حجتك وما مستندك في تحسين ذلك وتقبيح خلافه من الله تعالى؟ حقيقة قولك أنك تزعم أن تخلف الرسالة عن بلوغ جميع البشر في الدنيا قبيح بينما تخلفها عن بعضهم (كما هي الحال في عالمتنا) ليس بقبيح، وهذا منك تناقض واضح لأن محصول ذلك التخلف واحد نوعا (وهو هلاك أقوام بلا رسالة) وإنما يتفاوت في مقداره لا غير. فإن قلت إن تخلف الرسالة عن الجميع أذم وأقبح من تخلفها عن بلوغ بعضهم فهذا حقيقته نسبة القبح إلى ما قضاه الله في البشر تحقيقا من وجود أهل الفترة! وفي جميع الأحوال فلا مستند لك في ذلك كله إلا مستند المعتزلة في أن الحسن عند الله (أو الخير الأخلاقي في وصف أفعال الله) إنما هو ما يستحسنه الإنسان لنفسه في حاضر أمره في الدنيا ومستقبله بعد موته.

وعند هذا ترى جنوحه في الكلام إلى بيان أن من فاتته الرسالة في الأرض فستأتيه في الآخرة لا محالة لأن الله من عدله ورحمته وحكمته وكمال صفاته أنه لا يعذب حتى يبعث رسولا. والذي يحمله على هذا المسلك في الحقيقة أنه يستشعر في نفسه أن ثمة نقصا قد وقع منه في دعواه، فلم يجد إلا أن يصادر على محل البحث ليقرر أن من لم يقع له التعرض للرسول والرسالات في الدنيا فهو واقع له في الآخرة لا محالة، وإذن فلا ضير! ولو أنك سألته: فما المانع إذن من أن يجعل الله تعالى رسالته للناس كلهم في الآخرة بعد الموت لا في الدنيا، من غير أن يبعث فيهم رسولا في الدنيا قط؟ فلن تجده إلا قائلًا لك: لأن جعلها في الدنيا أحسن! فنقول: أحسن في علم من وعلى أي اعتبار؟ نعم هو أحسن للناس في الدنيا ولا شك، ولكن كلامك هذا حقيقته أن فعل الأحسن للناس والأصلح لهم متعين على رب الناس، وأنه هو الأحسن في علم الله ولا بد، وبهذا تكون قد قلت بوجوب فعل الأصلح الذي قالته المعتزلة، وخاطبت الملاحدة في جواب اعتراضاتهم الصبائية السخيفة على وقوع الشرور والمكروهات في مفعولات خالقهم في الحياة الدنيا، بعين ما خاطبهم به ضالة المتكلمين من قبل، فانتبه!

إن القول بوجوب استواء سائر البشر فيما بلغهم من الرسل في الدنيا لم يأت إلا من ظن المعتزلة أن التسوية بين الخلائق في الفضل من مقتضى العدل، وأن التفريق في العطايا والمنح الربانية بين المخلوقات ظلم. وهذا من تشبيه الأفعال لأن مفهوم العدل عند صاحب هذا الكلام إنما جاء من قياسه الأمر على نفسه هو! فكأنما يرى أنه لو كان الأمر إليه، لحرص على ألا يموت أحد من البشر في الأرض إلا وقد مر به رسول أو مرت به حجة رسالية، لأنه لو تخلف عن هذا لكان ظالما إذ أوصل إلى أقوام من الخير ما لم يوصله إلى غيرهم، فلم يسو بينهم فيما آتاهم من ذلك!

ولهذا أجابهم أئمتنا بأن إرسال الرسل في الأرض ليس واجبا على الله تعالى أصلا، وأن التسوية بين البشر في ذلك ليست هي مقتضى العدل والحكمة، وحاججهم بمطلق وجود أهل الفترة في تاريخ العالم تحقيقا وبموت أقوام كثيرة من البشر من غير بلوغ الحجة الرسالية إليهم، وبهلاك أقوام على الشرك من غير أن يقضي رب العزة من أسباب هدايتهم في الأرض ما أنعم بمثله على غيرهم من خلقه! فلو أنه سبحانه شاء ألا يموت إنسان في هذا العالم من غير أن تكون قد بلغته رسالة من الرسالات

ووصله نور الوحي الرباني، لفعل سبحانه ولما أعجزه ذلك، ولكنه لم يقع، فدل على أن هذا ليس هو ما اقتضته حكمته جل وعلا، وإنما اقتضت أن يكون الأنبياء والمرسلون بهذا العدد الذي كانوا عليه من غير زيادة ولا نقصان، وأن يرسل كل واحد منهم إلى بلد معين دون غيره، وأن يخاطب قوما بأعيانهم دون غيرهم! وإلا لجاز أن يقال لماذا لم يرسل الله جل وعلا ضعف هذا العدد من المرسلين ليقبل من مساحة الأرض التي لم تفش فيها الدعوة، ومن أعداد البشر الذين لم تبلغهم الرسالة؟ أليس هذا من الظلم؟ ونقول كلا ولا شك، ليس من الظلم لأنه لم يكن من مقتضى العدل - أصلا - أن يستوي سائر البشر فيما يبلغهم من رسالات المرسلين، وفي الطريقة التي تبلغهم بها تلك الرسالات، ونوعية القرائن التي تؤدي إلى حصول تلك المعرفة لدى كل منهم إن قدر حصولها!

ومثل هذا يقال في أمم البشر وأقوامهم وجماعاتهم، فلا يقال أليس من العدل أن تستوي جميع الأمم فيما جاءهم من الرسل والنبوات؟ هذا قياس فاسد لأن التسوية في العطاء أو في الابتلاء من الخالق خلقه ليست من مقتضيات العدل الإلهي، فلا يصح أن يقال إن مطلق التفريق بينهم ظلم! ألا ترى كيف أن الله جل وعلا لما خاطب بني إسرائيل في القراءان يبيكتهم لقسوة قلوبهم، حاججهم بأنه سبحانه قد فضلهم على العالمين، بما كان حقه أن يقابل من جانبهم بمزيد من الشكر والإحبات فوق ما كان من غيرهم من الأمم، لا بالاسكتبار والغرور وغيره مما كان منهم؟ فبأي شيء فضلهم جل وعلا؟ فضلهم بأن جعل فيهم الأنبياء ذرية بعضها من بعض، فلا يأتي فيهم نبي إلا خلفه نبي من نسله! فهل يجزؤ أحد من المسلمين على أن يزعم أن هذا التفضيل كان ظلما لما سوى اليهود من الأمم؟ وهل ظلم سبحانه هنود أمريكا - مثلا - أو سكان أحراش إفريقيا بأن لم يجعل لقرية من قراهم أو لقوم من أقوامهم مثل ما جعل لهؤلاء من تسلسل الأنبياء في سلسلة متصلة؟ كلا ولا شك، سبحانه وتعالى علوا كبيرا! فكذا نقول إنه لا يظلم قوما من الأقوام إن اقتضت حكمته ألا يبعث فيهم نبيا ولا رسولا أصلا في زمانهم أو في مكانهم حيث كانوا، لأن إرسال المرسلين في بني آدم فضل من الله يؤتيه من يشاء، وحكمة الله تعالى في خلق البشر تتحقق ببلوغه من بلغهم وتخلفه عن من لم يصل إليهم، سواء بسواء، لا بأحد

الوجهين دون الآخر! وهو (أي هذا الفضل الرباني) كسائر ألوان النعم والعطايا الربانية = ابتلاء كبير يبتلي به من يريد من عباده، سبحانه وتعالى!

فلا يحسبن من جاءه ذلك الخير الرباني الوافر الذي فُضِّل به على كثير ممن خلق الله تفضيلاً، إذ وُلِدَ في بلد ما في زمان ما فوجد فيها رسولاً من رسل الله أو نبياً من أنبيائه، أنه قد حظي بتفضيل حقيقته أن يكون خارجاً على سبيل الاستثناء من سنن الله الكونية والشرعية في خلقه! هذا ظن باطل ما وقعت المعتزلة قاتلهم الله في نفي الشفاعة يوم القيامة إلا من زعمهم لزومه منها، يحسبون أنهم بذلك يفرون مما وقعت فيه يهود من قبل من الظن بمنزلتهم عند ربهم إذ استكبروا في الأرض وعتوا وزعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه الذين لم يجب لهم من الله في معاملته إياهم إلا ما يكون للابن من أبيه!

لقد ضرب الله بني إسرائيل مثلاً في القراءان حتى يجعلهم آية وعبرة لكل عاقل! فهي أمة قد فُضِّلَت بالفضل العظيم وتتابع فيها الأنبياء بالوحي والهداية فكانوا على اتصال بالسماء لأجيال متتابعة كالجبل الموصول، ومع هذا ركبهم الأنفة والعزة بالإثم وزعموا أنهم خاصة الخاصة عند الله تعالى لمجرد أنهم من سلالة كذا ومن قوم كذا، حتى صار الدين عندهم بالدم والتناسل، بل زعموا أنهم هم البشر ومن سواهم دواب وإن شابهوا البشر، وأنهم ليس عليهم في أولئك "الأميين" من سبيل! وإذا بهم يجعلون من أنفسهم أندادا للرب البشر، ينازعونه الحكم والتشريع لعنهم الله! فلما ابتلاهم ربهم بأن أوحى لبعض أنبيائه بأن يطيعواهم وأتباعهم رسولاً يأتيهم من أمة أخرى من أولئك القوم الذين كانوا يعدونهم من قبل دواب (أميين) لا عقل فيهم ولا خير، انقلبوا عليهم كبرا وغرورا ونازعوا الله أمره وقتلوا أنبياءه، فصاروا أشد الأمم استحقاقاً للعنة الله تعالى وغضبه، نسأل الله السلامة!

فلإلزام المعتزلة لعننا نسألهم بطريقتهم في قياس الأفعال: ألم يكن من الأحسن لليهود ألا يرسل الله لهم رسولاً في الدنيا أصلاً، وإنما يمتحنهم في عرصات الآخرة امتحاناً واحداً كسائر أهل الفترة، فيعافوا بذلك من أن يموت أحدهم وقد عاش ستين أو سبعين سنة في هذا العالم على ملة يسب فيها رب العالمين ويقاتل رسله؟ فإن قالوا: الله أعلم، فإننا لا ندري ما عقوبة الله تعالى لأحدهم إن لم يوفق في

امتحان أهل الفترة، فلعلها أن تكون أشد عليه وأعظم، قلنا لهم: فالزموا منزلتكم إذن ولا توجبوا على الله ما لا تعلمون! دعوا التنظير في الحكم والعلل الربانية بالقياس على ما ترونه وتعلمونه من عللكم أنتم وتحسيناتكم، فإن هذا عداون على رب العالمين كبير.

فإن قالوا أليس قد قال تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: 24)؟ قلنا بلى، ولكن هذا ليس نصا في الإيجاب العقلي أصلا، ثم إنه ليس نصا في وصول النذارة لكل أحد من البشر! وإلا فما معيار "الأمة" وما ضابطها الذي ترى أنت أن العدل الإلهي يستلزمه؟ أليس قد قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ

الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ الآية [المائدة: 19]؟ فما بال الذين ماتوا في تلك الفترة؟ ألم يكونوا أمة - بل أمما - لا نذير فيها؟ فكيف نجتمع بين آية فاطر وبين مطلق وجود أهل الفترة في الأرض؟ الجواب أن الأمة الواحدة - أيا ما كان حدها ووصفها المكاني (مسطح الأرض الذي تغطيه) والزماني (عدد الأجيال الداخلة تحتها) - لا يمر عليها قدر من الزمان عادة إلا رأيتها تتشعب من بعده وتتفرع عنها أمم، وقد تنقسم إلى قبائل وأقوام شتى وتتفرق في الأرض تفرقا كبيرا، وقد تظل متحققة بوصف الأمة الواحدة لقرون متتابعة ثم تبيد وتغنى، فلو أن الله تعالى لم يرسل إلا بضعة من الرسل في قوم نوح - مثلا - الذين نجوا معه في الفلك، من بعد أن تفرقوا في الأرض إلى أصول تلك الأمم والشعوب والقبائل التي نراها اليوم، لصح له سبحانه أن يقول في ذلك ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، فكيف وقد جاء في صحيح السنة أن الله قد بعث من النبيين من يجاوز عددهم المئة والعشرين ألفا؟

والقصد أن كل أمة من أمم البشر اليوم تتفرع عن أصل في سلفها القديم، قد تعرض - لا محالة - لرسالات المرسلين، وإن مرت بما مرت به من الفترة! فالخطاب في آية المائدة إنما خرج مخرج التفضل على أهل الكتاب، بأن جاءهم من الله رسول يبين لهم من بعد أن انقطعت عنهم الرسل فيما بعد عيسى عليه السلام. أما الخطاب في آية فاطر، فخطاب تفضل كذلك ولكن على عموم النوع البشري (مجموع أمم الأرض) بأن الله تعالى قد أرسل فيهم من المنذرين جمعا غفيرا فما ترك من أمة

إلا بعث فيها من بعث. وسواء في هذه الآية أو تلك، فالخطاب موجه لأمة قد جاءها رسول من الله تحقيقاً، ألا وهو محمد عليه السلام، فلا حجة لأحد من تلك الأمة المخاطبة بالقرءان أن يقول يوم القيامة لم يأتني نذير ولا بشير!

ولدقة مأخذ هذه الشبهة وخفائها على كثير من المسلمين، لا يصل كثير من الإخوة إلى جواب فصل تام الأحكام مع مجادلهم من اللادينيين والملاحدة في تلك المسألة ومتعلقاتها، لأنهم يستدرجون في كل مرة إلى عين ما استدراج الملاحدة إليه المعتزلة من قبل من تشبيه الأفعال، سواء بضرب الأمثال مما مر معك جانب منه ونحوه، أو بالسعي إلى تحرير موازنة بين ما قد يظهر لهم من الخير وما قد يظهر من الشر ترجح فيها كفة الخير في جميع تلك الحوادث والإرادات الإلهية التي يأتي صبية الإلحاد بالاعتراض تلو الاعتراض عليها. ولو أنهم قالوا إن الله ليس كمثله شيء، وليس علمه كعلمنا ولا تقوم حكمته في تعيين الأحسن فيما هو فاعل بنا ولا يترجح الخير في علمه (كحكم أخلاقي على أفعاله وإراداته) بناء على نظرنا نحن البشر وعلى معارفنا وتقدير اتنا، وليس الخير عنده هو ما نجهه نحن لأنفسنا ولا بد، ولا الشر عنده ما نكره نحن ولا بد، لذا لم يجز أن نسأله عما يفعل من مفعولات يظهر لنا فيها الشر ولا ندري ما وجه الخير فيها، وكأن عقولنا تمنع من أن يوقع علينا خالقنا شيئاً مما نكره (من حيث المبدأ) لخير لا نعلمه، أو من أن يفرق بين آحاد نوعنا فيما يتفضل به علينا من فضل ومنة ورحمة، فيعطي هذا ما يمنع ذاك، ويوسع لهذا فيما يضيقه على ذاك، لو أنهم اكتفوا بهذا المعنى لقامت به حجتهم على الملاحدة وعلى المعتزلة وعلى جميع من شذ عن الحق في هذه المسألة الدقيقة، من دون أن يستدرجوا إلى القول بوجوب هداية البشر في الحياة الدنيا ونحو ذلك من إطلاقات يغفل أكثرهم عن لوازمها، والله الهادي إلى سواء السبيل.

لا يسأل عما يفعل وهم يسألون:

جاء أحد الإخوة ذات يوم بشبهة تتكرر كثيراً في المنتديات المتخصصة في الرد على الملاحدة، وسماها "إشكالية"، ألا وهي سؤالهم: إذا كان الله لا يحتاج إلى عبادتنا إياه فلماذا خلقنا؟ فأجبتة بجواب أنقله

ههنا بتمامه مع تصرف يسير للفائدة: "يقول رب العزة تبارك وتعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾

﴿٣٣﴾ [الأنبياء : 23]. فهل تأملت في معنى هذه الآية يوما ما؟ لماذا لا يُسأل الله عما يفعل؟ أليست لنا عقول يمكننا أن تسأل وتستفهم وتطلب المزيد والمزيد من الجواب، ولا تكتفي من طرح الأسئلة ولا تشبع من ذلك أبدا؟ بلى! ولكن هذا - والله - من ابتلاء الإنسان بعقله! ذلك أن مجرد سؤال الله عما يفعل سؤال من يطلب الإحاطة المعرفية أو يريد الحكم على هذا الفعل أو ذاك كما يكون في سؤال المخلوقين عن أفعالهم = هذا من تشبيه الخالق بالمخلوق في أفعاله، وهو من أبطل الباطل، وهو أصل من بضعة أصول تقوم عليها سائر المممل الإلحادية التي عرفها الناس منذ أن ظهر الإلحاد على الأرض وإلى يومنا هذا.

يا عبد الله: الإنسان مخلوق، جميع أفعاله مخلوقة، جميع صفاته مخلوقة مركبة فيه تركيبا، يقوم بغيره كما يقوم غيره به، تطرأ عليه الحاجة وتعرض عليه الضرورة كما هو شأن كل مخلوق، لذا فعندما يفعل شيئا ما، فمن المعقول ألا تخرج أفعاله عن دائرة الحاجة أو الضرورة. حتى عندما يحب ويكره (وهي أفعال قلبية) فهو محتاج لذلك بموجب غريزة ركبها فيه خالقه، لو لم يشبعها لداق العنت والضرر. من هنا جاز في العقل أن يُسأل من هذا وصفه (كائن مخلوق مركب قد ركب فيه صفاته وغرائزه وعقله الذي به يختار ما يختار)، عن اختياراته لماذا اختارها، وأفعاله ما الذي دفعه إليها، لأنه إن لم يكن مسؤولا من غيره من المخلوقين، فهو مسؤول من خالقه الذي ركب فيه تلك الأشياء.

أما عندما نتكلم عن خالق الخلق جميعا، سبحانه وتعالى وتقدس، فنحن لا نتكلم عن مخلوق قد رُكب فيه نفسه بما جُبلت عليه من دوافع فكرية وعاطفية لا تخرج عنها خياراته فيما يأتي من الأفعال وما يذر! فالله عندما يحب شيئا فلا يرد عليه أصلا أن يكون ذلك الحب من حاجة أو "غريزة" أو "شهوة" أو نحو ذلك! وكذلك فيما يكره وفي جميع ما يصدر عنه سبحانه من إرادات وأفعال! إرادات الإنسان وأفعاله معلولة بإرادة خالقه السابقة عليها ضرورة! أما الخالق القيوم فهو علة العلل الذي لا يسبقه شيء سبحانه، ولا يرد عليه النقص أصلا! أنت تشهد - كما أرجو - بصحة هذا الأصل العقلي الكلي وتوافقني عليه.

فعلى هذا نأتي للسؤال المهم: هل يجوز لنا - عقلا - أن نسأل عن سبب أفعال هذا الخالق كما نسأل عن أسبابنا ودوافعنا خلف أفعالنا نحن المخلوقين؟

تأسيسا على ما تقدم، لا تجد في عقلك إلا جوابا واحدا لهذا السؤال، وهو - والله الحمد - عين ما قرره الملك سبحانه في الآية الكريمة!

ولهذا أنكر أهل السنة على بعض طوائف المتكلمين (لا سيما المعتزلة) وقوعهم فيما يسمى "بتشبيه الأفعال". وتشبيه الأفعال بدعة خطيرة لا ينتبه إليها للأسف كثير ممن يشتغلون بالرد على شبهات الملاحدة في هذه القضية! تشبيه الأفعال يعني أن يقاس الله تعالى على مخلوقاته في أفعاله وإراداته، ليس في مطلق معانيها، فهي معاني تثبتها على ظاهرها ولا نرى في قولنا - مثلا - إن الله أحب كذا أو كره كذا أن فيه تشبيها بالمخلوقين (خلافًا للجهمية وغيرهم من مبتدعة المتكلمين الذين قالوا إن مجرد هذا الإثبات المعنوي لازمه التمثيل)، ولكن يقع تشبيه الأفعال عندما يتطرق الإنسان إلى الخوض بعقله في تلك الأفعال بما يلزم من مجرد حصول التشبيه بالمخلوقين، ومن ذلك أن نسأل مثلا: لماذا اختار الله أن يخلق الإنسان ولم يكتف بالملائكة؟

الجواب الكافي هنا إنما هو قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23]

ويتجلى لك هذا المعنى في قوله تعالى في جوابه للملائكة يوم سأله عن سبب خلقه لآدم، ذاك المخلوق الضعيف الذي توقعوا من حاله أنه سيفسد في الأرض ويسفك الدماء = ((إني أعلم ما لا تعلمون))، ثم قال بعدما برهن لهم سبحانه على ما تقرر لديهم العلم به مسبقا من أنه يعلم ما لا يعلمون، بأن أظهر لهم ما علمه سبحانه لآدم مما لم تعلمه تلك الملائكة = ((ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون))، فما كان جوابهم إلا أن قالوا ((سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)) فتأمل كيف أن الله تعالى ما زاد في أصل الأمر على أن قال لهم ((إني جاعل في الأرض خليفة))، فلما سأله بين لهم أنه علمه الأسماء كلها وأعدده لذلك الاستخلاف إعدادا، وأنه يعلم أنه سيقع منه الإفساد كما سيقع منه الإصلاح، ويعلم من

أمره ما لا يعلمون. فهل زادوا بأن سألوه (مثلاً): ولماذا تخلقه أصلاً يا رب؟ ألسنا نعبدك ليل نهار لا نفتر عن عبادتك؟ ألا تكفيك عبادتنا الدائمة التي لا تنقطع، وقد ملأت بنا السماوات كلها؟ لا والله لم يسألوه سؤالاً كهذا وما كان لهم أن يفعلوا! هذا سؤال من يدخل فيما لا شأن له به ولا يجوز له ذلك، وهو واقع - لا محالة - من مجرد السؤال نفسه في تشبيه الأفعال وقياس الخالق على خلقه! ما لازم أن يقع السؤال على هذه الصيغة: "ألا يكفيك كذا؟"؟ لازمه قياس الخالق على المخلوق، في معنى وقوع الخلق والتكوين من الحاجة التي يتصور لسدها وجود حدٍّ للكفاية، ما أن يبلغه الصانع حتى يكتفي ولا يزيد! وهذا قياس محض وتشبيه محض، قد تنزه الله تعالى عنه، وتنزهت ملائكته البررة عن أن تقع فيه! فنحن قد شهدنا بضرورة العقل أنه سبحانه لا تعليل لأفعاله إلا إرادته وعلمه وغيرها من صفات ذاته، بخلاف المخلوقين الذين تتعلل أفعالهم بإراداتهم وصفاتهم وغيرهم من المخلوقين أمثالهم، المعللة كلها بإرادة الخالق الواحد من فوقهم جميعاً.

ولو أنك تأملت، لوجدت أن أي سؤال عن سبب فعل الله كذا وكذا، كسائر الأسئلة عن الأسباب والتفسيرات، يحتمل أن يتسلسل سؤالاً بعد سؤال. بمعنى أنني لو سألتك الآن: لماذا تكتب في المنتدى؟ لجاء جوابك: لأني أريد أن أعرف جواب مسألة ما. فإن قلت لك: ولماذا تريد أن تعرف جواب المسألة، فستجيب: لأني محтар فيها والوساوس تقتلني، فإن زدت وسألتك ولكن لماذا تحاصرك الوساوس؟، فقد ينتقل بنا الكلام إلى أمور تربوية وأمور تتعلق بظروف معيشتك وتركيبك النفسية والفكرية.. الخ. والقصد أن هذا التسلسل في الإجابة عن السؤال "لماذا؟" جائز في حقك لأنك مخلوق. ولكن ما نهايته؟ ما نهاية هذا التسلسل في السؤال؟ نهايته بضرورة العقل أن نصل إلى نقطة نقول فيها: الله أعلم، هذا ما أراد الله، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا نجيب إلا بما علمنا (مما نرى إمكان أن نتوصل إلى العلم به بالأساس). هذه السلسلة قد تطول وقد تقصر في حق المخلوق لأنه معلول بغيره، ولكنها لا بد وأن تنتهي مهما طالت أو قصرت عند إرادة خالقه سبحانه التي لا تقاس على إرادتنا ولا تتعلل بشيء خارج عن ذاته جل وعلا، وإلا انفتح تسلسل الأسباب وهو ممنوع في العقل.

لذا نقول إنه إذا كان الفاعل الذي نسأل عن أفعاله هو الله نفسه، تبارك وتعالى، فلا يجوز العقل أن تتسلسل الأجوبة في السؤال "لماذا" على نحو ما يكون في حق المخلوق. ذلك أنه هو نهاية السلسلة أصلاً، إرادته وحكمته وعلمه (التي لا نعلم منها إلا ما يأتينا من خبره هو وحده سبحانه) هي نهاية المعرفة بالنسبة لنا! نعم قد يجتهد العلماء في استنباط الحكمة من تشريع ما أو من خلق شيء ما، من غير أن يكون في ذلك نصّ منزل، ولكن هذا الاجتهاد مضبوط بضابط لا يجوز أن يتخطاه، وهو ألا تكون المسألة مما يمتنع الوصول إلى معرفة جوابه بالنص أو القياس الصحيح. قمثلاً يجوز أن نسأل: ما الحكمة (أو ما السبب) في تشريع الحج (مثلاً)، فنبدأ في قياس أفعاله على أحداث يوم الحشر - كما فعل بعض أهل العلم - ليصلوا إلى القول اجتهداً بأن سبب التشريع والحكمة منه إمرار الحاج والمعتمر بأحداث تقرب إلى ذهنه مشهد يوم الحشر حتى يستحضر مهابته وعظمته، بما يرجع على نفسه بكثير من المنافع. هذا اجتهد قد يصيب وقد يخطئ وصاحبه ممن يرجي له الأجر أو الأجران. ولكن هب أنه زاد فسأل: ولماذا يريد الله خلق نوع من المخلوقات يميته ثم يبعثه ويحشره إلى جنة أو نار من الأصل؟ هنا يكون السؤال عما لا يتطرق إليه نص ولا قياس، ولا يزد فيه على أن يقال: هكذا أراد الله سبحانه، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون. كذلك يجوز أن نسأل - مثلاً - لماذا خلق الله تعالى القمر؟ ففي القرآن أنه جعل الأهلة مواقيت للناس والحج. ومن أسباب خلق القمر ما جعله الله سبباً فيه من أحداث تجري على الأرض كالمد والجزر مثلاً، بما في ذلك من منافع للمخلوقين علموا منها ما علموا جهلوا ما جهلوا. هذا مما أمكننا معرفته من النص ومن المشاهدة والقياس، وليس في إثباته ما يلزم منه تشبيه أفعال الخالق بالمخلوق. أما أن يسأل السائل: ولماذا أراد بالأساس أن يخلق خلقاً هذه صفتهم ينتفعون بالقمر لهذه الغاية وتلك، فهنا نقول له قف: الله لا يُسأل عما يفعل، فالزم حدّك ولا تجاوزه، ولا تنس أنك تتكلم عن خالق السماوات والأرض الأول الذي ليس قبله شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، سبحانه وتعالى. وحاصل هذا الكلام الطويل، والأمر الذي أنصحك بأن تعض عليه بنواجذك ما حييت: أن الله تعالى ليس كمثله شيء، لم يكن له كفواً أحد، فلا يُسأل عما يفعل كما يُسأل المخلوقون!

فهل يسعك هذا الجواب يا عبد الله، كما وسع سائر عقلاء المسلمين من زمان الصحابة وإلى يوم الناس هذا؟ أم تراك لا تكتفي حتى تملأ جوفك بتنطعات الفلاسفة وتهافتاتهم، ومساعي المتكلمين في توضيح الواضحات التي لا تراهم إلا يبعدونها عن أذهان العقلاء جميعاً حتى يصبح القطع ظناً واليقين نظرية وفرضية وجدلية؟ أعيذك بالذي خلقتك من هذه السبيل وأهلها!

يا أخي والله لا يضيرك الجهل بالحكمة من خلق الإنسان (وليس الهدف: فالهدف في اللغة شيء يسد الإنسان ويقارب لإصابته، والله منزّه عما يقتضيه هذا المعنى من نقص واضح)! لا يضيرك أن تموت ولم تعلم لماذا خلق ربك خلقاً للجنة وخلقاً للنار، ولم يجعلهم جميعاً كالملائكة، أو يجعلهم جميعاً في نعيم سرمدي وهناء وسرور أبدي من غير ابتلاء ولا امتحان ولا شيء من ذلك! هو يحب ذلك ويريده، سبحانه، يحب أن يرى عبداً يعبدّه ويخشاه بالغيب من غير أن يراه! يحب أن يراهم تهون عليهم المصائب والبلايا محبة فيه وخشية له من غير أن يروه، فهل لديك اعتراض على هذا؟ هل لعاقل من المخلوقين أن يعترض على هذا أو أن يسأل لماذا يحب هذا؟ هذا ما عندي وعند عقلاء المسلمين..

فهل نخرج منك الآن بتوبة إلى الله تعالى مما بدر منك من تجاوز في حقه (بمجرد السؤال عما ليس لك أن تسأل عنه، فضلاً عن أن تجعله "إشكالية")، وانصراف عن هذا الممتدئ وغيره مما تطرح فيه أمثال تلك المسائل، والاستعاذة بالله تعالى من كل وسواس يطراً عليك، والانصراف إلى طلب العلم الشرعي الذي لا يسع المسلم جهله؟ " انتهى.

الرد المبين على من اوجب ارسال الرسل على رب العالمين

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

أما بعد، فقد منّ الله تعالى على بني آدم بأن قال لأبيهم يوم أهبطه وزوجه إلى الأرض: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا

مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38]

فجعل الدنيا دار اسخلاف، واختار سبحانه فضلا منه وكرما أن يتلي فيها عباده بسبيل للنجاة وعلو

الدرجات والمنازل في دار القرار في الآخرة، من بلغه فاتبع وخضع علت درجاته ومن بلغه فأبى

واستكبر خسى وارتكس، نسأل الله العافية.. ولكن غلت طوائف من المتفلسفة والمتكلمة وقالت إن

الله يلزمه أن يرسل المرسلين ويبين للناس طريق الصلاح والهداية، وذلك بسبب قولهم في التحسين

والتقبيح العقلين، فجعلوا إرسال الرسل واجبا على الله تعالى، وليس كذلك، بل هو فضل من الله

ومنة.. ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83]

وطريقة أهل السنة ألا يوجبوا شيئا على الله إلا بنص. والله تعالى واجب الكمال في كل صفاته بموجب

ضرورة العقل، وكما جاء به النص من كون أسمائه هي الحسنی وصفاته هي العلا، سبحانه وتعالى،

ولكننا مع ذلك لا نملك أن نوجب عليه فعلا بعينه لم يأتنا منه النص على أنه واجب عليه سبحانه

وتعالى، وما ينبغي لنا ذلك!! وليس جهل الجاهل منا أو قصور نظره - بطبيعة خلقه البشرية - بحجة

على ما لا نعلم من حكمة الله جل وعلا وعلمه..

فمطلق الابتلاء بالغيب وإرسال الرسل لتعليم الناس الغاية من خلقهم في الحياة الدنيا هو من تمام

حكمة الله جل وعلا من خلق الحياة الدنيا، وهو من فضله ورحمته.. هكذا أراد الله تعالى وهكذا كان..

ولكنه ليس بواجب عليه سبحانه لا بالنقل ولا بالعقل، فلو أنه أراد غيره لنا لما منع ذلك ضرورة من

ضرورات العقل قطّ، لا حقيقة معنى الحكمة ولا معنى العدل ولا غير ذلك.. فكيف يقال بأنه واجب عليه؟! وآية كونه ليس بواجب: وجود ما يصطلح عليه بأهل الفترة، وهم أقوام ولدوا وعاشوا وماتوا على غير الإسلام ولم يسمعوا به قطّ! فلو كان إرسال المرسلين واجبا على الله تعالى حتى يسمع كل البشر حجة الله وتقوم عليهم جميعا في الحياة الدنيا فهؤلاء ما بلغهم شيء من ذلك وما سمعوا شيئا! فلو كان واجبا على الله أن يُسمع الناس جميعا حتى يتحقق العدل فما جواب المعتزلة - من بعد جوابهم عن ظاهر القرآن إن استطاعوا ذلك - عن وجود أهل الفترة؟ هذا من أظهر ما به نبطل مذهبهم في إيجاب إرسال الرسل! إذ قولهم هذا يلزم منه أن أهل الفترة قد ظلموا بتخلف بلوغ الرسالة إليهم، وليس كذلك! فقد دل النص على أنهم يُمتحنون في عرصات الآخرة فلا يدخل من يدخل منهم الجنة أو النار إلا وقد ابتلي فاختار على علم فاستحق مصيره الأبدي.. ونقول، أولو كان أمر الله في حق أهل الفترة أن يكونوا ترابا يوم القيامة ولا يكون لهم خلود لا في جنة ولا في نار كغيرهم من البشر، أفيظلمهم الله بذلك؟ كلا! بل من فضله ومنتته أن جعل لهم سبيلا ليختاروا الهدى من بعد ما يتبين لهم، وليكونوا بذلك من الفائزين، رحمة منه وفضلا، فوفقما يكون اختيارهم - على علم - يكون مصيرهم!

وأما قول المعتزلة بأن الله يجب عليه فعل الأصلح للبشر (وهو أصل قولهم بوجوب إرسال الرسل) فليس بصحيح.. فمعنى الصالح والأصلح إنما مرده إلى علمه هو سبحانه.. فلا نحكم من ذلك إلا على ما نملك العلم اللازم للحكم عليه.. والفلاسفة ومن تبعهم من المعتزلة إنما جاء ضلالهم في هذه المسألة ونحوها من إعطائهم الحق لأنفسهم بالحكم على ما ليس لهم به سلطان من علم ولا دليل! فجاوزوا بذلك حدود النقل والعقل وأتوا من الباطل أشكالا وألوانا والله المستعان..

الصالح والإصلاح في الدنيا ليسا بواجبين (كونا)، بل الأصل فيها خلاف ذلك، وهذا ظاهر جدا لا يحتاج إلى تدليل!! وإنما من الله على البشر بأن بعث فيهم من يعلمهم ما به يعرفون سبيلهم إليه، ابتلاء وامتحاناً لهم بهذا الاختلاف الذي هم فيه سواء (من بلغته الحجة ومن لم تبلغه).. فلو شاء أن يمنع ذلك عنهم جميعا فيجعلهم جميعا في حكم أهل الفترة مع كونهم مستخلفين فيها، فإنه لا يظلمهم بذلك.. فمقرر أنه في جميع الأحوال لا ثواب ولا عقاب إلا باستحقاق.

فإن قالوا: أليست هداية الناس إلى الصواب خيرا في حق الله تعالى من تركهم بلا حكمة ولا كتاب

منير؟ قلنا لهم عرفوا لنا حد الخيرية وحقيقة ما به قررتموها ونحن نجيبكم! إن كان حدها في كون الإنسان يكون أحسن حالا وطمأنينة في نفسه وفي أهله وفي ماله، فلا تنسوا أن حياة الواحد منا في دنياه ليست إلا قطرة في بحر الخلود.. فمهما أوتي العبد منا من خيرات في الدنيا فإنها لا تزن شيئاً قط يوم يغمس في النار ثم يعلم أنه ما كثر فيها أبداً (نسأل الله العافية)، والعكس صحيح.. فلا يصح أن نقرر مناط الخيرية في أحوال الناس بالنظر إلى دنياهم دون أخراهم! بل أخراهم هي الأصل في ذلك فهي تدوم أبداً ولا تزول! وإن قالوا حد الخيرية هو سعادة المؤمنين بالعلم بالله فمن يحرم ذلك من أهل الفترة فقد ظلم، قلنا نوافقكم على أنه الخير كل الخير في الدنيا - وهذا من فضل الله ومنه على العباد - ولكن من حرمه في الدنيا من دون اختيار منه وصدد عن سبيله بعدما جاءه، فهذا لم يظلمه الله، لأنه قد أوتي في الدنيا من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى ما أوتي، ومع هذا فإن الله لن يحاسبه على تركه الشكر والخضوع له بما هو أهله جل وعلا، ولن يحاسبه على انتقاصه الشديد في حقه جل وعلا وعدوانه عليه بالعبادة والخضوع لمخلوق من دون الخالق الذي دل العقل السوي المستقيم على أنه منزّه عن ذلك كله ولا بد!

ثم إن أهل الأرض يأتيهم فيها نعيم كما يأتيهم عذاب، ويمتعون بالشهوات فضلاً عن نعم الله السابغة عليهم في الآفاق وفي أنفسهم من غير ما كسب منهم ولا استحقاق!! وإفساد أهل الفترة في الأرض على جهلهم وعماهم ليس يورثهم الحرمان من ذلك (من وصول الرحمة العامة إليهم).. والله لا يظلمهم بما يصيبهم به في الدنيا قيد أنملة.. فليس يصح إذن أن يقال بأنه لو لم يجعل في الأرض رسلاً ولا رسالات قط لظلم الخلق أو لنزل دون حد الكمال في خلقه وتقديره، سبحانه وتعالى! وخيرية ذلك كما نرى إنما هي خيرية تفضل ونعمة وليست أمراً يلحق النقص بصفات الخالق إن لم يتحقق في الأرض، فتنبه!

فإن قال قائل القوم هل وجود الواحد من أهل الفترة في الحياة الدنيا بلا سبيل إلى الرسل ولا الرسالات أصلح له أم ليس بأصلح؟ قلنا لهم لا يحق لكم طرح هذا السؤال أصلاً! فهذا لا يملك الحكم فيه أحد من البشر، لأننا لا ندري حين يُبتلى هذا الواحد من أهل الفترة في الآخرة كيف سيكون

بلاؤه.. هل سيستحق الثواب أم العقاب، هل نفسه من تلك النفوس التي يعلم الله فيها الخير فيعاملها في الدنيا بما تستحق وإن لم تبلغها رسل ولا رسالات، ثم في الآخرة تختار الخير وتفوز الفوز الأبدي، أم أنها ممن قال فيهم ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [٢٣] [الأنفال : 23] (كما تعلمنا من قصة الغلام الذي قتله الخضر بأمر من الله تعالى ولم يكن قد ظهر لنا منه ما بمثله نحكم باستحقاقه العقوبة)؟؟ هذا كله علم مفوض لله تعالى ليس لأحد منا الدخول فيه! قد خلق الله خلقا للعذاب وخلقاً للنعيم، ولكنهم يقينا لا يصيرون إلى هذا أو إلى ذاك إلا باستحقاق، والعلم الذي يلزمنا معاشر البشر - المحجوب عنا بالغيب - من أحوال الخلق وحقائق ما في قلوبهم وما هو كائن في شأنهم من بعد وما لم يكن من قبل لو كان كيف يكون، كل هذا لا يعلمه أحد من البشر ولا يعلمه إلا خالق البشر، وهو يقيم به الحجة على عباده جميعاً يوم القيامة ولا يظلم ربك أحداً! نحن لا نعلم إلا ظاهر الحال، فكيف بالذي يعلم ظاهر الحال وباطنه وظاهر المآل وباطنه، وهو الظاهر والباطن كل شيء عنده في كتاب؟؟ فلا نملك الحكم في مسألة نحن قاصرون عن بلوغ العلم اللازم فيها! وقد علمنا أن الله ما خلق البشر ليكونوا جميعاً أهل صلاح وخير، ولا يلزمه ذلك، سبحانه وتعالى، ولا يظلم الله من خلقه مثقال ذرة.. لهذا نقول إنه لا يدخل شيء من ذلك في قضية ما هو صالح للناس وما هو أصلح لهم.. إذ هو لم يخلقهم لغاية أن يكونوا كلهم جميعاً في الدنيا أهل خير وصلاح!! لو شاء لجعلهم كذلك ولآتى كل نفس هداها ولكنه لم يشأ! وهم جميعاً يأتونه في ذلة العبيد، المؤمن منهم والكافر، فإن لم يكن ذلهم له واقعا منهم في الدنيا فهو واقع في الآخرة لا محالة، يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، كما قال تعالى ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [١٣] [مريم : 93] فلا يتخلف من حكمة خلق السماوات والأرض شيء قط بتخلف وصول الرسل والرسالات إلى الناس، فتأمل..

ثم ألا ترى أيها المعتزلي أن أقواماً قد بلغتهم حجة الرسالة فارتكسوا وأصروا على باطلهم وكفرهم من بعد ما علموا، فاستحقوا الخلد في النار من أجل ذلك؟ فالواحد من أهل الفترة الذي عاش ومات على جهله لا يدري ما الإسلام ولا الإيمان، ثم في الآخرة خير فاختار الخير فكان من الفائزين، هذا عاش في

الدنيا متسلطا على ما أعطاه الله فيها بباطل وضلال وجهل كما عاش الأول، ومات دون أن تبلغه الرسالة كما بلغت الأول، ولكنه كان في منتهى أمره من الفائزين بينما كان الأول من الخاسرين، فمن الذي قال إن إرسال الرسل يتحقق به الصلاح والخير لكل سامع ولا بد؟؟ بل لعله لبعض الناس يكون الخير في خلاف ذلك، وأن يموتوا قبل أن تبلغهم محجة الحق أصلا.. وسبحان من له الحكمة البالغة! يرزق من يشاء بغير حساب.. يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا..

والرحمة من الله فيها رحمة خاصة وفيها رحمة عامة، فرحمته العامة تشمل سائر الدواب في الدنيا ولا تعلق لها بما يعملون، وأما الرحمة الخاصة فيؤتيها الله من يشاء من عباده المكلفين - بأن يصطفي منهم من يشاء للرسالة اصطفاءً كونيا قدريا فيرفعه بذلك فوق سائر البشر، ويصطفي من وراء ذلك النبي من يتبعه فيرفعه فوق من هم دونه وهكذا - وليس التفاوت في الحظ من الرحمات والمنن والعطايا الربانية في الدنيا بمتعلق بصفة العدل وتاممها، فلا يظلم الله رجلا بأن يؤتي غيره مالا فوق ماله أو خلقا فوق خلقه أو منزلة فوق منزلته بين الناس، والكل مبتلون ممتحنون، وعظم العطاء مؤداه في الحقيقة شدة الابتلاء - لمن بلغه ما به يكون الابتلاء - كما في قوله تعالى ((ونبلوكم بالشر والخير فتنة))، فلا تعلق أصلا لزيادة الفضل الدنيوي والعطاء الدنيوي أو نقصانه بتمام العدل بين العباد في حقه جل وعلا..

ومن هنا نقول إن من حرمه الله في الدنيا من نعمة بلوغ الإسلام إليه ووصول دعوة التوحيد إليه فإن هذا لم يظلمه الله بذلك، سبحانه وتعالى وتقدس، ولم يخالف في ذلك حكمته من خلق الحياة الدنيا، ففي الدنيا من خلُقوا ليكونوا من أهل الجنة وهم لم يسجدوا لله سجدة واحدة، ومنهم من خلُقوا ليموتوا على الكفر وقد كانوا في ظاهرهم ممن يُظن بهم الصلاح والعبادة، نسأل الله العافية، ومنهم من خلُقوا ليقضوا أعمارهم في صمم لا يسمعون شيئا أو في جنون لا يعقلون شيئا أو يموتون أطفالا لا يميزون شيئا.. وهذا التنوع بين صنوف البشر ومآلاتهم وما يكون من أمرهم إنما هو من حكمة خلق الحياة

الدنيا نفسها ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ

خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩]

فالشاهد أن قول المعتزلة بوجوب إرسال الرسل إن كانوا يريدون به وجوب وصول البينة والحجة

الرسالية إلى كل أحد، فليس هذا بواجب قط لا نقلا ولا عقلا، ولا هو واقع حسا ولا مشاهدة! وإن كانوا يريدون بذلك وجوب أن يرسل الله رسلا للناس بعموم، فنقول هذا أيضا ليس يوجب العقل فضلا عن النقل !

وقد يقولون بأن إنزال الله البشر إلى الأرض - كنوع لا كأعيان - وابتلاء الله إياهم بالاستخلاف فيها هذا لازمه وجود حبل موصول بالسماء، هو حقيقة الوحي والرسالة، التي بها يتحقق التلقي من الله جل وعلا لما به يقوم الحكم والاستخلاف حق القيام.. فمعرفة الله تعالى ومعرفة مراده لا تقوم على ما يريده الله من البشر إلا بالوحي.. والله قد خاطب آدم وهو يهبطه من الجنة بقوله ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي

هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].. فهل يقال إنه يجب على الله لهذا المعنى أن يرسل رسلا للبشر؟ الجواب كلا لا يجب، فصحيح أن معنى الابتلاء يلزم منه وجود الحجة الرسالية (سواء في الدنيا أو في الآخرة كما لأهل الفترة)، ولكن معنى الاستخلاف لا يلزم منه حصر الابتلاء للمكلفين في الدنيا أو في هذا الاستخلاف نفسه !

إذ لو شاء الله أن يجعل سائر أهل الدنيا جميعا في حكم أهل الفترة لما ظلمهم بذلك ولما خالف الحكمة من خلقهم، ولا يزالون - مع ذلك - مستخلفين في تلك الأرض ما داموا فيها! فإن قيل ولكن كونه سبحانه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، هذا يمتنع بسببه أن يكون مثل هذا.. قلنا نعم نوع الإنس مخلوق ليعبد الله تعالى، فمن أجاب لذلك نجا ومن عاند هلك، ولكن هذا لا يمنع خلو الأرض من الرسل والرسالات بحال إن اقتضت حكمة الله ذلك (ولم تقتضه)، فالابتلاء بعبادة الله (بإتيان الهدى والدعوة لاتباعه) قد يقع للناس ببلوغ الرسالات إليهم في الدنيا وقد يقع بابتلائهم في الآخرة (كما يكون مع أهل الفترة).. وليس طريق تحصيل ذلك قاصرا على ما يجري في داخل الحياة الدنيا وفقط! فلو شاء الله ألا يجعل في الأرض رسلا قط، وأن يكون ابتلاء البشر جميعا بذلك الهدى عندما يأتيهم في عرصات الآخرة كما يكون مع أهل الفترة، أفيظلمهم بذلك؟ أفيخالف بذلك ما قرره سبحانه من كون البشر جميعا لم يخلقوا إلا ليعبدوا بعبادته كما في قوله تعالى ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون))؟؟ كلا.. لا تعارض ولا مخالفة! بل حتى الكفار يخضعون ويتعبدون ويتذللون لله جميعا

يوم القيامة ليرجعهم حتى يعملوا صالحا وليس بفاعل، وليخرجهم مما هم فيه من العذاب وليس بفاعل سبحانه.. فكلهم آتية عبدا طوعا أو كرها.. ولا ينقص من ملك الله شيء إن فنيتم أمم وأجيال من البشر في سائر الأرض لم يسجد فيها رجل واحد لله سجدة واحدة، وقد كانوا مستخلفين فيها.. فلا النقل ولا العقل يمنع إمكان هذا! إنما قضت رحمة الله وفضله خلاف ذلك، لا أنه واجب عليه سبحانه! وهو سبحانه لم يقل "وما أنزلت الإنس إلى الأرض إلا ليعبدون، ولكن قال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون.. أما الانزال إلى الأرض فاستخلافٌ فيها.. فتأمل الفرق الدقيق هنا..

ولما قال تعالى ((إني جاعل في الأرض خليفة))، خاطب سبحانه الملائكة بهذا القول فاستفهموا منه عن جعله في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء، فأجابهم جل وعلا بأنه يعلم ما لا يعلمون، فلما خلق آدم وعلمه الأسماء كلها، أشهد الملائكة لا على أن آدم وذريته لن يفسدوا في الأرض ولن يسفكوا الدماء، ولا على أنهم سيكونون جميعا عبادا له فيها كالملائكة في السماء، كلا، ولكن أشهدهم على أنه علم آدم ما لم تكن تعلمه الملائكة، فبين لهم أن الحكمة من خلقه لا كالحكمة من خلقهم هم، والحكمة من إنزاله إلى الأرض ولازم تحقق تلك الحكمة لم يتخلف في خلق آدم طرفة عين حتى وإن أفسدت ذريته فيها وسفكت الدماء، وأن إمكان ألا يوجد في الأرض في عصر من الأعصار من يعبد الله من البشر قط، لا تأثير له على تلك الحكمة ولا على معنى الاستخلاف أصلا! فالاستخلاف في الأرض ليس معناه الخضوع لأمر الرسل ولا بد، وإنما معناه عموم التسلط على تلك الأرض وإعمارها والضرب فيها والتمكن مما سخر الله لنا فيها، لينظر الله ما نحن فاعلون كما في الحديث "إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ما تعملون" (أو كما قال عليه السلام).. فمن جاءه الهدى وموعظة من ربه فاتبع فهو ناج فائز برحمة من الله وخير، وأما من لم تأتته فليس بمظلوم ولا هو خارج عن معنى استخلاف البشر في الأرض، بل هو مستخلف فيها تحقيقا، وعمله مؤثر فيها سواء كان أو لم يكن له حساب عليه في الآخرة.. فلا تتخلف عن مثل هذا الحكمة لا من خلق البشر ولا من استخلافهم في الأرض، وهو سبحانه صانع بهم ما يشاء.. فلا ظلم ولا هضم ولا تفريط.. فسبحان من له تمام الحكمة والعلم وحده لا شريك له.

فالحاصل أنه لا يجوز - بأي طريق كان - أن يقال إن الله يجب عليه أن يرسل الرسل ليبين للناس ما يتقون! ليس هذا بواجب ولكنه من تمام فضل الله ورحمته وحكمته، ولأنه يريد أن يتخذ منهم شهداء وصالحين وصديقين وأنبياء، فكان هذا من فضله ومنه عليهم... ولو شاء ما فعل ذلك وما نقص من ملكه ولا من حكمته ولا من عدله شيء.. هذا والله أعلى وأعلم والحمد لله رب العالمين.

الرد على مقال (بين المفكر والمختص) للدكتور بكار

بدأ الدكتور وفقه الله بأن يحرر لنا تعريف ما يسميه (بالمفكر)، فيقول: (من هو المفكر؟ يمكن أن نقول بإيجاز: إن المفكر هو من يملك رؤية نقدية ينقل من خلالها تناقضات مجتمعه ومشكلاته إلى حسّ الناس وأعصابهم، لتصبح إحدى مفردات همومهم اليومية، وهو بما يعرف من سنن الله تعالى في الأنفس والآفاق، وبما يملك من رؤية شاملة فاحصة للواقع والتاريخ يتمتع بـ (حاسة الاستشعار عن بعد)، فيرى ما لا يراه الناس، فينذرهم ويوجههم نحو طريق الفلاح)

وأقول إن هذا التعريف ليس جامعا ولا مانعا، بل أراه (مائعا) إن صحت العبارة. فإنه على هذا الوصف = كل عامي من عوام الناس أمسك قلمًا ورأى نفسه ذا عقل ناقد قد تولدت فيه "أفكار"، ينفك بها عن التقيد بتخصص محدد قد تحققت فيه شرائط الاشتغال به، فإنه يستجيز لنفسه أن يتسمى (بالمفكر)!! ونحن نرى ذلك واقعا تضح به الصحف والمجلات ودور النشر في زماننا هذا ولا يخفى على أحد!

يقول: المفكر هو من يملك رؤية نقدية! وهل بقي أحد من الناس في زماننا هذا لا يملك "رؤية نقدية"، ولم يؤسس لنفسه رأيا في كل صغيرة وكبيرة من دقائق القضايا الكبرى التي تعرض على مسامع الناس ليل نهار في وسائل الإعلام؟؟؟

عندما يقول الدكتور بكار: "تناقضات مجتمعه"، ينسب إلى (المفكر) الإلمام بها وأهلية الكلام فيها، فأى جنس من أجناس التناقضات يقصد؟ إن كان يقصد التناقضات الفكرية والفلسفية فيقينا ليس كل (مفكر) - أيا كان اختصاصه - مؤهلا لأن ينظر فيها فيقرر الحق من الباطل بالدليل العلمي المعتمد! فما أهلية من يقول أنا (مفكر)، ثم يذهب ينظر ويحلل وقيس ويقارن ويناقش ويجادل ويستدل في تلك المضايق؟ ومن أين تلقى تلك الرؤية الشاملة الفاحصة للواقع (والتاريخ) وكيف تأهل بها؟؟ وما الذي

جعلته يرى ما لا يراه الناس، مع أن أكثر الناس يدعون ذلك لأنفسهم كما نرى!! فبأي علم زعم (المفكر) لنفسه أنه إن وجه الناس فإنما يوجههم إلى "طريق الفلاح"؟؟؟ على هذا الحد الذي حرره الدكتور عفا الله عنه = كل الناس مفكرون!!

وهذا ما أفرزته لنا ثقافة الصحافة والإعلام المفتوح وحرية الكلمة والنشر، فقد صار كل من أمسك قلما وقال إني من المفكرين = له صوت مسموع وجمهور يتابعونه ويحملونه على الأعناق، وصار يرى نفسه أهلا لأن ينزع كلمة قرأها في كتاب في علم النفس يجمعها إلى أخرى من كتاب في علم الاجتماع إلى ثالثة وقف عليها في كتاب من كتب علماء الشرع، إلى أخرى سمعها في إحدى الفضائيات في نشرة للأخبار، ثم يضرب ذلك كله في خلاط رأسه ويأتيكم بما عنده من (فكر)، لأنه يرى أنه قد استجمع هذه الأمور التي حررها الدكتور بكار في (حدّ المفكر)!!! فمن يمنع مثل هذا (المفكر) من الخوض فيما لا يحسن، ومن يقول له اخسأ ولا تعدّ قدرك، فلست مؤهلا للكلام في كذا وكذا؟؟

يقول الدكتور: (أما المختص فإنه يكون - في الغالب - متبحراً في علم من العلوم التطبيقية أو الإنسانية، فهو لا يصدر عنه إلا ليعود إليه، وكثيراً ما يكون المختص فاقداً للوعي الاجتماعي، إذ إن التخصصات في حالة من التوسع المستمر، كما أن مشكلاتها في تزايد مستمر، ومهما بذل المرء من جهد بغية إتقان تخصصه وجد أن التراكم المعرفي يبعده عن غايته تلك، وهذا يقتضي منه المزيد من الانهماك فيه، والمزيد من البعد عن مشاكل الحياة اليومية، وبالتالي فهو يتبعد باستمرار عن الرؤية الشاملة).

قلت هذا الكلام فيه نظر. فإن التبحر في العلوم الفرعية الدقيقة لا يلزم منه هذا الذي ذكره الدكتور. ولا يصح أن يقال إن الباحث فيها لا يصدر عنها إلا ليعود إليها، بمثل هذا الإطلاق! فإن العلوم منازل ودرجات، تختلف طبيعة مباحثها باختلاف مادتها المعرفية ومقاصدها العلمية! فقول القائل بمثل هذا الإطلاق إن المختص كثيراً ما يكون فاقداً للوعي الاجتماعي هذا قول مجمل لا يصح! فإنه ما من إنسان إلا وهو - على التحقيق - مختص في مجال من مجالات الاختصاص المعرفي والعملي لا محالة، وإن لم يكن بالضرورة باحثاً أكاديمياً فيها! ولا يعني التوسع المستمر لتلك التخصصات أن يفقد (المختص) - هكذا - الوعي الاجتماعي - هكذا - كما يقرر الدكتور! ينبغي أولاً أن نكون على

دراية بمراد الدكتور من لفظة (وعي اجتماعي) وعلى دراية بطبيعة التخصصات التي يظن أنها تؤدي كثرة التشعبات فيها إلى هذا الأثر على المختصين فيها، حتى ننظر فيما إذا كان له الحق في إطلاق هذه الأحكام الكلية أم لا، ثم ننظر فيما إذا كان له أن يعمم تلك التعميمات على كل - أو أكثر - من يمكن وصفهم بالمختصين أم لا!!

التراكم المعرفي لا يطمس على بصيرة المختص إلا إن كان ذلك المختص لا يدري بأي وجهة يتوجه ولا على أي أساس فلسفي كلي يتحرك، ولا بأي شريعة يتقيد، فإنه لا يكون - بحسب طبيعة اختصاصه - إلا باحثاً في مسألة فرعية دقيقة لا يراد منه إلا أن يكون علمه هذا أداة في يد مختص في مجال آخر من المجالات الكلية، يوجهها لخدمة الغايات الكلية التي لا تتقرر عند الأول من مجرد اشتغاله باختصاصه الفرعي الدقيق!! إن القضية التي نحن بصدددها هنا أدق وأخطر مما يقرره الدكتور في هذا الكلام! القضية قضية توجيه لغايات البحث العلمي نفسه! فإن العلوم والمعارف الإنسانية ليست إلا أدوات معرفية توجهها فلسفة أخلاقية لإصابة المقاصد المعرفية التي تملئها تلك الفلسفة الأخلاقية! فقد تتوجه وفق فلسفة علمانية محضة تسعى - باستخدام تلك الأدوات - لتقرير وإثبات مفردات تلك الفلسفة وتحويلها إلى حقائق علمية معرفية تنتظم في سلوكها مباحث تلك العلوم الدقيقة جميعاً! وهذا واقع مرير نراه - على درجات متفاوتة - في شتى الجامعات المختصة في العلوم الإنسانية في بلاد المسلمين! فالقضية تتمثل في الحقيقة في مدى إدراك المختصين لمرجعيتهم الكبرى في توجيه مقاصدهم وأهدافهم، ومدى احترامهم هم لأهل الاختصاص في تلك المرجعية العلمية نفسها! فعلى سبيل المثال، ترى من علماء الاجتماع في بلادنا من يتصور أن علاج مشكلات الأمة وإصلاحها إنما يُطلب من علم الاجتماع ومباحث علم الاجتماع! فهذا رجل مختص في علم من العلوم الإنسانية، ولكنه يجهل أبجديات شريعة رب العالمين، ومن ثم فهو يغلو في صناعته تلك ويحسب أن فيها سبيل صلاح المجتمع! فلم تكن مشكلته أنه غرق في الاختصاص وتوسع فيه وتبحر فيه كما نفهم من كلام الدكتور، فغابت عنه النظرة الشمولية التي ينبغي أن يتحلى بها (المفكر)! وإنما كانت مشكلته أنه جهل الأصل الفلسفي الكلي الذي يجب أن تتوجه به غايات ومقاصد مباحث ذلك العلم الذي تخصص فيه،

بما يجعل هذا العلم مسخرا لخدمة المجتمع وإصلاحه، لا لهدمه وإفساده! وهذا الأصل الفلسفي لا يستمد من داخل علم الاجتماع نفسه، فإن الحكم الأخلاقي ليس داخلا تحت صنعة علماء الاجتماع، وإنما مرد ذلك إلى شريعة رب العالمين، التي يلزم أن يحقق هذا الباحث لنفسه الحد الأدنى من العلم الواجب عليه منها! ثم هو بعد ذلك ينظر فيما حوله من تخصصات فرعية دقيقة وفي المداخل التي تدخل منها مباحث تلك التخصصات إلى القضايا التي يتناول دراستها في اختصاصه، كلية كانت أو فرعية، ليربطها معرفيا بما بين يديه ويفيد منها، متأطرا في ذلك كله بهذا الإطار "الفلسفي" الكلي الذي لا يجوز لأحد من المسلمين أن يتجاوزه بحال من الأحوال!

فعندما يقول الدكتور (مشاكل الحياة اليومية)، فإن هذه الكلمة المطاطة تتنازعها مئات التخصصات المعرفية! فهناك مشاكل توصف بأنها نفسية وأخرى توصف بأنها اجتماعية وأخرى توصف بأنها أخلاقية وأخرى توصف بأنها اقتصادية أو سياسية، الخ! فكل فئة منها يرد العلم بها إلى أهله، ولا يرام الحكم فيها إلا من أهل الاختصاص فيه، من بعد الاحتكام إلى شريعة رب العالمين! فإن لم تكن تلك الرؤية الشمولية التي يدندن حولها الدكتور، مآل الحكم فيها في النهاية بين أيدي المختصين في الشريعة وعلومها، فمن ذا الذي يحق له بناؤها والتنظير فيها من دونهم؟؟؟

أما ما يذكره الدكتور من مفارقة بين المختص والمفكر بوصف الأول أنه مستقر والآخر بأنه على خطر دائم لأنه جريء و(ثوري)، كما في قوله: (وحياة المختص - في الغالب - أقرب إلى السلامة والاستقرار، لأن الفئات التي تنزعج من المفكرين تتخذ من الاختصاصيين وسائل تساندها - ولو بصورة سلبية - في الوصول إلى مصالحها)

قلت هذا الكلام ليس بصحيح أيضا وإطلاقاته لا تستقيم! فإن كل مختص معرض لأن يتليه الله تعالى بمن يريدون توجيه أبحاثه في اختصاصه إلى وجهة باطلة، خدمة لمصالحهم ومطامعهم غير المشروعة، فإن هو أبى هذا على نفسه وتمسك بما علم من الحق فليس هذا لأنه كان "مفكرا" يتمتع بما يختص به المفكر من (استقلالية فكرية) أو مزايا وسمات و"رؤية شمولية"، وإنما لأنه - بكل بساطة - عرف الحق من الباطل ورجع في طلبه إلى المصدر الصحيح لتلقيه، فانضبط حكمه بضوابطه،

فكان أن ابتلاه الله بمعادة من يخالفونه ممن يشير إليهم الدكتور! أما أن يجعل "المفكر" محمودا لمجرد كونه (جريئا) و(ثوريا) فليس هذا بما يحمد عليه الناس ما لم ينضبط بضوابط الشرع المطهر، لا سيما في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

وتأمل قول الدكتور: (ويمكن أن يقال: إن المختص يشبه طبيياً في قافلة كبيرة، فهو لا يعرف الكثير عن أهداف المسيرة أو محطات التوقف، إذ إن معالجة الأعداد الكبيرة من المرضى تستغرق كل وقته، أما المفكر فهو قائد القافلة الذي عنده معرفة تامة بكل المشكلات الكبرى التي تواجه القافلة، كما أن مخطط السير واضح لديه تماماً، وهذا في الغالب يجعله لا يتمكن من معرفة التفاصيل الدقيقة لكل شؤون الرحلة، ولماذا يهتم بذلك وهناك المختصون الذين يعملون على علاجها وتسييرها).

قلت هذا التشبيه يتضح منه حقيقة الإشكال في كلام الدكتور! فإن هذا الوصف - بتمامه - هو ما نصف به العالم الشرعي المنوط به التوجيه الكلي لسائر فئات العاملين في المجتمع! وهو - أي العالم الشرعي - ليس مطالباً بالإلمام بسائر تفاصيل تلك الصناعات الدقيقة، ولكنه مطالب بالإلمام بما يلزمه العلم به للحكم على الوجهة الصحيحة التي ينبغي أن يوجه إليها هؤلاء المختصون في مسيرتهم الشاملة! فهذا - بالضبط - هو اختصاص علماء الشرع يا دكتور وليس (المفكرين)، أصحاب تلك الصنعة الجديدة التي لا زمام لها ولا خطام!!

وعندما يضرب الدكتور مثالا بشأن ما صنعه علماء الفيزياء الألمان والأمريكان من جريمة في هيروشيماء ونجازاكي في الحرب العالمية الثانية في تطبيقهم لما توصلوا إليه من تقنيات الانشطار الذري، فلا أملك إلا أن أتساءل: هل يريد أن يقنعنا بأن المفكر - على وفق تعريفه له - هو المنوط به التوجيه الأخلاقي في أمثال هذه القضية الكبرى الخطيرة؟؟؟ كلا والله! إنما مرجع الحكم الأخلاقي فيها وفي غيرها إلى الكتاب والسنة وإلى علماء الشريعة! فلو كان ترومان هذا مسلماً موحداً واستشار أهل الحل والعقد من علماء المسلمين لأنزلوه على حكم الله ورسوله في مثل هذا، ولتوجه سائر علماء الفيزياء والفلك وغيرهم بناء على ذلك، ولو كان هؤلاء العلماء موحدين يعلمون إلى أي مرجعية يرجعون في الحكم

الأخلاقي لما انتهى بعضهم إلى دعم قضايا باطلة خاسرة يظن أنها من (حقوق الإنسان) وأنها من الخير الذي يكفر به عما يرى أنه اقترفه من الشر، ولما انتهى بعضهم إلى قتل نفسه ندما على صنع القنبلة الذرية!!! فأبي "مفكر" هذا الذي يرى الدكتور أنه المنوط بقيادة أمثال هذه القرارات والأحكام، يعرفه بهذا التعريف الهزيل الذي قرأناه في مطلع المقال؟؟

إن فشل حكومات التكنوقراط ليس سببه تولية القرارات السيادية للمختصين بهذا الإطلاق الذي يقرره الدكتور، وإنما سببه تولية الأمور لغير أهلها من المختصين!! فإن المختص في الفيزياء يقينا لا يملك القدرة على اتخاذ قرار إداري سليم ما لم يكن مؤهلا لذلك! والشرعية عندنا تميز بين ولي الأمر (القائد السياسي) وأولي الحل والعقد من المستشارين المختصين الذين يلجأ إليهم وينزل على مشورتهم في سائر الأمور المتعلقة بتخصصاتهم!! فما الذي أدخلنا الآن إلى الكلام في حكومات التكنوقراط ونحوها؟؟؟

ويقول الدكتور: (إن في المجتمع حوارات داخلية غامضة، لا يقف عليها إلا من خالط الناس في شرائعهم العديدة، ومن ثم يعجز غالباً المختصون عن قيادتهم وتحسس مشكلاتهم).

وأقول هذا التعميم باطل، فإن المختصين ليسوا على اختصاص واحد وليست مادة اختصاصهم واحدة!! ألا ترى ما يسمى بالأخصائي النفسي والاجتماعي ينزل إلى الناس ويضطر أحيانا للانتقال للسكن وسط بيئة المبحوثين حتى يتعرف عليهم وعلى ما يقولون وما يجري فيما بينهم (بصرف النظر عن حكم ذلك الفعل في الشرع وما يحتف به من مرجحات شرعية في كل حالة بحسبها)؟؟ أليس هذا رجلا متخصصا؟؟ بللى! هذا تخصصه الذي يحسنه، ولم يطلب منه أحد أن يكون هو نفسه من يقود الناس ويوجههم ويضع الحلول للتعامل مع ما أخبرتنا أبحاثه بأنه يجري من الحراك الداخلي فيما بين الناس! فهذا تخصص آخر له من يحسنونه وهم مؤهلون للحكم فيه!!

أما ما يثيره الدكتور من قضية تأثير المتخصص بالغرق فيما يدرس ومن ثم غفلته عن نفسه وما يعتورها من قسوة للقلب ونحوها، فهذا ولا شك أمر مطروح والبحث فيه مبذول عند علماء الشريعة يطلب من

مظانه، ولا يقال إن مجرد هذه الإشكالية مؤداها عجز المختص عن النظر الشمولي، بهذا الإطلاق غير المنضبط!! ولا يقال كما يقول الدكتور إن هذا هو السبب في بروز الدعوة إلى أن يخرج المختص عن دائرة اختصاصه إلى اختصاصات أخرى!

أما قول الدكتور وفقه الله: (إن كثيراً ممن يملك أفضل العقول لدينا مشغولون بنشر كتب تراثية أو كتابة بحوث كتب خير منها من أكثر من قرن من الزمان ، وقد يعمل الواحد من سنوات في تحقيق كتاب مخطوط نقله مؤلفه عن كتاب مطبوع بين أيدينا ، فما الحاجة إلى تكرار غير مفيد ! !)

فلا يعجبني ولا أرتضيه من مثله، ففيه عدوان واضح على بعض التخصصات التي لا غنية للأمة المسلمة عنها، وهي التخصصات المشتغلة بصيانة التراث الإسلامي وحفظه! وأنا أسأله: ما الذي يضريك يا دكتور في أن ينقطع لهذا العمل قوم نبهاء ونوابغ من الأمة؟ ومن الذي قال إن انصراف هؤلاء الأفاضل إلى هذه الصناعة النبيلة يلزم منه تفويت الفروض الكفائية في غيرها من العلوم والتخصصات التي لا ننكر ما قررته من أنها تحتاج إلى عناية واهتمام وجهد وافر؟؟؟ لا يحسن بأمثال الدكتور بكار أن يقرروا تلك الدعوى الباطلة التي لا يفرح بها إلا بنو علمان، والله المستعان!!!

المشكلة ليست في انصراف كثير من النبهاء إلى علوم تحقيق التراث، وإنما في افتقار الأمة إلى سلطة واعية تدري أهمية العلم - باختلاف تخصصاته ومجالاته - وتوجه المسلمين إلى استكمال ما ينقص في مختلف التخصصات لتحقيق الانتفاع بما تراكم في جامعاتنا من أبحاث لا يوجهها - غالباً - إلا هوى الباحث وميوله الشخصية في اختيار مادتها وموضعها!! وظهور هذه السلطة الراشدة لن يتحقق لنا إلا بصلاح المجتمع نفسه الذي منه تخرج السلطات والقيادات ابتداء!! فآل الأمر في النهاية إلى المشتغلين بالكتاب والسنة وبدعوة المسلمين وإصلاحهم، فتأمل يا دكتور!!

ولا ينقضي عجبي في الحقيقة من قول الدكتور: (ثم أعمل النظر فيما يحتاج إليه ذلك الواقع ، من فقه ، وفهم ، وتفجير للنصوص) .

قلت: تفجير للنصوص؟ أي شيء هذا وكيف يكون، وعلى أي اصطلاح يجري؟ سبحان الله!

وفي الختام أقول: هذا الطرح الذي يحاول الدكتور بكار تناوله وتنبهنا إليه، هو في الحقيقة من إشكاليات فلسفة المعرفة المعاصرة Epistemology التي ينبغي أن يلتفت إليها الأصوليون وعلماء الشريعة في زماننا، بالنظر إلى كون أصول الفقه (المنضبط ابتداء بضوابط أهل السنة في الاعتقاد والنظر) = العلم الرئيس الذي ينبغي أن يأتي على رأس منظومة المعارف البشرية عند المسلمين، فتؤخذ منه كليات النظر والتوجيه والحكم على ما يجري في شتى التخصصات والشعاب العلمية الفرعية الدينية منها والدنيوية، من مباحث وغايات ومقاصد بحثية! ولا شك أن طبيعة العلاقة بين علم أصول الفقه وفلسفة المعرفة الغربية لا تزال تحتاج من الأصوليين إلى كثير من التحرير والدراسة والتنظير، وتتطلب قدرا واسعا من الإلمام بأصول المعارف الفلسفية التي تشعب منها تلك المعارف، لا سيما العلوم الإنسانية المعاصرة، وهذا أمر تتفاوت فيه مقادير العلماء بحسب ما يتصدى له كل منهم من قضايا تحتاج إلى دراسة للوصول إلى حكم الشارع فيها، وإن كان الغالب في ذلك الاشتغال بالفرعيات الفقهية والجزئيات دون القضايا المعرفية الكلية.. فكان أن نظر بعض الناس إلى تلك المعارف وإلى افتقار الأمة إلى تأصيل كلي واضح في كيفية التعاطي معها، فراح العلمانيون منهم يزعمون أن الدين يفتقر إلى قول فصل فيها، ومن جانب آخر، عمد آخرون إلى الكلام عن تخصص جديد لا معالم له ولا حدود ولا شرائط، فلا هو من أهل التأصيل الشرعي بالضرورة ولا هو من أهل الاختصاص في أي من تلك المعارف ولا بد، وإنما هو رجل "له عقل ناقد وله كذا وكذا" مما يصف الدكتور بكار ههنا، انتصب للنظر الكلي الشمولي في تلك القضايا الدقيقة الخطيرة، وأصبح بذلك موصوفا بأنه (مفكر)!!!

فهذا - مع وافر الاحترام للدكتور بكار - مدخل شديد السطحية وشديد الخطورة للتعاطي مع تلك القضية المعرفية الخطيرة! لا يسعنا أن ننكر أن كثرة التخصصات الدقيقة في زماننا كثيرا ما تؤدي بالمشتغلين بها إلى الغفلة عما تدور به رحا البحث العلمي في ذات القضايا التي يشترك فيها أكثر من تخصص، وهذا واقع يلმسه الباحثون في شتى مجالات البحث العلمي لا سيما في العلوم الإنسانية وشعابها الشتيّة المترامية، ويسعى فلاسفة المعرفة في زماننا إلى علاج تلك الإشكالية من خلال ما يسمونه بالتداخل التخصصي في البحث العلمي Interdisciplinarity والتعدد التخصصي

Multidisciplinary ولكن في جميع الأحوال فإن أحدا من فلاسفة المعرفة الغربيين لم نر في كلامه في مخاطبة تلك الإشكالية المعاصرة ما نراه في كلام (المفكرين) عندنا من إطلاقات إنشائية لا حقيقة لها ولا ثمرة، ولا ضابط يضبطها من مرجع علمي (فلسفي) كلي، يضبط العلاقة بين هذا التخصص وذاك، ويوجه البحث العلمي في كل منها على بصيرة بضرورة وجود سلطان كلي لنظام معرفي مرجعي واحد يضبط ذلك كله ويوجهه، فلا يحق لأحد أن يتكلم في تلك القضايا حتى يكون مستوفيا لشرائط الأهلية المعرفية فيه!

لم نر إلى الآن إلا مقالات منمقة وإنشائيات وبلاغيات رنانة لا قيمة لها، فإذا ما نظرت إلى الثمرة الحقيقية من كل هذا وجدتها مقالات يكتبها قوم لا دراية لأكثرهم بضوابط الشرع المطهر إلا قليلا، يتدثرون بدثار (الفكر الإسلامي)، فلا هم ضابطون لشرائط الاجتهاد الشرعي من جانب، ولا هم ملمون بأصول المعارف التي استجازوا لأنفسهم الخوض فيها من معارف سياسية وإنسانية ومادية... الخ من الجانب الآخر! فإن كان الكلام في أمور العامة لا يتطلب من المرء أكثر من أن يكون على هذا الوصف الذي وصفه الدكتور بكار، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

إن خطاب فلاسفة المعرفة في الغرب لا يتجاوز التخصصات العلمية ولا يوحى بذلك، بل يميز بين تخصصات كلية وتخصصات فرعية، فيرى - على سبيل المثال - ضرورة أن ينضبط علماء الطب وعلماء الفيزياء بالكليات التي يقررها فلاسفة العلم الطبيعي، ولا يرى لهم الخروج على هذا! وهذا نراه ماثورا في كتبهم، يعرفه كل من له اطلاع عليها! فهناك تمييز لازم بين تخصص فلسفي كلي وتخصصات فرعية، يتأهل المشتغل في كل منها بتحصيل حد أدنى من المعارف يتفق عليه أصحاب تلك الصناعات. هذا أمر فطري طبيعي، وهو مجمع عليه في سائر البنايات المعرفية البشرية أيا كان موضوعها! أما أن يدعى الناس بأمثال تلك العبارات المائعة الهلامية لأن يكون منهم (مفكرون)، تتوجه المباحث العلمية في المجالات والتخصصات الكثيرة التي ظهرت مؤخرا بناء على كلامهم ونقدهم وأفكارهم، ويرام سبيل الفلاح من توجيهاتهم، دونما تحرير لشرائط هؤلاء وما ينبغي أن يكون

فيهم من علم ودراية، وما ينبغي أن يكون مرجعهم عندما يتنازعون ويختلفون، فهذا ما لم نر أحدا من فلاسفة المعرفة يتكلم بمثله!

إنه من المعيب حقا أن يتحول الكلام عن كثرة الاختصاصات الدقيقة من التنبيه على أهمية التخصصات الكلية منها وأهمية الدور الذي يلعبه أصحاب تلك التخصصات الفلسفية الشاملة في توجيهها جميعا، إلى إذابتها جميعا وقتل حرمتها تحت يد رجل يقال له (المفكر) دون التحرير الدقيق المحكم لحد هذا المفكر وما يلزم أن يتحقق فيه من شرائط معرفية حتى يُسمح له باقتحام تلك التخصصات جميعا ومزاحمة أهلها وفرض "أفكاره" عليهم على نحو ما يفعل من نسميهم عندنا (بالمفكرين)!! ينبغي أن يتصدى العلماء والفقهاء إلى تلك الفوضى الفكرية التي أصبح بعض الناس ينظر لها تنظيرا، والله المستعان!

كل إنسان يملك ذكاء ونبوغا وقدرة على الإبداع، يصح أن يوصف بأنه مفكر في مجاله الذي تخصص فيه، وواجبه أن يأتي من ذلك ما استطاع! أما أن يجاوز ذلك إلى تخصصات أخرى لم يحقق في أي منها أهلية النظر، فهذا أمر خطير، يجب أن نكون منه على حذر، وألا نسمح به! وإلا فما أسهل أن يمسك صحافي جهول قلمه ويكتب وينظر ويحرر ويقرر ويقعد ويقول إن الأمة تحتاج إلى كذا وتحتاج إلى كذا، كما نراه يزكم أنوفنا في وسائل الإعلام، فإن سألته بأي شيء تأهلت لهذا قال لك "أنا مفكر"!!

لا أستجيز بحال من الأحوال أن يوضع كل من (المفكر) و(المختص) في كفتي ميزان على نحو ما يصنع الدكتور بكار في كثير من كتاباته، فيصور للناس أن المفكر هذا تخصص مستقل لا ارتباط له بأي مجال من مجالات المعرفة البشرية يلزمه أن يتخصص فيها وأن يستوفي شرائط الاجتهاد فيها قبل أن يستقل بالنظر!

فإن قول الدكتور "وقليل أولئك الذين يتقنون تخصصاً ما ثم تكون لهم رؤية مجتمعية شاملة" قول مجمل مبهم لا يمكن أن أقبله هكذا على عواهنه دونما استفصال!

ماذا تقصد يا دكتور بكار بالرؤية المجتمعية الشاملة؟؟ فإنه إما أن يكون مرادك بهذه الرؤية منظوما في سلك الاصطلاح المعرفي لمجال - أو أكثر - من مجالات المعرفة الإنسانية التي سبقك فيها الناس (من أهل تلك المجالات) بالبحث والتأليف والنظر، أو أنه كلام مرسل لا زمام له ولا خطام، تريد به شيئا لا وجود له إلا في خيالك!! وأربأ بك عن هذه الأخيرة!! المتخصصون في علوم الشرع لديهم في جملة مباحثهم قضايا كلية يمكن وصفها بأنها تشكل (رؤى مجتمعية شاملة) وكذا المتخصصون في علوم الاجتماع (على اختلاف طبيعة تلك الرؤى تبعا لطبيعة التخصص وموضوعه)، وكذا المتخصصون في علوم الاقتصاد والسياسة وغيرها من مجالات المعرفة البشرية المعاصرة! فالأصل أن المتخصص من هؤلاء جميعا يجتمع فيه أن يكون متقنا لتخصصه متبحرا فيه، وأن يكون له في ذات الوقت ما يمكن وصفه بأنه (رؤية مجتمعية شاملة)!! فأى الرؤى له الريادة من ذلك وأيهما - من بين تلك التخصصات - يحق أن يكون له الحكم فيما هو خير وصلاح وفلاح للعباد، وأيهما يأتي تبعا لأي؟ وما هو النسق المعرفي الصحيح الذي يجب أن تنتظم في سلكه تلك الرؤى جميعا بتحرير وظيفة كل اختصاص وأهله في بنیان المعرفة البشرية، وأي هؤلاء المختصين ينبغي أن تكون لديه الأهلية للقيام بمثل هذا العمل الفلسفي الكلي الخطير، بحسب ما تدعو إليه الحاجة المعرفية، وما شرائط تلك الأهلية أصلا؟

ما أسهل أن يقال إن الشرع المطهر هو الضابط والموجه والمرجع الأساس ولا شك، ثم نرى الناس من بعد ذلك يخبطون في الشرع خبط عشواء، يحرر ويؤصل كل (مفكر إسلامي) منهم لما يرى هو أنه السبيل، وأنه (رؤية مجتمعية شاملة)!! ما أسهل الإنشاء في تلك المسائل الدقيقة وما أصعب التطبيق والتنظير على غير المختصين، والله المستعان.

تعقيب على المقال من أبي القاسم أحد أعضاء منتدى الألوكة

الحمد لله وبعد...

أرجو أن يخيب ظني الشيخ أبو الفداء ويتسع صدره للمخالفة هناك تكلف في نقد عبارات الدكتور

بكارألو استعملت بنفس النسق أجاز أن يتعقب بنحوها على كلام الكثير من كبار أهل العلم..ولست أدري والله سبب الحرب الشعواء على مصطلح المفكر ونحوه..فإن كان المقصود حماية حمى العلم فإن المفكر الإسلامي المثقف الواعي الذي نشجعه هو من يحترم هذا الحمى فلا يفتي فيما ليس من شأنه..وهذا الضرب موجود ولا أحب ضرب الأمثلة هنا وفي العلماء من يسيء حمل الرسالة ويتكبر العلم الذي أفنى زمانه فيه ويصدق عليه أنه عالم سوء أفضره أبلغ من غيره في الجملة أوأيضا دون أمثلة حين يفتي شيخ الازهر مثلا بشيء مخالف للحق فهو أسوأ اثرا من أن يقول نفس قوله مفكر أو داعية ليس عالمًا ونحن ندرك عيانا أن كثيرا من كبار العلماء ليس لهم هذه الرؤية النقدية التي قال أخي ابو الفداء إن العوام يملكونها..فحاكم الدكتور على خلاف مراده..هل مقصوده أن يكون عنده مجرد رأي أيا ما كان؟ وهل كلام أنور الجندي وأمثاله حين نقاش أمور الاستخراب وغيرها ككلام جدتي ؟ : لا ..بداهة كثير من العلماء ليس لهم معرفة بمضايق المؤامرات الدولية وحقائق الآفات الاجتماعية على مستوى الأمة وقضايا الغزو الفكري ونحو ذلك لأن توجهه منصب على الأحكام التفصيلية..إلا القليل من أهل العلم من يجمع بين هذا وهذا وما يخطيء فيه المفكرون يبين ويفاد من غيره أما بخسهم بهذه الطريقة ومحاولة شطب مآثرهم ونفعهم بشطب مصطلح المفكر فبخس لا يصح أنت تعلم أن الحدود أوالتعاريف لا تسلم غالبا من نقد واستدراك أويندر ان يكون الحد جامعا مانعا على الحقيقة إنما هي مقاربات لتقريب الصورة فحسب..والمفكر في نهاية المطاف صاحب تخصص وليس عريا عنه فقد يكون مؤرخا أو أدبيا أو غير ذلك مع اطلاع جيد على الثقافة الإسلامية أمع ما حباه الله من نظر ثاقب فتكون له رؤية كلية لقضايا تتعلق بأمته مقرونة بحلول..والواقع شاهد على إفادة العلماء أنفسهم من كلام هؤلاء لا أحب ان أتبع جزئيات كلامك أخي الفاضل أبا الفداء لأن هناك أمورا أولى بصرف الوقت فيها من النزاع على بعض ما دبجه قلم الدكتور بكار في معنى المفكر وأهميته في حياتنا المعاصرة خصوصا مع نفسك الطويل في تقرير مراداتك ولكن أجد لزاما بيان رأيي الذي أدين الله به أدون تتبع جملك أفرارا من الدخول في جدال لا أحبه خلاصة الكلام: رأيك معروض بتوسع..وتفصيل أورأيي مبين بوجازة ..فحسبنا هذا وليس ثم داع أن نكرر "موال" الجدال كل مرة..أرجو ذلك حقًا

ولكم كامل الاحترام والتقدير ..

محبتك

رد أبي الفداء صاحب المقال على التعليق السابق

جزاكم الله خيرا يا شيخ أبا القاسم .

صدري متسع للمخالفة إن شاء الله تعالى، وما كنت أرجو أن يكون ظنك فيّ بخلاف ذلك! إنما أكره أن تظن أن طول الحوار والمناقشة في جزئيات الكلام - وقد وقع هذا بيني وبينك في غير مرة كما تعلم = الانتصار للنفس ولو بالباطل، فهذا لا يلزم منه ذاك كما أرجو ألا يخفاك. وهذه طبيعة المتدييات: إنما فتحت للحوار العلمي، مع استصحاب حسن الظن فيمن يحاورك من الإخوة. وليس كل حوار علمي مآله جدل مذموم ولا بد، إلا إن كنت تجزم يقينا من قبل أن تخوض غمار المناقشة بأن ما تراه: حق لا يقبل النقاش أو التعقب، ولا يتطرق إليه الخطأ، فكل تعقب عليه حينئذ يكون جدلا مذموما مهما كان! أو أنك تراني من أهل الجدل المذموم، فهذا شأن آخر.

يا شيخ أبا القاسم أنت تقول: (فإن المفكر الإسلامي المثقف الواعي الذي نشجعه هو من يحترم هذا الحمى فلا يفتي فيما ليس من شأنه)

فاسمح لي أن أسألك: المفكر المثقف الواعي هذا، إن لم يكن قد استكمل قدرا كافيا من الدراسة في الشرع، فما يدرية أصلا أين هي تلك الحمى حتى يحترمها ويقف عندها ويدري أنه بذلك لا يخوض فيما ليس له به علم؟ أنت تتكلم عن الفتوى، ومن الذي قال إن المشكلة في الفتوى؟ إن خطورة التنظير والتأصيل والتعديد في مسائل تتعلق بالشرع أكبر بمراحل من مجرد الإفتاء وإطلاق الفتاوى، وما أكثر ما ترى أحدهم يقول إنني لا أفتي والفتوى أتركها للعلماء، ثم تراه ينظر ويؤصل ويقرر ما ينهدم به شطر الدين وهو لا يدري، ويحسب أن له في ذلك سعة ما دام لا يفتي!

للمرة الثانية أراك تخطئ فهم مقصدي من تعقبي على الدكتور بكار وغيره، وقد سبق أن بينت لك هذا في موضوع مشابه. لا يلزم - إطلاقا - من إنكاري على من يسعى لتقرير صنعة جديدة اسمها المفكر الإسلامي متغافلا في ذلك ما أراه فريضة في حق من يتصدر للكلام في دين الله تعالى أيا كانت طبيعة ذلك الكلام، أن أسقط جهود فلان وفلان ممن لم يعرف عنهم طلب للعلم الشرعي وكانت لهم - مع

ذلك - كتابات أصابوا فيها الحق ونفعوا بها غيرهم.. إنما غاية كلامي أني أقول للدكتور بكار لا تسوغ للناس أن يصبحوا مفكرين إسلاميين وهم في منزلة العامة في العلم الشرعي، ولكن إن كنت ولا بد فاعلا فشجع طلبه العلم والعلماء على توسيع قاعدة الاطلاع والنظر حتى يحسنوا الاستفادة من أهل الاختصاصات الدقيقة الكثيرة التي أمسى حصرها - مجرد الحصر - صعبا في هذا الزمان.. هذه غاية المسألة عندي، وهي واضحة إن شاء الله تعالى، فأرجو ألا تكرر إلزامي بهذا اللازم، بارك الله فيك، لأنني لا أقصده بحال من الأحوال .

هذا تعقيبي على ما تفضلت به، وقد أوجزته كما أوجزت أنت تعقيبك، ولكنني حملت نفسي على استصحاب حسن الظن بك لا كما يظهر لي من ظنك فيّ سامحك الله، فلقد كتبت هذا الكلام وأنا أرجو أن يتسع له صدرك وألا يحملك - لمجرد أني تكلفت عناء كتابته - على نسبتي إلى الجدل المذموم، أو إلى ضيق الصدر بالمخالف! والشأن شأنك إن رغبتَ عن الرد عليه، لا عليك من شيء إن شاء الله، والله المستعان لا رب سواه.

الرد الكاسح على المدعو هاشم صالح

الحمد لله وحده

أما بعد..

هاشم صالح.. كاتب من بني علما لم أحتظ "بشرف" السماع باسمه إلا قبل بضعة أيام، حين وقعت على رابط لبعض مقالاته! ولأننا في زمان فتنة، ولأننا قد صار الكلام عندنا حرفة سهلة يحترفها كل أحد، فلا قيمة للتخصص ولا للمؤهلات، ولا اعتبار لشيء من ذلك عند عامة الناس فيمن يأخذون عنه ما يأخذون أيا كان، ولأننا قد صار ضابط القبول والرد عند الأكثرين منا فيما يأخذون مقصورا على ما يراه القارئ وما يعجبه، حقا كان ذلك أو باطلا، ولأننا في زمان إغراق في أحوال الأفكار العفنة أيا ما كان مصدرها، صرنا نصحو كل يوم على ضجيج لمزيد من الجرذان والحشرات التي كانت في زمان عزة الحق لا تجترئ أسلافها على مجرد الخروج من جحورها! وصار التلوث الفكري يأتينا من بين أيدينا ومن تحت أرجلنا وعن أيماننا وعن شمائلنا، في ظل مبدأ حرية الضلال وحرية نشر الباطل وحرية الكلمة الفاسدة الجاهلة العمياء! وما دام هناك طلاب للبضاعة، فسبق لها في السوق باعة!! حتى البعر - أعزكم الله - يجد الآن من يطلبه، وفي وادي "حرية الكلمة" فإن البعر يجد يقينا من يبيعه لطلابه ليأكلوه وهم شاكرون، ولا حول ولا قوة إلا بالله!!!

فهذا جزء آخر شاء الرب جل وعلا أن أقع على أفكاره ومقالاته في حين سعة من الوقت للرد عليه، فاحتسبته جهادا في سبيله لا لأن الرجل خطير أو لأنه من أعلام القوم ورموزهم التي يحقق من يهدمها بالحجة والبيان نصرا للحق كبيرا، ولا لأنه أولى من غيره بالرد عليه، فهو ليس بشيء من ذلك أصلا.. ولكنني عزمت على ذلك لأن الله يضاعف لمن يشاء، ولربما عصمنا من النار بشق تمره، نسأل الله السلامة.. ففي ظل زمان يقرأ فيه القارئ لأي أحد، ويتلقى الكلام من المجاهيل، يخبط في مصادر معرفته خبط عشواء، فلعله يقع على كلام هذا المجهول الفقير إلى الله قدرا وهو يهيم في وديان النت الفسيحة، فيقدر الله له بذلك خيرا.. نسأل الله العون على ما يحب ويرضى..

لا شك أن عنوان هذا المقال "الرد الكاسح" من شأنه أن يثير الدم في عروق الرجل وأتباعه، ولعله حين يطلع عليه للوهلة الأولى، يقول في نفسه هازئاً مازحاً: "هؤلاء الأصوليون الظلاميون لا شيء عندهم إلا سجع الكهان والعيش في أوهم العصور الوسطى!!" وأنا أقول هنيئاً لي الأجر عند الله - بإذن الله - إن سخر الرجل وأتباعه من هذا المقال من مجرد مثل هذا العنوان.. وما تحت العنوان أشد وأنكى! نعم هكذا كان سلفنا في زمان العزة، في زمان الفخر بالانتساب إلى لسان القراء، يصوغ الواحد منهم عنوان كتابه صياغة بليغة ذات وقع وصدى، كأنها بيت من أبيات الشعر يبادى به المؤلف القارئ ويستقبله به استقبال الغزاة الفاتحين بالحق، المفافرين بما معهم منه.. وما هذا إلا لأن ما تحت العنوان لم يكن يخلو من كونه جهاداً وفتحاً مبيناً للحق في رجاء صاحبه، يرجو به الأجر والمثوبة في دار الخلد، ويرجو به الخير الكثير لقارئه، خيراً لا يدانيه ما يكتبه أرباب الصناعات الأخرى في كتبهم (على ما قد يكون فيها من الخير)، فلا يستوي ما ينفع الناس في دار البقاء بما ينفعهم في دار الفناء والبلاء، ولا يستوي زاد تلك الرحلة العاجلة في تلك الدار الدنية الوضيعة بزد اللقاء برب الأرض والسماء.. وما هذا إلا لأن المصنف من علماء أسلافنا كان رجلاً حكيماً، أخذ الحكمة مما علمه الله خالقه لا من هواه وأوهامه وأوهام بشر أمثاله.. رجلاً يعي ما يخرج من رأسه ويعلم أنه أهل للكلام فيما يكتب، ويفخر بما من الله به عليه من شرف اتباع ذلك المتبوع الذي أبلى في اتباعه ما أبلى، صلى الله عليه وسلم! ما كان واحدهم - رضي الله عنهم ورحمهم - من أمثال هؤلاء الرويضات الذين ملأوا علينا الدنيا حتى صاروا يدخلون إلينا في الهواء الذي نتنفسه!! قوم خواة النفوس ذاهبة هويتهم يتحرون ما يوافقون به أهل الغرب حتى في طريقة اختيار عنوان المقال أو الكتاب، لعلمهم يرضون عنهم ويقبلون بهم عبيداً مخلصين في محاريب معابدهم!! لعلمهم يمتنون عليهم بطريقة صنع شيء من تلك الألعاب والملاهي التي برعوا فيها وتخلف هؤلاء عنها لبلادهم وغبائهم لا بسبب دينهم كما يافكون.. يتبعونهم أولاً، ثم لعلمهم في زمان حرية الاتباع والتقليد يحفظون من بعد ذلك بالحظ الوافر من الأتباع في بلادنا على هرائهم هذا كما حظي من تبعوهم من قبل من كهنة تلك المعابد في بلاد الغرب هناك، فإذا هم كهنة وكبار أمثالهم، يحشرون الناس من خلفهم في طريقهم حشراً كما صنع سادتهم من قبل!! لا يهمكم كم درست من علوم الشرع حتى تتكلم في دين الله، ولا كم وافقت من الدليل وكم خالفت منه، ولا كم حصّلت من علم بألة النظر والاستدلال في نصوص الوحي أصلاً، لا.. كل هذا لا يهم ولا قيمة له! إنما المهمكم كم من الخلق ممن يكبرون في نفسك يعجبهم ما تقول، ويرونه "جوهر القراءان" و"روح الإسلام" و"ميزان الاعتدال والوسطية" إلى آخر ما تدندن به أنت.. المهم مقدار ما يحقق كتابك في

مثل ذلك من الرواج بين هؤلاء وهؤلاء!! فإذا كان القوم يتخذون منك عالما متبوعا ومفكرا مرموقا، فلعلك كما يقولون حقا!! بل أنت كذلك ولا شك.. أنت سيدهم ومتبوعهم.. فهنيئا لك!!

لسان حالهم - وفي كثير من الأحيان مقالهم - يسألك: من الذي قال إن لهذا الدين - أو لأي دين أيا كان - علماء ومن الذي زعم أن الكلام فيه يحتاج إلى تعلم وتأهل؟؟ كلنا علماء في ديننا أيا كان!! ليس الدين بالأمر العظيم الذي يحتاج إلى تأهل أو تعلم (قاتلهم الله)!! نعم، الدين للجميع، لا سيما الإسلام! فليس فيه "كهنوت"!! ومن ثم فإن جميع المسلمين علماء في الإسلام، من أدناهم علما إلى أعلاهم!! ولو أنهم أفنوا أعمارهم في القراءة لكانت وهيجل وسارتر ودوركايم وفرويد وداروين وأضراب هؤلاء، فإنهم ولا شك يصبحون مؤهلين أيما تأهل للنظر "العقلي" في نصوص الإسلام وفهمها الفهم الصحيح الذي يدخلهم في القرن الواحد والعشرين، ويناسب ما ارتقت إليه عقولهم فوق عقول أسلافهم المساكين!! ويصبح "الكاتب" - الذي يتشرف بكونه يعرف كيف "يكتب"!! - أو "المفكر" - الذي لا يفخر بأكثر من كونه يقرأ ما يقرأ ثم... ثم "يفكر"!! - يصبح هذا التافه الرويضة (الذي اكتشف أخيرا بنفسه وبمحض نبوغه أنه أرقى من القرد!!) من بعد هذا التأهيل إماما متبوعا على تفاهته وسفاهة حلمه، لا لشيء إلا لأنه يكتب ويفكر، نعم.. ألم يقلها إمام من أئمتهم صراحة: "أنا أفكر إذن أنا موجود؟؟؟" الرجل بلغ به الذكاء والنبوغ أن استدلل على وجوده بكونه يفكر!! يا له من فتح مبين!! كان يشك في وجوده أولا فلما وجد أنه يفكر، عرف أنه موجود!! ما أعظم هذا التراث الفكري المجيد الذي جاءنا به أمثال هؤلاء الأئمة، سادة العلمانيين ومعلموهم وأساتذتهم!! هل يستطيع القرد مثل هذا؟؟ كلا ولا ريب!! الإنسان حيوان اكتشف ذات يوم صدفة أنه يستطيع أن يفكر!! أخيرا أصبح القرد بوسعه أن "يفكر" و "يكتب"!! فكيف لا يفتخر "المفكر" بمجرد كونه "يفكر"، حتى يصبح "التفكير" عنوانا على اختصاصه وصنعتة؟؟

"أيها الناس، لقد تبين لي أخيرا أنني أحسن التفكير، فاتبعوني أهدكم سبيل الرشاد!!!"

قد تأهل "المفكر" لكل ما أصبح يتصدى له من مسائل العلوم كلها - بلا استثناء - بكل جرأة وجسارة، على يد أئمتهم من فلاسفة الإلحاد حتى صار ألد أعدائهم وأشد إغراقا فيما كانوا فيه مغرقين! ففي النهاية نحن معاشر البشر - عفوا: القردة - المساكين ما عرفنا كيف نفكر، وما تعلم الناس كيف يتبينون الحق من الباطل في أي شيء أصلا إلا من بعد أن تفضلت "الطبيعة" علينا بانتخاب ذلك العقل لنا بمحض الصدفة غير المبررة، ومن ثم يبعث هؤلاء الفلاسفة أنبياء للنور والهداية فيما بيننا، كما

يعتقدون!! ألم نكن قردة وارتقينا ثم علمونا كيف نفكر؟؟ ألم نكن متخلفين أغبياء وترقينا وجعلوا منا أصحاب مصانع وتكنولوجيا...؟؟

والله إنه لخزي الحياة الدنيا لو كانوا يعقلون!!

نعم هذا الرد جعلت عنوانه "الرد الكاسح" لأن المردود عليه يفخر بتعاليم آخر أنبياء الملاحظة "داروين" ويقدم لكهنة المعاهد الأكاديمية الغربية الملحدة شهادة على أنه قد ارتقى مثلهم فوق جده القرد وصار - أخيراً - يمكنه أن "يفكر"، ثم هو الآن يتصدى لمهمة تعليم هؤلاء المساكين في الشرق الأوسط كيف يفكرون كما يفكر !!

فأي شيء أسهل من كسح كلام من يفخرون بأن أسلافهم كانوا قردة؟؟؟

وأي عنوان أوفق لأمثالهم من هذا؟؟؟

تجد ذلك الطرح لذلك الرجل بشأن القردة في مقال له كتبه بعنوان "هل مات داروين حقاً؟" حيث يجتهد في صب قيح فكره وغساق نفسه على رؤوس من يتصدون لتلك النظرية المتهافتة (نظرية النشوء والارتقاء) يحذو بذلك سنن أئمة الملاحظة حذو القذة بالقذة، عساهم يرضون عنه ولا يعدونه من جملة "المتخلفين" في بلاد الشرق الأوسط المسكين!! ولأنه يريد أن يبقى له في بلاده حيث يعيش نسبة للإسلام يعلنها ويتكلم من تحتها، فإنك تراه يوهم القارئ بأن الإسلام "الأصولي" - على حد اصطلاحهم التالف - هو وحده الذي يخوض الحرب ضد نظرية داروين المقدسة المجيدة، ويقلد المتطرفون من "الإسلاميين" في ذلك "الانحراف الفكري" نظراءهم من "الأصوليين" النصاري في أمريكا الذين لا يزالون يؤمنون إلى يومنا هذا، في مطلع القرن الواحد والعشرين، بأن الله خلق الكون في ستة أيام!!!!

دعني أيها القارئ الكريم أستعرض لك ذلك المقال المذكور حتى يتبين لك كيف هي عقلية هذا

الرجل (وأترك لك القياس على أمثاله، فكلهم في ذلك سواء).

متن المقال كاملاً

(هل مات داروين حقاً؟ يبدو أن هذه السنة ستكون سنة شارل داروين، فالرجل ولد قبل مائتي عام بالضبط 1809-2009. وكتابه الشهير «أصل الأنواع»، الذي شرح فيه نظرية التطور التي قلبت الدنيا رأساً على عقب، صدر في منتصف القرن التاسع عشر قبل مائة وخمسين سنة، وبالتالي فالذكرى مزدوجة. ولذلك فإن العالم كله يحتفل به، أو يلعبه، بحسب الجهة التي ننتمي إليها. فإذا كنا من أتباع الحداثة العلمية والانفتاح الفكري صفقنا له وانتعشنا بتذكره أو بذكره، باعتبار أنه يشكل أحد فتوحات

العقل البشري. وإذا كنا من أتباع الأصوليين استعذنا بالله منه ومن الشيطان الرجيم الذي بعثه لنا لكي يقلقنا ويقض مضاجعنا ويزعزع يقينياتنا وعقائدنا .

ولم يكن من قبيل الصدفة أن حصل تحالف مقدس ضده من قبل الأصوليات الدينية الثلاثة على الرغم من أنها يكره بعضها بعضا، فالأصولية المسيحية في كلتا نسختيها الكاثوليكية والبروتستانتية تكرهه ولا تطبيق سماع اسمه، وقُل الأمر ذاته عن الأصولية اليهودية والأصولية الإسلامية. ولكن يبدو أن الأصولية البروتستانتية الظلامية المتعشة في أميركا هي التي تشن عليه حملة شعواء حاليا، ومعلوم أنها تمنع تدريس نظريته في المدارس التي تسيطر عليها في الولايات الجنوبية خصوصا، فهي من أتباع نظرية الخلق التوراتية الواردة في سفر التكوين، والتي تقول بأن الله خلق العالم والإنسان في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع .

ومعلوم أن داروين كان مؤمنا بها في البداية، بل كان يدرس اللاهوت المسيحي بغية أن يصبح كاهنا أو قسيسا ويكرس نفسه للعبادة والدين. ولكنه انخرط بعدئذ في خط البحث العلمي والرحلة الاستكشافية حول العالم، وكانت النتيجة التي نعرفها. وكان يعرف أن نظرية التطور التي توصل إليها سوف تدخل في صدام مباشر مع الكنيسة المسيحية واللاهوت الديني، ولكنه عندما كان يؤلف كتابه الشهير «أصل الأنواع» فإنه كان لا يزال مؤمنا بالله ومقتنعا بوجوده كمحرك أساسي للكون. والواقع أنه لم يصبح ملحدا طيلة حياته أبدا حتى بعد أن فقد إيمانه الديني على الطريقة التقليدية، كل ما في الأمر هو أنه كان يقول بأن العلم شيء والدين شيء آخر ولا ينبغي الخلط بينهما، فمجال الدين الروحي والتنزيهي الأخلاقي غير مجال العلم التجريبي. وهذا ما يقوله كبار العلماء حاليا .

ويرى عالم اللاهوت الفرنسي جاك آرنو أننا نشهد حاليا تشكل تحالف مقدس ضد داروين ونظريته، فبالإضافة إلى الأصولية البروتستانتية الأميركية، التي ينبغي تمييزها فورا عن البروتستانتية الأوروبية التقدمية المستنيرة، هناك الأصولية الإسلامية التي تشن أيضا حربا شعواء على داروين وتعتبره بمثابة الشر المطلق. ويترأس هذا التيار حاليا الكاتب التركي هارون يحيى صاحب كتاب «أطلس الخلق»، وهو من أتباع نظرية الخلق الدينية التقليدية والتفسير الحرفي للكتابات المقدسة، تماما كأعلام البروتستانتية الأميركية، بل وانضم إليهم العديد من الأصوليين اليهود الذين يرفضون أيضا نظريات العلم الحديث، ويعتقدون بالصحة الحرفية لكل ما ورد في التوراة، وبالأخص في سفر التكوين الشهير . ويرى بعض المفكرين هنا أن لهذا التحالف المقدس لكل الاصوليات أبعادا سياسية واضحة، فالعدو المشترك لهم واحد، إنه الحداثة العلمية والفلسفية. ولذلك فإن بعض الجهات قامت بتوزيع كتاب

«أطلس الخلق» مجاناً على المدارس والجامعات الفرنسية عام 2007، محذرة الطلاب من نظرية داروين. ولكن بما أن فرنسا مستنيرة فإنه لا يخشى عليها من العدوى. وحدها الجاليات المغتربة قد تنخدع بمثل هذه الكتابات اللاعلمية أو الجاهلة بالعلم الحديث .

وربما لهذا السبب راح الفاتيكان يتمايز عن هذه المواقف بشكل واضح، وهذا موقف ذكي جداً من بابا روما، فهو يريد أن يبدو بمثابة المدافع الوحيد عن روح العلم والاستكشاف وحركة التقدم. هذا في حين أن المسلمين والبروتستانتين الأميركان يبدون بمثابة المعادين الوحيدين لروح العصور الحديثة. فقد فاجأنا وزير الثقافة في الفاتيكان المطران جيانفرانكو رافاسي بالتصريح التالي: «إن نظرية التطور متوافقة تماماً مع الكتاب المقدس، ولا تتعارض إطلاقاً مع الإيمان أو اللاهوت المسيحي». وهكذا غيرت الكنيسة الكاثوليكية رأيها رأساً على عقب بعد أن حاربت داروين وشتته طيلة أكثر من قرن ونصف القرن، وكانت «ضربة معلّم» من قبل الفاتيكان. فهل كان سيقوم بها لولا كتاب هارون يحيى «أطلس الخلق»؟ أشك في ذلك كل الشك؛ فالهدف هو إثبات أن المسلمين هم وحدهم الظالمون في هذا العالم، وهم وحدهم المعادون لحركة التطور والمكتشفات العلمية التي تمثل زبدة الحضارة البشرية .

ولهذا السبب أيضاً دعا الفاتيكان إلى تنظيم مؤتمر علمي ضخم بين 4 و 7 مارس القادم في الجامعة البابوية بروما، تحت عنوان: «التطور البيولوجي: الوقائع والنظريات»، ودعا إليه نخبة الفلاسفة العالميين وعلماء البيولوجيا ورجال الدين .

فمتى سيتحرك المسلمون لتنظيم مؤتمر مماثل يعبرون فيه عن وجهة نظرهم في كتاب داروين وأطروحاته؟ متى سيطرحون تفسيراً جديداً لكتبتنا المقدسة، تفسيراً لا يتعارض مع روح العلم وإنما يتصالح معها ومع المكتسبات الإيجابية للحضارة الحديثة ككل؟ ألم يكن الإسلام هو دين العلم والعقل طيلة قرون وقرون؟ فلماذا يسبقنا بابا روما إذن إلى هذا المنصب، ويحتل كل هذه المكانة الرفيعة والمشرقة محلّنا؟

انتهى المقال، ولبئس ما قال، فض الله فاه..

وهاكم كسحنا له بعون الملك..

يقول الرجل في مستهل المقال: "يبدو أن هذه السنة ستكون سنة شارل داروين، فالرجل ولد قبل مائتي عام بالضبط 1809-2009. وكتابه الشهير «أصل الأنواع»، الذي شرح فيه نظرية التطور التي قلبت الدنيا رأساً على عقب، صدر في منتصف القرن التاسع عشر قبل مائة وخمسين سنة، وبالتالي فالذكرى مزدوجة. ولذلك فإن العالم كله يحتفل به، أو يلعبه، بحسب الجهة التي ننتمي إليها. فإذا كنا من أتباع

الحدائث العلمية والانفتاح الفكري صفقنا له وانتعشنا بتذكره أو بذكره، باعتبار أنه يشكل أحد فتوحات العقل البشري. وإذا كنا من أتباع الأصوليين استعذنا بالله منه ومن الشيطان الرجيم الذي بعثه لنا لكي يقلقنا ويقض مضاجعنا ويزعزع يقينياتنا وعقائدنا.

قلت إن كنت أنت يا هذا تنتعش بكلام من يدعي أن جدك قرد وأن النسناس والشمبانزي من أولاد عمومته، فلا والله لا "ينتعش" عاقل سوي بهذا القبيح الفكري أبداً، ولا يعده فتحاً من فتوحات العقل البشري بل هو ضلال مبين وخزي مهين! ضلال قد نشأت به ملة جديدة أصبح يدين بها - أو بأكثرها - القاعدة العريضة من الأكاديميين من علماء الطبيعة في بلاد الغرب لا سيما في أوروبا الملحدة، مسقط رأس الفلسفات المادية المعاصرة. نعم هي ملة يدين بها ملاحدة هذا الزمان ويتخذونها سلماً للدفاع عن عقيدتهم وإلحادهم وإن جهلت أنت بذلك يا عدو الله! ولو أنك قرأت كلام الملاحدة الجدد الذين يروجون للإلحاد الآن في أوروبا وحرهم الصراح على الدين ولو أنك فهمت تلك النظرية حق فهمها كما فهموها هم وكما هم الآن يروجون لها ولما ينبني على فهمها، لعلمت أنه لا وفاق - قط - بين الأصل الفلسفي الذي تقوم عليه تلك النظرية وبين مفهوم الخلق ووجود الخالق أصلاً! ولولا أن ملاحدة هذا الزمان يرونها - على سفاهتهم - طريقاً لإثبات صحة الإلحاد وبطلان وجود الخالق - زعموا - عن طريق العلم الإمبريقي لما عظمت في نفوسهم على هذا النحو العجيب ولما أصبح مفهوم "ارتقاء" الأنواع من بعضها البعض (فضلاً عن ارتقاء الأعضاء في النوع الواحد من أصول متخلفة) بمنزلة الحقيقة العلمية التي لا تقبل النزاع! هذا الهراء يا مسكين ليس فساداً في بناء الدلالة من الأدلة ولكن في مفهوم الدليل نفسه (فلسفياً) ابتداءً، وما يراد لذلك الدليل من قلب لحقيقة عقلية ضرورية لا ينكرها عاقل! فبأي الفتوحات يا معاشر التفهة جئتمونا فاتحين ولأي شيء تنتصرون، خيكم الله وأخزاكم!

لن أبسط القول في نقض فلسفة الدراوينية ها هنا فليس هو محله، ولكن تأمل أيها القارئ هذا المفكر المنتسب إلى الإسلام أي الأفكار يريد أن يوصلها إليك، ويدعوك لاتباعه عليها، والله المستعان على ما يصفون!

هكذا يحدثكم سائر أئمة القردة، أولاد عمومة الشيمبانزي والنسناس من فوق أريكتهم... يقولون: "يا قومي خذوا ذلك الفتح العقلي العظيم، قبلوه كما قبله الناس في أوروبا، لعلمكم ترتقون كما ارتقوا! فإن رأيتم ما يعارضه في دينكم فاخلعوا عنكم ثوب القرون الوسطى كما فعلوا، وتأولوا ما في القرآن من الموانع حتى يوافقه كما تأولوا هم كتبهم، فلم يرقوا في الدنيا إلا من بعد ذلك! ابحثوا عما يعجبكم من

المعاني المحتملة لألفاظه واجعلوها تأويله كما فعل العقلاء من النصارى في أوروبا من قبل.. فإن كان النص المانع حديثاً في كتاب من كتب السنة فالأمر يسير جداً! ارموا به عرض الحائط أصلاً لا حاجة لكم فيه.. فهو ضعيف ولا شك، إذ لا يمكن أن يكون الرسول قد خالف شارلز داروين! أيعقل هذا؟؟ مستحيل! بل الرواة كذبة أو واهمون.. أو لعلهم ما كانوا يفهمون كلام الرسول أصلاً وما كانوا يعلقون! نعم.. اقرأوا رواياتهم وسترون! مساكين! أهؤلاء سلفكم؟ دعمكم منهم، أنا آتيكم بما لم يستطيعه الأولون وبما عجزوا عنه أجمعون!"

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهٖ كُلُّ مَنٍ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران : 7]

هذا ديدن هذه الفتنة من المارقة أهل الزيغ، انهزمت نفوسهم الخبرة حتى انهار الحق والنور فيها، وعظمت في قلوبهم فلسفة الملاحدة السفهاء من بعد ما انظمست قلوبهم ومسخت إلى أمثال قلوب متبوعيههم، فإذا بهم يريدون تأويل ما بين أيديهم من كلام ربهم حتى يوافق ما صاروا به مؤمنين! فبئس ما يأمرهم به إيمانهم لو كانوا يعقلون!

كيف تريدون رد نظرية داروين؟ يا للمأساة! إنه الحق من أئمتكم أئمة العالم، وقد أجمعت الأكاديميات العلمية الأوروبية عليه.. فكيف تردونه بعقولكم هذه الغارقة في أحوال وأساطير الأولين؟ أفلا تعقلون؟

يقول الواحد منهم عند مناظرته: أستم تقولون بحجية إجماع أصحاب الصناعات في صناعاتهم؟ فمالكم الآن تناقضون أنفسكم وتدعون بطلان نظرية داروين وقد أجمع أصحاب علم الأحياء على صحتها؟ وجوابهم في ذلك أيسر مما يتوهمون! فالإجماع المزعوم لا يصح أصلاً (إذ يخالفه - على الأقل - أهل تلك الصنعة من المسلمين) هذا أولاً، وأما ثانياً، فإجماع أصحاب الصناعات معتبر فيما لا يقوم على أصول فلسفية تخالفها الثوابت العلمية الكبرى وضرورات العقل الأولية، كما هو الحال في أصول نظرية داروين، أو تبطلها أدلة في ذات المنزلة التي استدلت بها أصحاب ذلك الإجماع إذا قالوا به (وعندما يكون الحال كذلك فإن الإجماع أصلاً لا يتصور انعقاده بينهم غالباً) وهذا هو الحال هنا كما أسلفت، فلا إجماع بأي حال وإن وجد فلا قيمة له! إن نظرية داروين هذه لا تخضع - أصلاً - لمبدأ بوبر الذي يؤمن فلاسفة العلم الغربيون بأنه مقياس قبول ورد العلوم التجريبية الإمبريقية جميعاً، وهذا ما حمل "الملاحدة الجدد Neo-Atheists" كأمثال دانيال دينيت وريتشارد دوكنز وسام

هاريس على تقسيم فلاسفة العلوم إلى "بوبريين" غلاة (وهم الفلاسفة الذين يرون أن نظرية داروين تخالف هذا المبدأ)، و"بوبريين" معتدلين (وهم من لا يرون ذلك) !
فأي إجماع هذا وفي أي شيء؟ لا نامت أعين الإمعات الأغبياء !

يقول: "ولم يكن من قبيل الصدفة أن حصل تحالف مقدس ضده من قبل الأصوليات الدينية الثلاثة على الرغم من أنها يكره بعضها بعضاً، فالأصولية المسيحية في كلتا نسختيها الكاثوليكية والبروتستانتية تكرهه ولا تطيق سماع اسمه، وقل الأمر ذاته عن الأصولية اليهودية والأصولية الإسلامية. ولكن يبدو أن الأصولية البروتستانتية الظلامية المتعشة في أميركا هي التي تشن عليه حملة شعواء حالياً، ومعلوم أنها تمنع تدريس نظريته في المدارس التي تسيطر عليها في الولايات الجنوبية خصوصاً، فهي من أتباع نظرية الخلق التوراتية الواردة في سفر التكوين، والتي تقول بأن الله خلق العالم والإنسان في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع".

قلت تأمل أيها القارئ أعزك الله! ما قولك فيمن يقول بأن ما في التوراة من وصف الخلق بأنه جرى في ستة أيام ثم استوى الله على العرش في اليوم السابع (وليس استراح كما في التوراة المحرفة) هذا من قبيل "النظرية التوراتية"؟ فلعله يرى إذن أن القصة موجودة في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54] ونحوه بسبب تأثر "مؤلف القرآن" بالنظرية التوراتية! نعم لا بد له من أن ينحو هذا النحو، وإلا فكيف يوجه قوله بأن خلق الكون والإنسان في ستة أيام إنما هو "نظرية توراتية"؟ ما مخرجه من ذلك؟
خذ البضاعة كلها يا عدو الله وأخرج ما في نفسك، وقل كما قالوا صراحة إنها كلها أساطير الأولين،
قبحك الله!

ثم يواصل ويقول:

"ومعلوم أن داروين كان مؤمناً بها في البداية، بل كان يدرس اللاهوت المسيحي بغية أن يصبح كاهناً أو قسيساً ويكرس نفسه للعبادة والدين. ولكنه انخرط بعدئذ في خط البحث العلمي والرحلة الاستكشافية حول العالم، وكانت النتيجة التي نعرفها. وكان يعرف أن نظرية التطور التي توصل إليها سوف تدخل في صدام مباشر مع الكنيسة المسيحية واللاهوت الديني، ولكنه عندما كان يؤلف كتابه الشهير «أصل الأنواع» فإنه كان لا يزال مؤمناً بالله ومقتنعاً بوجوده كمحرك أساسي للكون. والواقع أنه لم يصبح ملحدًا طيلة حياته أبداً حتى بعد أن فقد إيمانه الديني على الطريقة التقليدية، كل ما في الأمر هو أنه كان

يقول بأن العلم شيء والدين شيء آخر ولا ينبغي الخلط بينهما، فمجال الدين الروحي والتنزيهي الأخلاقي غير مجال العلم التجريبي. وهذا ما يقوله كبار العلماء حالياً .

قلت تأمل التناقض والكذب! كان داروين مؤمناً "بنظرية الخلق في ستة أيام"، ولم يصبح ملحدًا طيلة حياته أبداً ولكنه في نفس الوقت كان يعرف أن نظرية التطور التي توصل إليها سوف تدخل في صدام مباشر مع اللاهوت الديني!! فليت شعري إلى أي شيء تدعونا أيها الجرذ؟؟ إلى أن نؤمن كما آمن داروين - بزعمك - بأن الله موجود "كمحرك أساسي للكون"؟؟ هل تفهم معنى "الطفرة العشوائية" ومعنى "الانتخاب الطبيعي" يا هذا أصلاً، وما يلزم من معناهما في حق خالقك الذي تدعي أنك مؤمن بوجوده وربوبيته؟؟؟؟ كفرت بالله العظيم ورب الكعبة لو وافقت داروين على هذا الاعتقاد!! فالله قيوم السماوات والأرض يصرف الأمر كله فيها ولا يعزب عنه مثقال ذرة، لا شيء فيها خارج عن إرادته وعلمه المسبق وخلقته وتقديره، حتى الذر الذي تحمله الرياح، يعلم ربك مستقره ومستودعه، وقد كتبه وقدره تقديراً!! فإما أنك جاهل جهلاً مركباً بحقيقة الأسس التي تقوم عليها تلك النظرية - وهذا بعيد، فقد أحسن القوم اصطناعك كما هو واضح!! - وإما أنك منهم تدين بدينهم وتدعي الإسلام، والله المستعان على أمثالك بأي حال!!

من هم كبار العلماء الذين يقولون - حالياً - بأن مجال الدين روهي تنزيهي أخلاقي وحسب بخلاف مجال العلم التجريبي؟؟؟ علماء في أي علم هؤلاء؟؟ لا أهل الدين يقولون بهذا ولا أهل الإلحاد!! أما سمعت عن شيء في القرآن اسمه خبر الغيب؟؟ أما علمت أن القرآن أخبرنا بحقائق عن أصلنا ونشأتنا وعما هو غائب عنا في ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، وأن من كذب بها بدعوى أن العلم قد أثبت خلافها فقد كفر بالله العظيم وافتري - في ذات الوقت - على صنعة العلم نفسها كذباً وزوراً؟؟ كلا والله ليس البحث في أصل الخلق ونشأة الكون بما يُسوغ لعاقِل أن يستدل بما يراه الآن من أحوال الكون وآلياته على قصة يتصورها لنشأته الأولى كتصورهم لما أسموه بالانفجار الكبير وما في نحوه! فالفلسفة التي تقوم على افتراض ثبوت سائر النظم على سير واحد وحركة واحدة من أول الخلق إلى يوم الرصد الذي نحن فيه، دونما اختلاف ولا تغير، هذه محل جدال ونزاع بين الفلاسفة أصلاً، ولو تأملت يا أيها المسكين المفتخر بأنك "مفكر"، لو تأملت وتفكرت بتجرد للحق لرأيت آية عدم اطرادها في تغيرات كثيرة تجري الآن في الأرض كالاكتباس الحراري وتغير مغناطيسية الأرض وما إلى ذلك من أشياء رصدنا تغيرها وتابعناه في بضعة عقود فقط (كيف بالآلاف السنين؟)، ولعلمت أن الحق المنزل من ربك في قصة الخلق لا يملك عاقل أصلاً أن يختبر صحته بالنظر في مخلفات الحيوانات

المتحجرة أو في طبقات الأرض المتراكمة أو في حركة النجوم السيارة كما يراها الآن من حوله يستدل بذلك على أن الكون نشأ على نحو كذا وكذا ولا بد !!

أنتم السفهاء ورب الكعبة وتحسبون أنكم على شيء، ثم يأتي الواحد منكم يقول بأن "مجال الدين" روحي أخلاقي فقط، ولا دخل للعلم به!! أولو كان ما أدخلتموه في العلم الإميريقي - زورا وعدوانا عليه - لا تخرجون منه إلا برد وتكذيب ما جاءكم به الوحي من رب العالمين؟؟؟ أولو كنتم ترون بسببه ضرورة مخالفة ما أجمعت قرون الأمة على أنه فهم الصحب والتابعين كما علمه إياهم سيد المرسلين؟؟؟ أي عاقل هذا الذي يقول "العلم" - هكذا - شيء و"الدين" شيء آخر إلا أن يكون تابعا ذليلا للقرء داروين لعنه الله؟؟ ما هو العلم وما حده يا هذا عندك أصلا، حتى تستقيم لنا قاعدة نتخاطب عليها إن أردنا الجدل؟؟؟

إن كنت لا ترى العلم - اصطلاحا - إلا في العلم الإميريقي التجريبي وفقط، فأنت إذن أسفه من أن يخاطبك فلاسفة تلك البلاد أنفسهم يا مسكين، الذين وضعت دينك قربانا على مذبحهم!! وإن كنت تراه طريقا لمعرفة الغيبات المطلقة التي نؤمن نحن بأنه لا سبيل إلى معرفتها إلا بخبر صادق عن رب العالمين، فأنت إذن مثلهم ولا فرق!

لا الدين يقف ما فيه من العلم عند حد الروحيات والاخلاقيات وفقط كما تدعي، ولا العلم الإميريقي فيه طريق إلى معرفة الغيبات المطلقة كما أوهمك سادتك ومعلموك، ولا تدري أنت ما العلم ولا الدين أصلا.. قاتل الله السفاهة وأهلها!

ويقول: "ويرى عالم اللاهوت الفرنسي جاك آرنو أننا نشهد حاليا تشكل تحالف مقدس ضد داروين ونظريته، فبالإضافة إلى الأصولية البروتستانتية الأميركية، التي ينبغي تمييزها فورا عن البروتستانتية الأوروبية التقدمية المستنيرة، هناك الأصولية الإسلامية التي تشن أيضا حربا شعواء على داروين وتعتبره بمثابة الشر المطلق. ويتأس هذا التيار حاليا الكاتب التركي هارون يحيى صاحب كتاب «أطلس الخلق»، وهو من أتباع نظرية الخلق الدينية التقليدية والتفسير الحرفي للكتابات المقدسة، تماما كأعلام البروتستانتية الأميركية، بل وانضم إليهم العديد من الأصوليين اليهود الذين يرفضون أيضا نظريات العلم الحديث، ويعتقدون بالصحة الحرفية لكل ما ورد في التوراة، وبالأخص في سفر التكوين الشهير". قلت تأمل أيها القارئ الكريم إلى أي مدى غرق هذا "المفكر" في نظريات الملاحدة وعقائدهم!! صار يوافقهم على نسبتهم جميع من يرد عليهم من أهل الملل إلى ما يسمى بنظرية الخلق!!! ولأنه حريص على ألا يظهر ما يبطن فإنه لم يفته أن يستدرك استدراكا مأكرا خبيثا ويقول: "نظرية الخلق الدينية

التقليدية، والتفسير الحرفي "!!! الخلق كما نص عليه القراءان أصبح الآن مجرد نظرية، والذي لا يزال بعد يؤمن بها كما أخبر الله بها وكما أطبق الصحابة والمسلمون جميعا عليه، يعد عند صاحبنا هذا "مقلدا" لتلك "النظرية الدينية التقليدية" يعاني من داء التفسير الحرفي "للكتابات المقدسة"!!!
أستحلفك بالله أيها القارئ العاقل، أهذا كلام مسلم موحد يشهد بأنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؟؟؟؟؟؟

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 18]

ثم يواصل فهاهته ويقول: "ويرى بعض المفكرين هنا أن لهذا التحالف المقدس لكل الاصوليات أبعادا سياسية واضحة، فالعدو المشترك لهم واحد، إنه الحداثة العلمية والفلسفية. ولذلك فإن بعض الجهات قامت بتوزيع كتاب «أطلس الخلق» مجانا على المدارس والجامعات الفرنسية عام 2007، محذرة الطلاب من نظرية داروين. ولكن بما أن فرنسا مستنيرة فإنه لا يخشى عليها من العدوى. وحدها الجاليات المغتربة قد تنخدع بمثل هذه الكتابات اللاعلمية أو الجاهلة بالعلم الحديث".

قلت أنى لك أن تعقل ما تقول وأنت تجعل الصراع بين قسيمين أحدهما ما تسميه بالحداثة والآخر ما تسميه بالأصولية (تكرهه كما هو شأن سادتك لمجرد أنه موروث قديم يخالف هواك)؟؟؟ أليس في الحداثة باطل قط؟؟ أليس في التراث حق قط؟؟ فأى عاقل هذا الذي يضع الحداثة - بهذا الإطلاق - مع التراث في صراع، وأي "أصولي" هذا - وهو اصطلاح تالف أصلا - من أي ملة كان، الذي يتخذ من الحداثة العلمية بمطلقها عدوا يحاربه؟؟؟ والله إنك لا تعقل ما يخرج من رأسك!! الحق (والعلم) يا هذا هو ما وافق الواقع بدليل قديما كان أو حديثا، والباطل والوهم والضلال ما خالفه!!

تأمل: ما أحسن ما فعلته "فرنسا المستنيرة" التي "لا يخشى عليها من العدوى" إذ حصنت الناس هناك من أن يتركوا إلحادهم ويدخلوا في الإسلام بسبب مثل هذا الكتاب !!!
أخرج ما في نفسك يا هذا، قد فضحك الله وكشفك!!

أنا لا أدافع عن طريقة صاحب الأطلس هذا في المحاجة العلمية انتصارا للحق، فلي عليه مآخذ منهجية ليس ههنا محل البسط فيها، وخلاصتها أننا لا نثبت وجود رب العالمين وتمام صنعته وعظم خلقه بالنظر في تلك الرمم أصلا ولا حاجة بعقل إلى ذلك، والله المستعان! فاستعماله طريق النظر في الحفريات كما يصنع النصارى إنما هو السبب في أنهم عدوه من جملة المروجين لما أسموه "بنظرية الخلق creationism" فقد خرج الكلام وكأنه نظرية ترد على نظرية، تواجهها بذات الأدلة التي تستدل

بها، فتكسب تلك الأدلة بذلك قيمة نوعية - من حيث لا يدري المجادل - في محل النزاع تقوى موقف الملحد وتوهمه بأنه على شيء بما معه منها على صحة موقفه من الخلق ولا حول ولا قوة إلا بالله! ولكن كما ذكرت فليس المجال هنا مجال نظر في منهجية الرد في كتاب هارون يحيى، ولا في معتقدات هارون يحيى نفسه وما يدعو إليه، ولكنني أدعو القارئ للتأمل في اعتراض ذلك "المفكر" المحترم على مبدأ الرد على الداروينية ابتداءً، ومبدأ الترويج لوجود الخالق والتمسك في قصة الخلق الأول بما جاء به كتاب رب العالمين !!

فصاحبنا عنده أن الرد بالحفريات لإثبات حقيقة الخلق يعد من الجهل بالعلم الحديث، بينما استدلال الملاحدة على عقيدتهم بتلك الأدلة نفسها = علم وحادثة... فتأمل أيها القارئ اللبيب أكرمك الله..

ويقول: "وربما لهذا السبب راح الفاتيكان يتمايز عن هذه المواقف بشكل واضح، وهذا موقف ذكي جدا من بابا روما، فهو يريد أن يبدو بمثابة المدافع الوحيد عن روح العلم والاستكشاف وحركة التقدم. هذا في حين أن المسلمين والبروتستانتين الأميركيين يبدون بمثابة المعادين الوحيدين لروح العصور الحديثة. فقد فاجأنا وزير الثقافة في الفاتيكان المطران جيانفرانكو رافاسي بالتصريح التالي: «إن نظرية التطور متوافقة تماما مع الكتاب المقدس، ولا تتعارض إطلاقاً مع الإيمان أو اللاهوت المسيحي». وهكذا غيرت الكنيسة الكاثوليكية رأيها رأساً على عقب بعد أن حاربت داروين وشتته طيلة أكثر من قرن ونصف القرن، وكانت «ضربة معلّم» من قبل الفاتيكان. فهل كان سيقوم بها لولا كتاب هارون يحيى «أطلس الخلق»؟ أشك في ذلك كل الشك؛ فالهدف هو إثبات أن المسلمين هم وحدهم الظالمون في هذا العالم، وهم وحدهم المعادون لحركة التطور والمكتشفات العلمية التي تمثل زبدة الحضارة البشرية".

قلت تأمل يا أيها الموحد أعزك الله بالتوحيد، أي درك من دركات الخزي والمهانة بلغه ذلك الكاتب إذ يدعونا إلى سلوك مسلك بابا الفاتيكان في الرضوخ والخضوع التام والاعتراف بصحة فلسفة داروين والزعم بأنها توافق تماماً ما في كتبنا كما رضح ذلك الجبان في الفاتيكان، حتى لا نشتم أو نهان.. والله المستعان!! فلتنهجوا هذا النهج ولتفعلوا كما فعل بابا الفاتيكان أيها المسلمون لعل أوروبا ترضى عنكم، وتمن عليكم بلقب "البشر" أو بلقب "المستيرين" و"المتقدمين"!! ألا تريدون التمتع بزبدة الحضارة البشرية؟؟ ألا تريدون البراءة من تهمة المعاداة لحركة التطور والمكتشفات العلمية؟؟ تأملوا مكر بابا الفاتيكان وكيف أنه استغل فرصة نشر كتاب هارون يحيى ليثبت للعالم أنكم أنتم

وحدكم أهل الظلام فيه!! فانبتهوا لما يمكر بكم البابا معاشر المسلمين!!
والله لا أدري أضحك أم أبكي من هذا الهراء المستطير!!!! قاتل الله السفهاء!
تأمل كيف يواصل على وتيرة هذه الفكرة المتهاوية فيقول: "ولهذا السبب أيضا دعا الفاتيكان إلى تنظيم
مؤتمر علمي ضخيم بين 4 و 7 مارس القادم في الجامعة البابوية بروما، تحت عنوان: «التطور
البيولوجي: الوقائع والنظريات»، ودعا إليه نخبة الفلاسفة العالميين وعلماء البيولوجيا ورجال الدين .
فمتى سيتحرك المسلمون لتنظيم مؤتمر مماثل يعبرون فيه عن وجهة نظرهم في كتاب داروين
وأطروحاته؟ متى سيطرحون تفسيراً جديداً لكتبتنا المقدسة، تفسيراً لا يتعارض مع روح العلم وإنما
يتصلح معها ومع المكتسبات الإيجابية للحضارة الحديثة ككل؟ ألم يكن الإسلام هو دين العلم
والعقل طيلة قرون وقرون؟ فلماذا يسبقنا بابا روما إذن إلى هذا المنصب، ويحتل كل هذه المكانة
الرفيعة والمشرقة محلّنا؟"

قلت لا تعليق.. ولا يحتاج الكلام إلى تعليق..

قد حزننت والله على ثلاث ساعات كاملة أنفقتها من وقتي في كتابة مقالتي هذا، رداً على تلك التفاهات،
ولكننا في ذاك الزمان.. زمان الهدم في أصول العلم والعقل.. زمان الاستهانة بعقول الأولين وعلومهم،
زمان الاستهانة بالكلام في أي شيء وكل شيء.. ولكن قديماً قالوا إن كان عدوك نملة، فلا تنم له!
وحسبي أني احتسبت ذلك قرينة إلى ربي، أسأله الإخلاص والقبول، والله المستعان على ما يقول
الظالمون.. سبحانه وتعالى علواً كبيراً، والحمد لله رب العالمين..

البيان المسهب لكل حَدَث يقول لا أتمذهب

الحمد لله وحده

أما بعد، فإنه مما عمت به البلوى في هذا الزمان، وصار شائعا ماثورا بين كثير من طلبة العلم في مختلف البلدان، التبرؤ من المذهب والمذهبية هكذا جملة واحدة! يقال للحدث المبتدئ في الطلب ما مذهبك، فتراه يقشعر جلده ويتمعر وجهه ويقول في أنفة ظاهرة: أنا لست متمذهبا، أنا أتبع الدليل!!! فإذا ما حوجج قال: وهل كان الصحابة يتمذهبون؟ وهل كان فيهم الشافعي والمالكي والحنفي .. الخ؟ فهو إذن بدعة على خلاف ما كان عليه السلف الأول، لا أرتضيها وأحذر طلبة العلم من الوقوع فيها!

فنقول لصاحبنا هذا: أولا، اعلم يا عبد الله أن التمذهب لفظة مجملة ينبغي فيها التفصيل والتحرير. فإن المذهب قد يطلق على مسألة من الفروع (يقال مذهب فلان فيها كذا) وقد يطلق على طريقة في الاستدلال والموازنة بين الأدلة، وقد يطلق على نحلة عقدية في مسألة يسوغ فيها الخلاف أو في أخرى مما يمتاز به أهل السنة عن أهل البدعة. وقد يكون الرجل متمذهبا على تقليد محض، يأخذ قول هذا في هذه وقول ذاك في تلك، دونما دراية بأصول الاستدلال والترجيح عند من يفتيه، وقد يكون متمذهبا على طريقة من طرق الاستدلال (وهو ما يُصطلح عليه بالمذهب الفقهي) تقليدا لإمامه، وقد يتخذه لنفسه مذهبا وطريقة في النظر اجتهدا منه في ذلك، حيث ظهر له باجتهاده بعدما خبر خلاف الفقهاء وطرائق الأئمة وأصولهم في التعامل مع الأدلة تقديمًا وتأخيرًا، إعمالًا وإهمالًا، جمعا وترجيحا، أن طريقة الإمام فلان هي الأقوم والأقرب إلى الصواب في ذلك، وهي الأقرب إلى ما كان عليه الصحابة في فقههم وعملهم. فلا يمكن لعاقل يعي ما يقول أن يجمع هؤلاء جميعا في سلة واحدة يسميها بسلة

(التمذهب) ثم يذهب يطلق الحكم العام على هذا (التمذهب) هل هو بدعة أو مباح أو غير ذلك، أو يطلق القول كصاحبنا هذا يقول: لا أتمذهب!! لا يصح أن نقول لرجل (إنه متبع للدليل) تمييزاً عما يقال له (إنه متمذهب)!! فأما الأول فإن كان على الجادة فهو على مذهب من مذاهب السابقين في استدلاله وطريقة نظره لا محالة، وأما الثاني فإنه يحسب أنه يتبع الدليل وأن طريقة إمام مذهبه هي المحققة للدليل، وإن أخطأه بها! وإلا فهذا المتبع للدليل ما فهمه له وعلى أي القواعد أقام ذاك الفهم وخلص منه إلى الاستدلال والحكم، ومن أين جاء بها؟ إن كانت قواعد جديدة من عنده لم يسبقه إليها أحد، فهو إذن من أهل الشذوذ والانحراف، وقوله يرده عليه أهل الفن كما يرد أئمة كل صنعة عبث الدخلاء عليها والمفسدين فيها! وإن كان مسبوقاً إليها فهو على مذهب من سبقه إليها - لا محالة - وإن جهله! فإن تلك الأصول المعمول بها في المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة، إنما هي جماع ما ورثه الأئمة عن الصحابة والتابعين من طرائق في النظر والاستدلال، فلا يكاد يخرج عنها مفتي يدري ما يقول! وإنما نسبت تلك المذاهب إلى فلان وفلان من الأئمة لا لأنهم اخترعوها ولكن لأنهم أول من جمعها عن السلف الأول والصحابة وحررها في أصول منطوقة وقواعد مدونة كأصول كلية تفرع عليها الفروع وتخرج عليها المسائل. فكان أن اختلفوا فيها كما اختلف الصحابة والسلف الأول، فكانوا فيها على جملة من المذاهب توارثتها الأمة وتتابع عليها الفقهاء والعلماء. فمن أين جاء الصحابة بتلك القواعد ابتداء؟ لم يخرعوها من عند أنفسهم، وإنما فهموها من عمومات الكتاب والسنة، واستقرأوها من مفردات المسائل والأحكام. والأئمة إذ يجتهدون في جمع تلك الأصول والقواعد، يستدلون لها بما استدل به الصحابة والتابعون ويحرصون على ألا يجاوزوا ذلك.

فالبناء المذهبي الذي ورثته الأمة في الحقيقة بناء محكم وليس - في إطلاقه - ضرباً من التقليد الأعمى كما يتوهم الكثير من ضعاف النظر حدثاء الأسنان! وإنما يذم (المتعصب) لا (التمذهب)!!

المتعصب هو الموسوم بالتقليد الأعمى المذموم، الذي هو اتباع مذهب إنسان - أي إنسان - والبقاء عليه من بعد ما تبين للمقلد أن الدليل - أي كان نوع الدليل الذي استظهره ذاك المقلد - على خلافه! يصير على تقليد إمامه، يقول - دونما تكلف عناء النظر، أو إصراراً على مذهبه من بعد ما تبين له خطؤه: "بل أنتم المخطئون، ما هكذا يفهم النص، ويقينا إن إمامي قد وقف عليه وحققه فتوصل بما

معه من الأدلة إلى إهماله!" هذا هو المذموم، وهذا من يُتبرأ من طريقته في (التمذهب)، لا مطلق (المتمذهبين)! فيا لخبية وجهالة من يقول "أنا" سلفي "فلا أتمذهب" (بهذا الإطلاق)! وهل السلفي - في اللغة والاصطلاح - إلا هذا الذي يتمذهب بما كان عليه سلف الأمة، لأنه يدين الله بأن هؤلاء كانوا أقرب إلى إصابة الحق ومراد رب العالمين من نصوص الوحي منه، وأنه لا سبيل إلى فهم تلك النصوص على وجهها إلا من طريقهم؟ وهل كان شيخك أيها السلفي، وشيخ مشايخك، شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ذاك الحبر المجتهد المطلق، إلا إماما من أئمة الحنابلة، يوافقهم في مجمل أصولهم؟ وهل تنفي عنه رحمه الله نسبة (الحنبلية)؟ فمن أين جئت أنت بأصولك في الترجيح والنظر والتأمل في الأدلة والمفاضلة بينها؟؟ هل اخترعتها على غير مثال سابق، أم أنك ذهبت فيها إلى ما سبقك إليه بعض الأئمة؟

تقول (إن صح الحديث فهو مذهبي)، فعلى أي فهم صار هذا الحديث مذهبك يا أخانا، وعلى أي فهم خرجت بوجه الدلالة منه أصلا، وكيف وبأي أصول النظر جمعت بينه وبين غيره مما في الباب من نصوص وأدلة؟ أم تحسب أن الشافعي رحمه الله وغيره لما صدرت منهم تلك الكلمة، كانوا يقصدون أن الواحد منهم لو ثبتت عنده صحة الحديث في باب من الأبواب فإنه يرمي بكل ما سواه مما عنده عرض الحائط ولا يعمل إلا ذلك الحديث وحده في المسألة أيا كانت؟؟ هذا تصور من لا يدري ما المذهب ولا ما الفقه أصلا!

إنما المراد أن الحديث إن صح في الباب فإنه حجة تدفع ما دونها من الأدلة في مراتب الاستدلال في تلك الباب عند ظهور التعارض وتعذر الجمع! فما هي تلك المراتب وعلى أي فهم تتنظم وما وسيلة هذا الإمام وغيره لاستخراج الفهم من الحديث، بما يدخله أصلا في هذه الباب أو تلك، ويندفع به ما دونه من الأدلة في ذات الأمر؟ أليس يلزمك أيها الداعي إلى الصدع بهذا الشعار أن تستكمل تلك الأدوات من مظانها أولا كما استكملها أمثال الشافعي رحمه الله ورضي عنه، وحتى تحقق تلك القاعدة - إذا ما أعملتها - على وجهها المستقيم؟ يؤتى بعضهم بنصوص من كتب فقهاء المذاهب فتراه يتمعر وجهه ولعله يأنف من النظر فيها ويشمئز لأنه لم يجد في وسطها حديثا صحيحا قد سمعه في المسألة (وما

سمعه إلا من شيخه الذي يقلده)، وهو يقلد شيخه حتى في تصحيح ذلك الحديث والحكم عليه، فتراه يقول لمن يأتيه بكلام الفقهاء في حال كهذه: "أقول لك قال رسول الله، والحديث صححه فلان وفلان، وأنت تقول لي قال فلان وفلان من المصنفين في المذهب كذا وكذا؟؟؟"

فنقول صحيح إن أحدا من الخلق لا يقدم كلامه على كلام رسول الله ﷺ ولا يماري في هذا مسلم! ولكن - وما أكبرها من (لكن)! - من أين لك بفهم كلام رسول الله، وأنت لم تعاصره ولم تسمع هذا الأمر أو النهي من فمه الشريف صلى الله عليه وسلم؟؟ تراه يستدل بما كان عليه الصحابة من نسخ مذاهب بعضهم واجتهاداتهم فيما بينهم بكلام النبي ﷺ! فنقول له وهل أنت الآن في زمانهم، يأتيك عن أحدهم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا، فتضرب بما سوى ذلك من الكلام عرض الحائط وتقدم كلام النبي عليه السلام على ظنك واجتهاد نفسك واجتهاد غيرك؟؟ أنت أعجمي يفصلك عن زمان التنزيل أربعة عشر قرنا من الاجتهادات والتحقيقات في مرادات النصوص ومقاصدها وأوجه التنزيل ومناطاتها، وفي الناسخ والمنسوخ والراجح والمرجوح وفي مراتب الأدلة والقرائن التي ينتهي بها الفقيه إلى الحكم بأن هذا ما استقر عليه أمر المسلمين من فهم لحكم الشرع في هذه الباب وفي تلك .. فعلى أي أرض تقف وبأي سماء تستظل يا عبد الله وأنت تضرب بهذا كله عرض الحائط ثم تقول، هكذا بكل سهولة: أنا متبع للدليل لا مذهب لي، وإن صح الحديث فهو مذهبي؟؟ أجب عن أدلتهم إذن، واثبت أن هذا الحديث الذي بين يديك حجة على اختيارهم وأنهم أخطأوا إذ أخروه وهو حقه التقديم، أو ذهبوا إلى نسخه مع أن حكمه باق، أو خصصوه بغير مخصص معتبر مع أن حكمه عام، أو قيدوه بقيد لا يصح - بالدليل - أن يقيد به، إلى آخر تصرفات أهل الفقه والفهم في أدلة المسائل!! مسكين والله من كان هذا حظه من الفهم لحقيقة المذهب الفقهي والمذهبية وهو في أول طلبه لذلك العلم الجليل! تمهل يا طالب العلم ولا تعجل، استوعب الأقوال وافقه الخلاف وتأن، وتواضع لمن سبقوك بالعلم والإيمان، خذ عنهم عدتهم وآلتهم، ثم اذهب بعدئذ تقول إن مذهب هؤلاء في تلك المسألة باطل، والحديث الوارد فيها حجة عليهم، كما خالفهم بذلك أولئك!

وأقول لصاحب تلك العقلية التي تقتل طالب العلم من قبل أن يشرع في الطلب: إن كنت عاميا حديث العهد بالطلب، فواجبك التقليد فيما لم يستقم لك فيه أساس للنظر والترجيح.. فمن تقلد؟ تقلد شيخك فيما يذهب إليه، لا محيص لك من ذلك! فمن يقلد شيخك هذا في جملة ما يفتي به من الأقوال، وعلى أي الأصول الفقهية والقواعد يجري في اجتهاده ونظره وترجيحه؟ بل تراك يا من هكذا حاله، تستفتي شيخا في مسألة وآخر في غيرها، فتجمع إلى نفسك مذاهب شتى في مسائل متفرقة لا تدري على أي مذهب من مذاهب الأئمة خرجت هذه وعلى أي القواعد جرت تلك، ما علمت إلا أن شيخك الذي تقلده أفتى بهذا القول مستندا إلى حديث ساقه وصححه في فتواه، وكأن شيخك هذا من بعدما شابت رأسه في طلب العلم لم يزد على أن سمع هذا الحديث فأفتى به رأسا، كما فهمته أنت!! فهذا - وأيم الله - أدنى في منزلة التقليد من سابقه عند التأمل، ويا ليتك كنت مقلدا للإمام أحمد أو مالك أو الشافعي أو أبي حنيفة، تحفظ متنا من متون المذهب وأنت لا تدري أصوله، خير لك وأكرم ألف مرة من هذا الذي أنت عليه، يا من تقول (أنا أتبع الدليل)!! واعلم أنه مهما زاد علم الطالب وفقهه وصار من المحققين المجتهدين فسيفضي به اجتهاده الحر - لا محالة - إلى موافقة أصول مذهب من المذاهب المتبوعة (مشهورة كانت أو مغمورة) أو الجمع بين بعضها، ومن ثم موافقة مذهب من المذاهب في بعض اختياراته وموافقة غيره فيما سواها، ولن يأتي مثله قط - إن كان من أهل التحقيق جهابذة هذا الشأن - بأصل جديد أو قاعدة جديدة لم يسبقه إليها أحد، ولن يتبع - في الجملة - غير سبيل المؤمنين من القرون الأولى! ولو شذ فسترد عليه زلته تلك لزوما، وسيكون لزاما على مقلديه، من عرف منهم شذوذها، ألا يتابعوه عليها، ولا يكاد يخلو من ذلك أحد من المجتهدين! فالقصد أن الأئمة الذين بلغوا الاجتهاد المطلق، كانت عامة أصولهم = على المذاهب التي دانوا الله بصحتها، وتلقوها عمن سبقوهم، ولا نقول إنهم تحرروا منها جملة بعدما صاروا مجتهدين!! وإنما اجتهدوا في تلك الأصول لا في اختراع الجديد ولكن في تحقيق نسبتها إلى السلف الأول، ففصلوا فيها وجمعوا إليها من غيرها من المذاهب ما ترجح عندهم أنه أصوب وأقوم، ونظروا فيما كان سلفهم يفتون به على اختلاف أحوالهم وعند تغير تلك الأحوال، فعمدوا إلى أقربها إلى الحق، يحققون أصول النظر عند

السلف الأول، مقربين بذلك إلى صنيع الأئمة الأربعة أنفسهم، رحمة الله عليهم، يأخذون جميعاً من مشكاة واحدة! وهذه المنزلة من الاجتهاد (الاجتهاد المطلق) لست أرى إمكان وجودها في هذا الزمان، ولا يدعيها أحد لنفسه إلا فضحته أقواله وتحقيقاته! وأما الذي يقول إن مذهبي أني أقلد فلانا لا أعدو قوله أبداً (ولا أحد يقول هكذا في الحقيقة، وإن كان هذا لسان حاله)، فهذا مذموم في الشرع والعقل والعرف، لأنه ما من إنسان من دون المعصوم عليه السلام إلا ويؤخذ من قوله ويرد. وطالب العلم واجبه رفع عارض الجهل عن نفسه مهما استطاع إلى ذلك سبيلاً، واتباع الحجة الأظهر والدليل الأقوى كلما ظهر له، أياً ما كان مصدره! فإن جاءه ذاك الدليل بخلاف مذهبه القديم فإنه يجب عليه المصير إلى الحق وترك ما كان عليه، سواء كان ذلك في مسألة من الفروع أو في كلية من كليات أصول النظر والاستدلال في المذهب الذي هو عليه. وإنما يقلد المقلدون من طلبة العلم الأئمة في أول الطلب لتعذر استيفاء النظر والاستقلال به للوصول إلى الترجيح في جميع مسائل الشريعة جملة واحدة (حتى مع تحقق القوة القريبة من الفعل لديهم)، مع شدة الداعي لوجود من يفتي الناس في تلك المسائل، يسعفهم بها في عاجل أمرهم. فإن بقي هذا على تقليده لمتن حفظه مع قدرته على استيفاء النظر والمقارنة بين الأقوال فإنه تلحقه المذمة قطعاً. ولكنه لا تلحق مذمته تلك بعين المذهب الذي التزم تقليد الماتن فيه، ولا يصح أن يُنهي عن مطلق التمسك حذراً من أن يصير طلاب العلم إلى مثل هذا المفرط!! فإنه ما من عالم من أكابر أهل العلم إلا وتجده يحفظ أكثر من متن من المتون على مذهب من المذاهب، يفتي منها الناس إلا فيما خالف فيه باجتهاده اختيارات الماتن، لرجحان مذهب آخر عنده في ذلك، فإنه يفتي فيه بما يترجح لديه. ولهذا قال القائل إن من حفظ المتون حاز الفنون! ليس لأنه يدعو العلماء وطلبة العلم إلى التقليد، ولكن لأن الحاجة تدعو في كثير من الأحيان إلى استحضار مذهب يغلب على ظن طالب العلم أنه - بالجملة - أقرب إلى الصواب من غيره من المذاهب الفقهية (في عموم أصوله والأقوال المتفرعة عليها)، فيعمل به كمرجح عند عجزه عن است فراغ الوسع للاستقلال بالنظر في أعيان المسائل. غير أنه إذا وجد الماء بطل التيمم، فإذا ما تيسرت للطالب درجة من درجات الاجتهاد بشروطها وأدواتها، بطل ما دونها من درجات الاجتهاد في حقه، وحرم عليه البقاء على ما هو عليه من مراتب التقليد، والأمر في ذلك يطول..

فالقصد أن من ينهى طلبة العلم عن التمثهه ويأمرهم (باتباع الدليل، هكذا)، هذا ينبغي أن يتأمل كثيرا قبل أن يضرب في أصول العلم ضرب العشواء، يطلق أقوالا في الحداثه يندم عليها أشد الندم في قابل أيامه، كما وقع لكثير من طلاب العلم، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.



الرد على من اتهم الإمام الدارمي رحمه الله بالتجسيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام والسلام على من لا نبي بعده

أما بعد..

فقد دفع إليّ أحد الأفاضل الأحبة برابط لمتندى من المتنديات، فيه كلام كتبه عضو هناك يتهم فيه الإمام الدارمي رحمه الله بالتجسيم، ويدعي أن السلفيين (المعاصرين) يقلّدونه!! فرأيت أن أنشر الجواب عن كلامه ذاك هنا على العام - على طوله - لتعم به الفائدة، أسأل الله الأجر والمثوبة.

ولنشرع في المقصود بعون المعبود جل وعلا.

بدأت الصفحة بقول صاحب الموضوع:

(لا شك أن كتاب نقض عثمان بن سعيد على المريسي العنيد لعثمان بن سعيد الدارمي هو أحد مصادر عقائد السلفيين المعاصرين، وعندما طبع محمد حامد الفقي هذا الكتاب صدره بمقولة ابن قيم الجوزية في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية: (كتابا الدارمي - النقض على بشر المريسي والرد على الجهمية - من أجل الكتب المصنفة في السنّة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظّمهما جداً، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما) اجتماع الجيوش 143

وقد نوقشت رسالة ماجستير بعنوان: عثمان بن سعيد الدارمي ودفاعه عن عقيدة السلف، لمحمد أبو رحيم في جامعة أم القرى عام 1403 هـ.

وعليه فلا يماري واحد في أن الكتاب هو أحد مصادر عقيدة السلفيين المعاصرين، فماذا يقول السلفيون المعاصرون في هذا الكلام؟

قال عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على المريسي: ولو قد شاء (أي الله جل جلاله) لاستقر على ظهر

بعوضة، فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيم أكبر من السماوات والأرض، وكيف تنكر أيها النفاخ أن عرشه يقله والعرش أكبر من السماوات السبع والأرضين السبع، ولو كان العرش في السماوات والأرضين ما وسعته، ولكنه فوق السماء السابعة) ص 85
هل هذا هو مذهب السلف الصالح؟

وجوابه تفصيلا لقوله ذاك فصا فصا للإتيان على ما فيه من الغي والهوى:
أولا: قوله (لا شك أن كتاب نقض التأسيس هو أحد مصادر عقائد السلفيين المعاصرة) قول لا يخفى ما فيه من إلزام للسلفيين بقبول كل ما فيه وكأنه نص منزل بالوحي من السماء، وهذا ليس بلازم عقلا من تعظيم الأئمة للكتاب.. هذه واحدة، الثانية ما فيه من ادعاء أن عقائد السلفيين (المعاصرة) تتميز عن عقائد الأولين منهم بكونها (معاصرة)، ومن ادعاء أن المعاصرين هؤلاء إنما يتلقون عقائدهم تقليدا لكتب بعض الأئمة، وهذه الأخيرة ثلاثة الأثافي!
ثانيا: القول المنقول عن الإمام رحمه الله مبتور من سياقه.. ولا يخفى على ذي بصر يدري ما يقرأ أن الكلام جاء في مقام محاجة بشر المريسي، والمحاجة يجوز فيها من التنزل مع الخصم ومن ضرب المثل بالمستحيلات والممتنعات ما لا يجوز في غيرها كما يعلمه أي مبتدئ في طلب العلم!
المريسي يعترض على معنى الاستواء والجلوس على العرش بزعمه أن جلوسه سبحانه على العرش يلزم منه أن يكون العرش أكبر منه، فيحتويه ويزيد عليه كما يزيد المقعد على الجالس عليه ويحتويه، تعالى الله عن هذا علوا كبيرا..

فيقول الإمام رحمه الله ردا عليه وتنكيلا بذلك السفه:

(وأعجب من ذلك كله قياسك الله بمقياس العرش ومقداره ووزنه من صغر أو كبر وزعمت كالصبيان العميان إن كان الله أكبر من العرش أو أصغر منه أو مثله فإن كان الله أصغر فقد صيرتم العرش أعظم منه وإن كان أكبر من العرش فقد ادعيتم فيه فضلا على العرش وإن كان مثله فإنه إذا ضم إلى العرش السماوات والأرض كانت أكبر مع خرافات تكلم بها وترهات تلعب بها وضلالات تضل بها لو كان من يعمل عليه لله لقطع ثمرة لسانه والخيبة لقوم هذا فقيهم والمنظور إليه مع هذا التمييز كله وهذا البصر وكل هذه الجهالات والضلالات

فيقال لهذا البقباق النفاخ إن الله أعظم من كل شيء وأكبر من كل خلق ولم يحتمله العرش عظما ولا قوة ولا حملة العرش احتملوه بقوتهم ولا استقلوا بعرشه بشدة أسرهم ولكنهم حملوه بقدرته ومشيتته

وإرادته وتأييده لولا ذلك ما أطاقوا حمله

وقد بلغنا أنهم حين حملوا العرش وفوقه الجبار في عزته وبهائه ضعفوا عن حمله واستكانوا وجثوا على ركبهم حتى لقنوا لا حول ولا قوة إلا بالله فاستقلوا به بقدرته الله وإرادته لولا ذلك ما استقل به العرش ولا الحملة ولا السموات والأرض ولا من فيهن ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات السبع والأرضين السبع وكيف ينكر أيها النفاخ أن عرشه يقله والعرش أكبر من السموات السبع والأرضين السبع ولو كان العرش في السموات والأرضين ما وسعته ولكنه فوق السماء السابعة فكيف تنكر هذا وأنت تزعم أن الله في الأرض وفي جميع أمكنتها والأرض دون العرش في العظمة والسعة فكيف تقله الأرض في دعواك ولا يقله العرش الذي أعظم منها وأوسع وأدخل هذا القياس الذي أدخلت علينا في عظم العرش وصغره وكبره على نفسك وعلى أصحابك في الأرض وصغرها حتى تستدل على جهلك وتفطن لما تورده عليك حصائد لسانك فإنك لا تحتج بشيء إلا وهو راجع عليك وأخذ بحلقك)

فالكلام كما هو واضح جاء في مقام إلزام وإفحام، فإن كان المريسي يؤمن بأن الله في كل مكان، فكيف يقول بأن الأرض تحتويه وبأنه حال فيها ولا يقبل أن يحتويه عرشه الذي وسع السماوات السبع وما فيها؟ فالآن هذا الكلام في مقام المحاجة، فهل يقول عاقل يعي الكلام ويجمع سباقه إلى لحاقه، ويفهم وجه إيراده، أن الإمام يثبت به معنى أن العرش يحتوي رب العالمين احتواء المقعد للمخلوق القاعد عليه أو أن الله معتمد عليه في الاستواء اعتماد المخلوقين؟؟ ما أخف تلك العقول !

ثم إن الله مستو فوق عرشه مع كونه سبحانه أكبر من العرش ولا يقاس على شيء من خلقه، فصغر العرش بالنسبة إليه سبحانه لا يمنع من هذا الاستواء الحقيقي، إذ لو شاء لاستوى فوق بعوضة وما منعه صغرها من ذلك لأنه أصلاً لا يعتمد على شيء من خلقه ولا يحمله شيء كما يحمل المخلوق المخلوق أو كما يحمل المقعد رجلاً جالساً عليه كما يتوهم ذلك السفیه المريسي وأشياعه، وإنما هو استواء على نحو يليق بعظمته وجلاله، لا يعلمه إلا الله، فكيف والعرش على نحو ما وُصف لنا؟

هذا مراد الإمام رحمه الله ببساطة.. فهل يعقل هؤلاء ما يقرؤون؟؟ إنما هو البغي والهوى قاتلهما الله! وعلي أي حال نقول، لنفترض أن الإمام رحمه الله أخطأ في ضرب هذا المثل وكان يحسن به ألا يفعل،

فهل يلزم من ردنا هذا المثل بعينه بطلان المعنى الذي ينتصر له في رده على المريسي، أو بطلان نسبته إلى السلف؟؟ تلك أمانهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين!.

وفي مشاركة تالية في ذات الموضوع، يقول عضو آخر:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أودّ أن أذكر أولاً كلام الإمام الذهبي عن كتاب النقض للدارمي.. قال الإمام الذهبي في عبارة رقيقة منه عن ذاك الكتاب: (فيه بحوث عجيبة مع المريسي، يبالغ فيها في الإثبات، والسكوت عنها أشبه بمنهج السلف في القديم والحديث)؛ يُنظر: كتاب العلوّ للعلي الغفاري، للذهبي، (195)، ونقل علي أبو زيد محقق الجزء الثالث عشر من سير أعلام النبلاء للذهبي في هامش السير (320 / 13) عن محمد حامد الفقي قوله بحق كتاب النقض للدارمي: (إنه أتى فيه ببعض ألفاظ دعاه إليها عنف الردّ، وشدة الحرص على إثبات صفات الله وأسمائه التي يبالغ بشر المريسي وشيعته في نفيتها، وكان الأولى والأحسن ألا يأتي بها، وأن يقتصر على الثابت من الكتاب والسنة الصحيحة، كمثل الجسم والمكان والحيز، فإني لا أوافق عليها، ولا أستجيز إطلاقها، لأنها لم تأت في كتاب الله، ولا في سنة صحيحة)؛ ولو كان الشيخ محمد حامد الفقي أشعرياً، لأقيمت الدنيا ولم تقعد، لأجل كلامه في سلفي محض! كالدارمي، غير أن الشيخ حامداً ليس أشعرياً، بل هو إلى مدرسة ابن تيمية وابن القيم أقرب.

رجعتُ إلى كتاب النقض له بتنزيله بصيغة الـ: بي دي إف، من النت، وهو من تحقيق منصور بن عبد العزيز السماري، نشر: أضواء السلف، وعليها اعتمدتُ ها هنا.

قال الدارمي في النقض، (57): (والله تعالى له حدّ لا يعلمه أحد غيره، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحدّه غاية في نفسه، ولكن، نؤمن بالحدّ، ونكل علم ذلك إلى الله)، وروى عن ابن المبارك أن الله حدّ؛ وقال عثمان بن سعيد بعد أن ذكر قول الجارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله إنه في السماء، قال الدارمي: (وأنه لا يجوز في الرقبة المؤمنة إلا من يحدّ الله أنه في السماء)

ومسألة الحدّ مسألة كبيرة، جرت فيها فتنة لابن حبان، فأخرج من سجستان، لأجل إنكاره له.

ولو لم يكن في الحدّ إلا أنه لم يرد به نصّ، لكفاه أن يكون مرفوضاً، إذ الأمر يتعلق بصفات الله، ولا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولعلّه لأجل شيوع القول بالحدّ عند بعض أهل الحديث، تُرى مسألة الحدّ هينة، وبعيدة عن التجسيم، ومع ذلك، فعبارات أخرى للدارمي تُثبت تجسيمه..

قال الدارمي في (64) من النقص: (فإن الله الحي القيوم القابض الباسط، يتحرك إذا شاء، وينزل إذا شاء، ويفعل ما يشاء، بخلاف الأصنام الميتة التي لا تزول حتى تزال)؛ وقال في (52): (لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء، ويتحرك إذا شاء، ويهبط ويرتفع إذا شاء، ويقبض ويبسط، ويقوم ويجلس إذا شاء، لأن أمانة ما بين الحي والميت التحرك، كل حي متحرك لا محالة).

من أخبره ببعض ما ذكره هنا؟ أكتب أم سنة؟ إن الحركة أمانة ما بين الحي والميت من المخلوقات، وليس للأمر صلة بالخالق سبحانه، فمن ذا الذي جرّ صفات المخلوقات إلى الخالق سبحانه؟ ونسبة الحركة إلى الله تعالى تجسيم ظاهر، قال ابن عبد البر، في التمهيد، (7/ 137)، من الطبعة المغربية): وليس مجيئه حركة ولا زوالا ولا انتقالا، لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسما أو جوهرًا...

وقال عثمان بن سعيد عن الله سبحانه وتعالى، (64): (غير أنه وليّ خلق الأشياء بقوله وأمره وإرادته، ووليّ خلق آدم بيده مسيسا، وشرف بذلك ذكره، لولا ذلك ما كانت له فضيلة في ذلك عن شيء من خلقه، إذ كلّهم خلقهم بغير مسيس في دعواك)، يقصد في دعوى بشر المريسي.

أليس قوله: خلق آدم بيده مسيسا، دليلا على تجسيمه؟ أوليس مثل هذا الكلام بدعة يخرج بها قائلها عن أهل السنة والجماعة؟ أما كان يكفي الدارمي أن يفوض علم المعنى في لفظة: (لما خلقت بيدي)، فلا يدخل من بوابة تفسيرها إلى التجسيم؟ وإلا، فهل في نصوص الكتاب والسنة شيء من هذا؟

وفي الصفحة (290-291)، من النقص يقول الدارمي: (فقال: ألا ترى أنه من صعد الجبل لا يقال له: إنه أقرب إلى الله تعالى؟، فيقال لهذا المعارض المدّعي ما لا علم له: من أنبأك أن رأس الجبل ليس بأقرب إلى الله تعالى من أسفله، لأنه من آمن أن الله تعالى فوق عرشه، فوق سماواته، علم يقينا أن رأس الجبل أقرب إلى الله تعالى من أسفله، وأن السماء السابعة أقرب إلى عرش الله من السادسة، والسادسة أقرب إليه من الخامسة، ثم كذلك إلى الأرض، كذلك روى إسحاق بن إبراهيم الحنظلي عن ابن المبارك أنه قال: رأس المنارة أقرب إلى الله تعالى من أسفلها، وصدق ابن المبارك، لأن كل ما كان إلى السماء أقرب، كان إلى الله أقرب، وقرب الله إلى جميع خلقه أقصاهم وأدناهم واحد، لا يبعد عنه شيء من خلقه، وبعض الخلق أقرب إليه من بعض، على نحو ما فسرنا من أمر السماوات والأرض، وكذلك قرب الملائكة من الله، فحملة العرش أقرب إليه من جميع الملائكة الذين في السماوات كلها، والعرش أقرب إليه من السماء السابعة، وقرب الله إلى جميع ذلك واحد؛ هذا معقول مفهوم إلا عند من لا يؤمن بأن فوق العرش إلهها، وكذلك سميت الملائكة: المقربون، وقال: (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن

عبادته، ويسبحونه وله يسجدون)، فلو كان الله في الأرض كما ادّعت الجهمية، ما كان لقوله: (إن الذين عند ربك)، معنى). انتهى نص كلام الدارمي.

إنه قال شيئين: الأول: قرب الله إلى جميع خلقه واحد، وقول الإمام الدارمي رحمه الله هنا حق لا ريب فيه، غير أن القرب هنا، ليس قرب مسافة.

الثاني: قوله: (من آمن أن الله تعالى فوق عرشه، فوق سماواته، علم يقينا أن رأس الجبل أقرب إلى الله تعالى من أسفله، وأن السماء السابعة أقرب إلى عرش الله من السادسة، والسادسة أقرب إليه من الخامسة، ثم كذلك إلى الأرض)، وهذا تجسيم واضح، لأن قرب تلك المخلوقات التي ذكرها إلى الله تعالى، هو قرب مسافة على حسب عبارته، وهو التجسيم بلا ريب؛ فمن أخبر الدارمي بهذا، أكتأب أم سنة؟ إنني أتأسف أن يكون الدارمي ذاك أحد مراجع العقيدة عند ابن تيمية وابن القيم، والذي لا شك وجد طريقه إلى سلفية العصر المقلدة لابن تيمية وابن القيم، رحمهما الله تعالى. أما ما نسبته إلى ابن المبارك، فلا يتضح اتصال السند فيه، ويحتاج أمره إلى تحقيق. أرجو ملاحظة أنني نقلت كلام الدارمي وكلام غيره في هذه المشاركة من مداخلتي كنت كتبتها في أحد المواقع، فنسختها من هنالك، وكنت قد نقلتها فعلا من كتاب النقض للدارمي. والسلام عليكم ورحمة الله.)

سأتي على هذا الكلام بجواب مستفيض فيما يلي من المشاركات بعون الله تعالى.

قوله: (أود أن أذكر أولا كلام الإمام الذهبي عن كتاب النقض للدارمي.. قال الإمام الذهبي في عبارة رقيقة منه عن ذاك الكتاب: (فيه بحوث عجيبة مع المريسي، يبالغ فيها في الإثبات، والسكوت عنها أشبه بمنهج السلف في القديم والحديث)؛ يُنظر: كتاب العلو للعلي الغفار، للذهبي، (195)، ونقل علي أبو زيد محقق الجزء الثالث عشر من سير أعلام النبلاء للذهبي في هامش السير (13/ 320) عن محمد حامد الفقي قوله بحق كتاب النقض للدارمي: (إنه أتى فيه ببعض ألفاظ دعاه إليها عنف الردّ، وشدة الحرص على إثبات صفات الله وأسمائه التي يبالغ بشر المريسي وشيعته في نفياها، وكان الأولى والأحسن ألا يأتي بها، وأن يقتصر على الثابت من الكتاب والسنة الصحيحة، كمثل الجسم والمكان والحيز، فإني لا أوافق عليه، ولا أستجيز إطلاقها، لأنها لم تأت في كتاب الله، ولا في سنة صحيحة)؛ ولو

كان الشيخ محمد حامد الفقهي أشعريا، لأقيمت الدنيا ولم تقعد، لأجل كلامه في سلفي محض!
كالدارمي، غير أن الشيخ حامدا ليس أشعريا، بل هو إلى مدرسة ابن تيمية وابن القيم أقرب.
رجعتُ إلى كتاب النقض له بتنزيله بصيغة الذ: بي دي إف، من النت، وهو من تحقيق منصور بن عبد
العزیز السماری، نشر: أضواء السلف، وعليها اعتمدتُها هنا.)

قلت: لفظة الجسم والمكان والحيز لم ترد ولا يجوز وصف الله تعالى بها تعبدا، إذ لا يوصف إلا بما
وصف به نفسه أو وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم! أما في باب الإخبار عنه تعالى لبيان معاني صفاته
جل وعلا في معرض الرد على النفاة من الجهمية والمتفلسفة وأضرابهم، فينظر في المعاني التي يريدونها
المتكلم من تلك الألفاظ، فإن كانت حقا فحق، وإن كانت باطلا فباطل! يعني عندما نقول الله في
السماء، هذا من حيث المعنى اللغوي مكان أم ليس بمكان؟؟؟ هو مكان قطعاً، ولا يماري في هذا
المعنى إلا مريض في عقله أو معلول في لسانه جاهل بأبجديات اللغة!!! فإن مجرد المعرفة بأن الله ليس
حالا في شيء من خلقه، فلا هو في الأرض ولا في سماواته السبع وإنما هو فوق ذلك كله، في جهة
العلو، هذا معناه أنه خلا منه المكان المخلوق.. ولكنه لا يعني - عقلا - أنه لا مكان له!! إذ الشيء
الذي لا مكان له = لا وجود له يعقله الإنسان!!! الشيء الذي ليس له مكان - من حيث المعنى اللغوي
للمكان - وإنما هو عدم لا وجود له! وكذا يقال في معنى الجهة! وأما معنى التحيز فإن أراد به قائله إن
الله محاط بشيء من خلقه من حوله فباطل قطعاً، وإن أراد به أنه بائن عن الخلق منحاز عنهم لا يحل
فيهم بذاته، فهذا معنى صحيح يفهمه العقلاء من معاني صفاته جل وعلا! ولا يلزم منه أن تكون ذات
الله تعالى كذوات المخلوقين في حقيقتها وكيفها!!

وأنا أسأل من يتخوف من استعمال تلك الكلمات في مقام الرد على المستفصل أو المتفلسف.. لو
جعلنا السؤال: "في أي مكان استوى ربنا؟" بدلا من اللفظ الوارد: "أين الله؟"، أ يكون المعنى
المسؤول عنه حينئذ باطلا؟؟؟ كلا! بل المعنى الواحد! فإن لفظة "أين" إنما هي سؤال عن المكان بلا
خلاف بين العقلاء من أهل هذا اللسان وغيره من ألسنة البشر! ولكن من المتكلمة من ينتفض جسده
من سماع سؤال النبي عليه السلام (أين الله)، يقول لا نسأل بأين عن الذي أين! أنت أعلم بالله
من رسوله يا هذا، أتستنكر هذا السؤال عليه، ﷺ؟؟؟

فوالله لولا أن خرج علينا بعد قرن الصحابة والتابعين من الفلاسفة والمتكلمة وأذناهم من يلوي لسانه بالنص المنزل وبكلام النبي عليه السلام تصنعنا مخافة أن يقع به إثباته تلك المعاني في (التجسيم) و(التشبيه)، ما اضطررنا إلى بيان هذا المعنى الواضح الذي يغني وضوحه عن شرحه، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ما معنى "الحركة" هذه التي تنكرونها؟ نعم لم يرد وصف الله بها كما لم يرد وصفه بالمكان والجهة، ولكن هذه ليست صفات تثبت لها سبحانه! هذه معان كمعنى الوجود ونحوه، إنما يأتي إثباتها لازماً لإثبات غيرها من المعاني، مفسراً لها، كما فسر السلف الاستواء بالعلو والاستقرار.. هذه لوازم معنوية لا يمكن إثبات المعنى - عقلاً - بدونها، ولا نكارة في إثباتها إذ ليس لازماً قياس الرب على خلقه كما تتوهمون! فلا يلزم من نزول الله إلى السماء الدنيا خلو عرشه منه، إذ هذه صورة إنما نشأت من تصور كيفية ذلك النزول، وقياسها على كيفية المخلوقين، وهذا باطل ننكره ولا نقول به، ولكن يلزم من إثبات معنى النزول وقبوله، إثبات معنى الحركة كتفسير له! إذ الصعود حركة والاستواء حركة، والنزول حركة، والإتيان حركة، وغير ذلك مما ثبت لله تعالى من صفات فيها انتقال من حال مكاني إلى حال آخر.. هذه معاني تلك الصفات كما تفهمها عقول البشر، ولم نسمع أحداً من الصحابة أو التابعين ينهانا عن أن نفهمها على هذا النحو (المستقيم لغة وفطرة وعقلاً)، ويأمرنا بالتفويض في معناها مخافة الوقوع في التشبيه!!!

نحن ما سألنا عن حقيقة ذلك الاستواء أبداً وما يكون لنا ذلك، وإنما سألنا عن معناه، كسؤالنا عن معاني ما سواه مما خاطبنا الله به من الألفاظ في نصوص الوحي الشريف! وألزمنا أنفسنا بالوقوف على ما ورد عن السلف من تلك المعاني دون مجاوزته.. فمن جاءنا بعد ذلك بلفظة أخرى يشرح بها معاني الصفات أو يعترض بها أو نحو ذلك، كلفظة الجوهر أو العرض أو ما شابهها من ألفاظ المتكلمين، سألناه عما يقصد بها، وبحسب مراده كان خطابنا معه! فإن الذي يطالبنا بالأنا نسال عن معنى صفة وصف الله بها نفسه - والعلم بأسماء الله وصفاته أول واجبات المكلفين!! - بدعوى أن معناها ليس لنا فهمه ولا السؤال عنه لأن لازم القول به هو كذا وكذا، فقد صنع بنا كصنيع النصارى حين ينهون الناس عن السؤال عن معنى ثالوثهم الباطل، الذي هو أساس دينهم، لأنهم يعلمون أنه معنى باطل في نفسه ولوازمه فلا تقبله الأذهان! إن معاني صفات رب العالمين لا يأبأها العقل السوي، ولا يلزم منها عندنا ما يتعارض مع قوله تعالى ((ليس كمثله شيء)).. ولكن لما غرق القوم في كلام الفلاسفة، وعجزوا

عن الرد على إلحادهم، رجعوا إلينا بالنكير على كل من يفسر تلك المعاني عندنا كما فهمها سلفنا الأول ولا يجاوز ذلك ولا يفرط فيه، فقالوا لنا فوضوا في المعنى تسلموا!! ثم اجتروا على الصحابة والتابعين ونسبوا إليهم ذلك المذهب وجعلوه هو طريقة أهل السنة والجماعة!! فالذي حصل في الحقيقة أن هؤلاء قد دخلت الشبهات عليهم فلوثت عقولهم، ولم يجدوا منها مخرجا إلا تفعيد ما لم يسبقهم إليه أحد من المسلمين بإطلاق قاعدة النفي مطلقا - أو بقيد مبتدع - أو التفويض في المعاني مطلقا أو التأويل مطلقا أو بقيود مبتدعة لم يسبقهم إليها أحد من السلف!! يقولون هذه الصفة لازمة التجسيم فهي على المجاز ووجهها كذا وكذا في اللغة، وأما هذه فلا، فنثبتها على حقيقتها ولا إشكال.. وينسى هؤلاء جميعا أو يتغافلون أن دعواهم تلك لا قائل بها من الصحابة قط، وأنها تحتاج إلى دليل واضح، إذ لا يتصور عاقل أن ينقطع الوحي عن أمتنا ولا يبين النبي عليه السلام ذلك الأصل الخطير بلفظ واضح صريح، ولا ينقل مثله - كأصل - أو ما يدل عليه من المرويات لا من روايات آحاد ولا بالتواتر الذي يشترطه إخواننا في أخبار العقائد حتى يقبلوها!! فلا يسعفهم في الاستدلال أن يأتوا بنصوص تأولها بعض الصحابة، فيزعم الزعيم منهم أن هذا تأويل للصفة - مع أن أكثر ذلك كان إخراجا للنص من باب الصفات أصلا - بل ويزيد رميا بالغيب أن يدعي أن سبب هذا التأويل عند هذا الصحابي إنما هو "الهروب من التجسيم والتشبيه" الذي يتوهمون لزومه من معاني أكثر ما ورد من الصفات! فهلا أثارة من دليل أو برهان مما يستدل بمثله في العقائد، ولا ترضون بأقل منه، يا من تتهموننا بالتقليد في الأصول والكلليات الكبرى في العقيدة؟؟؟؟

تستنكرون معنى الحركة، فمن الذي قال إن مجرد معنى الحركة يلزم منه جعل ذات الله كذوات المخلوقين؟؟؟ إنه هو نفسه الذي قال إن السمع والبصر يلزم منهما جعله كخلقه له (حواس) كما لهم حواس، ومن ثم جعله على كفيته، جسما كأجسامهم!! وهو نفسه الذي أتى على بقية الصفات فنفاها كلها لأمثال تلك اللوازم العفنة في رأسه، التي لم يسبقه إلى توهمها أحد من المسلمين!! فإن وافقتموه في بعض دعواه فبم خالفتموه في بعضها الآخر يا عقلاء الأشاعرة والماتريدية ومن لف لفهم؟؟؟ إنها شبهة واحدة، منهم من وقع فيها إلى أذنيه، ومنهم من وقع فيها إلى صدره، ومنهم من وقع فيها إلى ركبتيه، وجوابها عندنا جواب واحد والله الحمد: جواب من سلمه الله من توهم تلك اللوازم أصلا!

فإن قيل إن النزول حركة والحركة تشبيه، قلنا مطلق معنى الحركة كمطلق معنى النزول، لا يلزم منه ما توهمون! فإننا نفهم معناها على لسان العرب الذي خوطب به الأولون، ونثبتها بمعناها ولا نتوقف

دون ذلك! أما حقيقة تلك الذات التي تتحرك بما معناه في اللغة الاستواء أو النزول أو غيره من الحركات - حركة تليق بتلك الذات ويصح معناها عند العقلاء دون لزوم التجسيم أو غيره - وكيفية تلك الذات، فهذا الله وحده أعلم به، لا يسعنا تصور ذلك ولا يجوز لنا طلبه! فمن ادعى أنه لا يمكن قبول معنى النزول أو غيره من معاني الحركة لعدم إمكان تجريده من لازم التجسيم والتشبيه، فهذا هو المطالب بإثبات سلفية هذا المعنى، لا من خالفه في ذلك!!!

ومن قال إن لفظ الحركة والمكان لم يردا في الكتاب والسنة فلا يجوز استعمالهما في الكلام عن الله تعالى، فليذكر كذلك على من يخبر عن الله بمجرد معنى "الوجود"، لأنه لم يوصف الله به كذلك في الكتاب ولا في السنة!!! فإن قال هناك فرق بين تلك المعاني ومعنى الوجود إذ الأخير لا يلزم منه تشبيه ولا تجسيم، قلنا له فبأي حجة تحكمتم بعقلك هذا التحكم وزعمت في المعاني الأخرى ذلك اللزوم؟؟ ومن سلفك فيه ممن تزعم موافقتهم من الصحابة والتابعين؟؟

وما رأيك لو قال لك ملحد إن معنى الوجود نفسه يلزم منه المادية الحسية، بمعنى ألا يكون الشيء الموجود إلا كنحو ما نرى من الأشياء الموجودة، مركبا من أجزاء، موصوفا بما توصف به سائر الأشياء، إذ العقل لا يتصور في الموجودات إلا أن تكون هكذا؟؟ كيف تجيبه عن هذا؟؟ إن قلت لهذا الملحد إن هذا لا يلزم عقلا من مجرد إثبات معنى الوجود، إذ هذه معاني زائدة على ذلك المعنى، قلنا لك وكذلك لا يلزم عقلا من مجرد المعنى الذي نثبته للصفة أن يكون النزول والاستواء وغيره مما يمكن تجسيسه بمعاني الحركة، موافقا في الحقيقة والوصف الكيفي لتلك الأشياء المادية التي نراها من حولنا! فإن هذه صفات زائدة ومعاني إضافية لا نقول بها ولا نخوض فيها ولا يلزمنا التشبيه فيها بحال! ألا يعقل العقلاء أن يتحرك إلا ما موصوفا من الموجودات بكونه مبنيا من جزئيات وذرات (مثلا)؟ فكيف تعقلون انتقال الطاقة كالحرارة ونحوها؟ وكيف تعقلون انتقال حركة الملائكة ونحوهم؟ كل "حركة" تليق بالذات الموصوفة بها، ولا تعلق لتفصيل الكيفية بأصل المعنى، فلا يلزم جنس بعينه من أجناس الكيفيات التي يتحقق بها ذلك المعنى، من مجرد إثبات المعنى نفسه! ولهذا يقول علماءنا إن الاشتراك في المعنى لا يلزم منه الاشتراك في الكيفية! فالكيفية وصف زائد على المعنى لا نخوض فيه ولا نطلبه!

فالحاصل أن لا برهان في العقل ولا في اللغة فضلا عن النقل على هذا التفريق المعنوي الذي أحدثتموه بين أجناس الصفات ومعانيها، والله المستعان!

قوله :

قال الدارمي في النقض، (57): والله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحدّه غاية في نفسه، ولكن، نؤمن بالحدّ، ونكل علم ذلك إلى الله، وروى عن ابن المبارك أن الله حدّ؛ وقال عثمان بن سعيد بعد أن ذكر قول الجارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله إنه في السماء، قال الدارمي: (وأنه لا يجوز في الرقبة المؤمنة إلا من يحدّ الله أنه في السماء).
ومسألة الحدّ مسألة كبيرة، جرت فيها فتنة لابن حبان، فأخرج من سجستان، لأجل إنكاره له.
ولو لم يكن في الحدّ إلا أنه لم يرد به نصّ، لكفاه أن يكون مرفوضاً، إذ الأمر يتعلق بصفات الله، ولا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم).

قلت: نكرر ما تقدم تقريره، من أن مقصود الأئمة من إثبات معنى الحد ليس من باب وصف الله بما لم يرد، وإنما بيان معنى لازم من صفاته سبحانه من أنكره فقد أنكر ملزومه! ولهذا لم تذكر تلك الألفاظ ولم ينافح عنها الأئمة إلا في مقام الرد على هؤلاء! من لم يعتقد أن الله حداً يفصله عما سواه فقد خلطه بخلقه، ونقض الإيمان الواجب بأنه سبحانه في السماء، مستوى فوق عرشه من فوق خلقه بائن من ذلك الخلق غير مخالط له!! فالعاقل الذي يعي ويفهم معاني الكلام، يدرك سبب تمسك هؤلاء الأئمة بتلك المعاني ونكيرهم على من أنكرها بإطلاق! نحن لا نذهب نقول للعوام اعبدوا ربكم وتوسلوا إليه بقولكم: "يا من له الحدّ والمكان في جهة العلو!!" وإنما نقول للفلاسفة والمتكلمة ومن على شاكلتهم في مثل هذا المقام الذي نحن فيه الآن: دعوا عنكم المراء والتفلسف والتكلف، واقبلوا معاني صفات الله على حقيقتها كما قبلها سلفكم من قبلكم.. لا تبطلوا ما صح لغة وعقلا من معانيها، ولا تزعموا لتلك المعاني ما ليس من لوازمها: يسلم لكم دينكم كما سلم لهم من قبل، وكما سلم لهؤلاء العجائز! هذه هي المسألة، فيا ليتهم يتفكرون!

قوله :

(ولعله لأجل شيوع القول بالحدّ عند بعض أهل الحديث، تُرى مسألة الحدّ هينة، وبعيدة عن التجسيم، ومع ذلك، فعبارات أخرى للدارمي تُبَيِّن تجسيمه.. قال الدارمي في (64) من النقض: (فإن الله الحي القيوم القابض الباسط، يتحرك إذا شاء، وينزل إذا شاء، ويفعل ما يشاء، بخلاف الأصنام الميتة التي لا تزول حتى تزال)؛ وقال في (52): (لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء، ويتحرك إذا شاء، ويهبط ويرتفع إذا شاء، ويقبض ويبسط، ويقوم ويجلس إذا شاء، لأن أمارة ما بين الحي والميت التحرك، كل حي متحرك لا محالة)

من أخبره ببعض ما ذكره هنا؟ أكتب أم سنة؟!

إن الحركة أمانة ما بين الحي والميت من المخلوقات، وليس للأمر صلة بالخالق سبحانه، فمن ذا الذي جرّ صفات المخلوقات إلى الخالق سبحانه؟

قلت قوله: الحركة أمانة ما بين الحي والميت من المخلوقات قول باطل ظاهر البطلان! وإلا فما قوله في حركة الريح؟ أهى حركة لمخلوق حي؟ وما قوله في حركة المطر؟ أهى حركة لمخلوق حي؟ ثم إنه إن كان يقول إن الحي يتحرك بينما الذي لا يتحرك فإنه ميت = فقد وصف ربه بالموت من حيث لا يدري، ذلك المسكين!!! الإمام رحمه الله يقول إن الرب يتحرك إذا شاء، يهبط ويرتفع إذا شاء! فبالله كيف يفهم العقلاء معنى النزول إن لم يكن فيه معنى الهبوط والدنو؟ ينزل ربنا إلى السماء الدنيا، أي يدنو منها، على كيف لا نتصوره، بما يليق بذاته سبحانه! فما النزول والدنو - لغة - إن لم يكن هبوطا وحركة؟؟؟ ولماذا يصرون على الصاق صفات المخلوقين بهذه المعاني وكأنه لا ينزل ولا يتحرك - عقلا - إلا ما كان مركبا من أجزاء، وما كان نزوله يلزم منه خلو مكانه الأول منه وحلوله في المكان الجديد وإحاطة المخلوقات به و.... إلخ؟؟؟!! سبحان من قسم على الناس أرزاقهم من العقل والفهم!!

قوله :

(ونسبة الحركة إلى الله تعالى تجسيم ظاهر، قال ابن عبد البر، في التمهيد، (7/ 137)، من الطبعة المغربية): وليس مجيئه حركة ولا زوالا ولا انتقالا، لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسما أو جوهرًا...)

قلت: فليُنظر المنصفون والعقلاء من الذي يتلقف كلام الرجال يجعله حجة، وهو يرمي مخالفه بتقليد شيخ الإسلام والإمام الدارمي من قبله، رحمهما الله!!

لا شيء أهون علي الآن من أن أتأول هذا الكلام وأقول إن ابن عبد البر إنما يقصد بمعنى الحركة هنا ما بينه في العطف التالي عليه مباشرة، من قوله (زوالا وانتقالا)! فنحن لا نقول إن الله إن نزل وتحرك، زال عن العرش أو انتقل عنه! فإن كان هذا هو المراد فنحن نوافقه عليه، ونفهم من قوله (جسما) أو (جوهرًا) ما يكون من الوصف اللائق بالمخلوقات.. فإن الله ليس كمثله شيء.. فإن كان هذا مراده رحمه الله من تلك العبارة ودل عليه سياق كلامه، فخير والحمد لله رب العالمين، وإلا فلا إشكال عندنا في أن نردها عليه!!

قوله :

(وقال عثمان بن سعيد عن الله سبحانه وتعالى، (64): (غير أنه وَلِيَّ خلق الأشياء بقوله وأمره وإرادته، وولي خلق آدم بيده مسيسا، وشرف بذلك ذكره، لولا ذلك ما كانت له فضيلة في ذلك عن شيء من خلقه، إذ كلُّهم خلقهم بغير مسيس في دعواك)، يقصد في دعوى بشر المريسي.

أليس قوله: خلق آدم بيده مسيسا، دليلا على تجسيمه؟ أليس مثل هذا الكلام بدعة يخرج بها قائلها عن أهل السنة والجماعة؛ أما كان يكفي الدارمي أن يفوض علم المعنى في لفظة: (لما خلقت بيدي)، فلا يدخل من بوابة تفسيرها إلى التجسيم؟ وإلا، فهل في نصوص الكتاب والسنة شيء من هذا؟!)

قلت: الكلام هنا في مقام الرد على دعوى المريسي، وأنا أسأل كل عاقل يفهم معاني الكلام، ما الفرق بين أن يقول القائل: "صنعت هذا الشيء" ويقف، وبين أن يقول "صنعت هذا الشيء بيدي؟؟؟" لا شك أن قوله خلخته بيدي يفيد أنه باشره حقيقة بيده الحقيقية التي نشبها له على النحو اللائق بذاته جل وعلا! فإن كان ذلك كذلك فإن معنى المسيس باليد مفهوم تبعا لمعنى الخلق بتلك اليد! (وإن كان ليس بلازم منه، والذي أراه - والله أعلم - أنه معنى إضافي يحتاج إلى نص مخصوص للقول به، إذ لا يمتنع عقلا أن يخلق الله آدم بيده دون مسيس، ولكن على نحو خاص كرمه به، فلعل الإمام رحمه الله قد وقف على هذا النص فقال بمقتضاه، والله أعلم)

ولكن على أي حال فليس تشبيه تلك اليد بالجوارح المخلوقة بلازم من هذا المعنى أو ذاك !

وإلا فما قولكم في الحديث الذي صححه الإمام البخاري في قوله عليه السلام: "فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال يا محمد قلت رب ليبيك قال فيم يختصم الملاء الأعلى قلت لا أدري رب قالها ثلاثا قال فرأيتَه وضع كفه بين كتفي وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت"

صحيح إن ما يراه النائم يختلف عما يراه اليقظان، ولكن المراد هنا إثبات معنى الصورة والكف والأنامل والمس بها! فلو كان لا يجوز وصف الله بتلك المعاني لأن لازمها جعله ذا جوارح وأعضاء كالمخلوقات، فكيف يحدثنا النبي عليه السلام هذا الحديث بتلك الألفاظ ولا ينبه في هذا النص ولا في غيره على أن الله لا يد له ولا كف ولا أنامل ولا شيء من هذا على الحقيقة؟؟؟ هل كتم البيان عند الحاجة (وما أشدها من حاجة!!؟؟) وكيف لم يرد إلينا - مع شدة الداعي إليه كما لا يخفى - عن القرون الأولى تفصيل الصحابة ومن تبعهم بنفي معاني تلك الصفات وحقيقتها الظاهرة عن الله جل وعلا حتى لا نقع فيما صار يتوهم هؤلاء المساكين من بعدهم وقوعنا فيه من مجرد إثبات حقيقتها؟؟؟

يقول الأخ: أما كان يكفي الدارمي أن يفوض علم المعنى؟ وأقول ما كان للدارمي ولا غير الدارمي أن يفوض علم المعنى لا في هذه الصفة ولا في غيرها، إذ ربنا يا معاشر المتكلمة لم يصف نفسه في خطابه إلينا بطلاسم نجهل معانيها! أي ثمرة تكون وأي فائدة تطلب في خطاب يأتينا بصفات لا نفهم نحن المكلفون لها أي معنى، أو يكون معناها الحق على خلاف ظاهرها ولا بد، لا شيء إلا لأن ظاهرها يوجب الانصراف عنه عقلاً؟؟؟

بل يجب على المسلمين وجوباً أن يثبتوا تلك الصفات ويفهموا معانيها كما فهمها الأولون وأن يعملوا بمقتضياتها كما عملوا! فكيف والإمام ههنا في مقام الرد على من يعطل الصفات ويزعم أن هذا هو القول الحق في فهم تلك النصوص والتعامل معها؟؟؟
قوله :

(وفي الصفحة (290-291)، من النقض يقول الدارمي: (فقال: ألا ترى أنه من صعد الجبل لا يقال له: إنه أقرب إلى الله تعالى؟، فيقال لهذا المعارض المدّعي ما لا علم له: من أنبأك أن رأس الجبل ليس بأقرب إلى الله تعالى من أسفله، لأنه من آمن أن الله تعالى فوق عرشه، فوق سماواته، علم يقينا أن رأس الجبل أقرب إلى الله تعالى من أسفله، وأن السماء السابعة أقرب إلى عرش الله من السادسة، والسابعة أقرب إليه من الخامسة، ثم كذلك إلى الأرض، كذلك روى إسحاق بن إبراهيم الحنظلي عن ابن المبارك أنه قال: رأس المنارة أقرب إلى الله تعالى من أسفلها، وصدق ابن المبارك، لأن كل ما كان إلى السماء أقرب، كان إلى الله أقرب، وقرب الله إلى جميع خلقه أقصاهم وأدناهم واحد، لا يبعد عنه شيء من خلقه، وبعض الخلق أقرب إليه من بعض، على نحو ما فسرنا من أمر السماوات والأرض، وكذلك قرب الملائكة من الله، فحملة العرش أقرب إليه من جميع الملائكة الذين في السماوات كلها، والعرش أقرب إليه من السماء السابعة، وقرب الله إلى جميع ذلك واحد؛ هذا معقول مفهوم إلا عند من لا يؤمن بأن فوق العرش إلها، وكذلك سميت الملائكة: المقربون، وقال: (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته، ويسبحونه وله يسجدون)، فلو كان الله في الأرض كما ادّعت الجهمية، ما كان لقوله: (إن الذين عند ربك)، معنى).

انتهى نص كلام الدارمي.

إنه قال شيئين: الأول: قرب الله إلى جميع خلقه واحد، وقول الإمام الدارمي رحمه الله هنا حق لا ريب فيه، غير أن القرب هنا، ليس قرب مسافة.

الثاني: قوله: (من آمن أن الله تعالى فوق عرشه، فوق سماواته، علم يقينا أن رأس الجبل أقرب إلى الله

تعالى من أسفله، وأن السماء السابعة أقرب إلى عرش الله من السادسة، والسادسة أقرب إليه من الخامسة، ثم كذلك إلى الأرض)، وهذا تجسيم واضح، لأن قرب تلك المخلوقات التي ذكرها إلى الله تعالى، هو قرب مسافة على حسب عبارته، وهو التجسيم بلا ريب؛ فمن أخبر الدارمي بهذا، أكتب أم سنة؟ (

قلت: ما رأيت مثل هذا عجباً! معنى العلو الذي يوصف به رب العزة يلزم منه - عقلاً ولغة - أن كل ما كان في الأسفل، فهو عنه سبحانه أبعد مما كان في الأعلى!! أي عاقل يخالف في هذا المعنى؟؟ هذا ليس تجسيماً ولا قياساً على حقائق الذوات المخلوقة وكميَّاتها، وإنما هو من تحقيق معنى العلو نفسه عند العقلاء!!! وأنا أسألك يا مسكين: النبي عليه السلام لما عُرج به إلى السماء حتى وصل إلى سدره المنتهى، هل كان يزداد بذلك اقتراباً من رب العزة كما يفهم بجلاء من نصوص رحلة المعراج، حتى انتهى بالسجود له سبحانه عند العرش وتلقي التكليف بالصلاة منه في القصة المعروفة، أم هو في - عقلك الفاسد - لم يزل على مبعدة واحدة من العرش والرب من فوقه مهما صعد وهبط؟؟؟ سبحانه ربي!! هذا تشوّه عقلي ورب الكعبة، وإنه لما يؤسف له أن يقال إن هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة! أهل السنة والجماعة ما كانوا يفهمون الفرق بين العلو والدنو؟؟ أهل السنة والجماعة ما فهموا معنى العروج في السماء إلى الرب جل وعلا وما يلزم منه عقلاً من المعاني الصحيحة؟؟؟ أهل السنة والجماعة قالوا فوق الجبل كأسفله في القرب من الرب الموصوف بأنه فوق العرش من فوق السماوات السبع كلها؟؟ أهل السنة والجماعة كانوا يقولون (قرب المسافة هو التجسيم ولا ريب)؟؟؟ ما هذا العبث؟؟؟ كفاكم إفساداً لعقائد الناس وعقولهم يا هؤلاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله ! هذا ومما يحلو لبعض الأشاعرة قذفه في وجوه إخواننا في المنتديات ما ينقلونه عن الشيخ الألباني رحمه الله في تعليقه على كتاب الإمام الدارمي رحمه الله، حيث قال:

(لا شك في حفظ الدارمي وإمامته في السنة، ولكن يبدو من كتابه (الرد على المريسي) أنه مغال في الإثبات، فقد ذكر فيه ما عزاه الكوثري إليه من القعود والحركة والثقل ونحوه!! وذلك مما لم يرد به حديث صحيح، وصفاته تعالى توقيفية فلا تثبت له صفة بطريق اللزوم مثلاً كأن يقال: يلزم من ثبوت مجيئه تعالى ونزوله ثبوت الحركة، فإن هذا إن صح بالنسبة للمخلوق فالله ليس كمثله شيء فتأمل)

قلت: رحم الله الشيخ الألباني وجزاه عن المسلمين خيراً. ولقد كان يحسن به رحمه الله ألا يطلق مثل هذا الكلام عن مثل الإمام الدارمي رحمه الله في حاشية صغيرة بمثل هذه العبارة دون بيان مفصل

لصرف ما قد ينقدح في ذهن المخالف من قراءتها. فإن فيها فيما أرى - والله أعلم - خلا في التحرير والاصطلاح يحتاج إلى معالجة وبيان مفصل والله المستعان.

أولا إن تحرير معنى المغالاة في الإثبات يتوقف على تحرير معنى الإثبات نفسه. فإن قيل إن إثبات الصفة هو نسبتها إلى الله تعالى بدليل، فإن المثبت هذا إن أثبت ما لا يصح فيه دليل، وإنما قال به لشبهة دليل عنده (وأعني بذلك تصحيحه ما لا يصح من الأخبار التي ورد فيها ما أثبتته)، فإنه لا يوصف بالغلو في الإثبات ولكن يوصف بالخطأ فيه! فإن أكد أصول أهل السنة في الإثبات إنما هو قبول ما جاء في الخبر الصحيح بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.. فإن رأينا رجلا يثبت صفات تقوم عنده على دليل ضعيف من نص لا يحتاج به، لم نقل له إنه غال في الإثبات، وإنما قلنا إنه مقصر - أو مجتهد مخطئ - في استيفاء شروط الإثبات من التحقق من صحة النص، ولذا فإثباته هذا مردود عليه! فإن كان في كلام الدارمي من تعويل على نصوص لا يرى الألباني صحتها (رحمهما الله جميعا)، فإنه ليس له أن يصف الدارمي - لأجل ذلك - بالغلو في الإثبات، وإنما بالخطأ في الإثبات! والفرق بين "الغلو" و"الخطأ" ليس بالذي يخفى! وإلا فإن هذه المعاني التي ذكرها الألباني وقرر أنها لا يصح فيها نص، قد يصح فيها وفي معناها عند الدارمي نص بل نصوص (بغض النظر عن أيهما أسعد بالصواب في ذلك)! فلا يكون إثباته إياها - والحالة تلك - "غلوا في الإثبات!"

وعلى سبيل المثال فإن من ينظر في الكتاب يجد أن صفة (الثقل) هذه قد ساق فيها الدارمي نصا، ولم يأت بها من رأسه - ولا يُظن بمثله أن يطلق هذا الوصف من عند نفسه، إذ هو ليس من معنى الاستواء لغة ولا يلزم عقلا من الاستواء على العرش إلا في المخلوقين، والله ليس كمثله شيء! فإن جاءنا به نص وصح عندنا (ولا يعني كلامي هذا أني أصح ما جاء به الدارمي من النص ولا بد، فليتنبه لهذا)، طردنا عليه قاعدتنا، بأن نمرة كما جاءنا، نثبت على النحو اللائق بذاته جل وعلا، ونقول لمن يسأل: الله أعلم كيف يكون ذلك الإثقال على حملة العرش: (فلا يكون من جذب الجاذبية لذاته جل وعلا - مثلا - ولا يلزم منه معنى الاعتماد على العرش كذلك، سبحانه وتعالى عن مشابهة المخلوقين)! فيكون حينئذ كالاستواء.. الإيمان به - على معناه الصحيح - واجب والسؤال عنه - أي عن كيفه وحقيقته - بدعة. فالقصد أنه لا يصح أن نقول إن الدارمي غالى في الإثبات لأنه أثبت تلك الصفة بناء على هذا النص الذي صح عنده!! وأنا ما أظن إلا أن الألباني رحمه الله لو وقف على نص صح عنده بتلك الصفة لما

تردد في إثباتها كذلك، ولرأيتنا الآن ندفع عنه - هو أيضا - كلام من يرميه "بالغلو في الإثبات"، رحمه الله!

أما قوله رحمه الله:

(وصفاته تعالى توقيفية فلا تثبت له صفة بطريق اللزوم مثلا كأن يقال: يلزم من ثبوت مجيئه تعالى

ونزوله ثبوت الحركة، فإن هذا إن صح بالنسبة للمخلوق فالله ليس كمثله شيء)

فلنا معه فيه وقفات. والكلام ههنا اصطلاحى دقيق يحتاج إلى روية في القراءة وطول تأمل في النظر، لأنه قد زلت فيه أقدام والله المستعان، ومنه التوفيق والسداد.

فإن هناك فرقا دقيقا بين "إثبات الصفة": التي هي معنى مستقل لا يقال مثله في حق الله تعالى إلا بالنص، وتفسير الصفات أو الكلام - عند المحاجة والجدال مع النفاة والمعطلة - بمعاني تلك الصفات الثابتة ومقتضياتها العقلية الصحيحة. فإن من معاني الاستواء التي ذكرها السلف: الاستقرار (وقد اختلف فيما إذا كان قد ثبت عنهم تفسير الاستواء بالجلوس). فهل يقال لا تثبتوا لله (صفة الاستقرار) - هكذا - لأنه "لا يلزم من ثبوت استوائه ثبوت الجلوس أو الاستقرار، لأن هذا لا يصح إلا في المخلوقين"؟؟ وافقت إذن من عطلوا معنى صفة الاستواء ومنعوا من القول بظاهره! هذا ليس إثباتا لصفة بلا دليل، وإنما هو تفسير للصفة، وتحقيق لمعناها - لغة - بما يناسب من الألفاظ الصحيحة ولا يلزم منه ما يتوهمه المعطلة والمفوضة هداهم الله! وقد تقدم ضرب المثال بمعنى الوجود، فإنه ليس الوجود (صفة) نثبتها لله تعالى، حتى يقال إنه لا دليل لنا عليها في كتاب ولا سنة فلا يجوز لنا وصف الله بها! وإنما هو إخبار عن الله تعالى بمعاني تلك الصفات الثابتة له وبلوازها العقلية الصحيحة! إذ الوجود من اللوازم المعنوية لمعنى الحياة والقيومية والصمدية والأولية والآخرية وغير ذلك مما ثبت لله من المعاني! الوجود معنى صحيح لازم لتلك المعاني، ومن نفاه وعطله فقد عطلها كلها بالتبعية! فيجب من إثباتها إثباته (معنويا)! لا أننا إن قلنا نثبت لله معنى الوجود أنه يصير بهذا صفة مستقلة نبحث عن لفظها في النصوص الثابتة الصحيحة، فضلا عن أن يقال إن الله تعبدنا بها كسائر أسمائه وصفاته التي قال فيها ((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها))! فلا يصح اشتقاق اسم الله منها - على مذهب من يقولون بجواز اشتقاق الأسماء من الصفات - كمثل قولنا إن الله اسمه "الموجود"! فهذا إثبات، وذاك إثبات، ولكن لا يستويان اصطلاحا، ولا ينبني على الأول ما ينبني على الثاني من عمل! فإثبات الصفة شيء، وإثبات معناها أو تفسيرها بظاهر اللغة شيء آخر.

وهذا التفريق الاصطلاحي بين إثبات الصفة لله تعالى، وتصحيح المعاني اللازمة من معناها، الشارحة له، في باب الإخبار عنه جل وعلا، لا ينبغي أن يغيب عن أذهان طلبة العلم في هذا الباب، والله أعلى وأعلم.

فكما تقدم في مشاركة آفة، إن قال القوم: هذا - أي معنى الوجود - نقبله لأنه لا يلزم منه التجسيم أما معنى الاستقرار والحركة والحد ونحوها فيلزم منها التجسيم فلا نقبله، رجع الأمر بيننا وبينهم إلى إبطال دعواهم لزوم التجسيم في ظواهر ألفاظ الصفات ومعانيها كما تفهمها عقول البشر بلسان التنزيل..

فهل معنى الحركة فيه ما يحتاج إلى نص مخصوص لإثباته (كصفة)؟ كلا! فإن النزول - لغة - حركة! فإن قلنا ليس بحركة، فما هو إذن في اللغة وكيف نعقل تلك الصفة؟؟ لست أسأل عن كيفيته أو عن صفته (التي لا تعرف إلا بخبر مخصوص، وليس ثم ذلك ولا تسعه عقولنا أصلاً)، وإنما أسأل عن معناه، معنى النزول في اللغة! هو حركة من أعلى إلى أسفل (إلى السماء الدنيا) وليس يلزم منه مفارقة العرش ولا خلوه منه ولا الحلول وسط المخلوقين ولا شيء من هذا، مع كونه محققاً لمعنى النزول!! ولا بديل عن هذا الفهم لظاهر المعنى إلا التأويل أو التفويض كما يذهب المتكلمة، وما حملهم عليه إلا ما تعلمون!

فلو دفعنا عن النزول معنى الحركة لدفعنا ظاهره المعنوي، وهذا عين ما يريده لنا المعطلة والمفوضة! وإلا فما حقيقة قول القائل منا: "نزولاً حقيقياً كما يليق بذاته سبحانه وتعالى"؟؟؟ حقيقة أنه نزول على معنى النزول لغة، ولكن على كيف لا نعلمه ولا يقاس على المخلوقين، ولا يلزم ذلك القياس في الكيفية من ذلك المعنى الذي نفسره به! فإن نحن وافقناهم وجعلنا معنى الحركة داخلاً في هذا القياس الممنوع شرعاً وعقلاً، فقد عطلنا معنى النزول نفسه وصرفناه عن ظاهره كما يريدون، ولزمنا حينئذ تأويله أو تفويضه كما يصنعون!

فقول الألباني رحمه الله: "(لا) .. يلزم من ثبوت مجيئه تعالى ونزوله ثبوت الحركة، فإن هذا إن صح بالنسبة للمخلوق فالله ليس كمثله شيء"

هذا يلزمه به - عند التأمل - قبول كلام المفوضة في منعهم حمل معنى النزول على ظاهره!! والقول الجامع في ذلك كما في غيره أن نقول إنه لا يلزم أن يكون هذا الشيء المتحرك ذاتاً مخلوقة مقيسة على ذوات المخلوقين، تماماً كما لا يلزم أن يكون ذلك النازل إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الأخير، ذاتاً مخلوقة أو مقيسة على ذوات المخلوقين (صفة نزولها كصفة نزولهم)! فإذا ما دفعنا ذلك

اللزوم الباطل عن الأذهان، لم يبق لنا من إشكال عقلي في تحقيق معنى النزول على أنه "حركة" (كما يفهمه سائر العقلاء في جميع لغات الأرض)! وليس هذا إثباتاً لصفة بلا نص، ولا هو وصف بما لا يصح عقلاً إلا بالنسبة للمخلوقين، وإنما هو ظاهر المعنى اللغوي!

وفي الأخير، وحتى يزداد المعنى وضوحاً، لو قال الألباني (مثلاً): لا يلزم من ثبوت استوائه تعالى على العرش ثبوت معنى الثقل، فإن هذا إن صح بالنسبة للمخلوق فالله ليس كمثله شيء

لوافقته بلا تردد! ولقلت إنه يلزم الوقوف على نص صحيح للقول بمعنى الثقل (وهو حينئذ يكون إثباتاً لصفة مستقلة).. ولكن إطلاقه هذا الكلام - رحمه الله - في العلاقة بين معنى النزول ومعنى الحركة ليس بمقبول منه، وإنما مثله عندي كمثله من يقول: إنه لا يلزم من ثبوت الحياة والقيومية لله تعالى، ثبوت الوجود!!!

فمن تأمل هذا التفريق وفهمه حق الفهم، زال عنه - بإذن الله تعالى - كثير من شبهات القوم في تلك الباب، والله أعلى وأعلم.

مداخلة العضو الواحد على منتدى الألوكة تعقيباً على المقال

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. أحسن الله إليك، أخي الحبيب، ونفع بك، وجزاك خير الجزاء. كنت قرأت لشيخ الإسلام، في مواضع عدة من مؤلفاته، ولعلني قرأت هذا لغيره أيضاً، وصف بعض علماء السلف بأنه كان "شديد الإثبات" أو "قوي الإثبات"، واستوقفتني هذه العبارة...

وقد استعنت الآن بالشاملة، ربحاً للوقت، فوفقت إلى هذين النصين من "مجموع الفتاوى":

"أَمَّا الْحَنْبَلِيُّ فَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَامِدٍ قَوِيٌّ فِي الْإِثْبَاتِ جَادٌّ فِيهِ يَنْزِعُ لِمَسَائِلِ الصِّفَاتِ الْحَبْرِيَّةِ؛ وَسَلَكَ طَرِيقَهُ صَاحِبُهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى؛ لَكِنَّهُ أَلْيَنُ مِنْهُ وَأَبْعَدُ عَنِ الزِّيَادَةِ فِي الْإِثْبَاتِ".

"فابن عَقِيلٍ إِنَّمَا وَقَعَ فِي كَلَامِهِ الْمَادَّةُ الْمُعْتَزَلِيَّةُ بِسَبَبِ شَيْخِهِ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ الْوَلِيدِ وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ التَّبَّانِ الْمُعْتَزَلِيِّينَ؛ وَلِهَذَا لَهُ فِي كِتَابِهِ "إِثْبَاتُ التَّنْزِيهِ" وَفِي غَيْرِهِ كَلَامٌ يُضَاهِي كَلَامَ الْمَرِيسِيِّ وَنَحْوَهُ لَكِنْ لَهُ فِي الْإِثْبَاتِ كَلَامٌ كَثِيرٌ حَسَنٌ وَعَلَيْهِ اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ فِي كِتَابِ "الْإِرْشَادِ" مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَزِيدُ فِي الْإِثْبَاتِ لَكِنْ مَعَ هَذَا فَمَذْهَبُهُ فِي الصِّفَاتِ قَرِيبٌ مِنْ مَذْهَبِ قُدَمَاءِ الْأَشْعَرِيَّةِ وَالْكَلَابِيَّةِ فِي أَنَّهُ يُقَرُّ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَالْخَبَرُ الْمُتَوَاتِرُ وَيَتَأَوَّلُ غَيْرَهُ". أرجو أن تتعرض لهذه المسألة بمزيد بيان، وتفيدنا بما فتح الله عليك... جزاك الله خيراً.

رد أبي الفداء على العضو الواحد على منتدى الألوكة

حيك الله أيها الحبيب المفضل الواحد .. لا حرمننا الله من قلمك المبارك ومن فوائدك النفيسة، فإني لفي شوق إليها، نفعنا الله بك.

لا إشكال فيما يظهر لي - والله أعلم - في وصف من أثبت ما لا يثبت بنص صحيح بأنه كانت عنده "زيادة في الإثبات"، ولكن هذه الزيادة (أو القوة فيها أو الشدة) ينبغي ألا نسويها بمعنى الغلو في الإثبات بهذا الإطلاق.. فهذا - أي الحكم بتلك الزيادة - حكم اجتهادي ضابطه عند أهل السنة والحديث إنما هو النظر في النص الذي به أثبت المثبت ما زاد بإثباته.. فإن لم يكن صالحا للحجاج ردناه عليه، وقلنا زاد بذلك في الإثبات ولم يوفق.. أما كلام الألباني رحمه الله فلازمه أن من أثبت للصفة معناها الظاهر لغة فهذا (غلو) في الإثبات، وهذا وإن كان موافقا لمصطلح بعضهم إلا أن فيه نظرا، إذ القول بمعنى الصفة الظاهر وإثباته ليس من الغلو في الإثبات إلا على مصطلح من جعلوا الزيادة في الإثبات تشبيها، وقالوا - كما نقل قولهم شيخ الإسلام:

"وَلِهَذَا يَقُولُ بَعْضُ الْحَنْبَلِيِّ أَنَا أُثْبِتُ مُتَوَسِّطًا بَيْنَ تَعْطِيلِ ابْنِ عَقِيلٍ وَتَشْبِيهِ ابْنِ حَامِدٍ"

فهؤلاء لم يقولوا بما قال به بعض السلف من معاني الصفات خوفا من أن يكون ذلك من التشبيه (الذي هو مقصودهم بزيادة الإثبات)، وهذه ليست بسبيل أهل السنة.. ولا شك أن من غلاة الإثبات - على هذا المعنى - من جنح بهم القول إلى إنزال كفيات المخلوقين على معاني تلك الصفات (كالخوض في هيئاتها بما لم ينزل به الله من سلطان)، فكانوا بذلك مشبهة ومجسمة على التحقيق! والحاصل أن كلام الألباني رحمه الله يدخل الدارمي في هؤلاء عند التأمل!!

وأقول لو كان إثبات معنى الاستقرار لصفة الاستواء داخلا في تلك الزيادة أو ذاك "الغلو في الإثبات" كما هو مفهوم كلام الألباني، فشيخ الإسلام نفسه يلحق به ذلك الوصف إذن، وسائر من فسر الاستواء بالعلو الحقيقي والاستقرار الحقيقي من الأئمة والسلف، وهذا لا أظن الألباني يزعمه! العلو الحقيقي والاستقرار ليس صفة الصفة أو كفيته أو هيئتها وإنما هو معناها اللغوي! والفرق بين هذين المفهومين هو عين محل النزاع بيننا وبين من يخالفوننا في الحقيقة! فنحن لا نتهيب من إثبات المعنى

اللغوي على ظاهره، وليس هذا - عندنا - كمن زاد في تفصيل هيئة ذلك المعنى وكيفيته بمعان لا تكون إلا للمخلوق!! نعم هناك اشتراك في المعنى بين الخالق والمخلوق في ظواهر تلك الصفات ولا بد... الله يسمع والمخلوق يسمع، الله له يد والمخلوق له يد... ولكن ما زاد على تلك المعاني من تفصيل فيها بلا بينة، فإننا نعهده زيادة في الإثبات (وهي مردودة)، وما زاد من المعاني في ذلك مما لا يكون - عقلا - إلا في المخلوقين (كقولهم إنه مركب من أبعاد وأجزاء ونحو ذلك)، فإننا نعهده من الغلو في الإثبات (التشبيه والتجسيم المحض)! أما ما كان لازما بضرورة العقل لتحقيق معنى الصفة، كالقول بأن الله تعالى لا يمكن أن يُنفى عنه معنى الجهة لأن لازم ذلك نفي معنى العلو نفسه) إذ العلو - لغة - جهة (!، أو إنه لا يمكن أن ننفي عنه معنى "الحد" لأن لازمه نفي العلو والاستواء بل والقول بحلوله في خلقه واختلاطه بهم، ولا يمكن أن ننفي عنه معنى "الحركة" لأن لازمه أنه لا ينزل في ثلث الليل الأخير كما وصفه نبيه (إذ النزول - لغة - حركة) .. الخ، فهذه المعاني ليست بصفات نثبتها له بلا دليل، ولا هي من جنس المعاني التي لو قلنا بها لشبهناه بخلقه، وإنما هي معان مفسرة وشارحة للمعنى الظاهر لصفاته الذي نقول به كما قال سلفنا، ولا نطلقها إلا في مقام المحاجة مع من يلحدون فيها عن طريق السلف!

ولعله من الحسن أن يقال إن المعنى المشترك بين الخالق والمخلوق، الذي لم يرد فيه نص صحيح، إن كان مفهوما بموجب المعنى اللغوي من صفة ثابتة فإننا نقبله، وإن لم يكن كذلك فلا نثبت له ولا ننفيه، إذ لو جاءنا به نص صحيح لأثبتناه وجوبا، مع نفي مشابهة المخلوقين وإعمال قاعدة ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)) على كل حال .. وهذا هو القدر التوقيفي في الإثبات الذي لا يجوز الزيادة عليه عندنا .

فنحن لا نقول مثلا إن كلامه سبحانه وتعالى يلزم منه أن يكون له لسان .. هذا ليس بلازم عقلا إلا في المخلوقين، والله ليس كمثله شيء. ولكن هل معنى هذا أننا ننفي أن يكون له سبحانه لسان لأن لازم إثبات اللسان التشبيه بالمخلوقين؟؟؟ كلا! كلام المخلوقين يلزم له لسان مخلوق، أما في حق الخالق فلا يلزم من صفة الكلام إثبات صفة اللسان، إذ هو ليس كمثله شيء سبحانه (وهذا ما يصح فيه قول الألباني إننا لا نثبت لله الصفات باللزوم وإنما بالنص)، ولذا فإننا نتوقف، لا ننفي ولا نثبت، لأنه من

حيث المعنى لا يمتنع أن يتصف الله بهذه الصفة لمجرد كونها مشتركة مع المخلوقين! وإلا لمنعنا عنه صفة السمع والبصر وغيرهما مما لا ينفيه إلا غلاة المتكلمة لذات العلة، بل لنفينا عنه سائر الصفات إلا قليلا لذات العلة!! فالاشتراك في المعنى لا يرفضه العقل السوي المستقيم، ولا يلزم منه - كقاعدة مطردة - الاشتراك في الكيف والحقيقة إلا عند من أصابتهم لوثة التجهم!

ومن المؤكد عندنا ولا نزاع فيه بين أهل السنة، أن شيخ الإسلام رحمه الله ما كان يتوقف في إثبات معنى الصفة كما جاء عن السلف رحمهم الله، بدعوى أن هذا المعنى أو ذاك - الذي هو صريح المعنى اللغوي الظاهر للصفة - يلزم منه مشابهة المخلوقين! ولا كان رحمه الله يتوقف في شرح وبيان معنى الصفة عند محاجة من يعطلونها، بما يتضح به المعنى من صحيح الألفاظ! فلا يصح أن نجعل ضابط الميل إلى التشبيه (الذي هو معنى الغلو في الإثبات كما لا يخفى) على حد ما وصفه الألباني رحمه الله في عبارته المذكورة، وإلا لزم من ذلك رمي الألباني نفسه وشيخ الإسلام وسائر أهل السنة بالتشبيه!! والشأن في الإمام الدارمي رحمه الله أنه أثبت صفات وقف فيها على نص صح عنده - بغض النظر عما إذا كنا نوافقه أو نخالفه في ذلك - فراح في مقام محاجة الجهمي الهالك المريسي يحقق معاني تلك الصفات ويتكلم على اقتضاء ذلك، على طريقة أهل السنة في المناقشة عما يثبتون من الصفات بمعانيها الظاهرة، دون مشابهة لكيفيات المخلوقين.. فأى غلو وأي تشبيه يرمى به من كانت هذه طريقته؟ إنما يرميه بذلك - كما يرموننا جميعا وسائر أهل السنة - من تسمئز جلودهم من مجرد سماع السؤال (أين الله؟) والله المستعان!!

(ولا يلزم من هذا بالمناسبة أننا نوافق الدارمي رحمه الله - ولا ابن تيمية ولا غيرهما من الأئمة - على سائر حججه التي ساقها في الكتاب، فإنه ليس بمعصوم، ولكن محل الكلام ههنا فيما اتهم به القوم من الوقوع في التشبيه والتجسيم!)

هذا ما ألهمني ربي من فهم لما أوردته - بارك الله فيك - فما كان فيه من زلل فالله أسأل العفو والمغفرة، وما كان من صواب فممه وحده، والله أعلى وأعلم.

بارك الله فيك، وجوزيت خيرًا على ما تفضلت به من توضيح.

ولعلك لاحظت أن كلام الألباني إنما هو نقل لعبارة الذهبي بالمعنى. وللذهبي حكم على مقاتل بن سليمان يشبه حكمه على الدارمي.

ثم ألا ترى أن تبرير استعمال ألفاظ غير واردة في حقه تعالى، بحجة إلزام المخالف، يعتبر مزلقًا مزدوجًا في تقرير العقائد؟

وبيان ذلك:

- 1- أننا إذا أثبتنا لفظ "الحركة" -مثلاً- وأعطيناه معنى يخالف المدلول الذي أراده المخالف لإحراجنا، نكون وافقناه على اختيار اللفظ وسلمنا له به، وإن أعطيناه معنى يليق بعقيدة الإثبات.
- 2- أليس تقريرنا لألفاظ لم ترد بها النصوص، انطلاقًا من صفات أثبتتها، هو في حد ذاته ضربًا من التأويل الخفي؟

رد أبي الفداء على المداخلة الثانية للعضو الواحدى على منتدى الألوكة

(أننا إذا أثبتنا لفظ "الحركة" -مثلاً- وأعطيناه معنى يخالف المدلول الذي أراده المخالف لإحراجنا، نكون وافقناه على اختيار اللفظ وسلمنا له به، وإن أعطيناه معنى يليق بعقيدة الإثبات.)

العبرة بالمعنى لا باللفظ.. ونحن لا نثبت اللفظ مجردا من معناه، وإنما ننظر في المعنى الذي يريده منه المتكلم، فإن كان حقا قبلناه منه وإن كان باطلا رددناه عليه.. وهذه طريقة شيخ الإسلام في معالجة المتكلمين كما هو معلوم .

وفي الحقيقة فإن لفظ النزول أو الاستواء أو اليد أو الوجه، وكذا ما فُسر به بعض الصفات من ألفاظ فيما ورد عن السلف كالاستقرار والعلو، كل هذا لا يلزم من إثبات معناه على الحقيقة، إثبات ما يزيد عليه من معان تتعلق بكيفية أو هيئة أو حقيقة الذات الموصوفة بتلك الصفات! فليس الكلام به عن الله تعالى - عند الحاجة - من القول عليه بغير علم، فضلا عن أن يكون مؤداه التشبيه والتجسيم !

فإن تكلمنا عن ربنا سبحانه في مقام الإخبار أو المجادلة بمعان صحيحة لغة من هذا الصنف، فلا يقال لنا إنكم أثبتتم الله ما لم يثبت بنص صحيح! فإن معاني الصفات - على وجهها الحقيقي - ملازمة لها لغة

وعقلا لا تنفك عنها بحال، ولا يلزم منها مشابهة المخلوقين في حقيقة الصفة وكيفية تحققها في ذواتهم (إذ هذه معان إضافية لا نخوض فيها أصلا) ! يعني على سبيل المثال، الله يصف نفسه في القرآن بأنه ليس كمثله شيء.. فما حكم من يقول - عند الإخبار عن الله في مقام محاجة المخالفين - إنه سبحانه "(شيء) لا كالأشياء"؟ هل نقول هذا اللفظ لم يرد، إذن فلا (نثبت)؟ ليس هذا وصفا وإنما هو إخبار بمعاني صحيحة لا يظهر المعتقد الحق إلا ببيانها وتحريرها في مثل هذا المقام. وإلا فلم يقل أحد من الخلق إن من صفات الله أنه "شيء" ! وإنما هو معنى صحيح لغة وعقلا !

دعني أضرب لك مثالا: إن جادلك فيلسوف ملحد وقال لك: "كيف تقولون إنه ليس كمثله شيء - تجعلونه داخلا في معنى الشيء - ثم تقولون في مقام آخر إنه "خالق كل شيء"، فتخرجونه من معنى الشيء؟ أهو شيء أم ليس بشيء؟؟؟"

كيف تجيبه؟

جوابه أن الله تعالى يدخل في معنى الشيء عندما يطلق ويراد به سائر الموجودات، ولكنه يخرج منه عندما يطلق اللفظ ويراد به سائر المخلوقات، فإنه لا يعقل لموجود أن يخلق نفسه، والجمع بين النصين يوصلنا إلى أن كل ما عداه سبحانه من الموجودات فإنه مخلوق ولا بد !

فتأمل هذه العبارات التي أجبتنا بها ذاك الفيلسوف وما فيها من ألفاظ أخبرنا بها عن الله جل وعلا لوجود الداعي إلى ذلك في مقام المحاجة :

وصفناه - على المعنى اللغوي للوصف لا الاصطلاحي - بأنه "شيء"، وبأنه "موجود من الموجودات" .. إذ دعتنا الحاجة إلى ذلك .. مع أننا لا نجز بحال من الأحوال أن يتعبد الإنسان ربه بهذه الألفاظ كصفات (اصطلاحا)، كأن يدعوه بقوله - مثلا - يا موجودا لا كالموجودات أو يا شيئا لا كالأشياء ! فلا هذا اللفظ ورد بنص صحيح كصفة له سبحانه، ولا ذاك، بل وفي محل جاز أن يطلق لفظ (شيء) في حق الله تعالى بينما في محل آخر لم يجز، لاختلاف المراد من اللفظ في كل من السياقين ..

فالعبرة في الإخبار عن الله تعالى والمجادلة عن العقائد الصحيحة، إنما هي بصحة المعنى المثبت نفسه في النهاية لا بكون اللفظ ورد أم لم يرد ! أما إثبات الصفات (على المعنى الاصطلاحي للصفة) فشأن

آخر، وهو ما يقال فيه إنه يجب لزوم اللفظ الوارد ولا تجوز الزيادة عليه .

وفي جميع الأحوال فنحن لا نثبت الصفات ألفاظاً مجردة من المعاني، وإنما يلزمنا لزوماً أن نثبت معها معاني الحقيقة وننافح عنها عند الحاجة للاعتقاد الصحيح.

(إنَّ العلو في حقه تعالى هو بمعنى الإحاطة. فوجوده محيط بالكائنات، مباين لها. وما كان محيطاً، لا جهة له على التعيين؛ لأنه في كل الجهات، عدا جهة الكائنات المخلوقة، وكل الجهات علوً بالنسبة للمخلوقات. وهذا يتضح إذا استصحبنا كرامة الأرض وغيرها من الكواكب).

هنا يجاب هذا المتكلم بأنه يضيف إلى المعنى الظاهر الواضح معان أخرى ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يجوز لنا القول بها إلا بنص.. من الذي قال إن العلو في حقه بمعنى الإحاطة؟؟ هذا ليس بلازم من المعنى اللغوي للعلو كما هو واضح !

فإن قال: أليس هذا لازم كونه في جهة العلو بالنسبة للمخلوق أينما كان ذلك المخلوق على ظهر الأرض، مع اعتبار كرويتها؟ قلنا ليس يلزم هذا المعنى - عقلاً - في ذاته جل وعلا، لأنه ليس كمثله شيء، وذاته سبحانه لا كالذوات المخلوقة! ونحن إنما قلنا إنه يجب - عقلاً - أن يحده حد يفصله عما دونه، لأن هذه ضرورة عقلية تأتي من تحقيق معنى العلو فوق العرش وفوق الخلق جميعاً.. أما ما سوى ذلك من وصف لذاته فلا نخوض فيه! ولهذا قال بعض السلف إننا لا نثبت له إلا حداً واحداً وهو ما يفصله عن خلقه، أما ما سوى ذلك فلا علم لنا به ..

أما هذا الذي تقولون أنتم به من إحاطة ذاته بالخلق لكروية الأرض وغيرها فزيادة ما أنزل الله بها من سلطان !

ثم إن الإحاطة تعارض معنى العلو أصلاً كما لا يخفى! إذ ما كان محيطاً بالأرض فلا هو في أعلاها ولا في جانبها ولا في أسفلها وإنما هو في كل جهة من أي واقف عليها!! فكيف يكون في العلو حقيقة - دون غيره من الجهات - للواقف في أي مكان من الأرض مع النظر إلى كرويتها؟ هنا نقول: الله أعلى وأعلم! ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. هو كذلك على الحقيقة، ولا يعلم كيف ذاته إلا هو سبحانه.

(وماذا لو اعترض معترض قائلاً: الإطلاق إطلاق، سواء كان في مقام تقرير العقائد أو في مقام الحجاج. فاللفظ إما جائز توقيفاً، أو غير جائز.

وبما أن هذه الألفاظ أُطْلِقَتْ لتفسير وشرح المعنى الظاهر للصفات. أليس مطلقها عرضةً للخطأ؟ أليس

تقريرها ضرباً من التأويل، وإن كان مآله مزيداً من الإثبات لا التعطيل؟ فكما أنّ التأويل الأشعري مآله التعطيل، فإن هذا الضرب من الزيادة في الإثبات بالفاظ لم تطلقها النصوص مآله التشبيه... فالأشعري يقول: أنا لا أعطّل الصفة، وإنما أعطيها معناها اللائق، والزائد في الإثبات يقول: أنا لا أشبه، وإنما أعطيها معناها الظاهر!

لو قال: اللفظ إما جائز توقيفا أو غير جائز، فإنني أسأله: فما قولك في لفظ الوجود؟ هل تجيز أن نقول إن الله موجود (بهذا اللفظ)؟ فإن قال لا، قلنا لأنك ترفض اللفظ أم ترفض المعنى؟ فإن قال أرفض اللفظ، قلنا وهل يقوم اللفظ إلا بمعناه؟؟ إن وقفت على لفظ واحد ثابت يغني في هذا المقام لتحقيق المعنى المطلوب في الإخبار عن الله تعالى بهذا فهاته وحبذا، وحيث نقول لا ينبغي مجاوزة الألفاظ الثابتة إلى ما يرادف معناها مما سواها إن كان استعمالها يقوم بالمطلوب في الإخبار عن رب العزة جل وعلا.. ولكن ما قولك فيما إن أردنا مخاطبة رجل أعجمي لا يفقه العربية، وأردنا أن نشرح له صفات الله تعالى، أو أردنا أن ندعو ملحدا للدخول في الإسلام، فماذا نصنع وكيف يقال لنا قفوا على ألفاظ الصفات ولا تتكلموا بما لم يثبت؟؟ لا يعقل ولا يصح أن يقال إن الكلام عن الله تعالى لا يجوز إلا باللفظ الثابت توقيفا فقط!! واللفظ إنما يعبر عن معنى مراد، فإن كان المعنى حقا فحق، وإلا فلا. أما إن قال المخالف وبما أنّ هذه الألفاظ أُطْلِقَتْ لتفسير وشرح المعنى الظاهر للصفات. أليس مطلقها عرضة للخطأ؟ فإننا نجيبه بأن كل بني آدم يقعون في الخطأ، فلا حجة لأحد على أحد في مجرد هذا المعنى! وإلا فهل يدعي هذا المخالف أن تفسيره الاستواء بالاستيلاء، لا يتطرق إليه الخطأ (عقلا)؟؟؟ بل هو إلحاد عن ظاهر المعنى بلا موجب إلا ما يتوهمونه من لزوم التجسيم والمشابهة من إثبات المعنى الظاهر، وهذا هو بيت الداء عندهم!! فإن قال إن هذا لازمه أن يكون أعدل الأقوال وأوسطها أن نفوض ولا نخوض أصلا في التفسير لا بظاهر ولا غيره، حتى نسلم من الخطأ، فقد عطل بذلك قدرة عقول البشر على فهم مراد الرب جل وعلا مما وصف به نفسه ووصفه به نبيه في خطابه إليهم، وهدم أصلا من أصول الدين وهو يحسب أنه ينزه الرب عن القول عليه بغير علم، بل إنه - لو تأمل - يتهم الوحي بالعبث والكلام بما لا فائدة فيه، والله المستعان!! فالقول بالتفويض كالقول بالتأويل على خلاف الظاهر، كلاهما سواء في العدوان على الوحي وعلى عقول البشر! فإن قال: أليس إثبات هذه المعاني ضربا من التأويل؟ قلنا له بلى، وكل التفسير - لغة - ضرب من التأويل! فهل نمتنع من تفسير خطاب الله في القرآن مخافة الوقوع في الخطأ في ذلك؟؟ لو أنصف هؤلاء

وتجردوا من تقليد أئمتهم لتبين لهم أن أعدل وأسلم ضروب التأويل والتفسير إنما هي الحمل على ظاهر المعنى اللغوي، ما لم يرد ما يفيد امتناع ذلك الظاهر (بالنص)!! أما قولهم إن المشابهة لازمة من إثبات معنى كذا دون معنى كذا مما صح من الصفات فما ضابطه عندهم ومن أين أتوا به؟؟ بأي ضابط قال من قال منهم إن ظاهر معنى السمع لا يلزم منه التشبيه، بينما ظاهر معنى الكلام يلزم منه التشبيه، ومن أين جاء بذلك الضابط؟؟ والذي قال إن كلا المعنيين يلزم منه التشبيه بم يجب هذا الأخير عليه؟؟ تجددهم يفرعون في قواعد فلسفية ما أنزل الله بها من سلطان، ولا أثاره من دليل على شيء منها البتة، ثم يقولون هذه طريقة السلف في التنزيه!!! أي تنزيه قاتلهم الله؟؟ قد تقرر عندنا جميعاً أنه سبحانه ليس كمثله شيء، وفي نفس الآية تقرر كذلك أنه هو السميع البصير، فمع كونه موصوفاً بهذا فليس كمثله شيء.. فهذه قاعدة السلف في سائر ما صح عندهم من وصف لله تعالى، دون توهم المشابهة في هذا أو في ذاك!!

فصحيح هو تأويل، ولكن هذه حقيقة التفسير، الذي هو سبيل المخاطبين إلى فهم الخطاب على وجه الصحيح.. وفهم صفات الله على معناها الحق واجب، كما هو الشأن في سائر نصوص الوحي، بل هو أول واجبات المكلفين في ديننا أصلاً! فماذا يريدون؟؟ يقولون هذه الألفاظ التي معنا ضرب من التأويل، فكان ماذا؟؟ ما هي تلك الألفاظ وما معناها تحقيقاً في اللسان الأول، لسان المخاطبين الأوائل الذين لم يرد إلينا ما يفيد هروبهم من فهم تلك المعاني على ظاهرها بدعوى لزوم المشابهة؟ فإننا نقول إن الصفات ألفاظ يلزم منها فهم معناها.. فهذا المعنى المثبت عندنا للصفة إن كان نفيه يلزم منه تعطيل الصفة نفسها أو حملها على خلاف المتبادر إلى الذهن دون بينة، فلا يجوز المنع من الكلام به وإطلاقه في حق الله تعالى عند الحاجة إلى ذلك! وجواباً عن قوله: فكما أن التأويل الأشعري مآله التعطيل، فإن هذا الضرب من الزيادة في الإثبات بألفاظ لم تطلقها النصوص مآله التشبيه...

نقول حرر مرادك بالزيادة في الإثبات أولاً! فإن كان مجرد نقل لفظ الصفة إلى معناه الظاهر في مقام إثباتها والرد على من يعطلها، هو على اصطلاحك من "زيادة الإثبات"، فما حقيقة الإثبات أصلاً عندك؟ وكيف تقف على ذاك الوسط الذي تدعيه بين التعطيل والتشبيه، إن كنت لا تسمح لعقلك بفهم أي معنى ظاهر أو غير ظاهر للفظ بدعوى أن هذا تأويل وذاك تأويل؟؟ لا إثبات إذن وإنما تفويض وتعطيل! الإثبات إنما يعني الإيمان بنسبة هذا اللفظ بمعناه الحق إلى الرب جل وعلا، على الوجه اللائق بذاته. فما هو المعنى الحق عندك ومن أين جئت به؟ هذا هو بيت القصيد!

عندما يقول الأشعري أنا لا أعطل وإنما أعطي المعنى اللائق، فإننا نقول له بل تصرفه عن المعنى الظاهر المتبادر إلى الأذهان بلا دليل إلا ما تتوهمه أنت من لزوم مشابهة المخلوقين من القول بالمعنى الظاهر! وهذا اللزوم لم نسمع أحدا من الصحابة والتابعين يقول به البتة، مع أنه أصل أصول نحلتكم هذه كما لا يخفى، فمن أين جئتم به، وأنتم ترون القراءن يمنعه وينفيه نفيا صريحا عن سائر الصفات في قوله تعالى ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير))؟! إنما هو تحكم بالباطل هربا من لازم باطل! أما قول القائل: أنا لا أشبه وإنما أعطيها معناها الظاهر، فلا يكون هذا زيادة في الإثبات - بما يفضي إلى التشبيه - إلا إن ادعى لزوم ما ليس بلازم عقلا ولا لغة من ظاهر المعنى، دون الوقوف على نص يثبت! كقول القائل - مثلا - إن استواء الرب على العرش يلزم منه إثبات معنى الثقل! الثقل ليس من معنى الاستواء ولا يلزم - عقلا - إلا في المخلوق.. ولكن هل يعني عدم لزومه في حق الله تعالى الجزم ببطالانه؟ كلا! إذ لو شاء الله تعالى أن يثقل العرش فوق رؤوس حملته لفعل، ولم يلزم من ذلك الإثقال معنى الاتكاء عليه أو الاعتماد عليه على نحو ما يكون من المخلوقين!! فنحن نتوقف هنا، لا نثبت إلا إن وقفنا على نص صحيح صالح للاحتجاج! أما الأشاعرة فيقولون بل نجزم بالامتناع العقلي لمثل هذا المعنى لأنه يلزم منه ما يلزم في المخلوقين، وهذا باطل واضح! إذ هم الذين وقعوا بقولهم هذا في قياس صفات الرب على صفات المخلوقين في الكيف والحقيقة، لذلك فهم - كما قال شيخ الإسلام رحمه الله - لما شبهوا، وانقدح ذلك القياس الباطل في عقولهم، لم يجدوا إلا أن يعطلوا المعنى أو يصرفوه عن الظاهر إلى أي وجه آخر بلا موجب لذلك! فلما كانت عقولهم تتفاوت فيما تراه يلزم منه التشبيه وما لا تراه كذلك، جاءت طوائفهم على طبقات عدة، وفرق شتى من الجهمية المحضة إلى الكرامية والكلابية ونحوها! أما أهل السنة فقد تبرأوا إلى الله من ذلك اللازم أصلا، فلم يصرفوا المعاني إلى المجاز بلا صارف معتبر، ولم يمنعوا من تفسير صفات رب العالمين وفهمها بالمعنى المتبادر إلى ذهن العربي الصحيح، دون تكلف ما لم يقل به أحد من القرون الفاضلة في ذلك! فالحمد لله على نعمة الإسلام والسنة.

جواب شبهة حول ابن عمر وفحصه الجارية.. وتأصيل ضروري للمشتغلين بالرد على الشبهات

الحمد لله وحده،

أما بعد، فقد راسلني أخ فاضل حبيب برسالة يقول فيها: كثر الجدل جدًّا حول فعل الصحابي الجليل ابن عمر رضي الله عنه.... وهاك نصّ السؤال: عن ابن عمر أنه كان إذا اشترى جارية كشف عن ساقها ووضع يده بين ثدييها وعلى عجزها وكأنه كان يضعها عليها من وراء الثياب الراوي: نافع مولى ابن عمر المحدث: الألباني - المصدر: إرواء الغليل - الصفحة أو الرقم: 201/6 خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح

والسؤال هو ما معنى كشف عن ساقها ووضع يده بين ثدييها وعلى عجزها وكأنه كان يضعها عليها من وراء الثياب وهل هذا يجوز اصلاً انتهى بحروفه.

وفي الحقيقة استشكلت فعل ابن عمر رضي الله عنه في أمة لم تصبح بعد تحت ملكه ليتصرّف فيها على هذا النحو... كما أن ظاهر الرواية يدل على فعله ذلك أمام الناس فأرجو أن تجيب عن ذلك خصوصاً أن الشبهة كشبهة لها تواجد كبير في المنتديات.... ولم أجد رداً يشفي الغليل وجزاك الله خيراً"

انتهى نص الرسالة.

فأقول وبالله التوفيق

دعني أولاً أمهد للجواب عن تلك الشبهة بتمهيد مهم للمشتغلين بالرد على الشبهات بصفة عامة، يتعلق بتشخيص مصدر الشبهة وأصلها العقلي. فإن طالب العلم كالطبيب، يعنيه وصف الداء قبل وصف الدواء.. ورب أدواء شتى يكون علاجها في دواء واحد جامع، يهتدي إليه الطبيب إن أحسن

التصور والتأمل والتشخيص من قبل أن ينطلق إلى وضع الدواء، فلعلك تلمس أن كثيرا من الإخوة المشغولين بالرد على الشبهات في المنتديات ينقصهم الكثير من العلم ومن التأصيل الشرعي الصحيح، فتراهم يسارعون - على سبيل المثال - إلى تضعيف أحاديث لم يسبق من أحد من أئمة الحديث المتقدمين أن تكلم فيها لا سنداً ولا متناً، فتراهم يدخلون على موقع الشيخ علوي السقاف حفظه الله (الدرر السنية) فيبحث عن الحديث الذي أثبت حوله الشبهة، فما أن تقع يده على واحد من المحدثين يضعف تلك الرواية بعينها، حتى يطير بذلك إلى صاحب الشبهة يقول له: الحديث ضعيف ولا يحتاج به، ثم يمضي قرير العين متفخ الأوداج يحسب أنه قد أتى ببيان الشبهة من القواعد، وما يدري المسكين أن ضعف رواية من روايات الحديث لا يعني بالضرورة ضعف سائر الروايات أو الطرق لنفس الحديث، ولا يدري أن الأصل في خلاف المحدثين تقديم أحكام الأقدمين منهم عند الخلاف وعند فقد القرائن الأخرى المرجحة لأحد القولين، ولا يدري أن من لوازم تضعيف الحديث وجعله ذلك التضعيف رداً على صاحب الشبهة (التي لا تكون بطبيعة الحال إلا تشنيعاً على المتن) = القدح في سائر من صححه من أهل العلم عبر قرون الأئمة، إذ كأنه يتهمهم جميعاً بالغفلة - على أقل تقدير - عما في المتن من تلك الفظائع المزعومة التي حملت صاحب الشبهة على التشنيع عليه.. بل لا يدري هذا المسكين أنه حتى مع الحكم بضعف سائر ما في باب من الأبواب من الروايات، فإن ذلك لا يلزم منه سقوط الاحتجاج بالمعنى المنقول في تلك الروايات هكذا جملة واحدة، فضلاً عن بطلانه أو فساده! فهل يرام دفع تشنيع المجرمين على متن الحديث بمجرد إسقاط سنده؟؟ وهل كل حديث ضعيف في بعض طرقه أو حتى في مجموعها يصح أن يسلك فيه هذا المسلك؟؟ لقد كان دأب الراسخين في العلم في أمتنا أنهم لا يقفون على رواية من الروايات تلقاها بعض الأئمة بالقبول أو احتج بها بعضهم، ولم يكن فيها علة قاذحة كاتهام بالكذب أو نحوه، إلا جاهدوا جهدهم في دفع ما يظهر لهم من الإشكال فيها على افتراض صحة الرواية، حتى مع كونهم يرون ضعفها، ما لم يكن معناها منكراً شاذاً يعارض نصاً قطعياً أو إجماعاً أو معلوماً من الدين بالضرورة.. فهذا أصل عزيز يغفل عنه أكثر

المشتغلين بالرد على الشبهات لحدثة أسنانهم وقلة حظهم من العلم ومن مطالعة تأليف الأئمة، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وليست هذه العلة وحدها ما يعتور الأكثرين من إخواننا في ذلك، ولكنك ترى فيهم كذلك - إلا ما رحم ربك - تأثرا دميما بالأصول التشريعية والفكرية والثقافية العامة التي ينطلق منها أصحاب الشبهات من النصارى والملاحدة في زماننا هذا!!.. فمع أن كل مبتدئ في طلب العلم يعلم أن الله تعالى قد شرع لولاية الأمر في بلاد المسلمين جهاد الطلب لإزالة طواغيت الكفر ووضع عدالة الإسلام في مكان جور الأديان في بلاد الكفار رحمة بهم - وهو مقصد إضافي زائد على مقصد الدعوة إلى دين الله وإدخال عامة الكفار فيه ولكن كثيرا من الناس لا يميزون بين المقصدين نظرا لكونهما وسيلتين لغاية واحدة - إلا أنك ترى من الإخوة - ومنهم طلبة علم بكل أسف - من يرد على شبهة "نشر الإسلام بالسيف" بأن يزعم - هكذا بمنتهى السهولة - أن الإسلام لم يفرض الجهاد إلا صدًا للعدوان ولصولة الصائلين وصيانة لبيضة الإسلام في الأمة! فلماذا يتهيب هذا المسكين من أن يشرح وبكل وضوح وبكل ثقة ورسوخ قدم الحكمة الربانية الكبرى من فرض شريعة الغزو في سبيل الله ووضع شريعة الرب في مكان شرائع الكفار، ومن خروج السرايا والبعثات من زمان الخلفاء الراشدين وإلى آخر عصور الدولة العثمانية للغزو والفتح وتوسعة بلاد المسلمين، ثم فرض الجزية على كل من أبى من أهل الكتاب الدخول في الدين الحق من بعد ما قامت عليه حجته، يعطونها عن يد وهم صاغرون؟ السبب أن هذا الداعية متأثر - تأثرا خفيا - بفكر فلسفي غربي نصراني-علماني الأصل، صار يُبث في زماننا هذا في قلوب الناس في كل مكان - بما في ذلك بلاد المسلمين - فكر مفاده أن القتال والحرب من حيث المبدأ فساد وجريمة أخلاقية كبرى أيا ما كان مبررها، وأن التعايش السلمي المطلق والمحبة "الإنسانية" المطلقة مع حرية الفكر والتعبير المطلقة في إطار ما يجعلونه هم من "حقوق الإنسان" فريضة هذا الزمان وواجب هذا الوقت الذي نحن فيه، بل وأن مطلق القتل نفسه (قتل النفس) عمل لا أخلاقي مذموم!! وكثيرا ما تجد الداعية أو طالب العلم يجزم بكل قوة بأنه متفطن لتلك الأشياء وأنه

غير متأثر بها، ولكن عندما تتأمل في تخريجاته وتأويلاته واختياراته واجتهاداته الحديثية وردوده ومواقفه في كثير من القضايا وعلى كثير من الشبهات، ترى فيه من هذا ما لا تراه عيناه!

فلما أشربت قلوب بعض إخواننا بتلك الأصول الفكرية الثقافية المختلطة ما بين الفلسفة النصرانية والعلمانية وبعض فلسفات الشرق الوثنية، وتربوا عليها في مجتمعاتهم المسلمية المعاصرة من حيث لا يشعرون، حيث كثر حصار المفكرين والكتاب من تلك الملل لأذان وأسماع الناس في كل مكان، وكثر نشاط أذنانهم ممن يلفون لفهم في بلادنا، وهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا في الإعلام ليل نهار، وقل اطلاع الإخوة على كتب السنة ومؤلفات الأئمة المتقدمين، صار الواحد من إخواننا يتهيب من تقرير كثير من الحق، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصار ينبغي علينا - بلسان حال الواحد من هؤلاء المفتونين - ألا نقدم الإسلام للناس إلا على وفق هذه المبادئ والكيلات الكبرى عند هؤلاء، حتى لا يقال إننا متخلفون أو إرهابيون أو نعيش في قرن غير هذا القرن! بل إنك تراه يأتي أحيانا على بعض تفاسير الأئمة المتقدمين عند آيات القتال فيتخرج منها ولعله يخفي بعضها عندما يجادله المجادلون في تلك الآيات، بدعوى أنها قد تفتن الكفار في هذا الزمان، لا سيما أهل الغرب!! ولا شك في أن ليس كل ما يعلم يقال، وأن من فقه الدعوة صيانة حدثاء العهد بالإسلام مما قد لا تستوعبه أفهامهم ولا يلزمهم تعلمه، ولكن تأخير بعض المعارف عن المسلمين الجدد لحين رسوخ أقدامهم في الدين شيء، وتعليمهم كلاما باطلا يخالف تلك المعارف الموروثة في ديننا أصلا شيء آخر!!

فما أقول لهؤلاء إلا كما قال الله تعالى في أولئك الذين تذرعوا بالخوف على أنفسهم من الفتنة يريدون

التخلف عن القتال: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُلُ أَذْنَ لِّي وَلَا نَفْتِيٓ ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۚ وَإِنَّ جَهَنَّمَ

لَمَّحِيطةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ [التوبة: 49]

فليكن خطابنا متجردا، بالحجة والدليل العقلي والنقلي الدامغ، وليكن عميقا، يأتي ببيان الباطل من القواعد، فإما هذا وإما أن نشوه ديننا ليكون كما يرتضون، كما طلبت قريش من النبي عليه السلام أن يسمح للناس بأن يعتنقوا كلتا الملتين جميعا، فيتعبدوا بدين محمد يوما وبدين قريش يوما! فهذه

دعوى نعرفها من قديم، يراد لنا أن نقطع الرباط بيننا وبين تراثنا، ونهيم على وجوهنا مع دعاة التغريب في نعيقهم "بتجديد الخطاب الديني" وبالتفسير العصري للنصوص، وهي دعوى يراها طلاب العلم والدعاة ولكن قليل منهم من يتفطن إلى عمقها وإلى مبلغ ما حققته بالفعل في ساحات الدعوة حتى في خطاب إخواننا المشتغلين بالرد على الشبهات، والله المستعان!!

وليعلم الخلق جميعاً أننا ليس عندنا - معاشر المسلمين - ما نخفيه أو نخجل منه في تلك الشريعة الكاملة الشاملة التي جاءت بكتاب موجه لسائر بني آدم في كل زمان ومكان!! فإن قالوا لنا إننا في هذا الزمان نرى هذه الأشياء من الوحشية والبرية، قلنا لهم أأنتم إذن جهال في زمان الجهل، قد غلبت عليكم فلسفات قوم ضلال لا يهتدون بهدي الحكمة السماوية ولا يتبعون إلا ظناً لا يغني عن الحق شيئاً!! فمن الذي له أن يحكم بصحة عمل من الأعمال أخلاقياً أو بضد ذلك؟؟ من الذي له أن يقرر هل قتل فلان أو الخروج لقتال الطائفة الفلانية من بني آدم = ظلم لا يصح، أو عدل لا يصح سواء؟ من الذي قال إنه يلزمنا الآن معاشر المسلمين أن نعيد النظر في تراث أمتنا العلمي وفي فهمنا لنصوص كتابنا حتى تتوافق مع فكر كانط أو ماركس أو هذا أو ذلك من فلاسفة القوم المعظمين عندهم الذين شكلوا لهم تلك الثوابت الكلية في ثقافتهم، التي بها يزنون ويميزون الحق من الباطل، ويحكمون على خلق بأنه قويم والآخر بأنه دون ذلك؟؟؟

هذه قضية كلية كبرى في غاية الخطورة ينبغي أن يتنبه إليها شباب الدعاة حتى لا يُفسدوا من حيث يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فيكونوا كالذي أراد أن يبني قصراً فهدم مصر!! نقول للجهال والمجرمين صناع الشبهات: إن كنتم ترون هذا وذاك من شرائع الإسلام ظلماً أو وحشية أو كذا أو كذا، فإنما ذلك لجهلكم ولفساد أصولكم الكلية التي استقيتموها من فلان وفلان من فلاسفتكم.. فلا نقبل بأن تجعلوا هذه الفلسفات حكماً على ما ندعي نحن أنه الحق المنزل من رب العالمين!!

وعند التأمل فإنك تجد جميع الشبهات على الإسلام تختصر في صنفين: فإما أن تراها في صورة أكاذيب يطلقها النصاري - بصفة خاصة - على نصوص الإسلام يريدون بها إيهام جهال المسلمين بأن دينهم فيه ما يصحح دين النصاري (!!!!) أو بأن نصوص المسلمين تتناقض وأنه قد وقع فيها التحريف،

فيكون في دعاواهم تلك من التحريف والبتر والعبث بالنصوص والنقل عن الزنادقة والمبتدعة ما يعلمه القاصي والداني، وإما أن تراها في صورة اتهامات أخلاقية سفيهة لشرائع الإسلام ولأفعال النبي العدنان عليه صلوات ربي وسلامه، وكأن أصول القوم الفلسفية التي صاروا يأخذون منها مرجعيتهم الأخلاقية المريضة في هذا الزمان = ملزمة لنا ولسائر البشر، ويتوجب علينا الرجوع إليها كما يرجعون لاستخراج الحكم الأخلاقي على شرائع سائر الملل، بما فيها ما ندعي نحن أنه الحق المنزل من ربهم الذي خلقهم جل وعلا!!! فأمسك بنواجذك على هذين الأصلين الكليين، فإنهما أصل سائر الشبهات في زماننا ولا تكاد تخرج عنهما شبهة واحدة. نقول لهم نعم يا هؤلاء، ما تجدون في نصوصنا هو كما تجدونه.. وهو الحق المنزل من لدن حكيم خبير وان كرهتم! نعم شرع لنا أن نفعل كذا وكذا بنسائنا، وشرع لنا أن نتخذ من نساء الكفار سراري وإماء عند غزو بلادهم، ونعم شرع الله لنا أن نبيعهن ونبتاعهن كالسلعة تباع وتشترى، فما أسوأه من مسلك معوج أن ترى الداعي إلى الله يتذرع ويتلمس مخرجا من الشبهة في بيان كيف أن الشريعة قد حبيت وندبت إلى عتق الرقاب، حتى يرضى عنا الكفار في ثقافتهم العلمانية العفنة هذه، ويثقل ديننا في ميزانهم الفاسد (وهيهات)!! ترى من إخواننا من يتخذ تلك الطريقة الذميمة مسلكا بالغا إلى حد أن يدعي بعضهم - سامحه الله - أن الإسلام قد جاء بتحريم العبيد وأنه قصد إلى القضاء على الرق في العالم بصورة تدريجية!! فالحاصل أن صاحب هذه الدعوى يوافق الكفار في الحقيقة على نظرتهم بإزاء الرق وملك اليمين من حيث الجملة، فإذا ما جوبه بالشبهة لم يجد لنفسه مخرجا منها إلا القول بأن الإسلام قصد إلى القضاء على الرق ومحوه من العالم ولو بعد حين!

سل الآن أي عامي من عوام المسلمين عن موقف الإسلام من الرق ستجده لا يجيب إلا بهذا الجواب الفاسد، يقول الإسلام ألغى الرق تدريجيا.. بل ولعله يقول بكل ثقة: الإسلام حرر العبيد والأرقاء كما لم تفعل شريعة من الشرائع! فأنا أسأل صاحب هذه الدعوى: لو قدر الله لولي أمر مسلم في بلد من بلاد المسلمين أن يخرج في جهاد الطلب ليغزو بلدا من بلاد الكفار كما كان دأب ملوك وولاة المسلمين إلى عهد قريب جدا من تاريخ أمتنا المجيدة، ثم أخذ ذلك الحاكم من نساء ذلك البلد إماء وموالي

وأسهمهم على المجاهدين فصاروا رقيقا عندهم، وصار أبنائهم عبيدا عند المسلمين، كما كان معمولاً به في بلاد المسلمين حتى القرن الماضي، فهل تفتي أنت بحرمة ذلك أو بعدم مشروعيته بالنظر إلى كونه الآن يخرق اتفاقيات الأمم المتحدة، ويخالف ما جعلته أنت مقصدا من مقاصد التشريع في شأن الرق والرقيق؟؟؟ وهل كان النبي عليه السلام يوافق السائد في زمانه مضطرا فيمتنع عن تحريم أخذ السبايا والرقيق في الحرب، ولا يشير إلى كراهة الرق ولو من بعيد، ليس هذا فحسب، بل ويذهب إلى التشريع الدقيق المفصل في أحوالهم وبيعهم وشرائهم ومكاتبهم ومعاملتهم وأنكحة الإماء منهم وأولادهم وعورتهم.. الخ، كل هذا مع علمه بأن الإمساك بالرقيق وتملك رقابهم ظلم وجور، لأنه لا يمكنه - وتأمل - أن يمنعه لغلبته على بلاد العالم في زمان التشريع؟؟ أي طعن في شريعة رب العالمين أبشع من هذا؟؟

فانظر - بارك الله فيك - في ردود الأكثرين من أصحاب الجواب عن شبهة الرق والرقيق وملك اليمين في الإسلام بم يجيبون، لن تجده إلا يدور في تلك الدائرة! مع أنهم يخرجون من كتب أهل الكتاب في كثير من الأحيان وفي سياق الرد على الشبهة نصوصا فيها الرق وأخذ السراري والإماء وملك اليمين! فهل نفهم من هذا أن تلك الأزمنة الغابرة كلها كانت أزمئة ظلم وجور في الحروب، وكان الأنبياء والمرسلون كلهم مضطرين - كذلك - إلى القبول بذلك الظلم والجور بل والتورط فيه حتى تراهم يأخذ الواحد منهم ثلاثمئة أمة يواقع منهن مئة في ليلة واحدة؟؟؟ أين عقول هؤلاء، وكيف يغفلون عن لازم الزعم بأن الإسلام جاء بتحرير العبيد والرقيق؟؟ نعم من فضل الله ورحمته أن جعل من الكفارات ومن المندوبات عزيمة الأجر = العتق وفك الرقاب، ولكن هذا لا يعني أن القضاء على طبقة الرقيق في المجتمع المسلم كان غاية من غايات الإسلام أو مقصدا من مقاصد الكلية! وإنما يعني أن الشارع الحكيم أراد - فضلا منه ورحمة - التخفيف على الصالحين من المتممين إلى تلك الطبقة في المجتمع المسلم، وحسين أحوالهم ورفع درجاتهم بالعتق والمكاتبة ((فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا)) إلى طبقة أعلى. فإن الرقيق وأسواق بيعهم كانت منتشرة في بلادنا إلى عهد قريب للغاية كما يجد ذلك من يطالع كتب التاريخ، حتى أعتق آخر مملوك في بلاد المسلمين بضغط من الدول الاستعمارية وباتفاقية

مع الملكة فيكتوريا!! ولولا هذا لظل في بلاد المسلمين ملك يمين ورقيق إلى يوم الناس هذا، ولرأى هؤلاء الجهال من الكفار، والمفتونون بهم ممن تولي كبر تلك الردود الواهنة على هذه الشبهة، كيف هي شريعة رب العالمين في معاملة تلك الفئة المهمة في مجتمع المسلمين، وكيف رأى المجتمع المسلم - مع وجود تلك الطبقة فيه - قرونا من السلام الاجتماعي لا يحلم بمثلها سفهاء الإلحاد أصحاب حقوق الإنسان في هذا الزمان!!

الإسلام لم يأت بتحرير العبيد، ولا جاء بمنع الرق، لا تدريجيا ولا غير ذلك.. وإنما ضيق الإسلام سبب العبودية والرق وقصره على الاسترقاق في الحروب، ثم شرع أحكم الشرائع وأعدلها في بيعهم وشرائعهم وإهدائهم ومعاملتهم كفئة مستقرة في مجتمع المسلمين لها ما لها وعليها ما عليها.. وهكذا كانت عبر القرون إلى أن وهنت أمة الإسلام وظهر عليها أعداؤها، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ولا بأس بأن يقال كما يقول بعض إخواننا إن تلك الشرائع تفيد في إصلاح أحوال النسوة اللاتي قتل أزواجهن في الحرب وملئت قلوبهن غلا على المسلمين.. وتفيد في حفظ استقرار المجتمع الجديد الذي غزاه المسلمون.. فإن من العلاج ما لا مفر من احتمال مرارته، ومن العلاج الكي! فمن الرحمة ببعض الناس قهرهم وإذلالهم حتى يكون كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره من الأئمة: يسحبون إلى الجنة في السلاسل!! من آمن منهم فقد أراد الله له خيرا، ومن مات على كفره مصرا عليه فقد انتقل من ذلة إلى ذلة أشد وأخزى، نسأل الله السلامة.. فقولهم هذا في الحكمة من سبي نساء

الكفار صحيح ولكنه اجتهد من بعض الإخوة في استخراج الحكم التشريعية من تقرير الرق وجعل الرقيق طبقة من طبقات المجتمع لها أحكامها وضوابط التعامل معها، وليست الحكمة من هذا التشريع مقصورة على هذا.. فإن التسرية والتوسعة على المجاهدين بامتلاك تلك الأ بضاع غاية معتبرة كذلك، ومجرد الابتلاء بالرق حكمة.. فمن الابتلاء ما يكون عقوبة، ومنه ما يكون كفارة، ومنه ما يكون رفعة للدرجات عند الله جل وعلا.. وكم من عبد أشعث مدفوع بالأبواب لا يعبأ به أحد من الناس، لو أقسم على الله لأبره! كلنا في هذه الدنيا عبيد نعلق في أعناقنا ما ندين به من واجبات تلزمنا تجاه غيرنا من

الناس فضلا عمن نتخذة إلها له منتهى الطاعة والخضوع.. كل الناس عبيد مقيدون بقيود أحوالهم والتزاماتهم الأخلاقية إزاء تلك الأحوال في هذه الحياة الدنيا، مهما زعموا أنهم أحرار!

فلا يلزمنا أن نقبل دعواهم أن الإنسان يولد حرا ويجب أن يُكفل له هذا الحق عند مولده! صحيح أن الأصل في ابن آدم ألا يكون مملوكا لأحد من الناس، ولكن ليس كل الناس يولدون على السواء فيما جعلهم الله فيه من الأحوال! فمن الناس من يولد غنيا مرفها ومنهم من يولد فقيرا معدما! ومن الناس

من يأتي إلى الحياة أميرا ومنهم من يأتي إلى الدنيا أسيرا! ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآرْضَ وَرَفَعَ

بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام :

165] فليس المالك بأسعد حظا من المملوك في هذه الدنيا إن كان على شقاوة من أمره! وليس الغني بأسعد حظا من الفقير إن كان على ضلالة ينفق ماله فيما فيه هلكته يوم القيامة!! فإنما الدنيا دار امتحان وبلاء لسائر بني آدم، أعلاهم وأدناهم في ذلك سواء! فهذا الذي يدعي أن الناس من حقهم ألا يولدوا جميعا إلا أحرارا متساوين في ذلك، فليجعل كذلك من حقهم ألا يولدوا إلا أغنياء منعمين إن استطاع، وليجعل من حقهم ألا يولدوا إلا أصحاب بلا مرض وراثي أو عضو عليل في أجسادهم، وألا يولدوا إلا عند الغاية من الجمال والبهاء وحسن الخلقة، وألا يجدوا الحياة الدنيا إلا جنة نعيم لهم ولأولادهم من بعدهم!! فأى حقوق هذه ومن الذي يمنحها للناس تكوينا وتشريعا؟؟ أي حقوق إلحادية هذه التي

صرنا نتحرج بسببها من تقرير مشروعية الرق وملك اليمين في دين رب العالمين وصرنا نتمحل الجواب الفاسد له والاعتذار عنه وكأنه نقيصة ومعيبة في تلك القرون الأولى كان الأكمل والأمثل ألا يتم التشريع في ديننا في زمان الوحي إلا وقد منعه منعا مطلقا كما يريد الكافرون؟؟؟؟ فلهذا كله صار الحال إلى أن كثيرا من تلك الشبهات يندر جدا أن تجد له ردا شافيا وافيا عميقا تكون فيه الكفاية، لا شيء إلا لأن أكثر ما صُنّف في الرد على الشبهات في زماننا هذا إنما يقوم على أصول مختلطة مدخولة عند أصحاب تلك الردود كما ترى، والله المستعان لا رب سواه!! ولننظر الآن بعد هذا التمهيد الطويل في شبهة حديث ابن عمر رضي الله عنه وتقليبه لثدي الأمة ومسه لعجزها من فوق ثوبها وكشفه عن

ساقها على ملأ من الناس. فإن من المتقرر أن بلاد المسلمين كان فيها رقيق وإماء،

وكان فيها بيع للرقيق وشراء.. وأن لهذا البيع والشراء أحكامه الثامة التي تابعت قرون الأمة على العمل بها حتى ضاع الجهاد وضاع السبي والرق، والله المستعان.

فلنبداً أولاً بتقرير أن الواقعة المذكورة في الحديث لا سبيل للطعن في صحتها، وإليك بعض النصوص فيها وفي بابها، قد قام عليها حكم شرعي يأتي بيانه بعد إن شاء الله تعالى.

فعند البيهقي في سننه الكبرى عن عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب عن بن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من أراد شراء جارية واشتراها فليُنظر إلى جسدها كله إلا عورتها ما بين مقدار إزارها إلى ركبته

وعنده كذلك قوله: "أَخْبَرَنَا أَبُو سَعْدٍ الْمَالِينِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ بْنُ عَدِيٍّ الْحَافِظُ أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ سِنَانٍ حَدَّثَنَا عَبَّاسُ الْخَلَّالُ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ حَسَّانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - : « لَا بَأْسَ أَنْ يُقْلَبَ الرَّجُلُ الْجَارِيَةَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَهَا وَيَنْظُرَ إِلَيْهَا مَا خَلَا عَوْرَتَهَا وَعَوْرَتَهَا مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهَا إِلَى مَعْقِدِ إِزَارِهَا ». تَفَرَّدَ بِهِ حَفْصُ بْنُ عُمَرَ قَاضِي حَلَبَ عَنْ صَالِحِ بْنِ حَسَّانَ. { ت } وَرَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ مِنْ حَدِيثِ عِيْسَى بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَالْإِسْنَادَانِ جَمِيعًا ضَعِيفَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. "

وعند الطبراني في المعجم الكبير قال حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة ثنا يحيى بن صالح الوحاظي ثنا حفص بن عمر الكندي ثنا صالح بن حسان عن محمد بن كعب القرظي عن بن عباس عن النبي ﷺ قال " لا بأس أن يقلب الرجل الجارية إذا أراد أن يشتريها ما خلا عورتها ما بين ركبته إلى مقعد إزارها "

وهذا الحديث وإن كان لا تجوز نسبته إلى النبي عليه السلام (لأن في سننه كذاب وضعيف) - ولعل الصواب وقفه - إلا أن التواتر المعنوي بمشروعية النظر والتقليب في الجارية عند شرائها - بصرف النظر عن تفاصيل ما يشرع وما لا يشرع في ذلك - يوحى بأن له أصلاً، والله أعلم.

ومما وقفت عليه من الآثار عن السلف من الصحابة والتابعين ما يلي:

في مصنف عبد الرزاق عن بن جريج عن عطاء قال قلت له الرجل يشتري الأمة أينظر إلى ساقها وقد حاضت (يعني بلغت وأنبتت) أو إلى بطنها قال نعم قال عطاء كان بن عمر يضع يده بين ثدييها وينظر إلى بطنها وينظر إلى ساقها أو يأمر به.. وفيه كذلك أنه قال أخبرنا بن جريج قال أخبرني عمرو أو أبو الزبير عن بن عمر أنه وجد تجارا مجتمعين على أمة فكشف عن بعض ساقها ووضع يده على بطنها

[ص 286]

وفيه روى عبد الرزاق عن معمر عن عمرو بن دينار عن مجاهد قال مر بن عمر على قوم يتناعون جارية فلما رأوه وهم يقلبونها أمسكوا عن ذلك فجاءهم بن عمر فكشف عن ساقها ثم دفع في صدرها وقال اشترؤا قال معمر وأخبرني بن أبي نجيح عن مجاهد قال وضع بن عمر يده بين ثدييها ثم هزها..

وفيه عن عبد الرزاق عن بن عيينة عن عمرو بن دينار عن مجاهد قال كنت مع بن عمر في السوق فأبصر بجارية تباع فكشف عن ساقها وصك في صدرها وقال اشترؤا يريهم أنه لا بأس بذلك "قلتُ (أبو الفداء) فتأمل هذه الروايات يتبين لك منها أن فعل ابن عمر رضي الله عنه في تلك الواقعة أمام هذا الجمع كان لبيان المشروعية، وحتى لا يتهيبوا من أمر هو مشروع لهم. وقد كان رضي الله عنهما من أحرص الصحابة على اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم ومن أشد الناس فيها كما هو معلوم، فليس الظن بمثله رضي الله عنه أن يحملهم على فعل مخالف للأصل على هذا النحو ما لم يكن على بينة من مشروعيته.

وعن عبد الرزاق عن بن جريج عن رجل عن بن المسيب أنه قال يحل له أن ينظر إلى كل شيء فيها (يعني الأمة المستامة) ما عدا فرجها"

وروى مثله عن الثوري عن جابر عن الشعبي قال إذا كان الرجل يبتاع الأمة فإنه ينظر إلى كلها إلا الفرج وعن عبد الرزاق عن بن جريج قال عمن سمع عليا يسأل عن الأمة تباع أينظر إلى ساقها وعجزها وإلى بطنها قال لا بأس بذلك لا حرمة لها إنما وقفت لنساومها (أي لننظر في شرائها) وعن عبد الرزاق

كذلك عن الثوري عن عبيد المكتب عن إبراهيم عن بعض أصحاب عبد الله أنه قال في الأمة تباع ما أبالي إياها مسست أو الحائط .. (يعني لا حرمة لها، فعند أمن الفتنة فإنه لا مانع شرعا من هذا المس بما تدعو إليه حاجة الشراء)

وهذا العمل، أعني الكشف عن الأمة والنظر إليها ومسها من فوق الثياب عند إرادة شرائها، لا خلاف في مشروعيتها بين أهل العلم، وإن اختلفوا في تقرير حدوده، تماما كما أنه لا خلاف بينهم في مشروعية النظر للمخطوبة عند خطبتها مع ثبوت الخلاف في مقدار ما يشرع النظر إليه منها لتلك الحاجة الشرعية المعتمدة. والعلة واحدة، ولهذا جاء الكلام في هذه المسألة في كتب الفقهاء في باب النكاح مقرونا بالكلام عن نظر الخاطب للمخطوبة.

فالأمة تشتري للنكاح والاستمتاع كما تشتري لغير ذلك من الأغراض، فعند المساومة لشرائها فإن الحاجة الشرعية تلجئ الشاري لتأملها ولتبين محاسنها بما يجعله يقرر قبوله أو رفضه للسعر الذي يطلبه بائعها فيها! هذه تجارة معتبرة في شريعة الإسلام ولا يجوز فيها الغرر. ولا شك في أن الأمة لا تستوي بالحرية فيما لكل منهما من عورة وحرمة، فعندما تدعو الحاجة الشرعية إلى مخالفة أصل تلك الحرمة، فإنما يكون ذلك بقدر ما تتحقق به الحاجة وفي حدود ما هو مأذون فيه بالنص.

قال البهوتي في شرح منتهى الإرادات: ولرجل وامرأة نظر ذلك أي الوجه واليد والرقبة والقدم ورأس وساق من أمة مستامة أي معرضة للبيع يريد شراءها كما لو أراد خطبتها بل المستامة أولى لأنها تراد للاستمتاع وغيره نقل حنبل لا بأس أن يقلبها إذا أراد الشراء من فوق الثياب لأنها لا حرمة لها وروى أبو حفصة أن ابن عمر كان يضع يده بين ثدييها وعلى عجزها من فوق الثياب ويكشف عن ساقها "قلتُ ومعلوم أنه لا يجوز للخاطب مس مخطوبته فضلا عن تقليبها، فهذا قدر من التجوز في الأمة عند شرائها لا يكون مثله في الحرية عند خطبتها للتفاوت في الحرمة وللفرق في صفة العقد بين الحالتين. وفي منار السبيل عند تلك المسألة: "قال في الشرح: ولا نعلم خلافاً في إباحة النظر إلى المرأة لمن أراد نكاحها، وفيه أحاديث كثيرة. انتهى. وعن الأوزاعي: ينظر إلى مواضع اللحم. وقال ابن عبد البر: كان

يقال: لو قيل للشحم: أين تذهب؟ لقال: أقوم العوج. وكذا أمة مستامة، لما روى أبو حفص بإسناده: أن ابن عمر كان يضع يده بين ثدييها، وعلى عجزها من فوق الثياب، ويكشف عن ساقها ذكره في الفروع.

وقال المرداوي في الفروع: "وله - جزم جماعة أنه يستحب - قبل الخطبة نظر ما يظهر غالباً، كرقبة وقدم، وقيل: ورأس وساق، وعنه: وجه فقط، وعنه: وكف. وقال أبو بكر: حاسرة، وله تكراره وتأمل المحاسن بلا إذن.

وينظر من أمة مستامة رأساً وساقاً، وعنه: سوى عورة الصلاة وقيل: كمخطوبة، نقل حنبل: لا بأس أن يقلبها إذا أراد الشراء، من فوق الثوب؛ لأنها لا حرمة لها. قال القاضي: أجاز تقلب الصدر والظهر بمعنى لمسه من فوق الثياب. وروى أبو حفص بإسناده: أن ابن عمر كان يضع يده بين ثدييها وعلى عجزها من فوق الثياب، ويكشف عن ساقها

قلتُ (أبو الفداء): وقوله "لأنها لا حرمة لها" يفهم منه بالمخالفة تقرير الحرمة في مثل هذا للحرمة المخطوبة.

وقال صاحب شرح المقنع: "وله النظر إلى ذلك وإلى الرأس والساقين من الأمة المستامة" لأن الحاجة داعية إلى ذلك ولأن رؤية ما ذكر يحصل المقصود به لأنها تراد للاستمتاع وغيره من التجارة وحسنها يزيد في ثمنها وعنه: سوى عورة الصلاة وقيل كمخطوبة نقل حنبل لا بأس أن يقلبها إذا أراد شراء من فوق الثوب لأنه لا حرمة لها قال القاضي أجاز تقلب الصدر والظهر بمعنى لمسه من فوق الثياب وظاهره أن الأمة إذا لم تكن مستامة أنه لا يجوز النظر إليها وهو وجه.

فهذه بعض أقوال الفقهاء في المسألة، وقد نقلتها لا للترجيح الفقهي فيما بينها، ولكن لبيان أن الحكم بمشروعية هذا الفعل (النظر في الجارية المراد شراؤها والتقليب من فوق الثياب والكشف عن الساق كما صنع ابن عمر رضي الله عنهما) هو قول جماهير السلف والخلف استناداً على هذا الأثر بعينه عن

ابن عمر رضي الله عنه، دونما استنكار ولا استقباح ولا شيء من هذا، والحاجة تدعو إلى ذلك كما هو واضح.

ومن أعجب ما قرأت من ردود بعض الإخوة على هذه الشبهة قول بعضهم إن الحديث جاء فيه أنه رضي الله عنهما كان "إذا اشترى جارية، فعل كذا وكذا"، فهذا معناه أنه يفعل تلك الأشياء بعد أن يشتريها فتكون حلالاً له!! فهؤلاء الإخوة سامحهم الله يقينا لم يقفوا على غير تلك الرواية في هذه المسألة، وأسألهم: ما فائدة النص على تلك الأفعال بهذا التفصيل أصلاً إن كان الأمر كما فهمتم، أنه رضي الله عنه فعل بها تلك الأشياء بعد أن اشتراها؟ بل الرواية نص فيما كان يفعل رضي الله عنه عندما يريد شراء الجارية، ليس فيما يفعل بها بعد شرائها، فمعلوم بالبدهة أنه بعد شرائها يباح له منها كل شيء!

ومن عجائب الردود كذلك دعوى بعض الإخوة أن ابن عمر كان يضع يده بين الثديين لا على الثديين، وذلك حتى يتفحص القفص الصدري كما يفعل الطبيب، لأنه يريد أن يطمئن من أنها ليس بها مرض. فكيف يجيب عن كشف الساق وتقليب العجز؟؟

ينبغي أن يكون الجواب ضارباً في أصول من يفترى على هذه الشرائع ويحكم بأنها لا أخلاقية! أي أخلاقيات تلك ومن الذي جاءكم بها؟؟ النصارى يقولون دينكم يعلمكم الجنس ويهتم بالجنس، يعيبون علينا أن وجدوا في شريعتنا أحكاماً مفصلة للنكاح والجنس، قاتلهم الله! فهل يكون الجواب بأن نتبرأ من أن في ديننا تعليماً مفصلاً لما شرع الله في معاشرته النساء وفي أدق تفاصيل العلاقة بين الرجل وامرأته، نعتذر له لكونه لا يأتي على هواهم؟؟ هؤلاء السفهاء لا يهتمون سبيلاً في أمور العلاقة بين الرجل وامرأته وضوابط سد الذرائع وتأمين الفتنة فيها، لأن رسولهم الكذاب بولس وصاحبه بطرس جعلوا الجنس - كل الجنس - شيئاً قبيحاً مستحقراً بإطلاق، يفصل بين العبد والرب، فجعلوا خير الطرق للوصول إلى معرفة الرب = قتل تلك الشهوة الفطرية في نفوس الناس وحرمانهم من إشباعها!! فهل خلقهم ربهم ليكونوا أمة من الأخصياء والمحرومين الذين لا يتناكحون ولا يتكاثرون؟؟ هل جعل

الحالة المثلى لسائر بني آدم حتى يعرفوه حق المعرفة، ألا يمس رجل امرأة قط ولا يشتهيها في نفسه؟؟
يفنى البشر إذن ويهلكون، أفلا يعقلون؟؟

إنك ترى الواحد من هؤلاء المساكين - من شدة فقرهم لشريعة رب العالمين التامة المحكمة - لا يجد بدا في بعض الأحيان من أن يغير ملته وعقيدته (كنيسته) بحثاً عن يبيح له الطلاق من زوجته!! ثم يهزأ السفهاء الحاقدون بشريعة رب الأرض والسماء، يقولون إن فيها كلاماً عن الجنس والنكاح.. قاتلهم الله!! أي شريعة عند هؤلاء ومن أين جاءوا بها وبأي حق جعلوها حكماً على شرعة رب الأرض والسماء؟؟

لا يريدون شريعة فيها أحكام للنكاح، فليختصوا إذن كلهم لا شأن لنا بهم، فإن شريعة الإسلام جاءت لرجال أسوياء أقوياء ونساء سويات صحيحات، لا للأخصياء ولا للمجبوبين ولا للمسوحين المشوهين!!!

ومما يستشكل به بعض التفهة من أصحاب الشبهات على هذا الحديث، قولهم: أليس في رؤية ابن عمر وهو يفعل هذه الأفعال في مكان "عام" ما يشير شهوات وغرائز الناس؟ وجوابهم يبدأ بتأصيل قاعدة مفادها أن الأحوال الزائدة على ما هو منصوص عليه في واقعة من الوقائع، لا يصح الإلزام بلازم فاسد منها، لأنها أصلاً لم تذكر في المرويات المنقولة في تلك الواقعة! ففي حالتنا هذه، لم يخبرنا الراوي هل كان هؤلاء القوم مجتمعون عند البائع في مكان من الطريق حيث يراهم كل أحد أم كانوا في جانب مستتر. ثم حتى على التسليم بأنهم كانوا في السوق حيث يرى الناس وينظرون، فإنه من المقرر في الشرع أن ما يغلب على الظن وقوع الفتنة به فإنه يمنع وإن كان مندوباً في غير تلك الأحوال. يعني يمنع أن يكون ذلك في مكان عام أمام المارة من الناس..

ففي حاشية الروض المربع على زاد المستقنع عند قول الماتن: "ويباح نظر ذلك، ورأس، وساق، من أمة (4) وذات محرم (5)". قال الشارح: "(4) أمة مستامة، كما لو أراد خطبتها، بل المستامة أولي، لأنها تراد للاستمتاع وغيره، وحسنها يزيد في ثمنها، ولا يجوز النظر إليها بشهوة، وكذا غير المستامة،

وفي الواضحة: ما رأيت بالمدينة أمة تخرج وإن كانت رائعة، إلا وهي مكشوفة الرأس في ظفائرها، أو في شعر محمم، لا تلقي على رأسها جلبابا، لتعرف الأمة من الحرية، إلا أن ذلك لا ينبغي اليوم، لعموم الفساد في أكثر الناس، فلو خرجت جارية رائعة مكشوفة الرأس في الأسواق والأزقة، لوجب على ولي الأمر أن يمنع ذلك"

فالأمة إن كانت يخشى الفتنة بها فإنها تؤمر بستر ما لا يجب على الإمام ستره (كالرأس والشعر والذراع) ويتعين ذلك في حقها.. وهذا في عامة أحوالها وهي تمشي في الأسواق لقضاء حوائج سيدها، فكيف بها وهي تقف ليستام عليها من يريد شراءها، يكشف هذا عن ساقها، ويقلب هذا ثديها، وينظر إليها من غلب على الظن افتتانه بهذا؟ لا شك أن المنع في هذا أولى، وقد يلزم أن يجعل ولي الأمر ذلك البيع في مكان مغلق (كمحلات هذا الزمان)، وهذا ما حصل بالفعل في القرون المتأخرة حيث أصبحت هناك حوانيت تخصص لذلك فيما يسمى بسوق النخاسة. وليس من شريعتنا في شيء ما صوره الكفار في روايات ألف ليلة وليلة من عرض الإمام للناس في الطرقات عاريات والنداء عليهن! إنما هذا ديدن القوم في بلادهم اليوم فيما يسمى بأسواق الجنس، حيث تعرض العواهر والمومسات في الفاترينات لإثارة شهوات الرجال وجذبهم للزنا والدعارة، قبحهم الله ولعنهم!!

أما شراء الإمام عندنا ممن يبيعها - سواء كان تاجرا أو غير ذلك - فإنه ما كان يرخص فيه كشف إلا في الحدود التي تقدم ذكرها، ولا مس ولا تقلب إلا من فوق الثياب، وكل هذا لغاية الشراء، فإن اشتراها صارت له كامرأته، لها ما شرعه الله للإماء من حقوق، وإلا انصرف عنها ولم يجز له التعرض لها بعد ذلك.. وكل هذا مع اشتراط أمن الفتنة لعامة الناس وحرمة التشهي بهذه الأفعال من فاعلها حال فعلها! فبالله أين الثرى من الثريا، وأين هذا من ذلكم؟

ويدعي الرافضة قبحهم الله أن في هذا الفعل من ابن عمر رضي الله عنه خرما للمروءة حيث أظهره على أعين الناس.. ونقول لهم إن دعواكم تلك يلزمكم منها أن تجعلوا تخبؤ الرجل للمرأة الحرة التي يريد نكاحها لينظر منها ما يرغبه في نكاحها = خرما للمروءة كذلك! وأن تجعلوا كشف الفرج بين يدي

الطيب أو القاضي للحاجة الشرعية خرما للمروءة وقدحا في الدين كذلك، وعليه فقس كثيرا مما أبيح على خلاف أصل المنع للحاجة الشرعية تجعلونه خرما وقدحا في فاعله! فأبي تأصيل شرعي هذا؟

بئست العقول عقولكم وبئس الفقه فقهم! ما دام الفعل مشروعاً بخلاف الأصل، فإنه يقدر بمقدار الداعي إليه، ويدور حكمه مع علته وجوداً وعدماً.. وهل الذي جاء في النص أن ابن عمر رضي الله عنه كان لا يمر بقوم يستامون جارية إلا رفع ثوبها وهز ثديها، أراد الشراء أم لم يُرد؟ قاتل الله البغي والجهالة والهوى! فالحاصل أن ابن عمر رضي الله عنه لم يكن عابثاً ولا كان لاهياً فيما فعل، وإنما مثل هذا كمثّل الخاطب يباح له ما لا يباح لغيره للحاجة الشرعية، وينضبط الأمر كله بجملة ضوابط الشرع المطهر.. فالحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله على نعمة العقل، والله نسأل أن يعلمنا ديننا وأن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين.

مداخلة العضو تيم الله على منتدى الألوكة تعقيباً على الرد

السلام عليكم، ما شاء الله! المقدمة التي كتبتها أخي فيها كلام قيم جداً حقيقةً، بارك الله فيك.

بالنسبة لموضوع الشبهة.. عندي ثلاثة أسئلة أخي الكريم لو سمحت:

كما تفضلت فإن موضوع الإمام والأسارى عمومًا موضوع جاء فيه شرح وتفصيل في الكتاب والسنة، والحمد لله رب العالمين.

(1) هل عندنا بينة ثابتة صحيحة من القرآن المجيد أو من السنة النبوية المطهرة بشأن هذا الفعل (فحص الجارية يدويًا) الذي قام به ابن عمر رضي الله عنه ؟

(2) هل قام بمثل هذا الفعل أي من الخلفاء الراشدين المهديين الأربعة أو قال به أو أقره (أبو بكر، عمر، عثمان أو علي) رضي الله عنهم ؟

(3) هل هناك أي إجماع للصحابة بشأن " فحص الجارية يدويًا " علناً أو سراً ؟ أم تفرد ابن عمر رضي الله عنه بهذا الفعل وتابعه عليه من تابعه ؟

جزاكم الله خيراً

تعقيب أبي الفداء صاحب المقال على تيم الله على منتدئ الألوكة

بارك الله فيكم جميعاً وجزاكم الله خيراً .. وأبشروا بما يسرُّكم بإذن الله تعالى.

الأخ الفاضل "تيم الله" أما سؤالك:

هل عندنا بينة ثابتة صحيحة من القرآن المجيد أو من السنة النبوية المطهرة بشأن هذا الفعل (فحص الجارية يدوياً) الذي قام به ابن عمر رضي الله عنه ؟

فإنه قد تلقى فقهاء الأمة هذا الفعل منه رضي الله عنهما بالقبول، وعدوه دليلاً كافياً في المسألة لأنه ليس في الباب سواه كما ترى. فحتي وإن كان الدليل عند هذه المنزلة من قول وفعل الصحابي، فإنه مقدم على القياس.

هل قام بمثل هذا الفعل أي من الخلفاء الراشدين المهديين الأربعة أو قال به أو أقره (أبو بكر، عمر، عثمان أو علي) رضي الله عنهم ؟

إن كنت ترى حجية فتوى وفعل الصحابي فابن عمر من كبار الصحابة وعلمائهم وأحرصهم على تحري السنة.. ولا تقل منزلته في هذا عن ذكرته. والظن به ألا يأتي فعلاً كهذا تهيب الناس منه لما يظهر من مخالفته للأصل الشرعي أو يفتي به = إلا وهو على بينة مما يفعل.

هل هناك أي إجماع للصحابة بشأن " فحص الجارية يدوياً " علناً أو سراً؟ أم تفرد ابن عمر رضي الله عنه بهذا الفعل وتابعه عليه من تابعه ؟

لم ينقل فيها إجماع فيما أعلم، وأنا لم أعرض للترجيح في المسألة.. وإنما نقلت ما نقلت لبيان أن هذا القول قول معتبر لا نكير عليه وعليه جرى العمل وبه أفتى جماهير السلف والفقهاء ولم يظهر له مستنكر أو مشنع لا في الطبقة الأولى (وفيها الخلفاء الراشدون وعلماء الصحابة) ولا فيما تلاها من طبقات الفقهاء، مع وجود المقتضى الواضح لذلك ولنقله إن وجد، فهو عندي حجة وهو مقدم على القياس إن تعارضاً، والله أعلم.

بارك الله فيك أخي الكريم ، لا شك عندي في منزلة ابن عمر رضي الله عنهما، وتحريه للسنة، فهذا ليس موضع بحث فضلاً عن أن يكون موضع خلاف .

إنما لا أرى مانعاً من أن ننظر في المسألة -بدون تعصب أو اتهامات- بردها إلى أصولها في الكتاب والسنة باعتبار أن لا عصمة لابن عمر أو غيره من الصحابة رضي الله عنهم جميعاً (لا أدعي أن ابن عمر أخطأ أو أصاب -وقد يخطيء أو يصيب-، بل لا أعرف للآن مُرادَه)، وذلك حتى نفهم المسألة بشكل منضبط .. وبدون أن نُتهم عندئذ بأننا من الدعاة "لإسلام الدجال الأعور"، بل إني أمقت تلك المحاولات البائسة لتنصير وعلمنة ديننا القيم بما يتلاءم وثقافة العصر .

فعلى سبيل المثال.. تعدد الزوجات وجماع ملك اليمين من الأمور التي نتقبلها بالرضى، وإن حاك شيء في صدورنا منها نرغم أنفسنا للامتثال والإسلام لشرع رب العالمين المجيد، وتكلف الرضى حتى نرضى بعون مولانا الله.. غير أبهين بمن يحاول ردنا عن ديننا القيم، لذا أرجو أن لا يتم تصنيفي ضمن قائمة أولئك الذين يريدون دينا عصرياً يرضي اليهود والنصارى والملاحدة والبوذيين وأهل الأرض من الكفار والمشركين، والله المستعان.

طيب،عندي المزيد من الأسئلة لو سمحت -سدد الله خطاك بالحق:-

(1) هل العلة في أسر نساء الكفار والمشركين ابتداء ومن ثم اتخاذهن إماءً وجوارٍ في بيوت المسلمين هي قضاء شهوة الرجال ؟

بمعنى آخر هل المهمة المنوطة بالجارية هي سد شهوة الرجل مما يستلزم مقاييس جمال جسدية أم هناك مهام أخرى تستلزم الخدمة تستدعي مقاييس أخرى صحية جسدية كذلك ؟

(2) ما سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام في اختيار جوارٍ له وتوزيع أسرى النساء على المسلمين ؟ هل كان يوزعهن هو عليهم، أم كان يترك الاختيار للصحابة فيختارون بالنظر ؟ أم لا يوجد سنة له عليه الصلاة والسلام في المسألة ؟

(3) ما سنة الخلفاء الراشدين المهديين الأربعة وغيرهم من الصحابة ؟ هل وردتنا آثار بهذا الشأن أم لم تردنا ؟

(4) تحدثتم عن الرجال الأصحاء والأسوياء، وأوافقكم فيما رحتم إليه عموماً.. وبناء عليه..

أليس لمس "مفاتن امرأة وجزء من عورتها" وإن من فوق ملابسها لتفحصها من قبل رجل -يريدها شهوة- أمر بحد ذاته مثير لشهوة الرجل إن كان سوي الجِلَّة، وللرجال الأسوياء الذين يشهدون معه ذاك الفحص، فضلاً عن المارة.. وفيه ما فيه من خدش لحياء المسلمات المؤمنات المارات بل وحياء بعض الرجال؟

بل.. إن القراءة عن ذاك المشهد وتصور المراد من ورائه -فحص يدوي بهدف اختيار جارية ذات مقاييس جمالية مناسبة لقضاء الشهوة- فيه ما فيه من الإثارة للأصحاء الأسوياء... وتصور لو أنّ المقاييس لم تعجب "الفاحص" فانتقل لأختها التالية.. وهكذا، ثم اجتمع معه نفر من الرجال يتفحصون مفاتن أولئك النساء الجوّاري وجزء من عوراتهن بما يناسب أذواقهم! بارك الله فيكم.

تعقيب 2 أبي الفداء على تيم الله على متدلى الألوكة

هل العلة في أسر نساء الكفار والمشرّكين ابتداءً ومن ثم اتخاذهن إماءً وجوّارٍ في بيوت المسلمين هي قضاء شهوة الرجال؟

لعلك تقصد "الحكمة".. وأقول: نعم، هو من الحكم التشريعية في ملك اليمين، ولعله على رأس مقاصده، كما أن من مقاصد نكاح الحرائر قضاء الشهوة وإعفاف النفس. فما الإشكال في هذا؟
بمعنى آخر هل المهمة المنوطة بالجارية هي سد شهوة الرجل مما يستلزم مقاييس جمال جسدية أم هناك مهام أخرى تستلزم الخدمة تستدعي مقاييس أخرى صحية جسدية كذلك؟

الجارية مملوكة لسيدها، تفعل كما يأمرها، ما لم يأمرها بإثم أو منكر! فإن أراد رجل شراء جارية لإشباع شهوته، لا يريد لها إلا لهذا، فإنه قطعاً سيبحث عن الحسن وعن الجمال الجسدي، يقدمه على أي اعتبار آخر.. وإن كان مقتدراً ذا مال، فلعله يشتري من الإماء الحسنات مئة.. ولا شيء يمنعه! هذا أمر قد شرعه الله وأباحه، بل إن كثرة الإماء من سنن الأنبياء.. فلا ينبغي لأحد من المسلمين أن يستنكر هذا الأمر على فاعله، أو يتهمة باتباع الشهوات أو نحو ذلك!

فهل تريد تخريجا فقهيا للمسألة، أم تريد رداً مستفيضاً على شبهة من يقولون: "أنتم قوم شهوانيون، ودينكم دين جنس ومتعة"؟؟ فقد حسبْتُ من مشاركتك الآنفه أنك تريد تخريجا فقهيا.. ولكن يبدو لي الآن أنك تريد مزيد بسط في الجواب عن الشبهة.. ولا إشكال عندي في زيادة البسط بعون الله

تعالى، ولكن بين لي مرادك من الآن حتى يستقيم الجواب وتصح سياكته.. والله أسأل أن يسددني وإياك للحق .

وبداية، خذ هذه القاعدة، لعلها تذهب شيئاً مما في نفسك، والله الموفق..

كل شهوة تصرف في حلال، ويتحرى صاحبها تقوى الله في تصرفها فهي عمل صالح يبتغى به الأجر من عنده، مهما كانت وافرة! والفحولة وشدة الشهوة من كمالات الرجال لا يعاب الموصوف بها، وإنما يعاب فاقدها.. فإن رأيت رجلاً معه أربعة نسوة وأربعين جارية من ورائهن فلا تطعن في مروءته ولا تتهمه.. فإن هذا - والله - منقبة له! إن الإمساك بامرأة واحدة والقيام بحقها والصبر على عشرتها = ابتلاء لا يقدر عليه كثير من رجال هذا الزمان.. وما أسهل أن يذهب الرجل ليفرغ ما ابتلاه الله به من الشهوة في الحرام الذي تزين لطالبه عند كل زاوية!!! وها أنت ترى فشو الزنا و"الخيانات الزوجية" في بلاد الكفار أصحاب تلك الشبهات، وفضائح رهبان النصارى الكاثوليك والأرثوذكس - أصحاب بدعة التبتل - من هذا تركم الأنوف!! فهذا الذي من تقواه لربه لم يجد إلا أن يجمع للمرأة أخرى، ثم ثالثة ثم رابعة، وهو يعلم ما يتضاعف عليه من الواجبات والابتلاءات في ذلك = هذا حقه أن نحمده ونثني عليه، لا أن تحدثنا أنفسنا باتهامه بأنه "لا يفكر إلا في الجنس" أو "لا هم له سوى فرجه" أو نحو ذلك من الشنائع!!!

وهذا هو عين ما قررته في مقدمة هذا المقال من التبيه على هذا التشبع في قلوب الأكثرين منا - إلا ما رحم ربك - بفلسفات الكفار - لا سيما النصارى - في مفهوم العفة والنظرة إلى الشهوة والجنس بصفة عامة، والله المستعان !

ومن هذا ما صار شائعاً من تهمة ألصقت إصافاً تاماً بصورة "الحريم" في بيوت أغنياء "العرب"، من أنهم لسن إلا ألعاب للجنس والمتعة، وأن "السلطان" المسلم كان يدخل إلى قسم الحريم ل يتمتع برقص وغناء وطرب ويغرق في الشهوات، بل وربما في "جنس جماعي" و"عري جماعي" وكأنه في بيت دعارة ولا حول ولا قوة إلا بالله! فهذا إن كان قد وقع من بعض الفسقة من السلاطين في تاريخ الأمة فإنه ليس بلازم من الاستزادة من النساء المملوكات في البيت المسلم، بل إنه تصور مخالف لشرائع الإسلام كما هو واضح جداً! ومع ذلك فقد تعلق تلك الصورة الخبيثة بالأذهان من فرط ترويج النصارى وأذئابهم لها في الإعلام والأفلام والروايات، ودخلت في وعي القوم - أو بالأحرى في اللا وعي عندهم - في جملة ما يعاب به من يريد تعديد النسوة! هذا فضلاً عن كراهية المرأة لأن تكون لها ضرة تشارها في زوجها (بناءً على الفكر النصراني أيضاً)، فطابت تلك الفكرة (فكرة اتهام من يعدد

الزوجات والإماء في مروءته) لهاتيك النسوة في زماننا ورؤجن لها، وصار الأمر ظلماً بعضها فوق بعض، والله المستعان !!

لا أتهمك بشيء، بارك الله فيك، فهذا الذي تجده في صدرك، يجده جمهور عريض من المسلمين في زماننا كذلك ويعجزهم سعيهم لهضمه في كثير من الأحيان لأنهم وبكل أسف، كلما حاولوا ذلك، لم يلتمسوا إليه الطريق الصحيح، وإنما سلكوا إليه مسالك دخيلة على الإسلام وأهله!

ما سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام في اختيار جوارٍ له وتوزيع أسرى النساء على المسلمين؟ هل كان يوزعهن هو عليهم، أم كان يترك الاختيار للصحابه فيختارون بالنظر؟ أم لا يوجد سنة له عليه الصلاة والسلام في المسألة؟

هذه مسألة أخرى لا دخل لها بمسألة شراء الإماء.. وأنا أسألك مجدداً: هل تريد شرحاً لباب فقه الرقيق وملك اليمين في السنة أم تريد جواباً للشبهة؟ مسائل الفقه تجدها في مظانها في كتب الفقه، وأنا لم أفتح هذا الموضوع لنقلها والترجيح فيها، وإنما للرد على شبهة أرجو أن أكون قد وفقت في تفنيدها، والله المستعان لا رب سواه.

أليس لمس "مفاتيح امرأة وجزء من عورتها" وإن من فوق ملابسها لتفحصها من قبل رجل -يريدها شهوة- أمر يحد ذاته مثير لشهوة الرجل إن كان سوي الجِلَّة، وللرجال الأسوياء الذين يشهدون معه ذلك الفحص، فضلاً عن المارة.. وفيه ما فيه من خدش لحياء المسلمات المؤمنات بالمارات بل وحياء بعض الرجال؟

قد تقدم - يرحمك الله - أن هذا اللازم المزعوم من الرواية ليس بلازم عند التحقيق، وأن ضابط أمن الفتنة يجب على ولي الأمر أن يعتبره في ذلك.. والظن بابن عمر رضي الله عنه أنه كان أورع وأتقى لله تعالى من أن يفوته مثل هذا الضابط! وأما الاستشكال بأن مس العجز والثدي وكشف الساق قد يثير شهوة الرجل فمعلوم أن الرجال ليسوا على درجة واحدة في ملاك الإرب وضبط النفس.. فآل الأمر إلى ذات الضابط الذي قررناه آنفاً: أمن الفتنة! إن لم يأمن على نفسه من الزلل ومن الوقوع في الفاحشة، فلعله يبعث بامرأة له تنظر تلك الأمة - في مكان مغلق - وتصفها له (كما هو جائز عند الخطبة) قبل أن يشتريها.. ثم حتى وإن وقعت في نفسه شهوة لها حال تفحصها بيده فإنه لا إشكال في هذا ما لم يجره إلى ما لا يحل! فإن التشهي ليس ممنوعاً لذاته وإنما لما قد يفضي إليه.. فهو ممنوع سداً للذريعة..

وأنت يباح لك النظر إلى المخطوبة، وعلى بعض المذاهب يظهر لك منها ما يراه أهل بيتها في العادة، وعلى بعضها أكثر من هذا، وقد تتزين لك مع كونها فاتنة الجمال.. فهب أنه قد وقع في نفسك شهوة من هذا النظر إليها في تلك الحال، فهل تأثم حينئذ؟ كلا.. وأهم من هذا هل يقال بمنع النظر إلى المخطوبة خوفاً من أن تقع الشهوة في نفس بعض الرجال من ذلك؟؟ كلا! هذه ذريعة انفتحت في هذا الحال فقط للحاجة الشرعية. وينبغي أن يضبط نفسه من وقعت في نفسه الشهوة من هذا حتى لا يزين له الشيطان مجاوزة ما يحل له إلى ما ليس له بحق!

فالحاصل أن هذا فعل على خلاف الأصل، معلل بحاجة شرعية، فإن وجدت الحاجة شرع، وإلا منع، وهو محكوم بضوابط أمن الفتنة.. ومن المتقرر أن ما يمنع لسد الذرائع يباح للمصلحة الراجحة.. فلا يستشكل عليه حال إباحته بهذه الأشياء، والله أعلم.

مداخلة العضو وادي الذكريات على منتدى الألوكة

أحسن الله تعالى إليك يا شيخ..

(نظر الرجل للمرأة التي لا تحل له والكشف عن ساقها أمام الناس ، ولمس عجزها وصدورها)

مخالف للقرآن والسنة وإليك الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)

وهذا من تتبع خطوات الشيطان ، لأنه ما في أحد من البشر الأصحاء يلمس ثدي امرأة ويلمس عجزها

ويكشف عن ساقها إلا افتتن بها ، وأثارت الشهوات في نفسه وهذا لا مجال لأحد أن ينكره .

قال الله عز وجل : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَرْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ

بِمَا يَصْنَعُونَ) حكم الله عز وجل على المؤمنين بغض البصر ، وحفظ الفرج وهو عام ، ولا يخص منه

إلا بالدليل الصريح من الكتاب أو السنة.

وقال الله عز وجل : { ولا تقربوا الزنا } ، وقد ورد في الحديث : [العينان تزنيان واليدان تزنيان]

الأدلة من السنة الشريفة :

قال النبي ﷺ: [لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له] الطبراني صححه الألباني ، قالت عائشة رضي الله عنها : [وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها] البخاري .

وهذا هو هدي ﷺ مع الإماماء : [عن أنس قال : جمع السبي يعني بخير فجاء دحية فقال يا رسول الله أعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حبي فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حبي سيدة قريظة والنضير ما تصلح إلا لك قال ادعوه بها فلما نظر إليها النبي ﷺ قال له خذ جارية من السبي غيرها وإن النبي صلى الله عليه وسلم أعتقها وتزوجها] صححه الألباني ، وهذه الآيات القرآنية المحكمة والأحاديث النبوية الشريفة حرمت مجرد لمس المرأة التي لا تحل لنا ، فما هو الدليل الصريح من القرآن الكريم أو السنة الشريفة على تخصيص لمس ندي المرأة وعجزها والكشف عن ساقها وأمام الرجال عند شراء الإماماء ؟

وقولك يا شيخ حفظك الله تعالى [فأقول ما دامت أمة مملوكة فإنها مبتلاة بالصبر على أحوال الإماماء ، ومنها بيعها كالسلعة تباع وتشتري ، وإن كانت مسلمة ! فهل ترى أنت أن الأمة المسلمة لا يجوز بيعها كسائر الرقيق ؟ هات الدليل على هذا !!]

الأمة المسلمة استحلت فرجها بكتاب الله عز وجل لمن يملكها ، فهي تصبر على ذلك ولها الأجر إن شاء الله تعالى .

لكن لم يستحل لمس عجزها وثدييها والكشف عن ساقها أمام الرجال لمن لا تحل له في كتاب الله عز وجل ولا نعلمه في سنة رسوله ﷺ .

تعقيب أبي الفداء على وادي الذكريات على متدني الألوكة

[نظر الرجل للمرأة التي لا تحل له والكشف عن ساقها أمام الناس ، ولمس عجزها وصدرها]

تأمل - سامحك الله - كيف تكون الحيدة في النقاش ! قلت في المشاركة التي عقت أنا عليها ما نصه :
ونحن نقول أن هذا الأثر لا يصح ولا يليق نسبته للصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنه بأي حال من الأحوال ، لأنه : مخالف للقرآن والسنة .

فقلتُ لك - وأنا لا أدري من "نحن" هؤلاء الذين نسبت إليهم هذا القول!!! - إن هذا تقرير تحتاج إلى إقامة البينة عليه، لا أن تستدل به في محاججتي كما صنعت، فهو محل نزاعك معي بالأساس !!
فبالله ما معنى أن يكون جوابك الآن:

[نظر الرجل للمرأة التي لا تحل له والكشف عن ساقها أمام الناس ، ولمس عجزها وصدرها]
مخالف للقرآن والسنة وإليك الأدلة:

وهل تحسب أني أخالفك في هذا الإطلاق ؟ قد تقدم بيان علة الإباحة على خلاف الأصل، وتقدم بيان شرطها وضابطها، وتقدم أن حرمة الحرائر وحرمة الإماء لا تستويان، وكررت لك تكراراً ما ذكرته في المقال من ضرورة مراعاة أمن الفتنة وإخفاء ذلك إن لزم الأمر!! فما وجه إيرادك هذا؟؟؟
الآن عندنا رجل يشتغل ببيع الإماء للناس، وله مكان مخصص لذلك، وهو متجر مغلق لا يرى المار من أمامه ما يحدث داخله، فإذا ما دخل من يريدون الشراء، تعاملوا مع الجارية تعامل الشاري مع السلعة، واستاموا مع البائع على ثمنها.. فدعتهم الحاجة لشيء مما فعله ابن عمر رضي الله عنه وتابعته على مشروعيتها جماهير الفقهاء عبر الأعصار والأمصار.. فهل نمنعه من عرض الإماء للبيع كعرض السلع، أو نمنع الناس من تفحصهن عنده قبل الشراء حتى نأمن الفتنة وخطوات الشيطان؟؟؟ هذا لم يقل به أحد من أهل العلم قط!!!

ثم إن فتح الباب للتشهي على النحو الذي تتصوره ليس بلازم أصلاً، حتى مع هذه الأفعال المذكورة عن ابن عمر! فلو دخل رجل عابث لا يريد الشراء وإنما يريد اللعب فعلى ولي الأمر أن يضبط نظاماً يمنعه من ذلك! وهو أمر يظهر بوضوح! فإن هناك فرقاً لا يخطئه أحد بين من مس مرة واحدة تفحصاً من فوق الثوب ونظر كنظرة من يتأمل ثوباً جديداً أو دابة يريد أن يشتريها (وهو ما صنعه ابن عمر)، وراح يساوم البائع على ثمنها، وبين من أطلق يده للعب والتلذذ، ولا داعي لمزيد من البيان في هذا المعنى يرحمك الله!!

النظر والتأمل في الجارية بما تتحقق به الحاجة عند شرائها مطلب شرعي معتبر كاعتباره في أي سلعة تعرض للبيع! فما ضابط هذا الأمر وما حده عندك ومن أين تأتي به؟؟؟ إن أردنا النظر فيما يباح له وما لا يباح له من فحصها قبل الشراء، فما تقول في هذا وبم تضبطه؟؟ فإنك إن ضيقت عليه في ذلك بدعوى أنها عورة، قلنا: لم نقل بكشف شيء من عورتها أصلاً، إذ ساقها ليس بعورة، بل ثديها نفسه ليس بعورة! وإن ضيقت بدعوى أنها قد تفتنه، أجبناك بما به نجيب من يدعي أن كشف المخطوبة ما تكشفه

لخاطبها قد يفتنه!! ولا تقل إنه قياس مع الفارق، فإن الفارق هنا ليس في علة القياس: ألا وهي استجاسة بعض الأفعال التي يخشى منها الفتنة على خلاف أصل منعها للمصلحة الراجحة.. ولو تأملت

لوجدت أن هذا هو سبب جمع الفقهاء بين المسألتين في بابة واحدة!

فمن المتقرر - كما ذكرت لك من قبل - أن ما يمنع سدا للذرائع يباح للمصلحة الراجحة، فهل عندك إشكال في هذه القاعدة؟؟؟

افهم هذا - بارك الله فيك - وتأمله جيدا، يتبين لك أنه لا مدخل في مسألتنا هذه لشيء مما سقته إلي من أدلة تحريم النظر والمس!! ذلك أنه لا يُستدل على عدم مشروعية مخالفة الأصل في حال مخصوصة (يدعي مخالفتك أن النص والقياس يخصصانها)، بإثبات هذا الأصل نفسه! ثم بالله ما وجه إيرادك هذا الحديث هنا؟:

وهذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع الإماء: [عن أنس قال: جمع السبي يعني بخير فجاء دحية فقال يا رسول الله أعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير ما تصلح إلا لك قال ادعوه بها فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم قال له خذ جارية من السبي غيرها وإن النبي صلى الله عليه وسلم أعتقها وتزوجها] صححه الألباني.

هل هذا في شراء الجارية والاستيلاء عليها؟ وعلى أي حال فأقول لك لو أعجبتك الأمة من نظرة واحدة فقد تحقق المطلوب بمجرد هذا ولا يصح الزيادة عليه، تماما كما نقول في النظر للمخطوبة، فإن لك أن تنظر إليها مرة بعد مرة، ولكن إن تحقق المراد من أول مرة فليس لك الزيادة!! فالشيء عندما يكون مباحا على خلاف الأصل لحاجة معتبرة، فإن حكمه يرجع إلى الأصل بمجرد أن تنال تلك الحاجة! فالآن هب أن رجلا فاسقا أصر على الزيادة التي يعلم أنها ليست له (إذ وقع في نفسه أنه يريد هذه المرأة)، بل وأخذ يتلذذ بما يظهر له منها، فهل نمنع نظر الخاطب للمخطوبة تحسبا من هذا؟؟؟ فالحاصل أنك تقول ما الدليل على صحة ما فعله ابن عمر، وأنا أقول لك إن فعل ابن عمر في حد ذاته دليل، وقد اعتبر به أئمة الفقه ووافقه عليه من وافقوه ولم ينكر عليه أحد من الصحابة أو التابعين لا من باب الشرع ولا من باب العرف ولا من باب المروءة ولا من أي باب آخر!! فأخرج لي نصا واحدا فيه استنكار أو استقباح من أحد من الصحابة في طبقة ابن عمر أو من السلف في أي قرن من القرون الثلاثة الفاضلة، بل وما تلاها من القرون المتأخرة = يمكن أن يبتغى به إسقاط الحديث ورد

كلام الفقهاء تحته كما تروم أنت !!!!

تقول:

لكن لم يستحل لمس عجزها وئديها والكشف عن ساقها أمام الرجال لمن لا تحل له في كتاب الله عز وجل ولا نعلمه في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم

فأقول لك: قد استحل في تلك الأحوال من هو أفقه مني ومنك بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا مزيد عندي على ذلك! وأرجو ألا تضطر للتكرار فإنه لا طائل منه إلا الملالة وإضاعة الجهد والوقت، والله المستعان! والله الموفق لحسن الفهم وهو الهادي إلى سبيل الرشاد.

﴿ مداخلة 2 العضو وادي الذكريات على منتدى الألوكة ﴾

سلمك الله تعالى يا شيخ ووفقك لكل خير بخصوص كلامي السابق أنا قلت لك الأثر وأقصد الفعل الموجود في الأثر مخالف للكتاب والسنة، وهذا حق،، وما الحيدة في ذلك؟! كان الواجب عليك أن تأتي بالأدلة ولو دليل واحد في كتاب الله أو سنة النبي ﷺ يبيح للرجل لمس ثدي الأمة وعجزها ويكشف عن ساقها!! عند شرائها!! فإن لم تأتي به فعرف أن هذا الفعل المذكور في الأثر المزعوم مخالف للقرآن والسنة وليس فيه دليل واحد من الكتاب والسنة يخصص جواز هذا الفعل من عموم التحريم.

وما الدليل على أن ثدي الأمة وساقها عندك ليس بعورة؟! هل هو قول الفقهاء! بارك الله فيك لو تأملت في كلامك من أوله لآخره لعلمت أنك كثيراً ما تقول: يحل له، يجوز له، يحرم عليه، وتحدد العورة وغير العورة ولم تذكر آية قرآنية واحدة، أو حديث نبوي شريف! وتذكر أنك ترد على شبهة! واسمح لي أن أبين لك من كلامك مواضع التكلف، وافهم هذا ولا تغتر بمن يؤيدك، وديننا والله الحمد لا يحتاج أن أتكلف له.

قولك [فهل نمنعه من عرض الإمام للبيع كعرض السلع، أو نمنع الناس من تفحصهن عنده قبل الشراء حتى نأمن الفتنة وخطوات الشيطان؟؟ هذا لم يقل به أحد من أهل العلم قطّ !!!]

وقولك: [وهذا العمل، أعني الكشف عن الأمة والنظر إليها ومسها من فوق الثياب عند إرادة شرائها، لا

خلاف في مشروعيتهيين أهل العلم [اهـ

أنت لم تحط علمًا بكل أقوال الفقهاء ، ولا تقل قط !!! قاله ابن حزم في المحلى ، مع أنه صحح الأثر عن ابن عمر رضي الله عنه .

قال ابن حزم : [ومن أراد أن يتزوج امرأة حرة أو أمة ، فله أن ينظر منها متغفلاً لها وغير متغفل إلى ما بطن منها وظهر ، ولا يجوز ذلك في أمة يريد شراءها . ولا يجوز له أن ينظر منها إلا إلى الوجه والكفين فقط ، لكن يأمر امرأة تنظر إلى جميع جسمها وتخبره ، برهان ذلك : قول الله عز وجل : { قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم } فافترض الله عز وجل غض البصر جملة ، كما افترض حفظ الفرج ، فهو عموم لا يجوز أن يخص منه إلا ما خصه نص صحيح ، وقد خص النص نظر من أراد الزواج فقط [اهـ

وقولك : [هو قول جماهير السلف والخلف استناداً على هذا الأثر بعينه عن ابن عمر رضي الله عنه ، دونما استنكار ولا استقباح ولا شيء من هذا ، والحاجة تدعو إلى ذلك كما هو واضح] وفقك الله تعالى للحق ، لا داعي للتهويل ، فرق بين جماهير السلف وجماهير الفقهاء !! ولو كان الأمر من أجل الحاجة تدعو إلى ذلك : لقلنا أن الأولى أن يكشف عن فرجها لأنها قد تكون خنثى ! قولك : [قولهم : أليس في رؤية ابن عمر وهو يفعل هذه الأفعال في مكان " عام " ما يشير شهوات وغرائز الناس ؟ وجوابهم يبدأ بتأصيل قاعدة مفادها أن الأحوال الزائدة على ما هو منصوص عليه في واقعة من الوقائع ، لا يصح الإلزام بلازم فاسد منها ، لأنها أصلاً لمتذكر في المرويات المنقولة في تلك الواقعة ! ففي حالتنا هذه ، لم يخبرنا الراوي هل كان هؤلاء القوم مجتمعون عند البائع في مكان من الطريق حيث يراهم كل أحد أم كانوا في جانب مستتر . ثم حتى على التسليم بأنهم كانوا في السوق حيث يرى الناس وينظرون ، فإنه من المقرر في الشرع أن ما يغلب على الظن وقوع الفتنة به فإنه يمنع وإن كان مندوباً في غير تلك الأحوال . يعني يمنع أن يكون ذلك في مكان عام أمام المارة من الناس] اهـ

وقولك : [فكيف بها وهي تقف ليستام عليها من يريد شراءها ، يكشف هذا عن ساقها ، ويقلب هذا نديها ، وينظر إليها من غلب على الظن افتتانه بهذا ؟ لا شك أن المنع في هذا أولى ، وقد يلزم أن

يجعل ولي الأمر ذلك البيع في مكان مغلق (كمحلات هذا الزمان)، وهذا ما حصل بالفعل في القرون المتأخرة حيث أصبحت هناك حوانيت تخصص لذلك فيما يسمى بسوق النخاسة]

وقولك : [الآن عندنا رجل يشتغل ببيع الإمام للناس، وله مكان مخصص لذلك، وهو متجر مغلق لا يربالمر من أمامه ما يحدث داخله، فإذا ما دخل من يريدون الشراء، تعاملوا مع الجارية تعامل الشاري مع السلعة، واستاموا مع البائع على ثمنها.. فدعتهم الحاجة لشيء مما فعله ابن عمر رضي الله عنه وتابعته على مشروعيته جماهير الفقهاء عبر الأعصار والأمصار]

الكلام على صحة نسبة الأثر بآرك الله فيك وليس على الحكم، فلا داعي لأن تقول : لولي الأمر إذا رأى فتنة في ذلك فإنه يفعل كذا وكذا، وإلا لكان فعل ابن عمر رضي الله عنده في الفتنة ما يجعلنا نستحي أن نبيع للمسلمين ذلك!!! والمرويات التي نقلتها أنت عن ابن عمر فيها :

[أنه وجد تجارا مجتمعين على أمة فكشف عن بعض ساقها ووضع يده على بطنها]

[مر بن عمر على قوم يتناعون جارية فلما رأوه وهم يقلبونها أمسكوا عن ذلك]

[كنت مع بن عمر في السوق فأبصر بجارية تباع فكشف عن ساقها وصك في صدرها وقال اشتروا يريهم أنه لا بأس بذلك]

حتى أنت نفسك قلت : [قلت (أبو الفداء) فتأمل هذه الروايات يتبين لك منها أن فعل ابن عمر رضي الله عنه في تلك الواقعة أمام هذا الجمع كان ليان المشروعية، وحتى لا يتهيوا من أمر هو مشروع لهم .

وقد كان رضي الله عنهما من أحرص الصحابة على اتباع سنة النبي ﷺ ومن أشد الناس فيها كما هو معلوم، فليس الظن بمثله رضي الله عنه أن يحملهم على فعل مخالف للأصل على هذا النحو ما لم يكن على بينة من مشروعيته]

لماذا تقول بمنعه وفقك الله، وأنت تثبت أن عبد الله بن عمر فعل ذلك، أمام التجار؟ فهل ولي الأمر الآن أحرص على عدم افتتاح المسلمين بالإماء من الصحابي الجليل عبد الله بن عمر؟! لئن كان هذا الفعل ثابت عندك عن عبد الله بن عمر من وضع يده على عجزها وتهيئها أمام التجار في السوق، فما الذي يمنع ولي الأمر أن يمكن المسلمين من ذلك إلا إذا كنا أحرص على الخير وعلى عدم فتنة المسلمين من عبد الله بن عمر!! وتكون النتيجة إن أثبت هذا الأثر بسائر طرقه فيكون هذا الأمر ليس فيه

أي فتنة وإلا لكان ابن عمر الذي هو من أئمة الناس لمنع المسلمين من فعل ذلك ، ولم يؤيدهم على ذلك.. وتكون النتيجة هي هذه الصورة : في السوق تجد رجال يفحصون بطن هذه الأمة أمام الناس ، وغيرهم يكشفون عن ساق أخرى ، وغيرهم يضعون أيديهم على عجز أخرى وهكذا!!!....

وكيف نقول : " يخشى الفتنة بها " والفتنة واقعة لا محالة فهل يوجد رجل يلمس عجز امرأة وثدييها ويكشف عن ساقها ولا يفتن!!! وإن كان هذا هو الفعل حقاً فما الفرق بين ما أنكرته في حوادث ألف ليلة وليلة وهذا الفعل؟ والمترتب على هذه الآثار ونتيجة قولك بأنه ثدي الأمة ليس بعورة وساقها سيكون أسوأ مما في ألف ليلة وليلة!! اعذرني يا شيخ فلا داعي الترقيع ولا التكلف!! ودين رب العالمين أعظم من أن نتكلف له وقولك : [أما شراء الإماء عندنا ممن يبيعها - سواء كان تاجراً أو غير ذلك - فإنه ما كان يرخص فيه كشف إلا في الحدود التي تقدم ذكرها، ولا مس ولا تقليب إلا من فوق الثياب، وكل هذا لغاية الشراء] وهل بعد لمس عجز المرأة شيء وفقك الله ؟ وهل بعد لمس ثدييها شيء؟! وكشف ساقها شيء؟!!

يا شيخ حفظك الله تعالى قلت : [فإن اشتراها صارت له كامرأته، لها ما شرعه الله للإماء من حقوق، وإلا انصرف عنها ولم يجز له التعرض لها بعد ذلك.. وكل هذا مع اشتراط أمن الفتنة لعامة الناس وحرمة التشهي بهذه الأفعال من فاعلها حال فعلها! فبالله أين الثرى من الثريا، وأين هذا من ذلك؟]

ثم قلت : [ثم حتى وإن وقعت في نفسه شهوة لها حال تفحصها بيده فإنه لا إشكال في هذا ما لم يجبره إلى ما لا يحل! فإن التشهي ليس ممنوعاً لذاته وإنما لما قد يفضي إليه.. فهو ممنوع عسداً للذريعة]

ما هذا التناقض؟! نريد إجابة واضحة،، هل إذا اشتهاها وهو يتفحص جسدها يحرم أو لا يحرم؟! ويا شيخ أي أمن من الفتنة في رجال يرون امرأة أمامهم تقلب ويلمس عجزها وثدييها أمام الناس!! هذا من المحال!! وكيف لا يكون في هذه الأفعال تشهي! من فاعلها حال فاعلها!! هل يعقل أن الرجل يضع يدها على عجز المرأة وثدييها ويكشف عن ساقها ونقول له إذا اشتهيته يكون ذلك حرام!!!

أما قولك : [فأقول لك: قد استحلله في تلك الأحوال من هو أفقه مني ومنك بكتاب الله عز وجل وسنة

رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا مزيد عندي على ذلك! [اهـ
 أنت والله يا شيخ أفقه مني ولا يوجد أصلاً مقارنة. لكن أقول لك أيضاً أنكروه من هو أفقه منك بكتاب
 الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وهو الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى ومعه الأدلة في حين أن غيره من
 الفقهاء ممن أباحوا ذلك الفعل ، لم يذكروا دليلاً واحداً من كتاب الله عز وجل او سنة رسوله ﷺ.

تعقيب أبي الفداء على وادي الذكريات على متدني الألوكة

كان الواجب عليك أن تأتي بالأدلة ولو دليل واحد في كتاب الله أو سنة النبي صلى الله عليه وسلم يبيح
 للرجل لمس ثدي الأمة وعجزها ويكشف عن ساقها!! عند شرائها!! فإن لم تأتي به فعرف أن هذا
 الفعل المذكور في الأثر المزعوم مخالف للقرآن والسنة وليس فيه دليل واحد من الكتاب والسنة
 يخص جواز هذا الفعل من عموم التحريم.

قد ذكرت لك ما أراه دليلاً مخصصاً كما رأته جماهير الفقهاء، والله لم يكن هذا بغية الترجيح أصلاً،
 ولكن لدفع التهمة القادحة في ابن عمر رضي الله عنه.. فلو كان ابن عمر قد أخطأ في هذا وخالف
 الكتاب والسنة، وتوهم مشروعية فعل كهذا بلا دليل، فما بال جماهير الفقهاء (من التابعين فمن
 دونهم) من بعده تستجيز هذا الفعل مثله - على شناعته التي تقول بها - (بدون دليل من الكتاب
 والسنة) كما تدعي؟؟؟ إن كنت يا سيدي لا ترى الدليل إلا النص الصريح في القرآن أو في كلام النبي
 ﷺ، فهذا شأنك وشأن الإمام ابن حزم رحمه الله ومن وافقه من بعده ولا يلزم مني! وليس بفقد هذا
 النص الصريح الذي تطلبه يستدل - عندي - على أن من الصحابة والتابعين والقرون الثلاثة الفاضلة
 من أنكروا هذا القول على ابن عمر ومن وافقه أو استقبلوه كما تذهب أنت! فإن مثل هذا الاستنكار لو
 وقع للزم أن ينقل إلينا عن الصحابة والتابعين تترأ، لا أن نجد الأثر لا يأتينا عنهم إلا بالموافقة كما
 ترى!! وهذا دليلي على أنهم لم يجدوا ما تجده أنت من اللوازم القادحة في هذا الفعل.. فهل ترد مثل
 هذا الدليل لأنه ليس من الكتاب والسنة؟!

بارك الله فيك لو تأملت في كلامك من أوله لأخبره لعلمت أنك كثيراً ما تقول: يحل له، يجوز له، يحرم
 عليه، وتحدد العورة وغير العورة ولم تذكر آية قرآنية واحدة، أو حديث نبوي شريف! وتذكر أنك ترد
 على شبهة! واسمح لي أن أبين لك من كلامك مواضع التكلف، وافهم هذا ولا تغتر بمن يؤيدك،
 وديننا والله الحمد لا يحتاج أن أتكلف له.

نعم أذكر أني أرد على شبهة وظني أن ما أوردته من أدلة لهذه الغاية يكفي، والله تعالى أعلم. فإن كنت أنت لا تقول بتلك القواعد ولا ترى دلالة في مثل ما استدلت أنا به، فأنا أطلبك بألا تشنع على مخالفيك، لأنهم جمهور السلف والأئمة عبر قرون الأمة بما فيهم ابن عمر رضي الله عنه، ولم ينقل لنا طعن ولا تشنيع على هذا المذهب من معاصريه رضي الله عنه كما بينت لك - مع ظهور مقتضى نقله إن وجد كما ترى - فلا يكن سعيك في جواب الشبهة بما يشين الأولين ممن يخالفونك من حيث تحسب أنك تنتصر للقرآن والسنة، فتنبه لهذا المعنى جيداً يرحمني الله وإياك، فهو بيت القصيد وغاية المراد عندي، والله المستعان!

وأقول إن مجرد دعوى غفلة هذه الأمة من الفقهاء عن تلك اللوازم التي تلزمهم أنت بها من الأخذ بهذا الحديث طعن واضح في مروءتهم، بصرف النظر عما إذا كان الحق في المذهب المأخوذ من هذا الحديث أو في خلافه!! لو كان الأمر كما تقول حقاً فكيف استأجره هؤلاء الخلق جميعاً وكأنهم استطابوا تقليد ابن عمر تشهياً لما جاء به على شناعته؟؟ أين ورعهم وأين علمهم بالكتاب والسنة، وأين وأين وأين؟؟ هذا يا أخي الفاضل هو عين متمسك الروافض وأذنانهم للطعن على أهل السنة وفقه أهل السنة، فتأمل وتمهل ولا تعجل يرحمك الله. لم أغتر بمؤيد ولا بغيره، ونعوذ بالله من ذلك.. (ولا أدعي العصمة من حظ النفس، نسأل الله العافية والمعافاة) ولكن لا أرى في شيء مما جئت بك به تكلفاً! فإنني لا أنتصر ولا أعتذر لمذهب شاذ ولا لقول ساقط لا وزن له، فأحتاج إلى تكلف كلام لا دليل عليه!..

قال ابن حزم: [ومن أراد أن يتزوج امرأة حرة أو أمة، فله أن ينظر منها متغفلاً لها وغير متغفل إلى ما بطن منها وظهر، ولا يجوز ذلك في أمة يريد شراءها. ولا يجوز له أن ينظر منها إلا إلى الوجه والكفين فقط، لكن يأمر امرأة تنظر إلى جميع جسمها وتخبره، برهان ذلك: قول الله عز وجل: ﴿مَحْضٌ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ فافترض الله عز وجل غض البصر جملة، كما افترض حفظ الفرج، فهو عموم لا يجوز أن يخص منه إلا ما خصه نص صحيح، وقد خص النص نظر من أراد الزواج فقط] اهـ

للفائدة: هذا النقل عن ابن حزم رحمه الله فيه اضطراب وإشكال ألجأ كثيراً من إخواننا الظاهرية إلى تأويله، أو إلى تلمس مذهب ابن حزم رحمه الله في المسألة في نص غيره.. ولعل سبب ذلك الاضطراب سقط أو تصحيف. وبيان ذلك ما تراه في الشطر الذي علمت عليه بالأحمر! فإنه يظهر منه أن للخاطب

أن يرى من المخطوبة كل شيء، ما ظهر وما بطن، متغفلاً وغير متغفل، وهذا ليس مذهب ابن حزم في المسألة أصلاً (على الصحيح)!! بل إن ظاهره لو تأملت أنه يجعل للأمة المستامة عند شرائها من الحرمة ما لا يجعله للحررة عند خطبتها، فهل هذا يصح أو تزعم أنت أنه مذهب رحمه الله؟؟؟

فرق بين جماهير السلف وجماهير الفقهاء!!

صدقت! وقد طالبتك بالإتيان بما يفيد أن السلف الأول (الصحابه والتابعين) استنكروا مذهب ابن عمر هذا فلم تأت بشيء.

ولو كان الأمر من أجل الحاجة تدعوا إلى ذلك: لقلنا أن الأولى أن يكشف عن فرجها لأنها قد تكون ختني

إذن فعلى مذهبك يقال كذلك: لو كان النظر إلى المخطوبة من أجل الحاجة، لقلنا يرى فرجها أولى!!! ما هكذا تورد الإبل يا أخي!

فلا داعي لأن تقول: لولي الأمر إذا رأى فتنة في ذلك فإنه يفعل كذا وكذا، وإلا لكان فعل ابن عمر رضي الله عنده في الفتنة ما يجعلنا نستحي أن نبين للمسلمين ذلك!!!

راجع - فضلا لأمر - مشاركتي السابقة والتي تسبقها، فإنه ليس فيهما ما يفهم منه أن هذا الفعل يلزم منه وقوع الفتنة، ووقوعها إن وقعت لا يعني اللزوم! فهل تفهم هذا المصطلح يا أخي الفاضل (مصطلح: "اللزوم" و "يلزم منه") أم ماذا؟ كل ما بنيته أنت بعد ذلك على هذا المعنى من كلام فيما قررته أنا من مناط تقييد ولي الأمر لهذا الفعل (وليس منعه مطلقا) = لا يلزمني في شيء!

ما هذا التناقض؟! نريد إجابة واضحة، هل إذا اشتهاها وهو يتفحص جسدها يحرم أو لا يحرم؟!

ليس هناك تناقض والله الحمد.. فعبارتي الأولى هذا نصها:

وكل هذا مع اشتراط أمن الفتنة لعامة الناس وحرمة التشهي بهذه الأفعال من فاعلها حال فعلها

فالمراد حرمة أن يذهب الرجل ليتلذذ بذلك، أراد الشراء أم لم يرد.. أما إن وقع له تلذذ - وهذا وارد كما قد يرد على من يذهب ليخطب امرأة فاتنة الجمال - فإنه يُعفى عنه لدعوى الحاجة إلى هذا الفعل، والأمر يرجع إلى المنع بمجرد زوال الداعي لمخالفة الأصل.. وهذا بيان قولي الثاني:

ثم حتى وإن وقعت في نفسه شهوة لها حال تفحصها بيده فإنه لا إشكال في هذا ما لم يجرها إلى ما لا يحل! فإن التشهي ليس ممنوعا لذاته وإنما لما قد يفضي إليه.. فهو ممنوع عسدا للذريعة

والشطرن الذي علّمت عليه بالأحمر يدفع أي توهم للتناقض أصلاً، فلا أدري كيف أغفلته، بارك الله فيك!

أنت والله يا شيخ أفقه مني ولا يوجد أصلاً مقارنة

والله يا أخي الكريم ما كان هذا مرادي .. وإنما أردت أن أحذرك من لوازم ذهابك إلى التشنيع على هذا المذهب بما تدعيه من لوازم للقول به، فهو مذهب الجماهير من أئمة لا أبلغ أنا ولا أنت شراك نعل أحدهم في العلم والفقه والورع .. وحتى من خالفوا هذا القول لم يشنعوا بمثل هذه اللوازم عليه... فتأمل هذا المعنى يرحمني الله وإياك.

إن كنت لا ترى دليلاً مع هؤلاء بما فيهم ابن عمر رضي الله عنه، إذ الدليل عندك ليس إلا النص الصريح، فهذا مذهبك وهو لا يضير من خالفوك في شيء .. إنما الذي يضيرني ويضيرهم جميعاً أن تتعلل لمذهبك بهذه اللوازم الشنيعة التي ما كتبتُ أنا موضوعي هذا إلا لدفعها وتفنيدها، ثم تسوق إلينا كلام ابن حزم وكأنه يوافقك .. فإن ابن حزم نفسه لم يلزم مخالفه بهذه اللوازم، والله المستعان ! على أي حال، قد قلتُ ما عندي وقلتُ أنت ما عندك، ولا أحب أن تضيع ثمرة الموضوع من هذا الجدل، ولا أن ينقلب إلى جدال مذهبي، فما لهذه الغاية فتحته، بارك الله فيك وغفر لي ولك.

رسالة: إفحام أعداء الملة بتحقيق مراتب الأدلة

الحمد لله الذي أنعم على بني آدم بنعمة العقل والنظر.. وسوى نفوسهم فألهمها فجورها وتقواها فلا يعسر على عقل عاقل تمييز حجة الحق فيما يأتي من الخطاب وما يذر، ثم بعث المرسلين بحجة الحق الناصعة التي لا يتطرق إلى كل عاقل يسمعها سبيل شك ولا ارتياب فيما يعقل البشر..

وصلّى الله وسلم على خاتم المرسلين، حجة الحق الظاهر على العالمين، الذي بُعث بالمحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا من كان من الهالكين .

أما بعد فإنه قد تكاثرت في ساحات المتدييات والمدونات في هذا الزمان كما لا يخفى كتابات لبعض شباب المسلمين ممن حسنت نيتهم وقّل علمهم في باب الرد على شبهات المستشرقين والملاحدة وأعداء الدين. وفي الحقيقة فإن الناظر المحقق في تلك الردود على كثرتها وإسهابها وانتشارها في أنحاء الشبكة العنكبوتية، لا يفوته ملاحظة أن الكثرة الكاثرة منها إنما عمد أصحابها إلى النزول إلى ذات المرتبة من الأدلة التي يستعملها هؤلاء المجرمون في التشغيب على الحق وأهله، ظنا منهم بأن هذا من قبيل التنزل مع المخالف الذي هو طريقة من طرائق الجدل والمناظرة، وبأنه يفضي إلى إبطال الشبهة بما يحسم المسألة وينهي فيها الكلام! وهذا مما يؤسف له في الحقيقة، وهو من تأثر القوم بطرائق كتاب اللاهوت الدفاعي عند النصاري، لا سيما طرائق النصاري في الرد على شبهات الملاحدة كما سيأتي التمثيل عليها. ولهذا فإنه كان ولا يزال هذا النثار الكثيف من الكتابات في ذلك الباب يأتي بثمار لا تحمد في أكثر الأحيان، من حيث إيهامه - ولو بالإيحاء المجرد - ضعف العقل والعلم والدين بأن تلك التخرصات والتفاهات التي يثيرها هؤلاء المجرمون على الحق لها حظ من النظر، وبأنها ترقى - بالجملة - إلى منزلة (الإشكال) العلمي الحقيقي بالدراسة والبحث، وإلا فلماذا سُودت فيها كل تلك

الصفحات من المناقشة والجدل والمجادبة، تخوض فيها الأقلام من كل حذب وصوب؟ وأقول إن هذا الإيحاء في مجرده إنما هو مغنم عظيم لأصحاب تلك الشبهات عند التأمل! وإلا فهل كان أحد من أهل الإلحاد - على سبيل المثال - يحلم في أي قرن من قرون هذه الأمة قبل زماننا هذا، بأن يصبح في البلاد كاتباً مفوها يقعده الناس في مقعد المناظرة والمناقشة، يرفعونه إلى منزلة المفكر الكذا والكذا، ويتكلف المسلمون عناء الرد عليه؟؟ وهل كانوا يحلمون بأن تفرد صفحات ومؤلفات كاملة للرد على هرائهم المحض وعلى جحودهم البين على نحو ما يرون في هذا الزمان؟؟ وهل كانوا يحلمون قبل هذا الزمان بأن يضطر أقوام من العلماء وطلبة العلم المسلمين - وما أدراك ما العلماء وما طلبة العلم! - إلى الانتصاب للرد على قوم يقول قائلهم: أنا سليل القردة، لم يخلقني خالق ولا أصير بعد موتي إلا عدماً؟؟ كلا والله، ولكنه هو ذاك الزمان الفتان الذي أنبأ به سيد المرسلين من قبل، فاللهم سلم سلم! فلما كان ذلك كذلك، رأيت ضرورة تأليف مبحث موجز في بيان أصل الخلل العقلي والنفسي الذي يحمل هؤلاء المجرمين المكابرين على رد حجة الحق من بعد ما قامت عليهم على نحو ما نرى، وعلى التمسك بملل داحضة في موازين العقل وهم يعلمون، ومن ثم توجيه شباب المسلمين إلى أقوم السبل وأقصرها وأقربها إلى سبل الأنبياء والمرسلين في دحض ذلك الهراء كله جملة واحدة، وفي إرجاع الأمور إلى نصابها الصحيح، لا سيما لدى المشتغلين بفلسفات العلوم المعاصرة والمهتمين بالنظر في العلوم الطبيعية منها بصفة خاصة. ولسوف يرى القارئ المسلم - بإذن الله تعالى - في أثناء تلك الرسالة أنه لم تحظ أمة من أمم البشرية بما حظيت به أمة الإسلام من أصول عقلية وعلمية تامة الأحكام، للنظر العلمي في نصوص دينها، ولسوف يرى القارئ من أي ملة كان كم هي حاجة فلاسفة العلوم في هذا الزمان - وفي كل زمان - إلى تأسيس بنيانهم على أصول الفقه عند المسلمين والانضباط بها، وأنه لو صدق نفسه وأخلص في طلب الحق لما وسعه أن يماري في شيء مما نقرره عبر تلك الورقات اليسيرات، والله الهادي إلى سواء السبيل .

فأقول ومن الله العون والتوفيق، إن العاقل من عرف مقادير الأدلة وأحسن نصب الميزان لها، فلم يقدم إلا ما حقه التقديم، ولم يؤخر إلا ما حقه التأخير، ولم يرفع ظناً فوق قطع، ولا ساوئ بين مختلفين،

ولا خالف بين متساويين، ولا قاس بغير علة، ولا أبطل قياساً جلياً، ولا رجّح في محل الجمع، ولا جمع في محل الترجيح، ولم يشتبه عليه دليل لا يختلف العقلاء في ضعفه فقواه، ولا دليل لا يخالف العقلاء في قوته فوهّاه.. فإنما الحكمة وضع الشيء في موضعه عند حده ومنتهاه، والله الهادي إلى الرشاد لا رب سواه .

إن هذا القدر من التمييز بين مراتب الأدلة لا يختلف فيه العقلاء من أهل صناعات العلوم أياً ما كان موضوعها، سواء الشرعية منها والدنيوية، وهو محل إجماع لا يخرقه من أهل الأرض إلا جاهل أو غوي. فإذا ما تعرض الباحث - في أي حقل من حقول المعرفة الإنسانية - لمسألة يتنازعها من الأدلة ما يتفاوت في قوة الدلالة، فإنه يعمل من طرائق النظر العقلي والفلسفي ما اتفق عليه أهل صناعات العلوم من تقديم القوي على الضعيف، والمجمع عليه على المختلف فيه، وضرورة العقل على ما دونها، ولا يخالف في ذلك عاقل قد عرف أصول العلوم والعقليات أو تمرس في شيء من ذلك. ولو أنك سألت عالماً من أي علم من العلوم البشرية أياً كان، عن قوله في هذا الأصل الأصيل والركن الركين من أركان النظر العقلي، لما خالفك في صحته ولما ظهر لديه أي اعتراض عليه. ولكن العبرة بعد بالتطبيق والتحقيق، فما أكثر الأدعياء وما أعزّ البيّنات !

ولأن حجة الحق إذا ما ظهرت، دمغت وهدمت عروش الباطل وأهله، فقد مضت سنة الله في كونه أن كان أئمة البدعة والانحراف والزيغ في سائر أمم البشر وعبر جميع أعصار المعرفة البشرية قاطبة، يتعلّقون ببعض الأدلة ويتركون بعضها، لموافقتها أهواءهم وأغراضهم، يعتقدون أولاً ثم يرومون الاستدلال لما اعتقدوه! فلا يسلكون سبيل الحكماء في صنائع العلوم من جمع سائر ما يرقى للدلالة في المسألة المنظورة، للنظر في كيفية استخراج الدلالة من مجموع الأدلة على نحو ما يشهدون على أنفسهم بوجوبه في حق كل ناظر، وإنما يقتصرون على دليل ما أو على فئة من الأدلة بعينها دون غيرها، وقد عرفوا - من بعد جهل أو من بعد إصرار على اتباع الهوى - أن ما معهم من أدلة لا يكفيهم ولا يقيم لهم حجة فيما يدعون. وإنما أصروا على غمط الحق والتنكر لما عند مخالفهم من الأدلة، والعمل على توهينها والتنقص منها بلا بينة ولا برهان، لأنهم عرفوا - بل تيقنوا - أن في تلك الأدلة ما يهدم لهم دعواهم المنحرفة، ويثبت بطلان ما عقدوا لأنفسهم من معاهد الاعتقاد والدين ويذهب ما

جمعوا لأنفسهم من ثناء الخلق والتصدر بين العامة والجاهلين .

وقد عرفنا من صنوف ذلك وألوانه في أهل الملل والنحل في هذه الأرض ما تطفح به كتب التاريخ وكتب العقائد والفلسفات، وقد رأينا منه في أمتنا في أهل القبلة كذلك في طوائف أهل البدع، كما جرت سنة الله في سائر الأمم، على درجات ومراتب شتى يعرفها أهل العلم والتحقيق من لحون أصحابها، يميزونها في أقوال الناس كما يميز الصائغ المحنك بخس الجواهر من نفيسها .

فمن ذلك أنك ترى سائر طوائف المبتدعة من أهل القبلة يتمسك كل فريق منهم بشطر من النصوص في باب بدعتهم ويهمل أو يتأول ما سواها على غير وجهه الصحيح، فمنهم من بلغت مخالفته وبدعته أن رد شطرا من مصادر تلقي التشريع التي لا حجة لمن ردها البتة، لأنه لا تستقيم له بدعته إلا بذلك، ولو أنهم تجردوا من هوى النفس لجمعوا سائر أدلة الباب إلى بعضها البعض ولبرأوا من تلك البدع !

ومن ذلك أنك ترى النصاري يفترون ويختلفون فيما بينهم على ملل وطوائف شتى، يتنازعون في تفاصيل الأَقْنوم وحقيقته، وفي علاقة الروح القدس بالآب والابن، وفيما إذا كانت الروح قد انبثقت من الآب وحده أم من الآب والإبن جميعا، وفي طبيعة العلاقة بين اللاهوت والانسوت، وغير ذلك مما لا أثاره عليه من دليل أصلا (إلا ما اصطنعوا لأنفسهم من شبهات الأدلة الكلامية)، وهم يتغافلون في ذلك كله - عمدا لا جهلا - ما يضح به العقل السوي من فساد معنى الثالث نفسه بالأساس !! فما الذي أعمى أبصارهم عن فساد معناه وهو أساس ملتهم، وما الذي حملهم على التعامي عن حجة البطلان العقلي الدامغة لأصول ملتهم والاشتغال بالظنيات في فروعها؟؟ إنه الهوى، لا معبود لهم بحق سواه! وإلا فهل يستقيم - بالعقل المجرد - نصب الدلالة انتصارا لأي من تلك المواقف بإزاء حقيقة الأَقْنوم

وعلاقته بغيره من الأَقَانِيم، والاشتغال بذلك والتنازع فيه، مع تغافل البطلان العقلي البين لمعنى الثالث نفسه؟ كلا ولا شك، ولكنها الرسوم والتقاليد الكنسية، وحب السيادة والتسلط على الخلق بالمنصب الكهنوتي! يجب أن يكون هذا القدر من الدلالات والتأويلات المتفق عليه بين أتباع تلك النحلة هو الحق ولا حق سواه، ويجب أن يرام التفلسف بشتى ضروبه وصوره ووسائله، لإبطال كل

دليل على خلاف ذلك أيا ما كان نوعه، وإن كان من قطعيات وضروريات العقول السوية، وقد ألفوا في ذلك - تماما كما صنع غيرهم - مئات المجلدات عبر القرون، يقولون على الله الكذب وهم يعلمون! أويحسبون أن الله يفلتهم؟

تراهم يختلفون في قضية سلطة الكنيسة التشريعية بين طائفة ترى أن الكنيسة تتحرك بتوجيه خفي من الروح القدس، فكل ما تشرعه من رسوم وتراتيب وشعائر وشرائع إنما هو من الرب، بما في ذلك اختيار النصوص القانونية للكتاب المقدس نفسه، الذي منه يستدل هؤلاء على أن الروح القدس هي التي تحركهم في ذلك كله (وتأمل الدور في الاستدلال)!! وفي المقابل طائفة أخرى تقول إن هذا الزعم إنما هو من تأويلات الكهنة الباطلة وأن الكتاب المقدس يخلو من تلك المناصب والرسوم الكنسية التي اخترعها هؤلاء وتوارثوها جيلا بعد جيل، وأنه بريء من وثنيات التقليد الكنسي وتقديس البشر ورفعهم إلى تلك المراتب التي يرفعونهم إليها وما إلى ذلك! فإذا ما نظرت إلى هذا النزاع لم يسعك إلا أن تتساءل، كيف غفل هؤلاء المتنازعون جميعا عن حقيقة أن ما يسمى بالكتاب المقدس - نفسه - الذي به يستدل كلا الفريقين، إنما قام بتقنين ما فيه من النصوص آباء الكنيسة القدماء بالأساس، تلك الكنيسة نفسها التي ينشق هؤلاء عنها، فإنهم هم الذين نظروا في النصوص وقالوا هذا كلام الله وهذا ليس بكلام الله، وفقا لاعتقاد كانوا قد أبرموا الاتفاق عليه مسبقا كما هو معلوم! فالشاهد أن تلك الطائفة المنشقة من المعترضين (البروتستنت) لو صدقوا في طلب الحق لشهدوا بأن كتابهم الذي بين أيديهم لا يصلح للاستدلال في تلك المسألة أصلا، لأنه من جمع وتقنين مخالفينهم، ولشهدوا - من باب الأولى، وللحجة الأظهر - ببطلان تلك الأسس الفلسفية التي تمسكوا بها في ملة النصرانية نفسها (كالتثليث والبنوة والخطيئة الأصلية والفداء وغيرها)، وبضرورة الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دينه، ولكنها الأهواء عند أولئك كما عند هؤلاء!

إنهم يعلمون جميعا أنهم ليسوا على شيء من اليقين، ولكنهم يكابرون! كيف "تستيقن" نفس مستقيمة سوية من ملة تقوم بأكملها على الاعتقاد في أن الواحد هو عينه الثلاثة، والثلاثة (هم/ هو) الواحد، وفي أن الرب نزل في رحم امرأة ثم اختار أن يصلب نفسه حتى يغفر للناس خطيئة لم يشهدوها أصلا ولا يد لهم فيها؟؟ لا يمكن أن يقوم في قلوب أتباع تلك الملة يقين ولا قريب منه أصلا! وبعبدا عن الحيل

النفسية والتخريجات الشيطانية لتبرير الذات التي يلبس بها كل منهم على نفسه ليقنعها بأنه على الحق، فإن الشاهد هنا أن اليقين لا يقوم عند من يعلمون أن عقيدتهم في الخالق وفي سائر أمر الغيب تقوم على أمثال تلك المعاني الفاسدة! ونقيض اليقين هو الشك، وهو علم الإنسان بأنه لا تستقر نفسه على دليل يرضاه في هذه المسألة أو تلك، أو بعبارة أقرب، هو إدراكه لأن ما معه من الأدلة لا يرقى لتحقيق العلم (أو ما يلزم تحقيقه من الثقة فيما ذهب إليه وقال به). والعبرة في ذلك بالوقوف على ما يكفي من الأدلة لسد باب الشك وتحقيق العلم الموجب للعمل، سواء كان الموقوف عليه دليلا واحدا أو عدة أدلة، وسواء كان الدليل قطعيا أو ظنيا. والنصارى في الحقيقة - وغيرهم من أصحاب الملل الباطلة والمحرفة - منهم من هو متشكك ولكنه يتحايل على ذلك الشك في نفسه بتخريجات تأويلية وأباطيل فلسفية شتى يسعى حثيثا لرفعها في نفسه - وهما وخداعا - إلى درجة ترقى بها لدفع ما هو ظاهر له من بطلان أصول تلك الملة التي هو عليها هو وأهله وجميع من يحبهم من حوله، ومنهم من هو عليم خبير ببطلان تلك الملة ووهاء سائر تلك التأويلات والأباطيل التي يتعلق بها العوام منهم، ولكنه يكابر ويصر على ما هو عليه طمعا في المنصب والمنزلة والوجاهة الاجتماعية.

ولهذا فإنك ترى النصارى إذا ما جادلوا الملاحدة في إثبات وجود الخالق، سرعان ما ينقلب سحر حججهم عليهم، وبعدها تسمع كلاما قويا دامغا في إبطال فلسفات الإلحاد، تنتشي له نفس كل عاقل معافى من داء الجحود والإلحاد، تراهم ينتصرون لملة ظاهرة الفساد، فيظهر عليهم خصومهم حيثئذ ويدحضونهم دحضا! فماذا تراهم يصنعون والحالة هذه؟ لا يجدون إلا التكثر من الأدلة الظنية حتى وإن كانت من جنس ما يتكثر منه مخالفهم ليستجمعوا لأنفسهم ما يظهر أنه حجة لهم لا على وجود الخالق - فإن وجوده قطع عقلي لا ريب فيه - وإنما على صحة ملتهم بعينها وكتابهم بعينه! ولو كان دينهم يستقيم له أساس من البرهان القطعي الدامغ لما احتاجوا إلى تلك الألاعيب أصلا! تراهم يستجمعون الأدلة الأركيولوجية - على سبيل المثال - لإثبات وقوع القصص الإنجيلية والتوراتية ويسعون في ذلك سعيًا حثيثًا، لعلهم تقوم بين أيديهم لكتابهم حجة يرتضونها هم أولا قبل خصومهم! أفلو كانوا يستطيعون إثبات صحة النص المنقول إليهم بطرائق الاستدلال التاريخي المستقيم، بما

يدفع أي شك أو احتمال في صحته وأصالته، أفكانوا يلجئهم الحجاج إلى أمثال تلك الطرائق؟ لو كانوا حقاً على قناعة بما يزعمونه من كون نصوصهم منقولة إليهم بالتواتر المتصل من زمان نبي الملة نفسه، أفكنت تراهم يضطرون إلى سلوك تلك المسالك على نحو ما يصنعون؟

إن فاقد الدليل القطعي اليقيني - فضلاً عن علم بضرورة العقل بطلان ملته - لا يملك إلا التكثر من كل ما يمكنه جمعه من قرائن أو استدلالات ظنية تعضد موقفه، مهما كان تأويله لتلك القرائن بعيداً وواهياً! ولهذا السبب ظهر عندهم من الأصل ما يسمى بفلسفة اللاهوت، للتكثر من (الأدلة) الفلسفية التي يرجو علماءهم أن يكون فيها إسكات للعوام وإظهار لما يرجو عند اجتماع بعضه إلى بعض أن يرقى لدفع الاعتراضات العقلية الدامغة على أصول ملتهم!! وهكذا كانوا ولا يزال دأبهم في كل عصر، كلما ظهر لهم ما تظهر فيه شبهة دليل على صحة ملتهم، أفاضوا فيه واعتنوا بإظهاره أشد العناية. وقد كانوا ولا يزالون يستحلون التلاعب بتأويلات نصوصهم إلى حد نسبة جملة كبيرة منها إلى المجاز بغية تحقيق تلك الغاية! لسان حالهم يقول: إن كان الغالب في زماننا فلسفة اليونان وعبدة الأوثان، فلنثبت أن نصوصنا وأصول ملتنا على واثم معها، وإن كان الغالب غير ذلك (وهو العلم الطبيعي في هذا الزمان) فلنطبّعها بذاك الطابع! المهم أن يكون لدينا في كل زمان من (الأدلة) على صحة هذه الملة ما يناسبه ويبقي المؤسسة الكنسية فيه حيث ينبغي أن تكون عند الناس!

ولهذا السبب نفسه، اجترأ ملاحدة هذا الزمان - جحوداً منهم واستكباراً على قبول القطع العقلي والنقلي الجلي الذي عندنا معاصر المسلمين من بعد ما تبين لهم - على الزعم بأن أهل الدين (بهذا الإطلاق) لا يملكون إلا أدلة ظنية تتنازعها أدلة ظنية مثلها أو أقوى منها، يرتكون عليها لإثبات صحة عقائدهم وكتبهم، والفرق في زعمهم أن ظنياتهم قد صارت اليوم تقوم عند أهل العلوم المادية على التجريب والحس، بينما ظنيات مخالفيهم من أهل الملل تقوم على الأسطورة والخرافة التي لا يثبتها التاريخ نفسه، فهي مقدمة عليها بإطلاق! ولهذا تشعب النزاع بين النصاري والملاحدة على نحو ما نراه واقعاً بين من يسمون بالخلقيين من النصاري ومن يسمون بالداروينيين من الملاحدة (وسائر ملاحدة العصر من هؤلاء). فقد استدرج الملاحدة هؤلاء المساكين إلى دائرة الدلالة الإمبريقية والحسية في أصل النزاع بينهما، حتى صار معنى الخلق نفسه مجرد نظرية من نظريات الأحياء، ولا حول ولا قوة

إلا بالله العلي العظيم!! ومهما صاح الملاحدة في وجوههم بأنه لا يصح إدخال هذا المعنى في دائرة علم الأحياء - وصدقوا، ومثله ينسحب على كل ما يخوضونه هم في الانتصار لإلحادهم بأدلة العلم الطبيعي كذلك - تراهم لا يتنازلون عن ذلك المسلك. وما ذلك إلا لأنهم فاقدون كما أسلفنا لما يستندون إليه من قطعيات دامغة تثبت لهم صحة دينهم (الذي علموا بطلانه في أنفسهم)، وتقطع السبيل على المنازع الجاحد لاتخاذ بطلان الملة تكأة للوصول إلى التشكيك في وجود الخالق نفسه!! ولو أنهم وجدوا عندهم مثل ذلك الدليل القطعي، لاقتضى العقل منهم أن يحسموا به النزاع من أصله، وألا يستدرجوا إلى كل هذا التراشق بالظنيات الواهية التي خاضوا فيها مع خصومهم خوفا كبيرا! وفي الحقيقة فقد تفتن قليل من عقلائهم من المعاصرين إلى أن ساحة النزاع الحقيقية فيما بين الفريقين إنما هي في فلسفة الاستدلال العقلي نفسه وليس في دائرة الأحياء أو الجيولوجيا أو غيرها من الدوائر المعرفية الضيقة! ولكن الشأن أن هؤلاء إن اتفق لهم أن وفقوا في إبطال دعاوى الإلحاد بالحجج العقلية، فإنهم بطبيعة الحال لا تقوم لهم قائمة في إثبات صحة ملتهم التي يدينون بها، وعندئذ تدور الدائرة عليهم!

في مناظرة علنية أقيمت في سنة 1998 ميلادية بعنوان (ما الأدلة على/ ضد وجود الله)، بين عالم اللاهوت الفلسفي النصراني الأمريكي ويليام لين كريج، وعالم الكيمياء الانكليزي الملحد بيتر أتكينز (وهي منتشرة على مواقع الفيديو على الانترنت كموقع يوتيوب وغيره)، أراد أتكينز التدليل على بطلان وجود الخالق جل وعلا، فعمد إلى الجمع بين دليلين (في زعمه أنهما كذلك)، فقال (وما بين المعقوفين من تعليقي): "لو أننا جمعنا بين حقيقة أن سبب ظهور الإيمان عند الناس (وفقا للتفسير الدارويني) هو أنهم كانوا يحتاجون وبشدة إلى الإيمان بوجود إله، وحقيقة أننا الآن نعلم (وبسبب نظرية داروين أيضا!!) أننا لا نحتاج في الحقيقة إلى الاعتقاد في وجود إله، فإن هذا سيقوم لنا حجة - نوعا ما - ضد وجود الإله!" فيجيبه كريج قائلا: "إن هذا ضرب من ضروب المغالطة الواضحة حيث تزعم أن بمحاولة تفسير كيفية ظهور الإيمان وسببه عند الناس، يمكنك إثبات بطلان الإيمان نفسه"، فيقاطعه أتكينز ويقول: "ولكن هذا ليس إلا شطرا من الحجة! لست أقول إن هذا وحده كافيا، ولا بأن

حقيقة كون العلم *Science* يعني العلم الطبيعي أو المادي عموماً) قادراً على تفسير أي شيء وكل شيء وحدها كافية، ولكن إذا جمعنا بين المعنيين - أي حقيقة أن العلم تام القدرة (أي أنه قادر على تفسير كل شيء) وحقيقة أنني يمكنني أن أفهم لماذا يريد الناس من أمثالك (مخاطباً كريج) وباستماتة أن يتمسكوا بالإيمان بوجود الإله - فإنه تصبح لدينا حجة ظاهرة ضد وجوده!" فيجيبه كريج قائلاً: "ولكن لو جمعنا دليلين باطلين إلى بعضهما البعض فإننا لا ننتهي بذلك إلى حجة مستقيمة!" وهنا يقاطعه أتكينز قائلاً: "إذن فهل تنكر أن العلم يمكن أن يفسر كل شيء؟" فيجيب كريج: "نعم أنكر هذا" فيقول أتكينز: "فأي شيء هذا الذي لا يمكن للعلم أن يفسره؟" ويجيب كريج: "حسناً، بما أنك أثرت هذا الأمر فقد كان لدي عدد من الأمثلة أريد ضربها على ذلك، فإنني أعتقد أن هناك عدد كبير من الأمور التي لا يمكن إثباتها أو تفسيرها بالعلم الطبيعي ولكنها جميعها صحيحة ومقبولة عقلاً، دعني أذكر منها خمسة أمور فقط، أولاً: الحقائق المنطقية والرياضية لا يمكن إثباتها بالعلم الطبيعي، وإنما يقوم العلم الطبيعي عليها أصلاً، ومن ثم فإن محاولة إثباتها من خلال العلم الطبيعي لا تفضي إلا إلى الدور المنطقي! وثانياً: الحقائق الماورائية كحقيقة أن هناك عقولاً أخرى بخلاف عقلي، أو أن العالم الخارجي حقيقي، أو أن الكون لم يظهر في الوجود قبل خمس دقائق فقط، هذه حقائق عقلية لا يمكن إثباتها بالعلم الطبيعي! وثالثاً: العقائد الأخلاقية والقيمية ليست خاضعة للبحث من خلال طرائق العلم الطبيعي، فلا يمكنك أن تثبت من خلال العلم الطبيعي أن العلماء النازيين قد قاموا بشيء من أعمال الشر مقارنة بعلماء الديمقراطية الغربيين في زمانهم! ورابعاً: الأحكام الجمالية لا يمكن التعامل معها من خلال أداة العلم الطبيعي، لأن الشيء الجميل والشيء الحسن لا يمكن إثبات تلك الصفة فيهما بطرائق العلم الطبيعي. وخامساً وأخيراً، وهو الأهم عندي، العلم الطبيعي نفسه، فإن العلم الطبيعي لا يمكن إثبات جدواه وتبرير وجوده من خلال العلم الطبيعي!" ...

وأقول إن جواب كريج جواب جيد لذلك المكابر الجهول كما هو واضح، لا يملك له رداً، وقد أخرجته في تلك المناظرة وأسكته في غير موضع! والحقيقة أنه كان يغنيه عن ذلك كله أن يثبت للملحد وقوع الدور المنطقي في حجته الواهية تلك - فضلاً عن المكابرة الواضحة لمضادة ضرورة العقل وقطعيته بمثل هذه الأوهام الداروينية - حيث يشيد حجته كلها على نظرية يفترض أنه في مقام

الاستدلال العقلي لها لا بها، إذ هي تحتاج إلى دليل قطعي تام يرفعها لمنزلة مقابلة الضرورة العقلية لوجود الخالق! وعلى أي حال فقد أحسن كريح الجواب كما أسلفنا، ولكن المشكلة تأتي والتناقض يظهر عندما يقال لكريح نفسه: إن كنت أيها العاقل على هذا القدر من الإلمام بطرائق الاستدلال العقلي الفلسفي، والإقرار بوجوب احترام ضروريات العقل عند المحاجة الفلسفية وبطلان تقديم الظنون - فضلا عن الأوهام والخرافات - عليها، فبأي حجة من حجج العقل إذن تمسكت بخرافة الثالوث - على سبيل المثال - وجئت تدعوننا إلى الإيمان بها على ما تضح به من الفساد والبطلان العقلي اللغوي والرياضي المحض؟؟ إن كنت تريد الحق حقا، فكيف لا تجمع - لنفسك في دينك - بين الإيمان بالضرورة العقلية لوجود الخالق (الذي تنافح عنه الآن بحجة ظاهرة لا ناقض لها)، والبطلان الضروري الظاهر لقولهم (ثلاثة) والضرورة العقلية الدامغة لتنزه هذا الخالق - سبحانه - عن الولد وعن الصلب والفداء وغيره مما تقوم عليه تلك الملة التي ارتضيته لنفسك؟؟ كيف ارتضيت لنفسك في إيمانك الجمع بين هذه المتناقضات؟

فالحاصل أنه هو كذلك من أتباع الهوى، تماما كخصمه الملحد، وإنما انحصر الفرق بينهما في أن أحدهما أقرب إلى الحق من صاحبه، والله في قلوب عباده شؤون !!

إن الدليل القطعي لا ينتقض بالدلائل الظنية مهما تراكمت، ولو وقف صاحبها على رأسه وهذا مطرد في سائر صناعات العلم البشرية !

والمعنى الذي ينبغي بيانه في هذا المقام أن اليقين منازل ودرجات، فليس مقصورا حصوله في نفس الإنسان على صنف بعينه من الأدلة، فلا يقال إنه ما لم يكن الدليل قطعيا فإنه لا يحصل منه اليقين! فإن الأدلة الظنية على مراتب، وقد يوصف اجتماع جملة كبيرة من الأدلة الظنية بأنه ظن قوي إلى حد يقترب من القطع (والقطع يورث يقينا لا يتطرق إليه شيء من الارتياب، فقد يقال إن المعنى القطعي هو ما لا يتطرق إليه - عقلا - أدنى احتمال لظهور دليل ينقضه)! وفي لسان العرب: "اليقين: العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر". فبمجرد المعنى اللغوي يقال إنه إذا ما انزاح الشك والارتياب من نفس الإنسان فقد تحقق لديه درجة من درجات اليقين، ولم يسعه البقاء على ما كان فيه من الارتياب أو

الشك قبل حدوث العلم لديه. وفي الحقيقة فإن العلم (الموجب للعمل عند كل عاقل) قد يتحقق في بعض الأحيان بدليل واحد ظني، وإن كان ضعيفا، لغياب ما يمكن أن يبطله أو ينقضه في موازين الأدلة! فما حجة من وقف على دليل ظني لا يجد ما يبطله، إن لم يعمل بمقتضى ذلك الدليل؟؟ هذا لا حجة له! فلا يلزم أن يكون الدليل قطعيا يقينيا حتى ينبني عليه العمل .

ولا عبرة بخلاف من خالف فيما إذا كان الدليل الظني يفيد العلم أو لا يفيده، فإنه لا يرتاب العقلاء في أن الدليل الظني يفيد العلم، ما لم يوجد دليل مخالف من طبقة أو فوقها يُبطل الاستدلال به في المسألة المنظورة، أو يغير مسار الدلالة منه. فالواقف على دليل ظني يلزمه أن يعمل به وأن يقول بمدلوله وجوبا عند العقلاء. وهذا مطرد في سائر علوم البشر، الشرعي منها والديني على السواء .

ولهذا نقول إن النظرية العلمية في علوم الطبيعيات تفيد العلم وتوجب العمل حتى وإن كانت أدلتها ظنية عند أدنى مراتب الظن، وفي كثير من الأحيان لا تزيد النظرية على كونها مجرد فرضية تفسيرية يضعها الباحثون لبعض الظواهر ثم يرتكون إليها لكونها لا ينهض شيء من الأدلة بين أيديهم لإبطالها، بل أدنى من ذلك، تراهم يقبلونها ويعملون بها لكونها لا يظهر من التفسيرات والتأويلات ما يفصلها أو يقوم مقامها في توجيه ما اجتمع لهم من القرائن، وهذا كما لا يخفى من أدنى مراتب الاستدلال الظني إن لم يكن هو أدناها. ولذا فإن أمثال تلك النظريات إذا ما ظهر لهم ما يقوى على إبطالها تركوها وقالوا بخلافها، وإذا ما ظهر لهم ما يقويها زاد قبولهم لها، وكلما زاد ذلك، زادت قوة الدليل الظني المطلوب الوقوف عليه لنقضها. ولهذا أيضا نقول إن مرويات التاريخ تفيد العلم حتى وإن كانت ضعيفة - أي تتخلف عن شروط قبول الرواية في علم الحديث - ما لم ينهض من الدلالة ما يفيد بطلانها (كأنهم بعض المؤرخين أو كوقوع الاختلاف بينهم ورجحان القول المخالف لقرائن تقويه، وغير ذلك من مرجحات أصحاب التواريخ). فلا نشترط التواتر حتى نقبل الخبر التاريخي، ولو اشترطناه لأسقطنا من العلم بأخبار السالفين تسعة أعشار ما لدينا! كما لا نشترط الدليل الحسي القطعي حتى نقبل النظرية العلمية، ولو اشترطناه في ذلك لما تطبينا ولا تداوينا!! بل نحن نقبل الدليل الظني ونعمل بمقتضى دلالاته كما هو المتبع في سائر العلوم، مع اشتراط عدم المعارض المعتبر الذي يوجب إسقاطه .

ولذلك فإننا نقول إنه كما تعتبر المشاهدة الحسية المباشرة أقوى أدلة العلم الطبيعي على الإطلاق،

وهي تفيد القطع واليقين في ذلك، فكذا يقال في الخبر المتواتر باتصال، في علوم التاريخ والأثر. فالدليل الظني من أي علم من العلوم لا يرقى لنقض الدليل القطعي في أي علم آخر. فلا يمكن قبول نظرية تفسيرية في الفيزياء - على سبيل المثال - تناقض دليلاً ظنياً أقوى منها في علم التاريخ، فكيف بما هو معلوم خبره بالتواتر المستفيض؟ وكيفما كان الدليل الذي يقف عليه الإنسان في أي صنعة من صناعات العلوم فإنه مورث للعلم ما لم ينقضه ما هو أقوى منه .

ومن أمثلة تلك المغالطة، قول بعض الباحثين التاريخيين إن قصة مملكة نبي الله سليمان عليه السلام التي قامت عند منطقة البحر الميت، لا يدعمها أي دليل من الدلائل الأحفورية الأركيولوجية التي تم العثور عليها في المنطقة. بمعنى أنهم لا يرون دليلاً واحداً من الأدلة الحفرية يوافق - أو يخالف - ما جاء من خبر تلك المملكة العظيمة في كتبهم. هذه الحقيقة يستعملها بعض الملاحدة للتدليل على بطلان هذه القصة رأساً، ونفي وقوعها في تاريخ المنطقة! فهل يصح منهم هذا الاستدلال؟ الجواب لا! إذ كيف يعتبر عدم العثور على الشيء المفقود دليلاً على عدم وجوده أصلاً؟؟ إن الخبر المنقول بشأن تلك القصة إن كان من ثقة ضابط عن ثقة ضابط، ولو كان النقل من واحد عن واحد مثله إلى نبي ثابت النبوة من الرب الشهيد جل وعلا، فإننا يلزمنا أن نصدقه، فإن العقل يلزم منه ألا يكون أحد أعلم ولا أصدق من الخالق نفسه عندما يخبرنا بأنه قد قامت في هذا المكان فيما مضى مملكة لنبي من أنبيائه وصفها كذا وكذا! ولا نقابله بقول كهذا: إننا لم نجد فيما أجريناه من أعمال الحفر والتنقيب أثراً واحداً لتلك المملكة، وإذن فأنت أيها الناقل لهذا الخبر كاذب وهذه المملكة لم توجد في التاريخ أصلاً! هذا باطل، لأننا لو طردناه لقلنا لكل ناقل خبر نعرف عنه صدقه وأمانته وضبطه: إن لم توقعنا من القرائن المادية على ما يصدق كلامك فأنت عندنا كاذب! وإذن لرددنا أخبار الصادقين الثقات لشرط لا يقول به العقلاء، ولما جاز لنا أن نقبل شهادة الشهداء في المحاكم، ولا نهدم شطر التاريخ والأثر والسير، ولفسدت على الإنسان حياته كلها كما لا يخفى!!

وبغض النظر عن تحقق هذا الشرط من عدمه (نقل الثقة الضابط عن مثله إلى منتهاه عن نبي ثابت النبوة من رب العالمين) في أخبار أهل الكتاب وما في كتبهم من قصص وروايات، وبغض النظر عن حقيقة

عجزهم - اليوم - عن إثبات نبوة أنبيائهم أصلاً، فإن ثبوت هذا الشرط في الخبر - من حيث المبدأ العقلي - يرفعه من جهة قوة الدلالة في حقيقة ذلك الأمر الماضي فوق أي جملة من القرائن التي يمكن أن تفسر على وجه دون وجه، إلا ما كان من القرائن التي تدل دلالة قطعية على استحالة وقوع الأمر على هذا النحو المروي، ولا احتمال لتفسيرها على غير ذلك، وهذا لم يقع قط فيما أجمع المسلمون على صحته من النصوص، ونحن نتحدث من يخالفوننا بإثبات وقوعه !

فإن قيل إن العدل الصادق قد يكذب في نقل خبر من الأخبار، قلنا هذا احتمال ضعيف للغاية، لأنه معروف بالصدق وهو الأصل المستصحب فيه. وإن قيل قد يخطئ وقد يسهو، قلنا هذا ضعيف أيضاً لأنه معروف بالضبط وقوة الذاكرة! بينما في المقابل قد نرى لدى صاحبنا المخالف قرائن حفرية وأثرية فزيقية تحتمل التفسير على أكثر من وجه، والوجه الذي يراه أقواها هو ما يخالف ذلك الخبر المنقول على نحو ما ذكرنا! فكيف يرجح صاحبنا بين المتعارضين هنا (وقد بدا واضحاً أنه لا إمكان للجمع بينهما)؟ هل يدفع الخبر ويقدم عليه "نظريته" في تفسير القرائن الأخرى؟ لا يصح له ذلك في أكثر الأحوال، مع أن كلا الدليلين ظني كما ذكرنا! لأن قوة احتمال صحة الخبر تفوق في العادة قوة احتمال صحة هذا التفسير الذي افترضه الناظر لمجموع تلك القرائن، وتدفعه إلى اختيار التفسير الأوفق لما جاءه من خبر الثقة الضابط. فكيف إذا كان الخبر المنقول متواتراً، بمعنى أنه قد نقله إلينا الكافة عن الكافة، والكافة: جمع كبير لا يتصور أصلاً أن يتواطأ على الكذب؟ فهنا نقول إن الخبر المنقول قطعي الدلالة لأن بطلانه أصبح معدوداً من الممتنعات العقلية! بخلاف الخبر الظني الذي انفرد به الواحد أو الاثنان، الذي لا ينفك عن احتمال ضئيل لوقوع الوهم أو الخطأ .

وفي مثالنا سالف الذكر (قصة مملكة سليمان عليه السلام) مثلنا على تقديم خبر الواحد الثقة على التفسيرات المحتملة للقرائن الحسية، فكيف إذا كان الخبر متواتراً باتصال تام إلى نبي قد دلت الدلائل القطعية على صحة نبوته، وهو ينقله عن الرب الخالق جل وعلا - كما هو حال تلك القصة عندنا في القرآن - أفيبقى لأمثال هذه الأحفوريات وما في طبقتها من القرائن، أي قيمة أو وزن عند الاستدلال أصلاً؟ هذا لا يقول به إلا من كان مغموصاً على قلبه في الهوى أو الجهل! فالآن إن كنا نريد أن نعرف هل وقعت تلك القصة في الحقيقة أم لم تقع، فعلينا أن نجتمع سائر ما فيها من أدلة، فهل يرتفع من تلك

"الأدلة الأركيولوجية" شيء فوق خبر أثبتنا له التواتر المطلق عن الرب الخالق جل وعلا؟؟ لا قيمة لشيء من ذلك في مقابلة خبر كهذا، ونحن نتحداهم أن يأتونا بقرينة حسية قطعية تبطله، ودونهم في ذلك من اليوم إلى قيام الساعة !!

إن عدم علمي بالشيء وعدم وقوفي عليه بالحس والمشاهدة لا يعني عدم وقوعه أو وجوده، ولا يجوز لي رده إن جاءني به خبر صادق! فإن قال قائل إن في بطن المحيط سمكة كبيرة طولها كذا وصفتها كذا، وكان في الخبر ما فيه من الغرابة، فإن كان هذا القائل من المصدوقين الموثوقين عندنا، فإننا يلزمنا أن نسأله من أين جئت بهذا؟ هل رأيته بنفسك أم أخبرك به غيرك؟ فإن كان قد رآه بنفسه ويقول إنني رأيته بعيني فهل نكذبه؟ نقول إن كان في دعواه ما يعارض قطعيات العقل وقطعيات الحس (ما ثبت

بالمشاهدة بالقطع الذي لا يتطرق إليه الشك)، أبطلنا كلامه ونسبناه إلى الاختلاط والوهم، وإلا فمجرد غرابة الخبر لا يلزم منها بطلانه! وأما إن كان قد أخبره به غيره، فمن؟ ينبغي أن نعرف! فإن كان ممن يوثقه هو ويثق فيه فإن هذا قد يكفي في علوم التاريخ غالبا، ولكنه لا يكفي عندما يكون ذلك الخبر المنقول من الدين، حتى نقف على عينه ونعرف من هو، فيما أن الأصل فيمن وثقه من أثق فيه أنه ثقة وإن لم أعرفه، إلا أنه قد يجهل هذا الذي أوثقه أن من نقل إليه ذلك الخبر فيه مطعن ما عند من كان أعرف بحاله منه وأدرى به، ولهذا كان في علم الجرح والتعديل في علوم الحديث أن المثبت للجرح مقدم على النافي عادة لأن لديه زيادة علم (وهذا بطبيعة الحال ما لم تنهض أدلة أو قرائن أخرى تمنع من إعمال هذه القاعدة على هذه الحالة أو تلك). ولهذا لم يكتف أئمة الحديث في هذه الأمة بقول الراوي إنني أروي عن من أثق فيه، فإن كنت أنا ثقة عندكم فشيخي كذلك ثقة ولا بد! وإنما استفاضوا في دراسة سير وتراجم الرجال، وتخصصوا في تدوين ما نقل عنهم من حال ومآل، وتفحصوا في انتقال الروايات بين الرواة وأحوال ذلك الانتقال، حتى كان الراوي يترك حديثه لجراحات في المروءة لو أجريناها الآن على الناس لما قبلنا من أحد من الخلق خبره ولا شهادته، وكان في تحقيقهم من صنوف علل الأسانيد ما لو طبق على أي رواية مما يعظمه أهل الملل الأخرى في كتبهم لجعلها هباء منثورا! فالشاهد أن لنقل الأخبار والمرويات عند المسلمين علم محكم متين، يشترك مع علوم التاريخ وأصول

التوثيق التاريخي في قواعده العقلية العامة، ولكنه يفوقها بما اختصت به تلك الأمة من تدوين أسانيد الرجال (رواية الراوي عن الراوي وصولاً إلى أصل الخبر)، ومن تمحيص في أحوال أولئك الرجال لم تر البشرية مثله! ولهذا نقول - وبكل حزم وثقة - إنه ما من نقل أو أثر يأتينا مسنداً بسند صحيح إلا وهو حجة في نفسه لا يرقى لإبطالها شيء من أخبار المؤرخين أو من تأويلات ونظريات تفسيرية للقرائن الأركيولوجية أو ما في طبقتها من الأدلة! فليس كل من جاءنا ببحث (علمي) يقول لنا إنه يتعارض مع حديث من روايات السنة عندكم، رجعنا من فورنا على ذلك الحديث بالنظر في درجة ثبوته وفي كلام أئمة الحديث فيه وكذا، ونحن نرجو في هزيمة وخذلان أن يكون ضعيفاً أو مختلفاً في صحته حتى لا نعارض به ذلك البحث المزعوم! إنما نبدأ أولاً بالنظر في المنهجية الفلسفية التي قام عليها ذلك البحث (العلمي) وننظر في قوة ومنهجية الاستدلال فيه، فما أكثر ما ينشر من أبحاث في الأوساط الأكاديمية وهو في الحقيقة لا يرقى ولا يستحق عناء النظر أصلاً!

ليس البحث العلمي في مجالات العلم الطبيعي - أي كان نوعها وموضوعها - حجة على ما سواه من صنوف الأدلة العلمية لمجرد حقيقة أنه بحث إمبريقي أو أنه مبني على حس ومشاهدة! والذاهبون إلى هذا الزعم من رؤوس الإلحاد المعاصر، هم من السذاجة والجهالة بما يغني عن تكلف الرد عليهم! فإنهم يعلمون أن البحث الإمبريقي لا يأتينا بمشاهدة حسية مباشرة للشيء المراد إثباته إلا في القليل النادر، وغالب ما يجري في معامل البحث الإمبريقي إنما يخضع لطبقات من التأويل النظري والترجيح بين النتائج والملاحظات والتأويلات النظرية والتحليلات الإحصائية والقياسات والاستنباطات الرياضية، لا يخلو أساسها جميعاً من أصول عقلية فلسفية يُرتكن إليها - لزوماً - للموازنة والترجيح بغية الخروج بالنتائج والدلائل من تلك الأبحاث والتجارب المعملية. هذه الأصول العقلية نفسها كما تقضي بأن الدليل الظني يتفوق باجتماع مثله إليه من الدلائل والقرائن الظنية لدعم هذه النظرية أو تلك من نظريات التأويل الفيزيقي أو البيولوجي أو الجيولوجي أو الأركيولوجي أو غيره، فإنها تشهد هي نفسها - ولا بد - بأن هذه الأدلة الظنية تتفاوت في قوة دلالتها، وأن من الدلائل الظنية ما قد يفوق في قوته تلك الدلائل مجتمعة وإن كثرت، ويرجح حملها على وجه آخر من وجوه التأويل السائغ، فحتى وإن كان ذلك التأويل الآخر أقل احتمالية في تفسير تلك القرائن المتراكمة من ظاهر التفسير الأول، إلا

أنه ممكن غير ممتنع، فبالنظر إلى أن العقل المجرد يمنع تعطيل الدليل الظني الأقوى فضلاً عن الدليل القطعي، لترجيح هذا التفسير الظني لتلك القرائن، فإنه يتحتم نبذ التفسير الأقوى احتمالاً والمصير إلى ما دونه، بغض النظر عن الحقل العلمي أو المعرفي الذي يأتي منه ذلك الدليل، لقوة الدليل المقابل! فالمعيار في ذلك إنما هو قوة الدليل نفسه من حيث إفادته اليقين أو الظن على تفاوت درجاته ومنازله! والمغالطة الفادحة عند الفلاسفة الماديين إنما هي تقديمهم لدلالة التجريب والمشاهدة الحسية - بهذا الإطلاق - على دلالة العقل والخبر الموثق الصحيح، ونفيهم لدلالة هذا الأخير على ما وراء المحسوسات والمشاهدات، وما ذاك إلا من اتباعهم أهواءهم كغيرهم من أهل الأهواء! وإلا فإنهم يشهدون على أنفسهم بأن كثيراً مما كان بالأمس من المغيبات هو اليوم من المحسوسات، وبأن المشاهدة الحسية لا تقوم بنفسها - أصلاً - في الاستدلال العلمي في أي حقل من حقول المعرفة التجريبية والعلم الطبيعي، وإنما تُجرى عليها - ولا بد - جملة من الإجراءات العقلية من قياس واستقراء وترجيح بتأويلات واستدلالات من ظن تتفاوت مراتبه بما يجعلها عرضة للنقض بما يعلوها من الأدلة المفيدة للقطع أو الظن القوي متى ظهرت تلك الأدلة! وهم يعلمون علم اليقين أن مجرد القول بتنحية طرائق الاستدلال الفلسفي عن العلم الطبيعي يعني هدمه وإبطاله من أصله! هم يعلمون تمام العلم بأن الرياضيات نفسها لا تستمد دلالتها إلا من القرار على أصول عقلية ضرورية لا تقبل النقاش والنزاع بين العقلاء، تفرعت عليها تلك الوسائل والطرائق القياسية العقلية التي نعرفها اليوم بعلم الرياضيات! ففي أي شيء يماري هؤلاء السفهاء، عندما يقول قائلهم إن العلم (ويقصد به العلم الإمبريقي الطبيعي) يبطل ما يزعمه المسلمون من خبر الغيب؟ على أي قاعدة من قواعد الاستدلال أجريت بحثك هذا يا مسكين وأين أنت من موازنات العقلاء من أصحاب أصول العلوم والفلسفات لمراتب الأدلة، وترجيحهم القطع على الظن؟ وما ظنك باتباع الأنبياء والمرسلين؟ أتحسبهم يغترون بدعواك التي تدري أنت قبل غيرك بطلانها وما يلزم منها من هدم وإتلاف لهذا العلم نفسه الذي تحسب أن فيه حجة لك فيما اتخذته لنفسك ديناً؟؟

على نفس تلك الخطى الظلماء يمشي دراونة العصر ممن يؤسسون فلسفتهم الإلحادية على نظرية

داروين في علم الأحياء. يقول قائلهم - في سفاهة هو يدري في دفيئة نفسه قبل غيره من الخلق أنها الباطل بعينه - كيف يمكننا ترجيح نظرية الخلق على نظرية الارتقاء، وقد اجتمعت آلاف الأدلة على موافقة نظرية الارتقاء، ولم يقدّم دليل واحد على صحة فكرة الخلق؟؟ هذا سؤال فيه من المغالطات العقلية ما تكفي حكايته لفضحه! فإن هذا المكابر الجاحد، يدري أنه يتكلم بالباطل حين يصف الخلق بأنه نظرية!! الخلق حقيقة عقلية معدودة من ضرورات العقل التي لو فرط عاقل فيها لما ملك أن يثبت وجود نفسه أصلاً! إنها حقيقة لا يطالب بالتدليل عليها إلا سفساط من سفاضة ما بعد الحداثة، ممن بلغ بهم جهلهم الفصل بين الألفاظ ومعانيها، والتشكيك في حقيقة الواقع نفسه وهدم مفهوم الحق نفسه عند كل عاقل!! فأأي قرائن هذه التي وقف عليها هؤلاء يمكن أن ترقى في قوة الاحتمال عند أي عاقل، مهما تراكت ومهما عضد بعضها البعض، لإبطال ضرورة من ضروريات العقل المجرد بأي تأويل نظري يزعمون أن تلك القرائن المشاهدة تخدمه؟ هل يعقل أن يحاول أحد من الناس أن يجمع الأدلة والقرائن والمشاهدات التي تدل على أن وجوده هو نفسه ليس إلا وهما يتوهمه، أو على أن الواقع المشاهد المحسوس لا يمكن الوثوق به؟ هل يعقل أن يعمل أحد الباحثين على جمع القرائن للتدليل على أن الشيء الواحد يمكن أن يوجد في مكانين متباعدين في نفس الوقت ($2=1$)، أو على أن الكون لا حد ولا نهاية له، أو على أنه لا تعليل لتكونه بعلّة أولى ينتهي عندها تسلسل العلل؟ قطعاً إن شيئاً من هذا لا يقبله العقل، ومع هذا، فقد ذهب إلى أمثال هذه المغالطات العقلية الواضحة أقوام وجهدوا جهدهم في إثباتها، وصاروا يحمّدون ويعظمون في بلادهم على أنهم فلاسفة وعلماء مجدّدون!

ومن هذا الباب من أبواب المغالطة العقلية الفجة أن يقال إن نظرية داروين تفوق في قوة دلالتها (نظرية الخلق)!!

تصور الآن رجلاً محققاً من محققي المباحث الجنائية، يجمع القرائن الظنية في مسرح الجريمة ثم يقوم ببناء نظريته بالنظر في المشتبهين ودوافعهم وعلاقاتهم وما إلى ذلك، فيظهر له اتهام رجل بعينه، فيعيد تفسير المشاهدات التي يراها من آثار الجريمة بما يعضد نظريته تلك، ثم هو يأتيه - هذا المحقق - رجل آخر غير الذي رجح اتهامه، يشهد على نفسه بأنه هو الفاعل ويعترف بجريمته، أو يأتيه شهود

عدول لا يُعرف عنهم الكذب فيشهدون على رجل آخر بأنه هو الفاعل، ومع ذلك تراه يصير هذا الباحث على إصاق التهمة بمن بنى نظريته على نسبة التهمة إليه، ضارباً عرض الحائط باعتراف الجاني أو بالدلائل القطعية التي اتفق العقلاء على حسم مبحث كهذا بها، فما قولك في محقق كهذا؟؟!!
 إما أنه أحمق مجنون أو صاحب هوى، لديه مطمع وغاية في نفسه من اتهام أحد الرجلين دون الآخر! ليس لحالته تفسير ثالث! فإنه لا يعرض عن الحق الواضح من بعد ما تبين له بالحجة الظاهرة، إلا مجنون أو مكابر!

وفرع على ذلك، تلك المغالطة الفجة التي يلوكها الملاحدة عندما يُدخلون حدث الخلق الأول في جملة ما يوزن بميزان (الاحتمالية الإحصائية Probability) (ليوازنه بعد ذلك باحتمالية نشأة الحياة على الأرض على سلسلة من الصدف المتراكمة كما يدعون! فحتى لو سلمنا لهم على سبيل التنزل بأن حدث الخلق الأول ليس من ضروريات العقل المحض، وقلنا كما يقولون (مكابرة منهم وجحوداً) إنه مجرد ممكن من الممكنات، فإنهم يعترفون بأنه ليس حدثاً من جنس ما نشهد من الحوادث في هذا الكون، أو من جنس ما يمكننا عقلاً أن نشهده يوماً ما، وهم يصفون نشأة الكون - في عدة سياقات علمية طبيعية كعلم الكونيات - cosmology بالحدث الفردي Singularity فبأي عقل يضعون هذا الحدث الفردي - الخارج بحقيقته المجردة بضرورة العقل عن أي قياس - على ميزان الاحتمالية الإحصائية الذي لا يستعمل إلا في قياس فرصة تكرار نمط من أنماط الحوادث القياسية عند تكرار الظروف المشابهة التي يحتف بها وقوع ذلك الحدث في العادة؟ كيف يقال إن هذا الحدث تقدر احتمالية حدوثه بكذا وكذا؟؟ تالله إنهم قوم لا يعقلون!

والمضحك في الأمر أنهم الآن يتهمون الخلقين - الذين استدرجهم من قبل إلى هذا الفخ الفلسفي نفسه حتى صاروا يحاججونهم في حقيقة الخلق باستعمال نظرية الاحتمالات!! - بأنهم لا يفهمون نظرية الاحتمالات وسيئون تطبيقها عندما يتصورون بها للخلق!! ولذا فإنني لا أرتضي لأحد من المسلمين أن أراه يجادل ملحدًا باستعمال الرياضيات والدلالات الإحصائية، ولا أن أراه يجادل لإثبات الحق الذي عنده بالحفريات والمكتشفات الجينية، فإن هذا المسلك المعيب قد استدرج

الملاحظة إليه أهل الكتاب من قبل، حتى صار الخلق نظرية من نظريات العلم الطبيعي يرام إثباتها بالاحتمالية الإحصائية!! إن الملاحظة وحدهم هم المستفيدون من هذا المسلك ولا شك، وكفى به نصراً لهؤلاء الجحدة المجرمين أن يظهروا أمر الخلق على أنه مسألة ظنية يليق بها أن توضع في الميزان مع نظرية داروين، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ما أسهل إطلاق كلمة (دليل) على شيء بين يدي الواحد من هؤلاء ينتصر به لملته، فإذا ما حوق في ذلك تبين لكل ذي عينين أنه يكابر، وأنه يدري أنه لو صح اعتبار ما يحتج به دليلاً، فإنه لا قيام له بإزاء ما يقابله مما عند خصومه!

ومن أمثلة المغالطات الواضحة كذلك دعوى بعض الملاحدة والمنصرين أن هذا التشريع أو ذاك من شرائع الإسلام فيه ظلم أو فيه وحشية أو كذا أو كذا مما يصفون لعنهم الله! على أي دليل استندتم يا أعداء أنفسكم في إبطال ما جئناكم بقولنا إنه حكم ثابت النسبة إلى رجل ثابت النبوة عن خالقكم سبحانه وتعالى؟؟ تراهم يثيرون غبار الشبهات التافهة من أمثال قولهم إن الإسلام يظلم المرأة والإسلام يظلم الأرقاء ويضيع (الحريات) وحقوق الإنسان ويفعل كذا وكذا!! فعلى أي حجة من حجج العقل والعلم استند هؤلاء إذ عمدوا إلى وصف شرعة من شرائع رب العالمين بالظلم والحيث ونحوه من مستقبح الصفات؟؟ على أي دليل من الأدلة قرروا أن هذا حق من حقوق (الإنسان) وهذا ليس بحق، وأن هذا ظلم وهذا عدل؟ أنتم أعلم أم الذي خلقكم؟ إنهم يعلمون حق العلم بأن ما جئناهم به لم نزع من تنظير نبينا وظنه في تلمس الأحكام الأخلاقية والتشريعية المثلى لأمة من أمم البشر، وإنما هو وحى منزل من السماء من خالق البشر عز وجل، وبأي عقل يجترئ هؤلاء المجرمون على الاعتراض على ما هذه صفته عندنا وقد علموا أن هذه هي حجتنا في إيجاب العمل به على الناس وتجريمهم إن اعترضوا عليه، وبأي عقل يتصورون أن ما يطلقونه من اعتراضات أخلاقية على شريعتنا بما يستندون إليه من نظريات أخلاقية وفلسفية منحرفة قد صارت لها الغلبة على مجتمعاتهم اليوم، يمكن أن يرقى شيء منه لأن يكون حجة على هذه الشريعة الربانية، أيا ما كان ذلك الشيء؟؟

إنها المغالطة نفسها التي يرتكبونها مرارا وتكرارا، ولا يتفطن لها عند الرد على شبهاتهم تلك إلا من آتاه

الله الحكمة، نسأل الله أن نكون منهم! وكفى به انتصارا لهم أن يتمكنوا من استدراج المسلمين إلى محاولة إقناعهم بأن حد السرقة - مثلا - ليس من الظلم ولا الوحشية كما يزعمون، وأن تشريعات الرق ليست ظلما ولا إهدارا للحقوق وأن الحجاب والقرار في البيت ليس سجنا للمرأة عندنا، إلى آخر ما نجد إخواننا قد استدرجوا للخوض فيه معهم! نعم المرتد عندنا يقتل يا أعداء رب العالمين، ولا تأخذنا به رافة في دين الله، وهي شريعة محكمة ثابتة بالدلائل القطعية التي لا يتطرق إلى نسبتها لوحي السماء أدنى شك، وهي حكمة رب العالمين ورحمته وهو أعلم بما يصلح عباده وما يفسدهم سبحانه، هو كذلك شتم أم أبيهم، ولا يأبى إلا من سفه نفسه، ولا يرفع تنظيره وتصوره الفلسفي الظني إلى منزلة المفاضلة والمقارنة بالشرع المنزل من عند خالقه جل وعلا إلا جاحدا أو مستكبرا!! فلا نحتاج إلى الخوض في لغطهم وجدالهم في كل مرة يخرج فيها أحدهم علينا بأمثال تلك التخرصات والترهات، يعترض بها على شريعة رب العالمين!!

ومن أمثلة المغالطات الاستدلالية الواضحة لدى الملاحدة كذلك اعتراضهم على المعجزات وخوارق العادات، وقولهم إن ميلاد المسيح من أم بلا أب مستحيل في علوم الأحياء! مع أن مفهوم خرق العادة - بمعناه المجرد - لا يحيله العقل بحال من الأحوال، كما هو واضح من مجرد قولنا إنه حدث يخرق ما اعتاده الناس، لأن الناس يقينا لم يعتادوا سائر الممكنات العقلية، وإنما اعتادوا ما شهدوه منها واقعا في دائرة إدراكهم وحسب! ولكنه الكبر والغرور قاتلهما الله! والذي يبث في نفوس الملاحدة تلك الجرأة على نفي هذا الحدث الخارق ونحوه أنهم لا يرون بين أيدي النصاري من الحجة التاريخية ما يثبت وقوع ذلك الحدث بما يقوى - كدليل ظني تاريخي فضلا عن القطعي - لنقض ما دل عليه الاستقراء الناقص لأحوال ميلاد البشر من أنهم لا يولدون إلا من أم وأب معا! وليس هذا عذرا لهم ولا شك فقد قامت عليهم حجة القراء (هم وخصومهم النصاري على السواء)، وإنما القصد أنهم بما رأوا من تهافت حجة النصاري في الدفاع عن نصوصهم وأصول ملتهم وما فيها من تناقضات، قامت قائمتهم وعلت دعوتهم بين أولئك على نحو ما نرى. فإنهم وإن كانوا لا يقدرُونَ على إقناع عاقل سوي النفس بعدم وجود الخالق، فإنهم - على الأقل - يعتبرونه انتصارا عندما يتمكنون من

إقناع النصراني ببطلان ملته وانتزاعه منها! فإذا ما خرج ذلك النصراني من نصرانيته على أثر كلام هؤلاء، رأيت أنه يدخل في معسكرهم اتباعاً للهوى، وطلباً في دخول (جنة العلم في القرن الواحد والعشرين)، تماماً كما كان يتبع هواه في البقاء على النصرانية من قبل، يتقلب من هوى إلى هوى، ثم إلى الهاوية منقلبه يوم لا يجدي الندم!

وصحيح إن الاستقراء الناقص دليل معتبر من حيث الأصل، ولكنه يبقى دليلاً معتبراً في بابه ما لم يتم في مقابلته ما ينقض دلالاته! فمن حق قائل أن يقول إن وقوع الحدث (س) في السياق غير وارد احتمالياً، أو أن احتماليته ضعيفة إلى حد يقرب من الاستحالة، بالنظر إلى أننا لم نر من قبل إلا بما يمنع وقوع (س). ولكن ما بالكُم إن وقع ذلك الحدث (س) بالفعل ورآه بعض الناس؟ هل يرقى هذا الاستقراء - الذي هو ناقص في حقيقته مهما تراكمت مفرداته - لإبطال ما يراه هؤلاء بالحس والمشاهدة؟ كلا ولا شك. ما لم يكن لدينا ما يحملنا على الشك في عقل هؤلاء أو صدقهم أو ضبطهم، فلا نكذبهم فيما شهدوا بأعينهم! ولو أن رجلاً صادقاً أميناً ضابطاً نقل إلينا خبر هؤلاء الذين رأوه، أفترد خبره ذاك مع أننا نعلم أن ضعف الاحتمالية لا يعني الامتناع العقلي، وأن ما جاءنا به من خبر إنما هو داخل في باب الممكنات العقلية؟ هذا من المكابرة بمكان. ولذا فلما فقد النصارى الدليل التاريخي (خبر الصادق الذي يرتكن عليه في إثبات أمر خارق للعادة على هذا النحو) عجزوا عن مدافعة الملاحظة في هذا الأمر، ولم يبق لهم إلا التعلق بالإمكان العقلي المجرد. ولكن هل يغفل الملاحظة عن حال الخبر بهذه المعجزة في القرآن، وعن قوة التواتر الذي نقل به إلينا هذا الكتاب من نبي من أنبياء الله قد استفاضت الأدلة القطعية على صدق نبوته؟؟ وهل يقوم للدليل كهذا أي معارضة من مثل ما يزعمون؟؟ كلا ولا شك، وإنما هو الجحود والمكابرة المحضه! نقول لهم إن دلالة الاستقراء الناقص تورث العلم وتوجب العمل، لا خلاف في هذا، ولكن أين زعمكم بأنكم تنتظرون ظهور أول بجعة سوداء لتبتلووا مذهبكم الاستقرائي السابق بأن سائر البجع في العالم لونه أبيض؟

إنهم بذلك يخالفون أصلاً من أصول العلم الطبيعي، ألا وهو مبدأ الشك! Skepticism إنهم يقولون إن ما معنا من نظريات وظنيات لا يحقق لنا الجزم والقطع، ومع هذا فإنه يلزمنا العمل به حتى يظهر لنا ما يخالفه من الأدلة والقرائن. وهذا الشك عندهم في الحقيقة ليس مفهوماً بمعنى الشك المفضي إلى

العجز عن الترجيح والتحقيق (الجهل)، وإنما بمعنى الاستعداد لإبطال ما هم عليه من العلم بمجرد أن يظهر ما ينقضه من الأدلة العلمية التي تعلوه في الطبقة وقوة الدلالة. وهذا مقبول منهم ما داموا يعملونه على ما يليق به من النظريات والظنيات. لكن إذا ما جاءوا به يريدون إعماله - أي مبدأ الشك هذا - على أمور هي من ضروريات العقل وقطعياته عند العقلاء، رددناه عليهم وقلنا إن القطعيات لا يتطرق إليها الشك ولا يجوز ذلك! ولو فتح الباب لذلك لضاعت أصول العلوم جميعا ولما بقي للإنسان حجة في شيء مما يُستدل به أصلا! فإن قالوا إن تمسككم بتلك القطعيات إنما هو ضرب من ضروب الإيمان، قلنا نعم هو كذلك، فكان ماذا؟ لا يضيرنا إيماننا ما دام يقوم على قطعيات لا مجال للتشكيك فيها! بل إنه وأيم الله عين المنقبة لصاحبه إذ يوطن قلبه ويعقد نفسه على قطعيات لا يتطرق إليها احتمال النقص (عقلا) ولا غنية له عن التسليم بها والعمل بمقتضاها، فهو يحسن التفريق بين ما هو قطعي يقيني وما هو ظني، يقدر الظن بقدره الصحيح، فلا يتشكك ولا يتوقف في مقام يجب فيه القطع واليقين، ولا يجزم ويصر على يقين قد ظهر له من الدليل ما يبطله، فتراه يدري كيف يقدر الخلاف بين الناس بقدره الصحيح، ويرتب العمل بما معه من معطيات العلم على أساس عقلي متين، يقيم حياته كلها على إرجاع المتشابهات إلى المحكمات، فلا تسيح نفسه في أودية الأوهام ولا تتردى في غيابات الشك والاضطراب! لقد علمنا معاشر المؤمنين أنه لا يرقى ظن محتمل مهما ظهر لصاحبه، لإبطال قطع لا يتطرق إليه احتمال! وإنما يذم المتشكك في مثل هذا، بالعقل والنقل والعرف وسائر ما تقوم عليه معارف البشر!! ويذم كذلك من الإيمان ما يكون قائما على دلالة يغلب الظن - فضلا عن أن يقطع العقل الصحيح - ببطلانها، فكيف بما قام القطع العقلي على فساد (كأصول سائر الملل المخالفة لهذه الملة الحنيفية)؟

ومع أن علماء الطبيعيات من الملاحدة يقرون بهذا المعنى إجمالا، إلا أننا نراهم يلحدون عنه عمدا وينحرفون في إعماله اتباعا للهوى، عندما يتعلق الأمر بعقيدتهم في الغيبيات وفي الخالق. فتراهم يمارون في أمور هي من قطعيات العقل السوي، يرومون إبطالها بجمع أوهن وأضعف صنوف الظنيات إلى بعضها البعض، بدعوى أن المخالف - أي من أهل الديانات - لا يملك من مثل هذه

(الأدلة) ما يرقى لنقضها! وهذا من المغالطة الواضحة! لأن طبقة الأدلة التي بها جزمنا بوجود الخالق جل وعلا، لا يرقى إليها شيء أصلا من ظنيات القوم مهما تراكمت! بل لا يرقى إليها إلا دالة الحس المباشر (أن يطلعوا على الغيب الماضي أو الغيب الماورائي، اطلاعا مباشرا بالحس والمشاهدة ويرجعوا إلينا بدلالة حسية مباشرة تبطل قولنا بوجود الخالق)، وهذا ممتنع أصلا بضرورة العقل، ولو جاز لانهدمت سائر ضروريات العلوم ولفسد على الإنسان عقله! ولهذا نستسيغ في هذا المقام أن نقول لهم - كما يسمعون منا كثيرا - إن الداروينية هذه "ليست إلا نظرية"، على سبيل التحقير والحط من قوتها الاستدلالية، كما يصنع سائر المشتغلين بالرد عليهم من المسلمين وأهل الكتاب وغيرهم، مع أننا - من حيث الأصل - نقبل هذا الصنف من الأدلة الذي يتحلونه لإثبات الداروينية، ونعمل به في باب ما لم يظهر له معارض!

ولذا فإننا نقول إذا كان ثبوت وجود الخالق جل وعلا من ضروريات العقل المحض، وكان ثبوت نسبة القرآن إليه تبارك وتعالى من القطعيات التي لا نكاد نحصي سبل البرهنة عليها، وكانت نبوة محمد عليه السلام ثابتة بطبقات من الأدلة جلها في منزلة القطع اليقيني، ففي أي شيء يتمارى هؤلاء المجرمون، إذا ما قلنا لهم إن نظريتهم هذه أو تلك تخالف ما هو ثابت عندنا من خبر الخلق أو من خبر الغيب السحيق؟ وكيف يتمارون في يقينية هذا الاعتقاد لدينا، ينسبوننا إلى اتباع أساطير الأولين وقد علموا أنه لا مدفع له من عقل ولا حس؟؟ إنه الهوى المحض، والمكابرة مع العلم بطلان ما هم عليه! لا عبرة بشيء من نظرياتهم الظنية وقد تعمدوا إهمال القطعيات الجلية من أجل إثباتها! فمن جادلهم في تلك الظنيات وغفل عن حجة القطع الدامغة، فقد استدرج إلى ما وقع في مثله النصارى من قبل، والله المستعان!

إن الظن يتفاوت في مقداره، من حيث قوة احتمال صحته عند المستدل به. فعلى سبيل المثال، يتدرج الحكم على الحديث في علوم السنة على درجات من حيث قوة الظن بسلامته من الشذوذ أو العلة، فترى الحديث الصحيح ثم الصحيح لغيره ثم الحسن ثم الحسن لغيره، وهذه كلها مراتب يحتج فيها بالحديث في العقائد وأبواب الحلال والحرام، وإن كان من أخبار الآحاد! والفرق بين أعلاها وأدناها في القوة أن الحديث الصحيح تتضاءل احتمالية وجود العلل في إسناده والعوارض الموجبة لدفعه إلى

أدنى حد، بينما في الحديث الحسن تعلو تلك الاحتمالية إلى أعلى حد دون أن تصل إلى الحد الذي يترجح عنده إعلال ذلك الحديث وتركه! وفي الحديث الحسن لغيره تظهر العلة في السند ولكنها كذلك لا توجب تركه لأنه يتقوى بغيره من الأسانيد لنفس الحديث وإن كان ضعيفا في نفسه. وسواء الصحيح أو الحسن، فكلاهما حجة موجبة للعمل في بابه، ما لم يظهر في الباب من الأدلة ما يعارضه مما هو أقوى منه.

ولهذا نرى وقوع الخلاف العلمي المعتبر في سائر صناعات العلم بلا استثناء. فحقيقة أنه معتبر تعني أن أهل الصنعة (المختصين في فن من فنون العلم) يرونه خلافا مما يعذر به الواقع فيه منهم ولا يشنع عليه، لأن مداره الترجيح بين أدلة ظنية على مراتب متفاوتة تختلف أنظارهم في تقديرها وكيفية الجمع بينها، وذلك بخلاف ما لا يعتبر من الخلاف، كالشدوذ عن معاهد الإجماع المحسوم عندهم، فإن هذا الأخير لا يتوقف أهل الاختصاص - في أي فن من فنون العلم - في رفضه ولا يترددون في رده على صاحبه. وقد قيدت الإجماع هنا بقولي (المحسوم) أو المنتهي لبيان أن المراد به ما لا يقبل أهل الصنعة الخروج عليه البتة، ولا يجيزون احتمال أن يظهر في المستقبل ما يبطله، تميزا لذلك الإجماع عن صنف آخر غير منتهي، يتفق أهل الصنعة على إمكان خرقه أو انتقاضه في المستقبل (على افتراض إمكان وقوعه ابتداء)! ومثال هذا الأخير في علوم الطبيعيات إجماعهم قبل قرن من الزمان على صحة وكفاءة التصور النيوتوني للكون، فقد انقرض ذلك الإجماع بظهور النسبية العامة وانقلب إلى الإجماع على صحة التصور النسباني للكون، وهو ما قد انخرم في زماننا هذا كما يعلمه أهل علوم الفيزياء والرياضيات. فإن أي نظرية تفسيرية أو استقرائية (من قبيل الاستقراء الناقص) مهما اتفق أهل صنعة من الصناعات على قبولها في زمان من الأزمنة فإنهم يتفقون - كذلك - على لزوم تركها إلى ما هو أفضل منها وأقوم بمجرد ظهوره عندهم.

غير أنه ليس من المعسور على المنتسبين إلى أي صنعة من صناعات العلم أن يدعوا وقوع الإجماع فيما بينهم على نظرية أو مذهب يتعصبون له ويحملهم هواهم على الدفاع عنه والانتصار له، يجعلونه في منزلة الإجماع المحسوم الذي لا يقبل النزاع. وللجواب على هؤلاء فإنه يُنظر في قضيتين:

- هل هذا الصنف من المسائل يصح الاحتجاج بالإجماع فيه على افتراض وقوعه؟ (بمعنى هل هو إجماع منتهي لا يقبل النزاع)
- وإن كان كذلك فهل قد وقع هذا الإجماع حقاً؟

ولهذا نقول إنه لا حجة للدراونة في احتجاجهم بإجماع أهل علوم الأحياء على صحة نظرية داروين (مثلاً) - لكلا الاعتبارين السابقين جميعاً. فإنه لا يمكن أن يثبت إجماع فيها أصلاً لأن سائر علماء الأحياء من المسلمين والنصارى واليهود يرفضونها إما إجمالاً أو تفصيلاً كما يعلم الدراونة ذلك تمام العلم، هذا من جانب، ومن جانب آخر فلا أنهم كذلك يقولون إن هذا الصنف من النظريات ليس إلا أقرب التفسيرات المتاحة حالياً إلى موافقة ما تحصل لهم من المشاهدات، وهم يتمسكون عند الحاجة بإمكان ظهور ما يبطل ذلك التفسير - من حيث الإمكان العقلي المجرد - ويضع غيره في مكانه، ومن ثم فلا عبرة بعدد الموافقين لها اليوم ولا بزعمهم أنها من (الحقائق العلمية) بما يوحي بأنها من القطعيات التي لا يمكن إبطالها أصلاً! هذا ولا يخفى على أهل النظر والتحقيق في أصول فلسفة الداروينية ما تقوم عليه من خُلف عقلي وتناقض فلسفي متجذر في أصولها، حيث تروم المراكبة بين مفهوم العشواء ومفهوم الآلية المنظومة المسبوكة في إطار قوانين الطبيعة، على نحو يجمع بين المتناقضين، ويهدم كلا من مفهوم العشواء ومفهوم القانون جميعاً! فكيف يعقل أن يقع إجماع على مفهوم طافح بالتناقض العقلي ومصادم لضروريات العقل على هذا النحو؟ هذا ممتنع ولا شك .
لذا فلا حقيقة لدعواهم الإجماع ولا قيمة له في ميزان الحجاج العقلي حتى لو افترضنا وقوعه تواتراً فيما بينهم .

والحق أن نظرية داروين سائر أدلتها من قبيل الاستقراء الناقص، ولا يمكنهم أصلاً إبطالها يوماً ما وإن حرصوا، لأنه لا يمكن أن يظهر من المشاهدات الحسية ما يُقطع معه بطلانها! هل يمكننا أن نقف على حدث الخلق الأول نشهده بأعيننا كيف كان؟ لا يمكننا ذلك! وإذن فما من سبيل من سبل الاستدلال الحسي أو الإمبريقي يمكن أن يبطلها! ولما سأل أحد المدققين في فلسفة العلوم ذات يوم رأساً من رؤوس التنظير الدارويني "كيف يمكن إبطال نظرية داروين؟"، أجاب متحدياً: "أخرجوا لنا أرنباً من

طبقة البريكامبريان"! وهو في الحقيقة يغالط مغالطة واضحة لأن هذا المطلوب حتى لو افترضنا أن ظهر في إحدى الحفائر فإنه لا تقوم به الدلالة على إبطال النظرية، لأنهم في الحقيقة لن يعدموا له تأويلا يوافقها، وهم مضطرون إلى ذلك للحفاظ عليها (وهو المسلك العقلي المطروق في ما كانت هذه منزلته من النظريات الظنية في شتى فنون العلم)! فحينئذ سيقول قائلهم - على ذات النسق العقيم في جحد القطعيات العقلية الواضحة التي تهدم الداروينية - إن مئات الآلاف من الحفريات والمشاهدات الحسية لا يمكن إسقاط دلالتها لحفرية واحدة كهذه، وإنما ينصرف العلماء في مثل ذلك إلى تأويلها بما يوافق النظرية لا بما يهدمها! فنحن نقول إنه ما دامت النظرية لا يمكن إبطالها - عقلا - باستخدام وسائل التجريب والحس المباشر (الدلائل الإمبريقية) فهي ليست من نظريات العلم الطبيعي في الحقيقة، وإنما هي نظرية من نظريات الفلسفة الغيبية تتخفى في دثار العلوم الطبيعية!

وفي المقابل - وفي نفس الوقت ولنفس العلة - فإن ما قرره عالم الأحياء الأمريكي مايكل بيهي فيما أسماه بمبدأ التركيب غير القابل للاختزال Irreducible Complexity لا يمكن اعتباره دليلا إمبريقيا أو (علميا طبيعيا) على بطلان نظرية داروين، وإنما هو دليل عقلي فلسفي محض في الحقيقة! فخلاصة هذا المبدأ أنه يقول إن النظام البيولوجي الذي لا يعمل على نحو صحيح إلا باجتماع جملة المكونات التي يتكون منها على النحو الذي هي عليه، لا يمكن أن يكون قد ظهر إلى الوجود مفتقرا إلى شيء منها! وهذا المبدأ صحيح لا يماري فيه إلا من لا يدري يمينه من شماله، ولكنه حجة عقلية (فلسفية) محضة كما أسلفنا، وليس دليلا حسيا ولا من جنس الأدلة التجريبية! فسواء نظرية داروين في أصل الأنواع أو مبدأ بيهي هذا وغيره فيما يسمى بالتصميم الذكي، هذه كلها قضايا فلسفية محضة، وليس من الممكن إثبات أو إبطال أي منها بالحس والمشاهدة، ولا يمكن إخضاعها لمبدأ بوبر في شرطه لنظرية العلم الطبيعي. لا يمكن أن يأتي أحدهم بنظام مكون من أجزاء، لا يعمل على النحو الذي صمم لأجله إلا باجتماعها، ثم ينزع منه جزءا من تلك الأجزاء، ويظل ذلك النظام يعمل على النحو الذي صمم لأجله، فيثبت بذلك بطلان هذا المبدأ! هذه محاجة مدارها ضروريات العقل واللغة كما هو واضح، وليس الحس والمشاهدة! ونحن نقول فليكن أن هذا المبدأ ليس من العلم الطبيعي، فكان ماذا؟ هل

يعني هذا بطلانه أو تخلفه عن إبطال خرافة الارتقاء الدارويني؟ كلا! وإنما العبرة بقوة الدليل لا بنوعه أو الحقل العلمي الذي يندرج تحته!

فعندما نقول لهؤلاء المجرمين الجحدة إن القرآن قد قامت له سائر الدلائل القطعية على صحة نسبته إلى خالق السماوات والأرض، ثم يأتي القائل منهم ليرمي علماء المسلمين بالسفاهة عندما يبطلون له نظرية من نظرياته لمعارضتها لما في نصوص الوحي، فإن مجرد تكلف المجادلة والمناقشة مع هؤلاء والتنزل معهم لمستوى المحاججة والمناظرة، فيه حطّ كبير من مقادير أهل العلم والحكمة وتنقص من قوة الحق الظاهر الذي يجحده هؤلاء وهم يعلمون! أي نظرية هذه التي يصفون بها حقيقة الخلق، وما شأننا نحن بقوم من جهلاء النصارى لم يجدوا من سبيل لمقاومة دعاوى الملاحدة سوى موافقتهم على استعمال أدوات العلم الطبيعي فيما لم توضع لأجل أن تستعمل فيه أصلاً؟

فالحاصل أن هذه الطرائق في التقديم والتأخير وفق منازل الأدلة، من بعد النظر في آليات الجمع، لا يملك عاقل أن يبطل أصلها العقلي الذي نحن بصدده ههنا، وهي معمول بها في سائر فنون العلم البشري، ألا وهو هذه الثلاثة:

- تقديم القطع على الظن (من بعد تعذر الجمع بين الدليلين في المسألة)،

- تقديم الظن الأقوى على الأضعف،

- العمل بالظن الضعيف (بضوابط) عند عدم ما يخالفه في بابه .

وهذه العلوم في ضبط الدلالات والنظر في موازنة الأدلة العقلية والنقلية والحسية، إنما يقوم فقه المسلمين لدينهم ولخطاب ربهم عليها! وهي عندهم أضبط ركننا وأقوم جانبنا من سائر نظريات فلسفة المعرفة عند من تأمل في هذا وذاك ورام المقارنة! فإنما استقى أئمة المسلمين تلك الأصول من نصوص الوحي المطهر، بالاستقراء والتجريد وتحرير القواعد العامة، لا بالتنظير العقلي المجرد المبتور عن حكمة السماء، كما هو شأن الفلاسفة في غيره من المعارف البشرية. ولهذا فما من أصل من الأصول العقلية النظرية التي يتفق عليها عقلاء صنائع العلوم البشرية بشتى مجالاتها وحقولها إلا وترى ما يوافقه في أصول النظر العقلي (أصول الفقه) عند المسلمين، وما من باطل إلا وترى عند المسلمين ما يبطله بالحجة العقلية - فضلاً عن النقلية - الدامغة، والله الحمد والمنة.

وفي الختام أقول، إن الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها فهو أحق بها. ولهذا فإن علماء الطبيعيات من المسلمين الذين هم على إمام بأصول دينهم وأصول الفقه في شريعتهم، وأصول الاستدلال والنظر العقلي في صنعة العلم الطبيعي التي يشتغلون بها، هؤلاء قد ملكوا زمام ذلك العلم الدنيوي بحقه، لأنهم يزيدون على نظرائهم من أهل الملل الأخرى بفارق الحكمة المنزلة من رب العالمين! فلا تراهم يضيعون أعمارهم وأوقاتهم في البحث في قضية محسومة مسبقاً، ولا يقبلون النزاع في أمور مقطوعة بدليل لا يمكن نقضه، ولا يسمحون بتسخير البحث العلمي لغايات قد قام لديهم الدليل على أن الخالق جل شأنه يمنعها من فوق سبع سماوات! إن مجرد اجتهد علماء الشرع في تخريج الحكم الشرعي لنظرية من النظريات أو لغاية من غايات البحث التجريبي، هو في ذاته آية من آيات علو ورقي العقل المسلم على سائر عقول التجريبيين وعلماء الطبيعيات وفلاسفتهم من أي ملة كانوا! لأنهم بصنيعهم هذا، يرجعون بالمشابهة إلى المحكم، ويزنون ظنيات العلوم على ميزان الوحي الذي قامت لديهم أصوله على أساس من يقين لا يدفعه دافع عقلي ولا يرقى لإبطاله دليل حسي في الأرض مهما عظم! لا يتغافلون حجة الحق الظاهرة ولا يضعون أدلة العلم الطبيعي في غير موضعها، ولا يطبقون مبادئه في غير ما وضعت له بالأصالة!

إنني أطمع في أن أرى ذلك اليوم - وإني لأظنه ليس ببعيد - الذي يفخر فيه العالم المسلم من علماء الطبيعيات بامتلاء كتاب علم الفيزياء أو الأحياء الذي يدرسه في جامعته بنصوص القرآن والسنة وأخبار الغيب، في محل ما يجهد الملاحدة جهدهم لبلوغ العلم به، من أمور الغيب الماضي السحيق، كما أطمع أن أراه في مواضع التوجيه الأخلاقي لمباحث ذلك العلم وغاياته كذلك. قد كانت لنا هذه الخصلة في قرون خلت، يوم كان ملوك أوروبا يبعثون أولادهم للتعليم في بلادنا، وإن لها لعودة ولو بعد حين!! فإن الحق ظاهر مهما تعامت عنه عيون الجاحدين! إن البشرية لم تر في طول تاريخها وعرضه انحطاطاً كالذي رآته على أيدي ملاحدة هذا الزمان، الذين عمدوا إلى تلك العلوم فحولوها إلى أداة لإقامة بنيان ملتهم الفاسدة، حتى صارت تقام الدعاوى القضائية في المحاكم الغربية لمنع تدريس ما يسمى (بنظرية الخلق) في مناهج العلوم الطبيعية للأطفال في المدارس، ولفرض الداروينية في مكانها

بدعوى أن هذا هو العلم وهذه من مسلماته، ولا حول ولا قوة إلا بالله !!
 إن مشروع تطهير المعرفة البشرية من مغالطات الاستدلال ومن معاندة المكابرين والجاحدين وإعادة
 نصب بنيان العلوم على قواعد إبراهيم ليس بالعمل الهين، ولكني أراه قريب المنال بعون الله وتوفيقه.
 إنما يلزمنا - معاشر الموحدين - أن نقيم اليقين في قلوبنا أولاً، فإذا ما قامت دولة الحق في قلوبنا أقامها
 الله بنا على العالمين ..

فالله أسأل أن يهدي المسلمين إلى لزوم غراس العلم وأهله، وإلى تسليم نفوسهم من التعرض لشبهات
 وخرافات الجحدة والمجرمين، وأن يهدي من علم فيهم شيئاً من الخير والصدق من غير المسلمين
 إلى قبول ما عرفوا من الحق المبين، والحمد لله رب العالمين .

تنزيه النبوات وأخبار الغيب عن عبث أهل التهوك والريب

الحمد لله وحده، أما بعد فقد راسلني أحد الأفاضل الكرام بحديث عن رجل كتب مقالا أسماه (يوم القيامة في ضوء العلم الحديث)، يستدل فيه - على ما فهمت من كلام أخي الفاضل - على صحة ما روي عن الجنة والنار، ببعض الظواهر الفيزيائية كالثقب السوداء والثقب الدودية ونحو ذلك! فرأيت أن أكتب هذه الرسالة الموجزة جوابا عن ذلك المسلك المعوج بعموم، لا عن المقال بعينه.

وأقول وبالله المستعان إن هذا طريق خطير من طرق الرجم بالغيب والافتراء على الوحي، قد صار كثير من الناس يستملحونه ويستحسنونه في زمان غلب فيه الهوان على نفوس المسلمين كما لم يكن في تاريخ أمتنا من قبل، حتى صار بعض الناس لسان حاله كأنما يقول: "والله لا أتيقن في خبر الوحي حتى أرى العلم الحديث يصدقه" ولا حول ولا قوة إلا بالله! هذا المسلك المعوج من ذاك الصنف المتهوك، وإن كانوا يزعمونه نصرا للدين وتتميما للعلم الطبيعي، لا تراه إلا عدوانا على الدين والعلم الطبيعي وسائر العلوم جميعا، والله المستعان! فإن أمور الآخرة والمعاد والمحشر كلها من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، والأمة مجمعة على التوقف فيه وفي كل ما في بابه من الغيبات عند ما جاء به النص، فلا نزيد ولا نقص ولا ندعي ما ليس لنا به سلطان، وإلا دخلنا في القول على الله بغير علم، نسأل الله السلامة! فإن المسألة في ذلك ليست صدعا على سطح القمر - مثلا - سنكتشفه مشاهدة بالمجاهر كما اكتشفنا ما في جنس ذلك! وليست هي أمرا يمكن معرفته بالقياس العقلي على أحوال هذا الكون المنظور (الذي افتتن صاحبنا المذكور بما تصوره فيه الفيزيائيون من أشياء تحير العقل - بل قد تخالف بديهته الأولى أصلا في بعض الأحيان!!)

كل خبر الآخرة مما تقرر أنه من الغيب المطلق في هذه الدنيا، فلا يطلع عليه إلا من أوحى الله له بخبره من الأنبياء والمرسلين! فأَي علم حديث هذا الذي يريدونه طريقاً إلى تحصيل المعرفة بشيء لم يأت به الخبر في ذلك، أو إلى البرهنة على صحة شيء مما جاء به الخبر فيه؟ والله لا يحتاج العقلاء إلى أدنى قدر من الدراية بالعلم الشرعي أو بالعلم الطبيعي (الذي كانت فيه فتنتهم) حتى يرى جهالة هذا الهراء، ويرى كيف أن الجهة منفكة أصلاً - ببديهة العقل - بين تلك الأمور وما وضع العلم الطبيعي لدراسته والتنبؤ به! وما أخزاها من منزلة منبئة يقف عندها هؤلاء، فإنهم لا قبول ولا تصريف لهرائهم هذا عند أهل العلم بكتاب الله وأخبار الوحي، ولا عند أهل العلم الطبيعي والفيزياء التي افتنوا بها، نعوذ بالله من الخذلان!

إن أمثال هؤلاء في الحقيقة إنما يحتاجون إلى درة عمر، يحتاجون إلى من ينهاتهم عن ذاك العبث بكتاب ربهم، ويعلمهم حدود صنعة العلم الطبيعي، تلك الصنعة التي افتنوا بها فدخلت بهم ذات الجحر المظلم العفن الذي دخله أهل الكتاب من قبلهم، حتى صاروا يتأولون سائر نصوصهم على الهوى والمزاج، فيكون النص تبعاً للنظرية الطبيعية والتصور الرياضي الحديث للكون، بدلاً من أن يكون النص حكماً على ما صح وما بطل من ذلك! ولا نعجب من وقوع من ضيعوا وبدلوا وحرفوا نصوصهم في مثل هذا الضلال والخذلان المبين، إذ كلما خارت قواهم في الدفاع عن تلك النصوص لما فيها من تناقض صارخ، رأيتهم يتأولونها على ما يوافق كل شاردة وواردة من نظريات العلم الحديث! هؤلاء لعبتهم التحريف ولي أعناق النصوص من يوم أن وضعت بين دفتي كتاب يقال له الكتاب المقدس وإلى أن يأتي تأويل ما أخبر الله به من أمر زوالهم على أيدي المسلمين قبل قيام الساعة! وهل لعنهم الله في كتابه من قليل؟ فأَي عذر إذن لسلوك المسلمين تلك المسالك، يحرفون الكلم عن مواضعه، ويعبثون بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكأنما تحتاج حجة الحق إلى أن تأتي هذه النظرية الفيزيائية أو الفلكية أو نحوها "لتوافق" هذا الخبر أو ذاك مما في كتاب الله؟

نعم إن القطعيات في علوم الطبيعيات إن ثبت بما لا يدع مجالاً للشك العلمي المحمود، ثم رأينا موافقتها لما جاء به النص عندنا، دونما إبطال لمجموع أفهام السابقين لذلك النص، فإننا نعهده من جملة دلائل صدق النبوة ولا إشكال.. ولكن هذا إنما يكون في الأمور المشاهدة المحسوسة، أو التي يمكن أن يتطلع الناس لمشاهدتها يوماً ما ويُتصور في العقل أن تطالها طرق الحس والمشاهدة بطريق أو بأخرى، لا في شيء من أمر الدار الآخرة أو نحوه مما لا يصح في النقل والعقل أن ينقلب من الغيب إلى الشهادة، فتستعمل لمعرفته أدوات المراقبة المعملية وأقيسة الحقائق والكيفيات كالرياضيات ونحوها! هؤلاء ينبغي أن يكون الحوار معهم حواراً قاطعاً، غايته بيان أن ثمة سد شرعي سلفي منيع لا يسمح في دين الله تعالى لمخرف متمخرق ولا لمغامر تافه بأن يخترقه بتلك الخزعبات! هذا يقول الأعراف هي الثقب الأسود، وآخر يقول عرش الرحمان هو مجرة درب التبانة والسموات السبع هي طبقات الغلاف الجوي، وغيره يدعي أن الملائكة والجن تعيش - ولا بد - في عالم من العوالم الموازية التي يتوهم المسكين أن ميكانيكا الكم (تلك الساحة المفتوحة على مصراعيها لكل مخرف سفيه) قد (أثبتت) وجودها، وغيره يدعي أن القراءان يثبت صحة نظرية الانفجار الكبير، وهلم جرا!

فبالله أي شيء هذا؟ ما خطب هؤلاء القوم؟ ألا يتقون الله؟ هلا وضعوا القراءان فيما أنزل له، والعلم الطبيعي فيما وضع له؟ فليعلم هؤلاء أن صنعة العلم الطبيعي لا سلطان لها على شيء مما أجمع المسلمون (ولو بالتواتر المعنوي) على أنه من خبر الغيب الذي لا يُعرف إلا بالنص! فلن يأتي يوم تخترع فيه أداة نرى بها عذاب القبر أو نسمعه! ولن يأتي يوم نرى فيه ملائكة الموت وهي تقبض أرواح الموتى على شاشة جهاز إلكتروني! ولن يأتي يوم يظهر فيه اختراع مجهري خارق يطلعنا على أبواب السماء الأولى، أو على ذاك الملك العظيم حامل العرش الذي أذن الله للنبي في وصفه لنا، فأخبرنا بأن رجليه في الأرض السفلى وكتفيه تحت العرش، أو على البيت المعمور فوق الكعبة المشرفة، أو على عرش إبليس الذي دل الخبر على أنه على الماء (وراح أناس يقولون إنه في مثلث برمودا!!)، أو نرى الجنة والنار والصراط كما نرى الكواكب في التليسكوب، أو يخرق حجاب الغيب فيما بيننا وبين الملائكة والجن فنراهم عياناً كما يروننا! هذه ونحوها آيات لو صح أن يعثر الناس على طريق حسي

قاطع يطلعهم عليها شهادة في يوم من الأيام، لما كان من وجه لتغييبها وابتلاء الناس بالإيمان بها في الغيب أصلاً، وهو الابتلاء الماضي مذ خلق الله آدم وإلى حين يأتي يوم تأويل تلك الآيات وانكشافها للناس بأمر الله تعالى!

ومما يؤسف له حقاً أن ترى بعض الأفاضل يتأثر بتلك المسالك، كما ذهب بعض المعاصرين - غفر الله له - إلى القول بأن يأجوج ومأجوج لا بد وأن يكونوا فيما يسمى بمثلث برمودا، مع أن هذا المثلث قد استفاضت الدلائل القطعية على أنه ليس فيه ما يخفى عن رصد الأقمار الصناعية في هذا الزمان، بل يمكن لأي إنسان أن يتفحصه في بيته على برنامج (جوجل إيرث) إن كان فاعلاً!

وأقول لكل باحث في أمثال هذه الأشياء: هب أننا قد انكشف لنا موقع ذلك السد العظيم الذي يحجز عنا هؤلاء، ورأيناه بأعيننا، فأی شيء في ظنك يترتب على هذا؟ سيتحول إثبات صحة دين الإسلام كله إلى قضية موقوفة على هذه المسألة دون غيرها: "هل حقاً خلف هذا السد تعيش تلك الأمة العجيبة الموصوفة في القرآن؟" فأی شيء يترتب على هذا؟ لعله يترتب عليه حرص الملاحدة وأعداء الملة على إثبات بطلان القرآن عن طريق هدم ذلك السد وإثبات أنه لا شيء خلفه! بل لعله تقع مقتلة عظيمة بين طوائف من المسلمين وبين هؤلاء حرصاً من المسلمين على حفظ السد من الانخراق! فلو كان هو السد حقاً، فقد بطلت بذلك نصوص أجمع المسلمين على صحتها في الأحداث التي بها ومن بعدها تظهر تلك الأمة على الناس! فلا والله لا يكشفه الله لنا حتى يأتي يوم تأويل الأخبار والنبوات في شأنه!

ولو أن هؤلاء الأفاضل تأملوا لوجدوا في ذلك الترتيب العقلي جواباً كافياً لسؤال من سأل: لماذا خفي علينا سد عظيم على هذا النحو؟ فإذا كان السؤال عن كيفية الخفاء لا عن سببه، فنقول الله أعلم! وهل يصدق من يزعم أن الناس قد رأوا ورصدوا في هذا الزمان كل ما يمكن رؤيته ورصده على سطح هذه الأرض؟ كيف ولا تزال إلى يوم الناس هذا تكتشف أصناف جديدة من الكائنات في الأحراش والبراري، وتكتشف كهوف غائرة حيث لم يكن يُظن أن توجد أصلاً؟ وكيف يقال إن مسح سطح الأرض بالأقمار الصناعية يكفي لإظهار شيء قد علمنا أن من لوازم حكمة الرب جل وعلا بل ومن

لوازم صدق النبوات أن يخفيه الله سبحانه حتى يأتي يوم انكشافه وتأويل النبوة؟ وهل يعجزه سبحانه أن يخفيه بسبب خارق للعادة أو على الأقل أن يصرف الناس عن اكتشافه إن أراد ذلك سبحانه؟ كلا والله! فلماذا لا نكتفي بهذا القدر ونتوقف؟ لماذا نُستدرج في تلك المقامات في كل مرة إلى كلام قد يرجع على أخبار الغيب بالنقض والإبطال؟

ومثل ذلك يقال في الجزيرة التي عليها الدجال! صحيح إن تميم الداري رضي الله عنه قد قدر الله له أن يراه ويخاطبه في ذلك الكهف كما جاء في حديث الجساسة، ولكن هذا حدث لم يكتب الله له الوقوع إلا في تلك المرة وحدها لحكمة قد نعلم بعضها ونجهل بعضها، وقد لا نعلمها أصلاً، وليس بضارنا من شيء! ذلك أن الأصل أن يروي الصحابة عن النبي عليه السلام، لا أن يروي النبي عن صحابي! ففي ذلك منقبة لتميم رضي الله عنه ليس ههنا مقام تصور الحكمة من اختصاصه بها. والقصد أننا لو افترضنا يوماً في هذا الزمان يُكتشف فيه كهف الدجال كما اكتشفه تميم ومن معه، لما ترتب على ذلك إلا بطلان ما تحصل لدى المسلمين من خبر الوحي في الأشرطة السابقة على خروجه وفيما جاء في النص من أن الناس يفتنون به ويعظمونه! إذ كيف يعبد من دون الله من يعبد (مفتونا بما معه من الخوارق) وما كان خروجه بين أيديهم إلا أن اكتشفه الناس أسيراً مكبلاً بالأغلال في كهف من الكهوف ينتظر يوم انفكاك أسرهم؟ ثم أي عمل يكون للناس إن اكتشفوه على تلك الحال؟ قطعاً لن يكون على نحو ما جاءت به أخبار الوحي في أمر الدجال وما يكون من ظهوره وافتتان الناس به! فنقول لا لن يأتي يوم يتكشف أحد من الناس فيه كهف الدجال كما قدر الله وقوعه لتميم والذين كانوا معه!

لقد كان من فطنة السلف رحمهم الله أن روي عن بعضهم حين سئل عن المهدي "كيف نعرفه"، أنه قال: "إن دق بابك فلا تصدقه حتى ترى الناس قد اجتمعوا عليه!" فتأمل بربك كيف أدرك هؤلاء الحكماء العقلاء أن خبر الله في شأن المهدي وما يجري حال ظهوره من اجتماع الناس عليه = هو في نفسه دليل إثبات لصحة دعواه ذلك الأمر لنفسه إذا ما أظهره الله! والواقع يشهد بأنه لا يقع ذلك الاجتماع الشامل على رجل واحد في جميع الأمة حين يأتي يوم ظهوره حتى تكون قد وقعت في الأمة أحداث وأحداث، وتغيرت فيها أحوال وأحوال! وإلا فكيف يُتصور أن لو خرج المهدي الآن

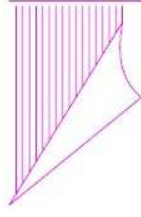
فسيجتمع عليه الناس من سائر أقطار الأمة يجيئون دعوته ويباعونه في الحرم فيصير إمامهم الأعظم وخليفتهم على منهاج النبوة؟ هذا بعيد في أيامنا هذه بعد المشرقين كما لا يخفى! وعلى أي حال فحتى لو سلمنا تنزلاً بأن اجتمع الناس على ذاك الرجل الواحد في موسم الحج القادم أو الذي يليه - مثلاً - على نحو ما جاء في الخبر، فنحن على ما اجتمع عليه المسلمون إذا اجتمعوا! ولكن الشاهد أن مثل هذا الخبر الغيبي يمكننا بدلالات الالتزام والافتضاء أن نبني تصوراً عاماً منه لما يتوقع أن تكون عليه أحوال الناس يوم تقع بيعة المهدي تحقيقاً فيرونها واقعا مشاهداً. فبمثل تلك اللوازم وما ينبني عليها من اجتماع الناس عليه، يُعرف أنه هو!

ومما يحضرني الآن وأختم به هذه الرسالة الموجزة، أنني قد مر بي مقطع فيديو عرضه أحد الإخوة في هذا المنتدى المبارك من قريب، لبرنامج على قناة الرحمة جاء فيه الأخ مقدم البرنامج بمادة فيديو يُفترض أنها تصور بحثاً قام به بعض الباحثين الغربيين لدراسة الموت وما يجري على جسد الإنسان من تغيرات أثناء الموت! فكان من جملة ما عُرض في ذلك المقطع، مشهد قد ثبتت فيه الكاميرا على رجل يحتضر، لتصوره بالتصوير الحراري، فسمعت الأخ يعلق على المقطع أثناء عرضه قائلاً ما معناه إن هذا المشهد قد صور للرجل في لحظة موته، ويظهر فيه انسحاب الروح من الجسد، ثم راح يستعمله كدليل على صدق خبر النبي عليه السلام في وصف انسحاب الروح من الجسد في حال خروجها! فلما استغربت ذلك الأمر، أجريت بحثاً سريعاً على الشبكة عن تلك المادة (من عنوانها الانكليزي الذي ظهر في المقطع)، فعثرت على المقطع بلغته الأصلية، واستمعت إلى ما قاله المقدم الأصلي للحلقة في وصفه للتجربة، فوجدته يقول إن الكاميرا الحرارية كانت مثبتة على هذا النحو لمدة 24 ساعة (على ما أذكر)، فهذا الذي عُرض في المقطع في ثوان معدودة إنما هو تعجيل لعرض ما رصدته الكاميرا المدة أربع وعشرين ساعة كاملة من بعد موت الرجل! فلو كان هذا هو حدث انتزاع الروح، فهل تظن الملائكة تنتزع في روح الميت يوماً وليلة كاملين؟؟ وهل نفهم من هذا أن الروح هي الحرارة في الجسد مثلاً؟ سبحان الله! ما حاجتنا إلى هذه الأشياء يا عقلاء المسلمين؟ والله ليأتينكم تأويله ولترونها عين

الشهادة، ففيم تستعجلون؟ أولستم تؤمنون؟ وهل احتاج الأولون إلى أمثال تلك "المغامرات" حتى يؤمنوا بالغيب الذي جاء به المرسلون؟ سبحان الله العظيم!

إن من الغيبات ما غيبه الله تغييباً مطلقاً في الحياة الدنيا فلا ينكشف إلا بالخروج منها أو في يوم المحشر، ومن الغيبات ما كان تغييبه مؤقتاً بوقت ظهور تأويل النبوات كما أخبر بها الوحي المعصوم! فلا يكون تعظيم تلك الغيبات والانتصار لها إلا بالتسليم بها والتوقف عليها كما جاءت، بلا زيادة ولا نقصان ولا تكلف ما لا يفيد بل يضر! وهل يستقيم تمام اليقين والتصديق في القلب، إذا ما ذهب المسلمون يستعينون بأمثال تلك الأشياء بدعوى أنها تقوي وترسخ فيهم الإيمان بخبر الغيب؟ فلماذا لا نكتفي بقول (الله أعلم) ونقف عند ما أوقفنا عليه النص من أخبار الأمور المغيبة عنا؟ لماذا لا نكتفي بمعاملة تلك الأخبار كما عاملها السلف رضوان الله عليهم، فلا نعبث بها ولا نسعى فيها بتلكم التهوكات والتخرصات والرجم بالغيب؟ لماذا صار يثقل هذا الأمر على نفوسنا وصار بعض الناس يتخذها غاية لنفسه أن ينقب في كتب العلم الطبيعي بحثاً عما يمكن أن يرى فيه موافقة لما فهمه (أو ظن أنه يفهمه) من نصوص الوحيين؟

نسأل الله السلامة من أمراض القلوب، والعافية من أمراض العقول، والحمد لله على نعمة الكتاب والسنة.



الفهرس

رقم الصفحة

الموضوع

3.....	المقدمة
4.....	جواب استشكل للحافظ في الفتح عند شرحه لحديث "طوله ستون ذراعاً"
12.....	فتح القدير في التحذير من قبول نموذج "الانفجار الكبير"
28.....	التحذير من سلوك مسالك الفلاسفة وأهل الكلام في مجابهة خطر الإلحاد
35.....	رسالة في تحذير المسلمين من فرقة "التطويريين" دراونة أهل القبلة
45.....	عقيدة التطويريين (أو القائلين بالتطور الموجه)
59.....	العَبَاقِرَةُ السُّفَهَاءُ : عندما تتمحض السفاهة في أحد الناس ذكاء !!
67.....	نظرية داروين.. تحت شفرة أوكام ومطرقة بوبر!!
73.....	الرد على شبهة أثارها بعض الأشاعرة على كلام شيخ الإسلام في درء التعارض
90.....	في قولهم إن كلام علماء الشريعة لا يلزمنا لأنه نتاج عملية بشرية
103.....	الشهب السلفية في الرد على الشبهة اللاحادية
109.....	سلسلة الصفحات المتتابعات على قفا الهالك المدعو "كريستوفر هيتشنز"
131.....	النصح والتبيين لمن قال : ليس في الإسلام ما يمنع من قبول نظرية دارون
	فتح الكريم الأعلى في نقد ما يقال له "النقد الأعلى" مغالطات الماديين في فلسفة التاريخ وفي
144.....	التعامل مع نصوص الإسلام
166.....	تحذير البرية من غناء "التنمية البشرية" ومما يسمى بالبرمجة اللغوية العصبية!

- إقامة الحجة العقلية والبرهان المنطقي ضد حرية نشر الكفر والعصيان.....230
- هارون يحيى: بين وحدة الوجود والاتحاد والحلول.....237
- رسالة: فَصْلُ الْمَقَالِ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ بِدْعَةِ تَشْبِيهِ الْأَفْعَالِ.....251
- الرد المبين على من اوجب ارسال الرسل على رب العالمين.....285
- الرد على مقال (بين المفكر والمختص) للدكتور بكار.....293
- الرد الكاسح على المدعو هاشم صالح.....307
- البيان المسهب لكل حَدَثٍ يقول لا أتمذهب.....321
- الرد على من اتهم الإمام الدارمي رحمه الله بالتجسيم.....328
- جواب شبهة حول ابن عمر وفحصه الجارية وتأصيل ضروري للمشتغلين بالرد على
الشبهات356
- رسالة: إفحام أعداء الملة بتحقيق مراتب الأدلة.....390
- تنزيه النبوات وأخبار الغيب عن عبث أهل التهوك والريب.....419
- الفهرس426